



جهود الشيخ رحمت الله الهندي في الدفاع عن العقيدة

(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة)

إعـداد الطالبـة:

عالية بنت صالح بن سعد بن مسلي آل مسلي القرني

الرقم الجامعي (42380231)

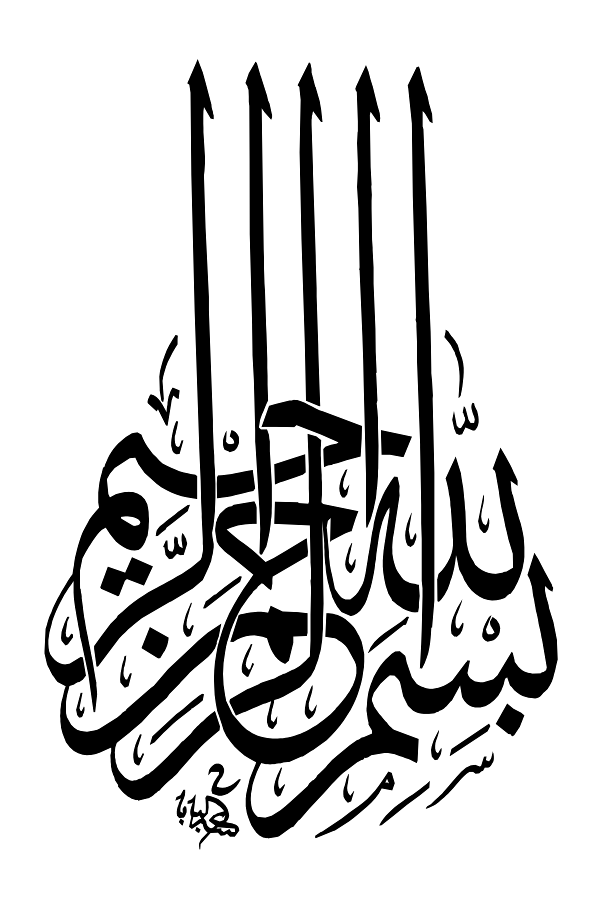
إشـــــــراف:

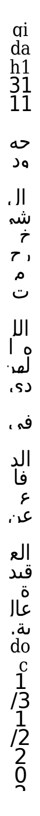
فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/

محمود بن محمد بن محمود مزروعة

الفصل الثاني

عام 1426 هـ - 2005 م





ملخــص الرسالــة

هذا البحث مقدم من الطالبـة: عالية بنت صالح بن سعد القرني بعنـوان: جهود الشـيخ رحمت الله الهنـدي في الـدفاع عن العقيـدة، وقد احتوى هذا البحث على مقدمة وبابين وخاتمة.

جاء في الباب الأول: الحديث عن عصر الشيخ رحمت الله الهندي وحياته، وقد تنـاولت فيه الحـديث عن الحالة السياسـية والاجتماعية والعلمية في شبه القارة الهندية في القرن الثـالث عشر الهجـري، كما تطـرقت لبيـان سـيرة الشـيخ رحمت الله الشخصية والعلمية، وتأسـيس المدرسة الصـولتية، ثم الحـديث عن مقاومة الشيخ رحمت الله للاحتلال الإنجليزي في الهند.

وأما الباب الثاني فكـان عن دفـاع الشـيخ رحمت الله عن العقيـــدة، وقد قمت بتقســـيمه إلى فصـــول: الأول: عن منهج الشيخ رحمت الله الهندي في الاستدلال على مسائل العقيـدة، الثاني: عن مسائل التوحيد، الثالث: عن مسائل النبوة، الرابـع: عن حقية القرآن الكريم، الخامس: عن اليوم الآخر، السـادس: عن موقفه من المخالفين.

أما الخاتمة: فقد تناولت فيها النتائج التي توصلت إليها في هـــذا البحث. ولقد اتبعت في بحـــثي المنهج الاســـتقرائي مع المنهج المقارن، فتوصلت إلى نتائج أهمهـا: الأثر العظيم الـذي تركه الشـيخ رحمت الله الهنـدي سياسـيًا واجتماعيًا وتعليميًـا،

وخاصة في مجـــال مقارنة الأديـــان مع ما يشـــوب منهجه من البدع الكلامية والاستدلالات الفلسفية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على رسول الله.

كتبته الطالبة

عالية بنت صالح بن سعد القرني

Summary of the research

This research is made by: Alyah Bent Saleh Bin Saad Al- Qarni.
The title is: Johod Al- Shaikh Rahmat Allah Al- Hendi Fe Al- Defaa An Al- Aqeedah, and it contains of an introduction, tow chapters and a conclusion.

The first chapter: it talks about the age of Al- Shaikh Rahmat Allah Al- Hendi and his life. It includes the policy, the social and the science status in the India in the thirtieth century. I talked also about his personal and science biography, his establishment of Al- Solateyah school then his resistance of the English capture of India.

The second: it about the defense of Aqeedah and I divided it into sections. The first, the method he followed to deduct the issues of Al- Aqeedah. Second, about the Issues of Tawheed. Third, issues of Al- Nobowah. Forth,

the truth of the Holly Qoraan. Fifth, the Judgment Day. The last, his attitude of the dissenters.

The conclusion: there the results of my research. I followed the method of inductive with a method of comparative. I got the most important results which is the great politic, social and scientists effects, especially in the religious comparative by his method of the speech innovative and the philosophical indicatives.

The student:

Alyah Bent Saleh Bin Saad Al-Qarni

المقدمـــة

الحمد لله رب العــالمين والصــلاة والســلام على أشــرف الأنبيــاء والمرســلين نبينا محمد وعلى آله وصــحبه وســلم .. وبعـد:-

لقد تسلط الغرب النصراني فـترة من الـزمن على معظم أنحـاء العـالم، وكـانت أهم وسـيلة لجأ إليها الاسـتعمار الغـربي لإخضاع الشعوب له؛ متابعة الغـزو الثقـافي بشـتى ألوانه ليشد عضد الغزو المسلح في محاولة لزعزعة العقائد، وذلك بالتهجم على الدين الإسـلامي والتشـكيك في العقائد ونشر النصـرانية، ليكون خضوعهم له تامـاً صـادراً عن عقيـدة ولينسـوا ماضـيهم الحضاري والثقافي.

هذا وقد خضعت الهند بخيراتها الواسعة وأرجائها الشاسعة للاسـتعمار الإنجلـيزي قرابة ثلاثمائة وخمسـين سـنة، اسـتغلت فيها إنجلترا كل كنوزها واسـتعبدت أهلها وسـاقتهم إلى حروبها العديدة تحقيقاً لمآربها الجشعة مستغلين توالي المصائب على المسلمين وتصدع صفوفهم.

ولم تكتف بـالغزو المسـلح، بل حـاولت جاهـدة أن تمسخ شخصيتها وتمحو لغتها وتغير دينهـا، حيث نشط المنصـرون في تلك المستعمرة وبلغوا غاية الغرور ومنتهاه بتحدي المسـلمين، فقـاموا بعقد المحاضـرات والنـدوات، كما عمـدوا إلى تـأليف الكتب التي يبثون عن طريقها أفكارهم ومعتقداتهم، بالتشـكيك في الإسلام والقرآن بل وسب الرسول ﷺ .

ولكنهم اصطدموا بالإسـلام في بلاد الهند على يد مفكـري المسلمين وعلمائهم المخلصـين له ومن هـؤلاء الأعلام: الشـيخ

رحمت الله بن خليل الـــرحمن الكـــيرانوي الهنـــدي (1233-1308هـ)، الذي نذر نفسه للدفاع عن الإسلام لما رأى تطــاول المنصرين وتمـاديهم في سب الإسـلام ورسـوله والطعن في القرآن الكريم، فقام بمنـاظرة النصـارى لإبطـال دينهم وإثبـات نبوة سيدنا محمد والعقائد الإسلامية.

اشتهر بمناظرته للقس البروتستنتي الأمـريكي فنـدر حيث كانت الغلبة للشيخ رحمت الله، وقد كان له دور في الثورة الهندية عـام (1274هـــ، 1857م) مما اضـــطره إلى مغـــادرة الهند تحت ملاحقة الدولة البريطانية وحكمها عليه بالإعـــدام، فغـــادر -بعد مصـــادرة أمواله وممتلكاتـــه- إلى الحجـــاز مجـــاوراً بيت الله الحــرام بمكة المكرمــة، وبها أسس أول مدرسة في الجزيــرة العربية وهي التي تعرف الآن باسم المدرسة الصـولتية -نسـبة إلى المحسـنة "صـولت النسـاء" الـتي تـبرعت بمالها لإنشـاء المدرسة- وما تزال المدرسة قائمة إلى الآن تؤتي ثمارها تحت رعاية أحفاد الشـيخ ~ الـذين سـهلوا لنا الحصـول على الكتب والمراجع عن الشيخ فجزاهم الله عنا كل خير.

وقد ترك لنا الشيخ رحمت الله العديد من المؤلفـات باللغة العربية والأردية والفارسـية، ضـمنها الـرد على الشـبهات المثـارة في وقته إما من النصـــارى أو البراهمة أو الصـــابئة أو الـــدهريين وغيرهم.

أنكر في مؤلفاته على كل من اعتقد بـأن العقل كـاف في الحكم على المنفعة والمضرة، فأدى بهم ذلك إلى إنكار الحشر مطلقاً، وكـذلك إنكـار النبـوة لاعتقـادهم بـأن عقل كـلٍّ بمنْزلة رسول له.

أكـــثر من مناقشة النصـــارى والـــردود عليهم، واســـتدل بنصوص العهدين على أن محمداً خاتم الأنبيـاء، كما رد عليهم

في دعـــوى إلهامية كتب العهـــدين؛ فـــبين أن هـــذه الكتب إما منقطعة الســـند أو أن ســـندها ضـــعيف، كما أثبت تحريف كتب العهدين بجميع أنواع التحريف سواء كان بالتبديل أو الزيـــادة أو النقصان.

ونـــاقش مع النصـــارى قضـــية النسخ من حيث: معنـــاه، وجـــوازه عقلاً، ووقوعه فعلاً في الشـــرائع الســـابقة، وأثبت أن شريعة محمد ناسخة لما قبلها من الشرائع.

أبطل عقيـــــــدة التثليث عند النصـــــــارى عقلاً ونقلاً من نصوصهم على لسان المسيح وأبطل دعوى ألوهية المسيح ونقـــدها نقـــداً علميـــاً يستســـيغه كل من رزق العقل الســـليم والذوق الصحيح.

لم يكتف بنقد النصـــرانية وعقائـــدها وصـــحفها، بل أثبت أن القرآن الكـــريم كلام الله تعـــالى وأنه معجـــز، ورد على شـــبهات النصارى في القرآن.

كما أثبت صـــحة الأحـــاديث النبوية في كتب الصـــحاح من كتب أهل الســـنة والجماعة وردّ على شـــبهاتهم على الأحـــاديث النبوية.

وأثبت نبـــوة محمد بـــالمعجزة وغيرها وردّ على شـــبهاتهم في نبـــوّة محمد ، كتلك الشـــبهات الـــتي أثاروها حـــول الجهـــاد وشبهاتهم المثارة حـــول نســـائه ، وغيرها من التهم الباطلة في حقه كما رد على مطاعن أهل الكتاب في الأنبيـــاء الســـابقين -عليهم الصلاة والسلام- .

ولقد خلط ذلك الكلام على مســـائل العقيـــدة كما يـــراه الشيخ رَحِمَهُ الله ~ إما بالموافقة لأهل الســـــــنة والجماعـــــــة، وإما بالمخالفة لهم.

وحيث إن لهذه الشخصية عظيم الأثر على من جاء بعده ممن ناظر النصارى، وعلى المسلمين عموماً؛ فقد اخترت أن أكتب عنها في رسالة الماجستير المقدمة إلى قسم العقيدة وبخاصة بعد أن علمت بعدم وجود دراسة سابقة عن الموضوع.

أسباب اختيار الموضوع:

1- أهمية العصر الذي ظهر فيه الشيخ رحمه الله حيث كان حافلاً بالأحداث التي مرت على الإسلام والمسلمين في العصر الحاضر.

2- مقاومته للنصرانية المتمثلة في حملات التبشير في تلك الفترة باليد واللسان والقلم، مناقشاً النصارى في المسائل الخمس: التحريف، والنسخ، والتثليث، وحقية القرآن، ونبوة سيدنا محمد ﷺ، وهي من أهم المسائل في بابها وأثبت أن التوراة والإنجيل مليئة بالاختلافات والتناقضات.

3- رده على منكري بعثة الرسل والمعجزات والوحي واليوم الآخر بالأدلة العقلية.

4- الاستفادة من منهجية الشيخ في المناظرة والردود على المخالفين من حيث اعتماده على خطة الهجوم عوضاً عن الدفاع مع تجنب البحوث الدقيقة التي لا فائدة من بحثها وطرح المسألة على العقل السليم والذوق الصحيح في لين وسماحة مع المخالف مع استخدام أسلوب الإقناع.

5- التنبيه على مراعاة المنهج السلفي لأهل السنة والجماعة في باب الردود والإبطال، دون المساس بالعقيدة ومخالفة النصوص.

6- كثرة الغلط وسوء الفهم من بعض الكتّاب والمحققين حول مذهب الشيخ مع الإلقاء بالتهم والأحكام دون تحقيق كما وقع في تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا حيث أنه غلّط الشيخ في كثير من المواضع، بل نسبه للتشيع لكونه مترجماً للتحفة الاثني عشرية وذاكراً للمهدي الذي يأتي في آخر الزمان[1].

7- أهمية كتاب إظهار الحق حيث أنه يعتبر مصدراً أميناً لآراء كثير من علماء النصارى وأقوالهم حول كتبهم المقدسة، واعتماد كثير من الباحثين على هذا الكتاب من جانب الردود على أهل الكتاب.

8- الأثر الذي تركته مؤلفات الشيخ رحمت الله على من جاء بعده من المؤلفين والمناظرين أمثال أحمد ديدات الذي نص في كتبه -وخاصة كتاب "هل الكتاب المقدس كلام الله"- على استفادته الشخصية من كتب الشيخ وخاصة كتاب "إظهار الحق".

9- محاولة جمع جهود الشيخ في الدفاع عن العقيدة وتأصيل منهجه في معالجته للقضايا العقدية بمقارنتها بالمنهج السلفي خاصة مع عدم استيفاء الدراسات السابقة لهذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

1) **المناظرة الكبرى بين العلامة** الشيخ رحمت الله **والدكتور القسيس فندر**: تحقيق: الدكتور محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي، وهي رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام 1403هـ، قام الباحث بعرض المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله والقسيس فندر وتحقيقها نصاً ودراسةً مع ضبط نصوصها

[1] (?) انظر: الشيخ رحمت الله الهندي: إظهار الحق، تحقيق: أحمد حجازي السقا: ص(512)، هامش (7).

ونتائجها مع التمهيد بمقدمة عن بلاد الهند سياسياً ودينياً والتعريف بالشيخ رحمه الله وجهوده في مقاومة التنصير إجمالياً في بضع وعشرين صفحة، دون التعرض للمسائل العقدية التفصيلية التي سوف أبحثها -بمشيئة الله تعالى- خلال تفاصيل البحث.

2) **بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ في نصوص كتب العهدين**: تأليف: محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي، وهو القسم الثاني من كتاب المناظرة الكبرى، ناقش فيها القضايا التي لم تتم مناقشتها في المناظرة بعد انسحاب فندر من المناظرة، قام بإتمام تلك القضايا من كتاب إظهار الحق وهي:

- مناقشة النصارى في دعوى التثليث وألوهية المسيح.
- مناقشة النصارى في إنكارهم أن القرآن الكريم كلام الله تعالى.
- مناقشة النصارى في إنكارهم نبوة محمد ﷺ بنصوص كتب العهدين.

3) **إظهار الحق**: للشيخ رحمه الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي، حيث قام المحقق بجمع نسخ كتاب إظهار الحق المطبوعة والمخطوطة والمقروءة -على الشيخ قبل وفاته وقام بتصويبها- بعد العثور على نسختين ذهبيتين بخط المؤلف ~ .

وقدّم للتحقيق بمقدمة جاء فيها التعريف بشبه القارة الهندية وبالشيخ وبالكتاب وظروف تأليفه والتعريف بكتاب "ميزان الحق" لفندر مع التعريف بمؤلفه دون التطرق لدراسة المسائل العقدية التي ناقشها الشيخ في مصنفاته ضمن جهوده في الدفاع عن العقيدة.

4) **رحمت الله الهنـدي وجماعته وجهـودهم في مواجهة الحملات التبشيرية (التنصيرية)**: لعبدالخالق بن محمد سـعيد، وهي رسـالة دكتـوراه مقدمة إلى قسم الـدعوة والثقافة الإسـلامية، كلية أصـول الـدين جامعة الأزهر بالقـاهرة عام 1412هــ- 1992م، تركّز هـذه الدراسة على التنصـير في شبه القـارة الهندية وموقف علمـاء المسـلمين من ذلك ومنهم الشيخ رحمت الله، فقد تنـــاول البحث عن: حياته وجهــاده ومناظراته ومؤلفاته.

5) **رحمت الله الهنــدي جهــوده في الــدعوة الإسـلامية ورده على المخـالفين**: السـيد عبدالله محمد علام، وهي رســالة دكتــوراه مقدمة إلى كلية أصــول الــدين بجامعة الأزهر عـــام 1399هــــ- 1979م، وقد تنـــاول البحث بالإضافة إلى حياة الشيخ الشخصية والعلمية النقل لمنــاظرات الشيخ وما جاء في كتـاب إظهـار الحق من مسـائل دون تعليق أو مناقشة.

ونظـراً لقصـور الدراسـات السـابقة في مجـال البحـوث العقدية رأيت من المناسب دراسة المســائل العقدية من خلال مصـنفات الشـيخ المتـوفرة والـتي آثـرتُ جمعها ودراسـتها من منظور السلف -رحمهم الله جميعاً- .

والموضوع يشتمل على مقدمة وبابين وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تنـاولت فيها الأسـباب الـتي حملتـني على اختيار هذا الموضوع، والدراسات السابقة والخطة التي ســرت عليها فيه ومنهجي في البحث.

وأما الباب الأول: فقد خصصته للحديث عن عصر الشيخ رحمت الله وحياته، وقسمته إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: عن الحالة السياسية في شبه القارة الهندية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي.

الفصل الثاني: عن الحالة الاجتماعية والعلمية في شبه القارة الهندية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي.

الفصل الثالث: عن سيرة الشيخ رحمت الله الشخصية والعلمية. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عن مولده ونشأته وأسرته ووفاته.

المبحث الثاني: عن ثقافته ودراسته وتدريسه في الحرم المكي ومؤلفاته وتلاميذه وشيوخه.

الفصل الرابع: تأسيس المدرسة الصولتية.

الفصل الخامس: عن مقاومة الشيخ رحمت الله للاحتلال الإنجليزي في الهند. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اشتراكه في الثورة وقيادته فرق الجهاد.

المبحث الثاني: مصادرة أمواله وهجرته إلى مكة والقسطنطينية.

وأما الباب الثاني: فكان عن دفاع الشيخ رحمت الله عن العقيدة، وقد قمت بتقسيمه إلى ستة فصول:

الفصل الأول: عن منهج الشيخ رحمت الله الهندي في الاستدلال على مسائل العقيدة. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهجه في الاستدلال العقلي.

المبحث الثـاني: منهجه في الاسـتدلال بالنصـوص الشرعية.

المبحث الثالث: منهجه في التعامل مع نسخ ونصوص كتب العهدين القديم والجديد.

المبحث الرابع: التزامه بآداب البحث والمناظرة.

الفصل الثاني: عن مسائل التوحيد. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: عن وجود الله تعالى.

المبحث الثاني: عن وحدانية الله تعالى.

المبحث الثالث: عن الأسماء والصفات.

المبحث الرابع: عن توحيد الألوهية.

المبحث الخامس: عن إبطال عقيدة التثليث.

المبحث السادس: عن إبطال ألوهية عيسى .

الفصل الثالث: عن مسائل النبوة. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: إثبات بعثة الرسل.

المبحث الثاني: الـرد على مطـاعن أهل الكتـاب في الأنبياء السابقين.

المبحث الثالث: إثبات نبوة محمد .

المبحث الرابع: الرد على شبهات المنكرين لنبوة النبي .

المبحث الخامس: إثبات المعجزات.

الفصل الرابع: عن حقية القـــرآن الكـــريم. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبــات التحريف والنسخ في كتب العهدين.

المبحث الثاني: نفي التحريف عن القرآن الكريم.

المبحث الثالث: إعجاز القرآن الكريم.

الفصل الخـامس: عن اليـوم الآخـر. وفيه ثلاثة مبـاحث أيضاً:

المبحث الأول: الاستدلال على وقوع اليوم الآخر.

المبحث الثاني: الحشر (المعاد).

المبحث الثالث: الثواب والعقاب.

الفصل السادس: عن موقفه من المخالفين. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الرافضة.

المبحث الثاني: الفلاسفة الإسلاميين.

المبحث الثالث: الصوفية.

المبحث الرابع: المتكلمون.

المبحث الخامس: البراهمة.

المبحث السادس: التناسخية.

أما الخاتمة: فقد تناولت فيها النتـائج الـتي توصـلت إليها في هذا البحث.

وقد كان منهجي الذي اتبعته في إعداد هذه الرسالة ما يلي:

- قمت بجمع مؤلفـــات الشيخ رحمه الله بواســـطة أحفـــاد الشيخ رحمه الله -حفظهم اللـه- وما تواجد في المكتبـات، فتـوفرت لـدي الكتب المهمة والمتداولة بعد اســتبعاد المخطوطـــات التالفة والكتب غير عربية خاصة وأنها في مجملها تدور حول موضوعات كتـاب إظهـار الحق والمنـاظرة الكـبرى، فكـان محـور الدراسة في الكتب التالية:

I- **إظهار الحق**: واعتمدت على النسخة التي قــام بتحقيقها الدكتور محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي.

II- **المنـاظرة الكـبرى والصـغرى**: بتحقيق الـدكتور محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي.

III- **التنبيهات في إثبات الحاجة إلى بعثة الرسل واليوم الآخر**.

- حصــرت مبــاحث العقيــدة الــتي اشــتملت عليها كتب الشــيخ السابقة، وذلك بعد قراءتها، ثم جمعت الأقوال التي تتعلق بكل مبحث على حـدة في بطاقـات، وجعلت لها عنوانـاً يتناسب مع ما تدل عليه من مسألة اعتقادية مستعينة في ذلك بأقوال أهل العلم الذين لهم جهود في توضيح العقيدة الإسلامية من علمـاء سلفنا الصالح وبخاصة أقوال شـيخ الإسـلام ابن تيمية وتلميـذه ابن القيم.

- تنــــاولت الحــــديث عن رأي الشيخ رحمه الله في كل مســــألة من المســـائل بعد التمهيد لتلك المســـألة المطروحـــة، مع ذكر موافقته لرأي السـلف أو عـدمها، وإن خـالف السـلف أبين من وافق من المتكلمين فيهـــا، ثم أبين المنهج الصـــحيح في كل مسألة على نحو رأي أهل السـنة. وإذا كـان المسـألة متشـعبة قمت بتفريعها إلى نقاط تعين على بحثها.

  ولا يتصور أن مناقشتي للشيخ محاولة للانتقاص من قــدره ومكانتــه، لأني إنما أنشد الحق الـذي اجتهد الشـيخ ~ في الوصول إليه.

- لما كــان الشيخ رحمه الله مبطلاً ورداً على خصــومه في مؤلفاته لم يكن له تقرير مباشر للعقيدة من خلال تلك الـردود، لـذلك فقد قمت باستخراج منهجه في العقيدة من خلال تلك الردود، وهذا

ما أدى إلى وجود منهجين متبعين في هذه الدراسة؛ منهج متبع في التقرير، وآخر في الإبطال.

- يستخدم الشيخ رحمه الله كلمة المسيحية والمسيحيين في النسبة إلى النصرانية ومن ينتسب إليها، ولما كان الوصف مخالفاً للوصف القرآني المستخدم، بالإضافة إلى ما يترتب عليه من لوازم باطلة، فقد قمت بتعديل ذلك الوصف إلى (نصراني) أو (النصرانية) تلقائياً. وكذلك الحال مع مصطلح (آية) للدلالة على فقرة من الكتب المقدسة عند النصارى، فقد قمت بتعديلها تلقائياً إلى (فقرة). وكذلك الحال أيضاً مع النصوص المقتبسة الأخرى.
- توثيق القضايا العلمية من مصادرها الأصلية قدر الإمكان، مع الإحالة إلى أكبر قدر ممكن إذا دعت الحاجة.
- الدلالة على مواضع الآيات القرآنية، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما في التخريج، وإلا خرجته في كتب السنة الأربعة، أو غيرها إن تيسر.
- التعريف بما يتطلب المقام التعريف به من أعلام ومصطلحات وفرق وغير ذلك.
- التعليق على المواطن التي تحتاج إلى إيضاح، أو تنبيه، أو ربط بأمر سابق أو لاحق.
- ذيلت البحث بفهارس لتيسر الاستفادة منه، وهي:

أ - فهرس الآيات القرآنية.

ب - فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

ج - فهرس الأعلام المترجم لهم.

د - فهرس مراجع البحث.

هـ - فهرس محتويات الرسالة.

وفي الختـام أحمد الله تعـالى، وهو للحمد أهل أن وفقـني وأعانني على إنجاز هذا العمل، الذي أتقرب به إليه رجـاء ثوابه وابتغاء مرضاته، على ما فيه من ضـعف البشـر، وقصر النظـر، وقلة العلم، فما كان فيه من صـواب فهو من فضل الله تعـالى وتوفيقـــه، وما كــــان فيه من خطأ فمن نفسي والشـــيطان وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

كما أتوجّه بالشكر الجزيل إلى القائمين على هذه الجامعة لرعايتهم الحميدة للعلم وأهله وطلابه، كما أتقدم بوافر الشـكر وبـــالغ التقـــدير إلى فضـــيلة الشـــيخ الـــدكتور: أحمد الســـائح المشـــرف الســـابق الـــذي أحـــاطني بهالة توجيهاته الأبوية وإرشاداته الحانية.

كما أتقدم بالدعاء وفائق الامتنـان للشـيخ الفاضل الأسـتاذ الدكتور: محمود مرزوعة، المشـرف الحـالي الـذي بـذل معي الكثـير من الجهد والتوجيهـات الواعية الـتي كـان لها أطيب الأثر في إنجاز هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أتقـدم بخـالص الـدعاء والتقـدير إلى أحفـاد الشيخ رحمت الله وبخاصة الشـيخ: ماجد مسـعود سـليم رحمت الله -حفظه الله- مدير المدرسة الصولتية؛ الذي بذل، وأعضـاء مدرسـته جهدهم وأوقاتهم وكل ما يملكـون لخدمة البحث، فجـزاهم الله خير الجزاء.

ويعجز اللسـان عن شـكر كل من سـاهم معي في إخـراج هذا البحث من قريب أو بعيد.

فشكر الله الجميع وجزاهم عني خير الجزاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الباب الأول

عصر الشيخ رحمت الله الهندي وحياته

وفيه خمســة فصــول **: -**

الفصل الأول : **الحالــة السياسيـــة**.

الفصل الثاني : **الحالة الاجتماعية والعلمية** .

الفصل الثالث **: سيرته الشخصية والعلمية** .

الفصل الرابع : **تأسيس المدرسة الصولتية** .

الفصل الخامس **: مقاومة الشيخ رحمت الله الهندي للاحتلال الإنجليزي في الهند** .



تمهيـــد:

لما كـانت للأحـوال السياســية والدينية والاجتماعية أثرها الواضح على من عايشها؛ كان من المناسب تبيين تلك الأحوال والظـروف الـتي مر بها المسـلمون في شـبه القـارة الهنديـة، وأثرها على الشيخ رحمه الله بخاصة.

وقبل البدء في تفصيل تلك الأوضاع يستحسن بنا الحــديث عن الهند إجمالاً.

التعريف بالهند:

الهند شــبه جزيــرة كبــيرة، شــكلها كمثلث غــير متنظم الأضــلاع، رأسه رأس كومــاري إلى أســفل، وقاعدته جبــال الهملايا إلى أعلى، تبلغ مساحتها حوالي مليوني ميل مربع، فهي تعـادل ثلـثي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وأكـبر من بريطانيا عشرين مرة، وفيها أنهار عظيمة، أهمها: نهر الأندوس (السند) الــذي منه اشــتق اســمها، وطوله حــوالي 3180كم، وينبع من جبال الهملايا ويصب في خليج البنغال[1].

---

[1] (?) انظر: د أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى: ص(18)، ط 11 -ـ 2000م، مكتبة النهضة المصــرية - القــاهرة، ود/ أحمد محمــود الساداتي: تـاريخ المسـلمين في شـبه القـارة الهندية والباكسـتانية وحضارتهم: ص(15-17)، ط 2001م، دار نهضة الشرق - القاهرة، و د إسـماعيل أحمد يـاغي، والشـيخ محمـود شـاكر: تـاريخ العـالم الإسلامي الحـديث والمعاصـر: ص(316-317)، ط3، 1422هــ-2001م، مكتبة العبيكان - الرياض، ومحمد مرسي أبو الليــل: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها: هامش ص(9)، ط 1965م، مؤسسة سجل العرب - القاهرة.

يبلغ عدد سكان الهند حوالي ستمائة مليون نسمة، فهي ثاني دول العالم بعد الصين من حيث عدد السكان، ونسبة المسلمين فيها أكثر من العشر، أي أن فيها ما يقارب سبعين مليوناً من المسلمين[1].

ويتكلم أهلها عدة لغات، منها: السنسكريتية، والفارسية، والأردية، وهذه الأخيرة يتكلمها المسلم وغير المسلم على السواء، وهي تكتب بالحروف العربية، وعدد حروفها ثلاثة وخمسون حرفاً، وقد دخلت فيها كلمات كثيرة من اللغات الفارسية والسنسكريتية والعربية والتركية والإنجليزية، إلا أن نصفها من الكلمات العربية وربعها من الفارسية وبقيتها من اللغات الأخرى[2].

وتنتشر في الهند ديانات وثنية كثيرة جداً، أشهرها البرهمية والبوذية (نسبة إلى براهما وبوذا)، وهذه الديانات تؤله مظاهر الطبيعة والحيوانات، حتى أن المؤرخين يجمعون على أن أحط عصور الهند التاريخية هو عصر ازدهار الوثنيات فيها، من حيث تعدد الآلهة وعبادة الشهوات، وانتشار النظام الطبقي البالغ غاية الظلم والقسوة[3].

---

[1] (?) انظر: د محمد عبدالقادر ملكاوي: مقدمة تحقيق المناظرة الكبرى: ص(14)، ط2، 1410هـ - 1990م، المديرية العامة للمطبوعات - الرياض، مطابع الصفا - مكة المكرمة.

[2] (?) انظر: د/ أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى: ص(25-27)، ود/ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية والباكستانية وحضارتهم: ص(27، 28)، ود/ عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند: ص(2)، (ط3، 2002م، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع، مصر).

[3] (?) انظر: الشيخ أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص(46-48)، ط7، 1387هـ - 1967م، دار

ولم ير الشعب الهندي النور إلا ببزوغ شمس الإسلام، حيث غزا المسلمون أطراف الهند الغربية الشمالية في أواخر القرن الأول الهجري، فتم إلحاق السند كاملة وجنوب البنجاب بالخلافة الإسلامية والقضاء على الوثنية فيهما، وفتح المجال أمام التجار المسلمين والدعاة لبث نور الإسلام[1].

ثم تتابعت حملات المسلمين في غرب الهند وجنوبها الغربي على أيدي القادة المجاهدين الذين كان من أبرزهم "محمود الغزنوي"[2] الذي انطلق عام (392هـ - 1001م)

الكتاب العربي، بيروت، ود/ أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى: ص(27-33، 143، 161، 162)، والهند والغرب: ص(18) نقلاً عن د/ عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند: ص(18).

1 (?) انظر: د عبدالله مبشر الطرازي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب: (1/239، 240، 338، 339)، ط1، 1403هـ، عالم المعرفة، جدة، وأحمد بن يحي بن جابر البلاذري: فتوح البلدان: ص(420-425)، تحقيق رضوان محمد رضوان، ط 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

2 (?) هو محمود بن سبكتكين الغزنوي (361-421هـ/ 971-1030م)، امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، واتخذ غزنة -الواقعة بين خراسان والهند وفيها ولادته ووفاته- عاصمة له، وهو تركي مستعرب، كان حازماً، فصيحاً محباً للعلماء، مجاهداً في سبيل الله.

انظر: الزركلي: الأعلام: (7/171)، ط6، 1984م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، وابن كثير: البداية والنهاية: (12/462-464)، بعناية: عبدالرحمن اللادقي، ومحمد غازي بيضون، ط 2، 1417هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

من غزنة[1] عـابراً نهر السـند إلى بلاد الهنـد، فحـارب الوثنية وحكم جزءاً كبيراً منها[2].

ثم جـاءت الدولة الغورية على أنقـاض الدولة الغزنويـة، فسارت على خطتها في فتح الهند وحكمها، ففتحوا دهلي سـنة (589هـ- 1193م)، واتخذوها عاصمة لهم[3].

ومنذ ذلك الـوقت تتـابع على حكم الهند دول إسـلامية، واحدة بعد أخرى، واتخذت من دهلي عاصمة لها[4]. حتى جاءت الدولة التيموريـة، أو الدولة المغولية سـنة 932هـ/ 1526م، فكان عهدها أرقى عصور الحكم الإسلامي للهند[5].

---

1 (?) غزنة: مدينة مشهورة في طرف خرسان، في حدود الهند.
انظـر: الموسـوعة العربية العالميـة: (17/106)، ط1، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع- الرياض.

2 (?) انظـر: د/ محمد يوسف النجـرامي: العلاقة السياسـية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية: ص(115)، ط1، 1399هـ، دار الفكـر)، ودحسن إبـراهيم حسـن: تـاريخ الإسـلام السياسي والـديني والثقـافي والاجتمـاعي: (3/94)، ط7، 1965م، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

3 (?) انظر: د/ عبـدالمنعم النمـر: تـاريخ الإسـلام في الهنـد: ص(104-98).

4 (?) انظر: د/ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شـبه القـارة الهندية والباكسـتانية وحضـارتهم: ص(9-219)، ود/ عبـدالمنعم النمـر: تـاريخ الإسـلام في الهنـد: ص(148-150)، ود/ محمد يوسف النجـرامي: العلاقة السياسـية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية: ص(131-132، 139).

5 (?) انظر: د/ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شـبه القارة الهندية: ص(183-219).

وبلغت من القوة والإتساع حداً لم تشهده دولة إسلامية سابقة في الهند، شهدت البلاد في عهدها حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية التي عرفت في عواصم البلاد العربية، بل إن حكم هؤلاء المسلمين الأمجاد، قد وصل من القوة والمجد إلى الحد الذي ظل فيه رسول جيمس الأول ملك إنجلترا، أكثر من سنتين في الهند، يحاول مقابلة الإمبراطور "جهانكيز" [1]، فلم يظفر بما يريد، فتضرع أن يأخذ كتاباً منه إلى ملك إنجلترا، فرد عليه الوزير الأول قائلاً:

« إن مما لا يناسب قدر ملك مغولي مسلم، أن يكتب كتاباً إلى سيد جزيرة صغيرة، يسكنها صيادون بائسون » [2].

وكان هذا في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، بعدما تأسست الشركة الإنجليزية، لتباشر تجارتها في الهند والبلاد الشرقية.

واستمر حكم الأسرة المغولية على البلاد الهندية حتى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، إذ تم استيلاء الإنجليز عليها عام (1275هـ)، وضمها إلى التاج البريطاني رسمياً [3].

---

1 (?) هو السلطان أبو المظفر نور الدين محمد، وقد حكم من سنة (1605-1627م)، ضيق على الإنجليز في بادئ الأمر ثم سمح لتجارتهم بغزو الأسواق الهندية.

انظر: أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية: ص(305-317).

2 (?) انظر: د/ عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند: ص(241)، والساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية: ص(316).

3 (?) انظر: د/ عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند: ص(



.(464-463

الفصل الأول

الحالة السياسية في شبه القارة الهندية في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)

لقد كانت الهند طوال القـرون الـتي مـرت بها تنعم في ظل الحكومــات الإســلامية بكثــير من الأمن والاســتقرار والرفاهيــة، ســواء أكــانت الحكومة المركزية في دهلي، أم حكومات الولايات المستقلة.

وكــان الجميع يتنافســون في الــرقي بالشـعب وتوفـير حاجاته، ونشأت حضــارة ظلت تنمو وتزدهر في ظل رعاتها الحكام.

وفي ظل هــذا الحكم، انصــرف الشــعب إلى الانتــاج والعمل واســتغلال خــيرات بلاده لصــالحه هو لا لمصــلحة شعب آخـر، فـازدهرت الزراعة وارتقى العمـران، وتقـدمت الصناعة ونمت حتى كانت الهند تصنع ما يكفيها ويفيض عن حاجتها فتصدره للخارج، حتى أصبحت مضـرب الأمثـال في الغنى والثروة[1].

ولكن حـــدث أن بـــدأت الدولة المغولية في الضـــعف والتفكك، وأخذت الحكومات المستقلة تتكون في المنـاطق المتعددة، وتقوم الخلافـات والحـروب بينهـا، فكـانت فرصة سـانحة لتقاسم خـيرات البلاد من قبل البرتغـال والإنجلـيز، والشركات الهولندية، والفرنسية[2].

---

1 (?) سيأتي تفصيل هذه الأوضاع في الفصل الثاني -بمشيئة الله تعالى- .

2 (?) انظــر: غوســتان لوبــون: حضــارات الهنــد، ص(416) وما بعـدها، ترجمـة: عـادل زعيـتر، دار إحيـاء الكتب العربية - القـاهرة، ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي (العهد العثماني):ص(428)، ط3، 1411هـ-1991م، المكتب الإسلامي- بيروت.

وقد بــدأت هــذه الشــركات عملها التجــاري في أرض الهنــد، أبــان قــوة الحكم الإســلامي وازدهــاره، في عهد الإمبراطور، ’’جهـانكيز‘‘، وغـيره من الأبـاطرة الـذين كـانوا ينظرون إلى هؤلاء نظرتهم لتـاجر يريد أن يكسب مـالاً من تجارته، لا أن يكسب أرضاً ويبسط نفـوذاً.. ولـذلك تركـوهم يتـاجرون، ومنحـوهم من التسـهيلات التجارية مـالم يحصل عليها أحد في البلاد الأجنبية من قبل، ولا بعد.

ولكن هؤلاء الإنجلـيز يعملـون، ومن خلفهم حكومـاتهم، الـتي تسـعى إلى التوسع والاحتلال، وواتتهم الفرصـة، حين ضـعف الحكم الإسـلامي، وتفتت وحـدة البلاد، وإنشـغالها بحرب بعضـها بعضـاً، فبـدأوا في دور جديـد، وهو دور بسط النفـوذ على البلاد، وأخـذت هـذه الشـركات تتصـارع على اللقمة الدسمة الكبيرة التي أمامها.

واســتطاعت شــركة الهند الإنجليزية أن تحظى أخــيراً بالمقــام الأول في الهنــد، وتقضي على النفــوذ البرتغــالي والهولندي والفرنسي فيها، ويخلو لها الجو لتفعل ما تريد.

فأخذت تضـرب الأمـراء بعضـهم بعض، وتعين بعضـهم بالمـال والرجـال ضد البعض الآخـر، لتكسب مكانة ونفـوذاً عنده، ثم تنقلب إلى الآخر فتمثل معه الدور الـذي مثلته مع الأول، ومن خلال ذلك تضع يــــدها على دخل الولايــــات -الهنديــة- وتبسط سـلطانها عليهـا.. حـتى وصل نفوذها إلى القلب، إلى الإمــبراطور المســلم القــابع على عرشه في دهلي، فشــلت كل نفــوذ لــه، حــتى تحكمت في زواره، واســتمالت إليها من حوله من حاشــيته الخاصــة، حــتى زوجته.. فأصبح مجرد صورة لا روح فيها ولا نفوذ لها[1].

---

[1] (?) انظر:د أحمد محمود الساداتي: تـاريخ المسـلمين في شـبه

وحينما بـــدأت غـــارات الإنجلـــيز المنظمة في النهب والفســاد، وقضت على أمن البلاد واســتقرارها؛ حــاولوا أن يستيقظوا من نومهم، ويحافظوا على عروشـهم وثـرواتهم، دون أن يستغفروا الله ويصلحوا أحوالهم.

وأول من قام بهذه المهمة الجريئة هو (سراج الدولة)[1] أمير البنغال، حيث شن هجوماً عنيفاً على حصون الإنجلـيز، ليقضي عليهم، ويـريح البلاد من شـرورهم، وكـان ذلك في ســنة (1170هـــ / 1757م)، وكــان من الممكن أن يحقق للبلاد ما تصبوا إليه، لولا خيانة بعض قـواده الشـيعة، الـذين كانوا يوفرون للبلاط جميع وسائل اللهو واللغــو، وفي نفس الوقت كانوا يتآمرون مع الإنجليز ضد المسلمين.

ومن المعروف أن خطط الإنجلـيز ملوثة دائمـاً بالغـدر، لذا فشل (سـراج الدولة) في محاولة القضـاء على الإنجلـيز فقبضوا عليه وقتلـوه، وأتـاحت هـذه النهاية المؤلمة للنفـوذ

القارة الهندية (374-381)، والشـيخ أبو الحسن النـدوي: إذا هبت ريح الإيمان: (28-210)، ط1394هـ-1974م، مؤسسة الرسـالة - الكويت، ودمحمود شاكر: التاريخ الإسـلامي (العهد العثمـاني): ص(432).

[1] (?) سراج الدولة (أمير البنغال): قـاد ثـورة ضد الإنجلـيز عـام (1170هـ-1784م) في معركة بلاسي، ولكنه أعدم على يد الإنجلـيز بعد خيانة أحد قــواده من الشــيعة وهو (مــير جعفــر). انظــر: د/ عبـــدالمنعم النمـــر: تـــاريخ الإســـلام في الهنـــد: ص(348-349)، وإسـماعيل أحمد يـاغي ومحمـود شـاكر: تـاريخ العـالم الإسـلامي الحديث والمعاصر: ص(261).

الإنجلــيزي أن يــزداد في البنغــال، ويتخــذوا منها قاعــدة للسيطرة على البلاد كلها[1].

وفي الجنــوب قــام "حيــدر علي" [2] ســنة (1195هــ/ 1781م) للقضــاء على النفــوذ الإنجلــيزي، مســتغلاً ما بين الفرنسسين والإنجلــيز من عــداء[3] ، ثم جــاء من بعــده ابنه الشجاع (ســلطان تيبــو) [4]، وأخذ على عاتقه هــذه المهمــة، ودخل مع الإنجليز في حروب عديدة، كاد يتم له فيها النصر،

---

[1] (?) انظر: محمود شاكر: التاريخ الإســلامي (العهد العثمــاني): (432)، (4332)، وأحمد محمود الســاداتي: تــاريخ المســلمين في شبه القارة الهندية: (369)، وعبــدالمنعم النمــر: كفــاح المســلمين في تحرير الهنــد: ص(16)، ط2، 1990م، الهيئة المصــرية العامة للكتاب.

[2] (?) حيدر علي: تولى إمارة ميسور، وقام بثورة عام (1195هـ-1781م)، للقضاء على النفوذ الإنجليزي في الهنــد، وهو والد القائد سلطان تيبو. مــات ســنة (1196هــ-1782م).انظــر: د/ عبــدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند: ص(352-354).

[3] (?) انظر: محمود شاكر: التاريخ الإســلامي : (433)، ود/ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية: (375).

[4] (?) السلطان تيبو الميسوري: هو السلطان فتح علي خان، كان مســلماً غيــوراً، ومجاهــداً شــجاعاً، تنبه لمكايد الإنجلــيز فحــاربهم بعنــف، وأشــرفوا على الإستســلام لــولا خيانة بعض الأمــراء، وبقي يجاهد حــتى استشــهد ســنة (1213هــ) في الرابع من مــايو ســنة (1799م)، وقال كلمته المشهورة: « يــوم من حيــاة الأسد خــير من مئة سنة من حياة ابن آوى » ، وكان الإنجلــيز يحقــدون عليه كثــيراً حتى كانوا يسمون كلابهم باسمه.

انظر ترجمته في: أبو الحسن النــدوي: المســلمون في الهنــد: ص(82)، ط عــام (1381هــ- 1962م)، مكتبة دار الفتح- مطــابع دار المنار- دمشق، وعبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهنــد: (354-356)،

ويتم للبلاد على يديه التخلص من الإنجليز نهائياً، لولا الخيانة أيضاً من بعض قواده الشيعة، وضـعف نفـوس بعض أمـراء الولايات، الذين اسـتمالهم الإنجلـيز، فهـزم القائد (سـلطان تيبـو) وخر شـهيداً في المعركـة، وتنفس الإنجلـيز الصـعداء وانطلقوا بعد ذلك لينفذوا المخطط الذي رسموه[1].

ولم تكمل سنة (1233هـ/ 1818م) حتى خضـعت جميع قوى الهند صغيرها وكبيرها أمام جيوش الإنجلـيز، فكـان من يخالف الشركة الانجليزية، أو يبدى أي تباطؤ في الاسـتجابة لهـا، يخلع من الحكم ويـولي بدله رجل آخر يعمل لصـالح الانجليز[2]، وهكذا استطاع الانجليز أن يـولي أمـور الولايـات للهنـدوس والشـيعة، ومن هنا تيسر لهم أن يتقـدموا إلى الأمام تمهيداً للاحتلال الكامل على الهند، وإعلانه رسمياً .

وبهذا نـرى أن ولايـات الهند كـانت بين أمـراء طـامعين يتوسعون على حسـاب جـيرانهم، ويخضع أكـثرهم للشـركة الـتي قـوي نفوذها في البلاد، وبين حكـام انجلـيز وسـيخ وهندوس يتعاونون ضد المسلمين، ويرون في ضعف الدولة المغولية فرصة للانقضـاض وإنهـاء حكم الإسـلام الـذي زاد عن ثمانية قـرون، وزاد تعسف رجـال الشـركة وقسـاوة حكامها، فعم البلاد سـخط وقلـق، وفقد كل من المسـلمين والإنجليز الثقة ببعضهم وسيطر عليهم الذعر تحسـباً للوضع الناجم .

---

1 (?) انظر: الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القـارة الهنديـة: (375-376)، وإسماعيل أحمد ياغي، ومحمود شاكر: تاريخ العـالم الاسـلامي الحـديث والمعاصـر: (322)، ومحمـود شـاكر: التـاريخ الإسلامي (العهد العثماني): (433-434) .

2 (?) انظر: الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القـارة الهنديـة: (375-378) .

الثورة ضد الانجليز:

عـــبئت البلاد بالغيـــظ، ووضح أمـــام العيـــون صـــورة الاستعمار الشرير، القادم من الغـرب، ليفتت كل معنويـات البلاد وإمكانياتها .

لقد أوقع الاحتلال البلاد في الفقر، فانخرطت أعداد من السـكان في الجيش، وكـان ضـباطهم الانجلـيز يسـخرون منهم ويستخفون بهم، ويحاولون ازدراء دينهم، مما أدى إلى حدوث الكراهية، ومحاولة النقمة كردة فعلٍ .

وحـدث أن أدخل الإنجلـيز البنـادق إلى الجيش، وطلب الضـباط من الجند أن يمسـحوا بنـادقهم بالشـحم، وسـرت شائعة أن هذا الشحم من شحم الخنزير والبقر لإهانة سكان الهند سواء أكانوا مسلمين أو هندوساً، فهـاج الجند وغضـبوا لذلك أشد الغضـب، حـتى اضـطرت حكومة الهند الإنجليزية إلى إصــدار منشــورات تكــذب هــذه الشــائعات، ولكن لم يلتفت أحد إلى هذه المنشورات ولم يصدقوها .

وكتحد من قبل الانجليز فإن سـرية الفرسـان في بلـدة (ميرتـــه) -على بعد 40 ميلاً من دهلي- قد وزعت الشـــحم على الجنود، وطلبت منهم استخدامه، فأخـذوه مكـرهين إلا (85) جنـدياً فقد رفضـوا ذلـك، فحكم عليه بالسـجن عشر سنوات، وقرئ القرار على الجنـود الإنجلـيز والهنـود، وكبل الرافضــون بــالقيود وســيقوا إلى الســجن مشــاةً مســافة ميلين، فأظهر بعضهم العجز عن المسير بتلك القيود، وتألم الجند الوطنيون وصعب عليهم.

واتفقـوا على إنقـاذ إخـوانهم هـؤلاء رغم أنف الإنجلـيز الذين حاولوا منعهم، فهجمـوا على الإنجلـيز وقتلـوا ضـابطاً منهم وعدداً من جنودهم.

فصوب الإنجلـيز المـدافع والبنـادق على الجنـود الهنـود الذين فروا متجهين إلى دهلي، حيث انطلقوا إلى دار الملك المغولي (سـراج الـدين أبو ظفر بها دور شـاة) [1]، وكـان قد جاوز التسعين من العمر، وعـدوه ملك البلاد بل لا يعرفـون غــيره، وانتقلت هـــذه الحركة المحلية إلى ثـــورة عارمة شملت معظم أجزاء البلاد.

وطلب الإنجلـيز في الهند النجـدات فجـاءتهم، وكـانت إنكلـــترا قد انتهت من حروبها ضد الـــروس، وفي بلاد فـارس، والجنـود عنـدها مهيئة للحركة فـاتجهت إلى الهنـد، وســارت إلى دهلي وحاصــرتها عــدة أشــهر ثم دخلتهــا، وقبضت على (بها دور شاة) وأسرته، وحكمت عليه بـالنفي، وقتلت أبناءه في مـوكبهم أمامـه، ونفته إلى عاصـمة بورما (رانفون) .

---

[1] (?) هو السـلطان بهـادر شـاة الثـاني (1775م-1862م): آخر سلاطين المغول في الهند، خلف والده أكـبر ثـاني عـام (1837م)، وكان يعيش على الـرزق الـذي يجريه البريطـانيون على أبيـه، كـان بعيداً عن كل نشاط سياسي أو مشاركة في الحكم، وبقيام الثـورة الوطنية الكبرى عام (1857م) انتهت أيام بهادر شـاة على عـرش الهند، وطـويت صـفحة السـلاطين البـابرين أبنـاء تيمـور لنك بالهند كلها.

انظر ترجمته في: السـاداتي: تـاريخ المسـلمين في شـبه القـارة الهندية وحضارتهم: ص(382-383).، ود/ عبدالمنعم النمـر: تـاريخ الإســلام في الهنــد: ص(313)، والمنجد في اللغة والأعلام: ص(140)، ط39، دار المشرق-بيروت.

وسـمعت بقية المـدن بـدخول دهلي، فتـأزمت الحالة وقامت الثورات، وتـأتي الجيـوش الإنجليزية لتحاصر المـدن وتدخلها بعد مدة وتنتقم من أهلها.

وبعد انتهـاء الثـورة عـام (1274هـ/ 1857م)، أعلنت إنكلترا انتهاء حكم شـركة الهند الشـرقية، وعـدت بلاد الهند من أملاك التـاج البريطـاني، يتصـرف بها كيف يشـاء، وعد الإنكليز المسلمين سبب الثورة لذا فقد صب المسـتعمرون جام غضبهم على المسـلمين، فصـودرت أملاكهم، وهـدمت مساجدهم، وأصبحت ثكنات للجيوش، وشرد الناس، ورحب الهنـدوس بهـذه الأعمـال، فأعـانوا الإنجلـيز على قتل المسلمين، ونهب أملاكهم[1].

ومع أن الهند قد أصـبحت تحت سـلطة الإنجلـيز، إلا أنه قد بقيت بعض الإمارات الصغيرة أو الكبيرة، منها ما هو بيد المسلمين، ومنها ما هو بيد الهندوس، وهذه الإمـارات تحت سلطة الإنجليز الخارجية إلا أن الأمير مفوض بإدارة الأمـور الداخلية[2].

في هذه الظروف المضطربة للهند سياسـياً، ولد ونشـأ الشيخ رحمه الله متـأثراً بتلك الظـروف، مـؤثراً فيها -كما سـيأتي بمشيئة الله تعالى- .

---

1 (?) انظر: الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القـارة الهنديـة: (383-388)، وعبدالمنعم النمر: كفاح المسلمين في تحرير الهند: (23-26)، ومحمـود شـاكر: تـاريخ الإسـلامي (العهد العثمـاني): (435-436)، إسماعيل أحمد يـاغي ومحمـود شـاكر: تـاريخ العـالم الإسلامي الحديث والمعاصر: (437).

2 (?) انظر: محمود شاكر: التاريخ الإسـلامي (العهد العثمـاني): (437).

هذا عن الهند، أما بقية أقطار العالم الإسـلامي في تلك الحقبة من الزمن فقد كانت تحت سلطان الحكم العثمـاني المتخذ من القسـطنطينية مقـراً لـه، وإن لم يكن الحكم العثمـاني قد شـمل الأمصـار الإسـلامية كلهـا، لكنه ضم أكثرهـا، إذ امتد على أوسع رقعة مسـاحة تلك الأمصـار، وكـانت الخلافة العثمانية محط أنظـار المسـلمين ولو كـانوا خارج حدودها بصفتها مركز الخلافـة، وبصـفة حاكمها خليفة المسلمين.

كما كانت هذه الدولة أقوى دولة إسلامية يـوم ذاك، بل وتعد من دول العـالم الكـبرى إن لم نقل أعظمهـا، وكـانت تحرص على مساعدة المسلمين في كل بقعة، وتعد نفسـها مسؤولة عنهم، وحاميتهم[1].

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: ص(5).



الفصل الثاني

الحالة الاجتماعية والعلمية في شبه القارة الهندية في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)

مما لاشك فيه أن الحالة السياسية لأي بلد كان، تعكس آثارها على المجتمـع، إما سـلباً و إيجابـاً من نـواح متعـددة كالاقتصاد والثقافة والدين.

ولقد أثـــرت تلك الأوضـــاع السياســـية المتردية -بفعل دخـول المحتـل- على المجتمع الهنـدي من حيث اقتصـاده وتعليمه ودينـه، بعد أن كـان في رقي وازدهـار،مما كـان له الأثر الواضح على شخصـــية ﭬ الهنـــدي، وفيما يلي تفصيل تلك الأوضاع.

أولاً: الجانب الاقتصادي:

كـــان اقتصـــاد الهند يعتمد على التجـــارة منذ القـــديم، وكانت صلتها التجارية ببلاد العـالم الخـارجي قوية وناجحـة، وكـان لها نظامها المصـرفي المعـترف به فيما جاورها وما اتصل بها من بلاد، أمثـــال إيـــران، وكابـــل، وهـــرات[1] وطشقند[2]، وغيرها من البلاد، وازدهرت علاقـات الهند على هذا الأساس في الميدان الاقتصادي[3].

---

1 (?) هرات: من مدن أفغانستان، تقع في أقصى الغـرب، انظـر: الموسوعة العربية العالمية: (2/383).

2 (?) طشـــقند: عاصـــمة أوزباكســـتان، تقع على الشـــمال من أفغانستان في وادي نهر شرشيك. (الموسـوعة العربية العالميـة: (15/590).

3 (?) انظر: د/ عبدالمنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهنـد: (321-329)، وأحمد إبـــراهيم البشيشـــي: الهند خلال عصـــور. (107) (بدون).

وقد كتب المؤرخـون والرحالة كثـيراً عن أسـباب سـيل لعاب الأوربيين على ثـروات الهند وخيراتهـا، وجملة القـول: أنه حينما قـدم إلى الهند صـيادوا السـمك ورعـاة البقر من أوربا، رأوا أن البلاد مليئة بالقصور، والقصور مليئة بالـذهب والفضة واللآلي والجواهر، والأسواق التجارية غاصّة بالتجـار يأتون من جميع أنحـاء العـالم، فرجعـوا إلى بلادهم وقـدموا لأسـيادهم هـذه الصـورة النـادرة عن رفاهية هـذا الشـعب ورغد عيشه، وسرعان ما قام الملـوك والبـابوات الأوربـيين يحسـمون الأمر ويقطعـون العهد على أنفسـهم ببـذل كل الجهود لنهب تلك الثروات الهائلة والاستيلاء عليهـا، فـتركوا جميع الأمور وراء ظهورهم، واتجهوا إلى تلك الخزائن[1].

وحينما جـاء الإنجلـيز إلى الهند تجـاراً؛ أكـرمهم أهلها وسلاطينها، وأتـاحوا لهم فرصة المتـاجرة، ومنحـوهم كثـيراً من الامتيازات، الـتي مكنتهم منهم، فقضـوا على أمجـادهم وتحول غناهم إلى فقر، وسعتهم إلى ضنك.

حيث قام هؤلاء الإنجليز المحتلين بالاسـتيلاء على أملاك المسـلمين، وإعطائها للهنـادك، بل وإرسـالها إلى انجلـترا لتصبح أغنى دول أوربا بهذه الأموال المسروقة.

ولا شك أن هـــذه الأحـــداث الهامة هي التغيـــيرات الأساسـية الـتي أثـرت على اقتصـاد العـالم، وكـانت بمثابة العوامل الرئيسـية في قلب مـوازين القـوة الاقتصـادية بين الشرق والغرب أو ما يسمى بالانقلاب الصناعي[2].

---

1 (?) انظر: غوستان لوبون: حضارة الهند: ص(428، 553).

2 (?) انظر: محمود شاكر: التاريخ الإسـلامي (العهد العثمـاني): (428-429،431،435)، وعبد الخـالق محمد سـعيد: رحمت الله الهنـــدي وجماعته وجهـــودهم في مواجهة الحملات التبشـــيرية

ثانياً: الجانب العلمي والثقافي:

بدأ توافد العلمـاء والمحـدثون من البلاد الإسـلامية على إقليم (السند)،منذ الفتح الإسلامي، فكانت هناك عناية فائقة في العصر الأولى بالعلم في شتى فروعه.

وفي الدولة الغزنوية صاحب التعليم الفتح والجهـاد، فما من مدينة فتحوها إلا خلفوا فيها العلماء للقيام بتعلم أحكـام الدين، وإقامة الحياة الإسلامية.

ولما ازدحم المتعلمون في المساجد، وكثر إقبال الناس على تعلم أحكـام الإسـلام اضـطر العديد من المعلمين إلى فصل التعليم عن المسـجد فخـرجت المـدارس إلى حـيز الوجـود، وأصـبح المعلمـون يلقـون دروسـهم في حجـرات خاصة تم بناؤها لهذا الغرض[1].

ثم كثرت المدارس بعد ذلك ونظمت تنظيمـاً جديـداً[2]، غير أن الباحث إذا نظر إلى المنهج التعليمي الإســلامي في هذه الفترات المختلفة يجد أن العلمـاء الـذين ووفـدوا على الهند وتحملوا أعباء التعليم في هذه العصور؛ كـانوا من بلاد ما وراء النهر وخرســان، وكـانت صـناعة أهـالي تلك البلاد فنون الفلسفة وحكمة اليونان، وكـان قصـارى نظـرهم في علم النحو، والفقه، والكلام على طريقة التقليد ولما قـدموا

(التنصـيرية) ص(318-343)، بحيث غـير منشـور بقسم الـدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر القاهرة. عـام (1411هـ-1991م).

1 (?) انظر: الشـيخ عبد الحي الحسـني والشـيخ أبو الحسن علي الندوي، الهند في العهد الإسلامي: ص(426)، ط عـام (1392هــ/ 1972م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الدكن- الهند.

2 (?) انظر: المرجع السابق: ص(429-430).

إلى البلاد الهندية نقلوا معهم هذه العلوم إليها.

فكـان معيـار التحصـيل العلمي في هـذه العصـور من الفنون: النحو والبلاغة، والفقـه، وأصـول الفقـه، والمنطـق، والكلام، والتصوف، والتفسير.

ومن كتب الكلام: شـــرح الصـــحائف[1]، والعقيـــدة النسفية[2]، والتمهيد لأبي شكور السالمي[3].

وأضـــيفت إلى ذلك في بعض العصـــور كتب أخـــرى: كشرح المطالع[4]، وشرح المواقف للسيد الشريف، وشـرح العقائد النفسية وغيرها[5].

ونظراً لانتشـار تلك الكتب الـتي تـترك عـرض القضـايا على الكتـاب والسـنة، فقد وصل العلمـاء في تلك العصـور إلى مرحلة عـدم الاعتنـاء بعلـوم السـنة المطهـرة، إلا أن بعض العلماء في القرن العاشر الهجري وفقـوا في السـفر

[1] (?) المتن لمحمد بن أشرف السمرقندي شمس الدين الحكيم، توفي سنة (600هـ) والشرح للبهشتي.

[2] (?) المتن للشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد المتـوفى سنة (537هــ) والشـرح لسـعد الـدين مسـعود بن عمر التفتـازاني المتوفى سنة (791هـ).

[3] (?) وهو التمهيد في بيـان التوحيـد، لأبي شـكور محمد بن عبد السيد بن شعيب الكشي السالمي الحنفي.

[4] (?) المتن هو مطالع الأنوار في المنطق، للقاضي سراج الـدين محمود بن أبي بكر الأرموي توفي سـنة (682هــ) والشـرح لقطب الـدين محمد بن محمد التحتـاني تـوفي (766هــ) . انظـر: حـاجي خليفة كشف الظنـون: (2/1715)، دار إحيـاء الـتراث العـربي - بيروت- لبنان.

[5] (?) انظر: عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند: ص(11،12)، ط2(1403هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق.

إلى بلاد الحرمين الشريفين، وأدركوا بها المحدثين، فأخـذوا عنهم الحـــديث وبعد عـــودتهم إلى البلاد الهندية تصـــدوا للـدرس والإفـادة، والتـأليف والتصـنيف فنفع الله بعلـومهم كثيراً من عباده[1].

وبعد أن دخل الاحتلال الإنجليزي إلى بلاد الهند حدث أن طغت الثقافة الأوروبية على كثير من المثقفين، حتى وصف المتـدينون والعلمـاء بالتـأخر والجمـود، وقل انتشـار العلم الشرعي، وهدمت المدارس الدينية، وبـدأ أبنـاء المسـلمين يدخلون في المدارس الأجنبية.

ثالثاً: الجانب الديني:

يعد الهند خليط من الشـعوب واللغـات والأديـان، ومع ذلك لم يكن هنـــــاك فتن دينية أو طائفية إلى قبل الحكم المغـــولي، إلى أن دخل العنصر الشـــيعي ففتحت أبـــواب المناقشات والمناظرات والمجادلات الدينية في الهند، حتى تحالف الشيعة مع الهنـدوس، وبـدأ يحـاربون كل من ينتمي إلى الإسلام.

فاسـتغل المنصـرون هـذا الوضع لمحاولة القضـاء على الإسلام وأهله، فرسموا خطة تـدمير الإسـلام وإبـادة أهلـه، وتنصـير الهند كلهـا، فهجمـوا على الإسـلام بكل الوسـائل، وتطاولوا عليه زوراً وبهتاناً، خـداعاً للعامـة، وتمويهـاً عليهم بـأن في الإسـلام ضـعفاً، وأنه لا يثبت أمـام الـديانات، وأن دينهم هو الحق[2].

---

[1] (?) انظر: عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند. ص(15).

[2] (?) انظـر: عبد الخـالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهنـدي

فكـانت الحالة الدينية في القـرن التاسع عشر الميلادي في الهند كما يلي:

-انتشـار المنصـرين في الشـوارع والقـرى للـدعوة إلى النصــرانية، والتشــنيع بالــدين الإســلامي، والإعلان أن دولة

الإســلام قد زالت، وقد دخلت الهند في الحكم النصــراني

فعلى الجميع أن يدخلوا في النصرانية[1].

-ظهور الفسـاد بكل أنواعه وأشـكاله في شـبه القـارة، بعد ضعف حكم المسلمين فيها مباشرة وعمـوم المنكـرات والمحرمــات، حــتى وقع بعض رجــال الــدين في مصــيده المضلين، وقاموا بفتح الفتاوى البعيدة عن الصواب.

-قيــام صــراعات دامية بين الهنــدوس والمســلمين، فشدت تلك الصـراعات الدينية النـاس إليهـا، وأبعـدتهم عن التربية الإسلامية والأخلاق الحميدة.

-ابتعـاد النـاس عن بيـوت الله تعـالى، ولم تعد العبـادة

باقية، وما تبقى منها أصبح فارغاً أجوف لا روح فيه[1].

-انتشار دعـاة الوثنية في المـدن والقـرى، وأعلنـوا: أن كل قاطني الهند الـذين دخلـوا في الإسـلام من الهندوسـية

الوثنية على مر العصور، عليهم أن يعودوا إلى الوثنية الآرية

القديمة[1].

وقد ذكر الأســـتاذ أبو الحسن النـــدوي[1] هـــذا الوضع الــديني، فقــال: « وعم الشــرك والبــدع في المســلمين، فاتخذوا لهم شريعة خاصة لتقـديس القبـور والمـوتى، وحل المشــايخ ورجــال الــدين في قلــوبهم محل كهنة النصــارى واليهود، وبلغ تقديسهم لهم مبلغ تقديس المشركين العـرب لأربــابهم، ودخلت طقـوس وعـادات الهنـادك، والشـيعة في حياة أهل السـنة، وصـارت جـزءاً لا يتجـزأ منهـا، وأصـبحت السنة والشريعة درساً منسياً، وانصرف الناس عن الشعائر الإسـلامية، وكـاد العمل بـالقرآن والحـديث يبطـل.. كما أن

طائفة من العلمــاء اســقطت فريضة الحج بعــذر أخطــار

السفر واضطراب النظام »[1].

في مثل تلك الظروف السيئة نشأ الشيخ رحمه الله، مما كان له أثره الواضح في منهج دعوته إلى الله تعالى والدفاع عن العقيدة الإسلامية.





سيرته الشخصية والعلمية

وفيه مبحثـــــان **: -**

المبحث الأول : **مولده، ونشأته، وأسرته، ووفاته**.

المبحث الثاني : **ثقافته، ودراسته، وتدريسه في الحرم المكي، ومؤلفاته، وشيوخه، وتلاميذه**.



المبحث الأول: مولد الشيخ رحمت الله ونشأته، وأسرته، ووفاته

أولاً: اسمه ونسبه:

هو محمد رحمت الله بن خليل الـــرحمن الكـــيرانوي -نسبه إلى مدينة كيرانة بالهند- الحنفي المـذهب[1]، وإضـافة

وجماعته وجهـودهم في مواجهة الحملات التبشـيرية [التنصـيرية]: ص(344).

1 (?) انظــر: أبو الحسن النــدوي: الــدعوة الإســلامية في الهند تطوراتها ص(30)، نقلاً عن المرجع السابق ص(346).

1 (?) انظــر: عبد الخــالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهنــدي وجماعته، ص(346-348).

1 (?) انظـــر: محمد أيـــوب القـــادري: جماعة التبليغ وفحصـــها التاريخي: (70-79)، نقلاً عن المرجع السابق (349).

1 (?) أبو الحسن علي الحسني النـدوي (1333هــ-1914م)، من أشـــهر الـــدعاة إلى الإســـلام ولد بقرية (تكيـــة) بمديرية راي بيلي بالهند، حفظ القرآن الكـريم وتعلمه في الـبيت، التحق بقسم آداب اللغة العربية بجامعة لكناو، من أشـهر مؤلفاتـه: مـاذا خسر العـالم بانحطـاط المسـلمين، الطريق إلى المدينـة، السـيرة النبويـة. حـاز على جـائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسـلام عـام 1400هــ، 1980م.

انظر: الموسوعة العربية العالمية: (25/184).

1 (?) إذا هبت ريح الإيمـــــان، ص(210-211) ط (1394هـــــ/ 1974م، الرسالة ودار القلم- الكويت.

1 (?) انظر: الزركلي: الأعلام: (3/18)، إسماعيل البغدادي: هدية

اسم محمد إلى كل اسم هو أمر شائع، وجارٍ مجرى العـادة عند أهل الهند حيث أنهم يتفاءلون بإضـافة اسم محمد لكل اسم من أسـمائهم فيقولـون مثلاً: محمد سـليم، والاسم الأصلي هو: سليم[1].

وتـذكر العديد من المصـادر[2] نسـبة الشيخ رحمت الله إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان على ضوء النسب التالي:

محمد رحمت الله بن خليل الله (المعـروف بخليل الرحمن) بن الحكيم (الطبيب) نجيب الله، بن الحكيم حبيب اللـه، بن الحكيم عبـدالرحيم، بن الحكيم قطب الـدين، بن الشيخ فضيل، بن الحكيم ديوان خان عبد الرحيم أخو محمد حسن الملقب بمقـرب خـان[3]، بن الحكيم عبـدالكريم المعـروف بحكيم بينا ويلقب بشـيخ الزمـان، بن الحكيم حسن بن عبد الصـمد بن

العارفين الملحق بكشف الظنون: (5/366)، ط1، (1951م)، دار إحيـاء الـتراث العـربي- بـيروت، ويوسف إليـان سـيركيس: معجم المطبوعـات العربية والمعربـة: ص(929)، ط عـام (1346هـ-1928م)، مصر، وعمر رضا كحالـة: معجم المـؤلفين: (1/712) ط 1، 1414هـ-1993م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

1 (?) انظر: الشيخ محمد سليم بن محمد سعيد: أكـبر مجاهد في التاريخ: ص(23-24)، ط1، (1397هـ) مكتبة الكليـات الأزهرية - مصر.

2 (?) هذه المصـادر هي الـتي قـام بتأليفها إما أحد أحفـاد الشـيخ رحمت الله مثـل: محمد سـليم في كتابـه: أكـبر مجاهـد، أو ممن صاحب الشيخ كإمداد صابري في كتابه آثـار رحمت الله الهنـدي، أو ممن أخذ عن هذه المراجع.

3 (?) سـيأتي الحـديث عن هـؤلاء الأطبـاء عند مناقشة فقـرة ”مولده وأسرته“.

أبي علي بن محمد يوسف بن عبد القـادر، بن الشـيخ جلال الـــــــــــــــدين بن محمد بن يعقـــــــــــــــوب بن عيسى بن إســــماعيل بن محمد تقي بن أبي بكر بن علي تقي بن عثمان بن عبدالله بن شهاب الدين بن عبـدالرحمن الجـاذروني بن عبـدالعزيز السرخسي بن خالد بن الوليد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الكبير المـدني بن عبدالله الثـاني بن عبد العزيز الكبـــير بن عبدالله الكبـــير بن عمر بن ذي النورين أمير المؤمنين عثمان [1].

وبهذا ينتهي نسـبه ~ إلى عثمـان بن عفـان عند الجد الرابع والثلاثين حسب ما ذكرته تلك المصادر.

وعند البحث العلمي عن ثبوت هذه النسـبة، لم أجد في كتب التـاريخ الموثوقة ما يثبت صـحتها أو عدمـه، خاصة ما ذكر من أن أول من قدم من آل عثمان إلى الهند هو الشيخ عبد الـــرحمن بن عبد العزيز السرخسي أو (عبد الـــرحمن الكـاذروني) أو (الجـاذروني) الـذي عينه السـلطان محمـود الغزنوي قاضياً للعسـكر، واستصـحبه معه في حملته الثانية عشرة على الهند التي دمر فيها معبد سومنات[2]. فهـذا كله

---

[1] (?) انظر: إمـداد صـابري: آثـار رحمت الله (بـالاردي) ص(56)، نقلاً عن: د/ محمد ملكـاوي: المنـاظرة الكـبرى ص(25)، والشـيخ محمد سـليم بن محمد سـعيد: أكـبر مجاهد في التـاريخ ص(24)، وعبد الحي بن فخر الدين الحسني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: (8/145-146)، ط1، 1390هـ- 1970م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الـركن - الهنـد، وأحمد حجـازي السقا: المدرسة الصولتية: ص(25)، ط1، (1398هـ- 1378م) دار الأنصار القاهرة.

[2] (?) انظر: محمد سليم: أكبر مجاهد: ص(26).

غـــير موثق في كتب التـــاريخ العامة والخاصة ببلاد الهند - حسب علمي واجتهادي-.

ولقد قــام أحد البــاحثين وهو الشــيخ عبد الخــالق بن محمد سعيد بتقديم شجرة النسب الخاصة بأسرة الشيخ رحمت الله ، معتمـــداً في ذلك على كتب باللغة الأردية وكتــاب (آثــار الشيخ رحمت الله)[1]، بيد أن البـاحث جعل هـذا النسب إلى عمـرو بن عثمـــــــــــــان بن عفـــــــــــان[2]، على خلاف المصادر الأخرى، التي تنسب الشجرة إلى عمر بن عفـــــــــــان[3]. مما يشـــــــــــــك في دقة النقل لهذه الشجرة.

---

[1] (?) انظـر: الشـيخ رحمت الله وجماعته وجهـودهم في مواجهة الحملات التبشيرية: ص(187-189).

[2] (?) انظـر: رحمت الله الهنـدي وجماعته وجهـودهم في مواجهة الحملات التبشيرية ص(187).

[3] (?) انظر: الشـيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهد ص(24)، وإمـداد صـــابري: آثـــار رحمت الله ص(56)، نقلاً عن محمد ملكـــاوي: المناظرة الكبرى، ص(25).

ثم إن الطومـــار أو الســـجل الـــذي قُيّد فيه النسب[1]، وتحتفظ به أفراد هذه الأسرة لتقييد المواليد العثمانيين في الهند لا يعد دليلاً علميــاً يمكن الوثــوق بــه، وعند ذلك فإننا نتوقف عن الإثبات والنفي حـتى ظهـور الـدليل. خاصة وأن عدم العلم بالشيء ليس علماً بالعـدم، فلا يـترجح النفي أو الإثبات على أحدهما والله أعلم.

وتوقفنا في إثبــات النسب لا يــؤثر في صــلاح الشــيخ وتقواه وجهاده ضد أعداء الـدين، فالأنسـاب لا تضع أو ترفع أصـحابها، وإنما التقـوى والأعمـال، وفي ذلك يقـول تعـالى: [illegible] [الحجرات: 13].

وقال [illegible] في الحـديث الـذي رواه أبو هريـرة: ((إن الله لا ينظر إلى صــــوركم وأمــــوالكم ولكن ينظر إلى قلــــوبكم وأعمالكم)) [2].

---

[1] (?) كان النسب مقيداً في الطومار التاريخي لمواليد العثمانيين في الهند حسب الشـــروط اللازمة لقيد الاسم فيـــه، إذ كـــان من عادتهم كتابة أسماء مواليدهم في السـجل المخصص للنسب أمـام عشـرين من أفـراد الأسـرة، وقد بقي هـذا الطومـار محفوظـاً في بلــدة (بــاني بت) ومنه نسخ عند بعض العثمــانيين من أهلهــا، وبعد انقسام الهند سنة (1947م)، نقل هذا الطومار الأثري الكبـير تحت رعاية الحكومة الباكستانية مع المهاجرين العثمانيين من الهنـد، وما زال محفوظـاً إلى يومنا في بلـدة (حافظ أبـاد) وبـذلك انتهت هـذه العادة. انظـر: الشـيخ محمد سـليم بن محمد سـعيد: أكـبر مجاهـد: ص(24)، ومحمد ملكاوي المناظرة الكـبرى: ص(26)، والهـامش ص(26).

[2] (?) رواه مسلم: كتاب البر والصلة، بـاب تحـريم ظلم المسـلم

ثانياً: مولده وأسرته:

ولد الشيخ رحمه الله بحي (دربـــار كلان)[1] في قرية (كيرانـــة)، التابعة لمحافظة (مظفر ناجـــار) من توابع دلهي عاصـــمة الهنـــد، في غـــرة جمـــادى الأولى ســـنة 1233هـــ، الموافق للتاسع من آذار سنة 1818م[2] .

وقد اشـــتهر أفـــراد أســـرته بـــالعلم والطب والمناصب العليـــا، وكـــان والـــده خليل الله عالمـــاً فاضـــلاً ومن ذوي المناصب العالية في الحكومـــة، ومن أجـــداده الحكيم عبد الكـــريم - المعـــروف بحكيم بينـــا، ووالد الحكيمين: محمد حسن، وعبد الرحيم.

ولما مرض السلطان (جلال الـــدين محمد أكـــبر)[3]، ولم يحسن الأطباء علاجه، طلب الحكيم عبد الكـــريم من (بـــاني بت)، فاشـــــــترك مع ابنه الحكيم محمد حسن في معالجة الامـــبراطور، ولما شـــفاه الله تعـــالى على أيـــديها، منحهما أرضاً زراعية واسعة بمقاطعة (كيرانة) بمرسـوم سـلطاني،

وخذله، (8/11) المجلد الرابع.

1 (?) لفظه ’’دربـار‘‘ تعـني بالأردية ’’مـزار‘‘ أو ’’مقـام‘‘، وأكـثر ما تطلق هنـاك على مقـابر الأوليـاء عنـدهم، ويسـمون مقـام الـوليّ: (دربار عالية) أي مقام عالي.

2 (?) انظر: الشيخ محمد سليم: أكبر مجاهد، ص(23).

3 (?) السلطان جلال الدين محمد أكبر، ولد في (أماركوت) سـنة (1542م)، عندما كـان أبـوه في حملته ضد السـند، حكم من سـنة 1556م-1605م.

انظر ترجمته في: جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول الإســلامية في الهنــد: ص(92، ط 1968م، منشــأة المعــارف بالإسكندرية- مطبعة التقدم.

مؤرخ بشـهر ذي القعـدة سـنة (915هـ) ولقب الحكيم عبد الكريم بشـيخ الزمـان، واتخـذه طبيبـاً خاصـاً لـه، فـانتقلت الأسرة من (باني بت) إلى (كيرانة) وبنت القصور والأسوار العالية والبوابات الكبـيرة، وحسّـن نظـام العمـران في ذلك العهـد، ووسـعت القرية ونظمتها وأقـامت فيها دور القضـاء والهيئات الحكومية.[1]

وكـان من أطبـاء القصر الغـولي كـذلك الحكيم ديـواني عبد الــرحيم-من أجــداد الشيخ رحمت الله- وشــقيقه الحكيم محمد حسن، رزق الله محمد حسن، وقد تقبلـوا في حكم ولايـات الهند المختلفــة، وإلى أســرتهم ينتمي الحكيم وجيه الــدين مؤلف كتاب (مخـزن الحكمـة) في الطب عـام (1196هـ)، والــذي ما زال مخطوطــاً في المكتبــات الأوروبيــة، وكــان الحكيم علي أكـــبر - شـــقيق الشيخ رحمت الله - متخصصـــــاً في الطب[2].

تـــزوج من ابنة خالته عـــام (1256هـــ) لكنه لم ينجب أولاداً ذكوراً[3].

---

1 (?) انظر: الشيخ محمد سليم: أكـبر مجاهـد: ص(26-27)، ود/ محمد ملكاوي: المناظرة الكبرى: ص(27).

2 (?) الشيخ محمد سليم: أكـبر مجاهـد: ص(28-29)، ود/ محمد ملكاوي: المناظرة الكبرى: ص(27).

3 (?) انظر: الشيخ محمد سليم: أكبر مجاهد: ص(22-64)، وفيه أن زواج الشيخ رحمت الله كان عـام (1206هـ) وهو خطأ لأنه ولد عـام (1233هــ) وهــذا غــير ممكن، ومحمد ملكـاوي: المنــاظرة الكــبرى: (28)، وعبد الخــالق محمد ســعيد: الشــيخ رحمت الله الهندي وجماعته: (186).

ثالثاً: وفاتـــــه:

تــــــوفي الشيخ رحمه الله بمكة المكرمـــــة، ليلة الجمعة 22/ رمضان سنة (1308هـ) الموافق 1/5/1891م، وكان عمره خمساً وسـبعين سـنة، ودفن -عليه رحمة اللـه- بجـوار قـبر السـيدة خديجة أم المؤمـنين < في مقـبرة (المعلاة) أول مقـبرة إسـلامية بمكة المكرمـة، وذلك ما كـان يتمنـاه قبل موته ~ .[1]

---

[1] (?) انظـر: الشـيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهـد: ص(74)، و د/ أحمد الســقا: المدرسة الصــولتية: ص(32)، وعمر عبد الجبــار: دروس من ماضي التعليم: ص(100)، ط1، 1379هـ، دار ممفيس للطباعة، ومحمد ملكاوي: مقدمة المناظرة الكبرى: ص(46).

المبحث الثاني: ثقافته، دراسته، تدريسه في الحرم المكي، مؤلفاته، شيوخه وتلاميذه

 أولاً: ثقافته ودراسته وشيوخه:

بــدأ الشيخ رحمه الله تعليمه في السادسة من عمــره على يد والــده، في مدينة كيرانــة، ولما كــان الشيخ رحمه الله يعيش في كنف أسرة واسعة الثراء والجاه، فقد أخذ جميع كبار العائلة الاهتمام الخاص بتعليمه، حسب النظـام المتبع في الأسـرة لتربية الأولاد، وتعليمهم، فحفظ القـرآن الكـريم بأكمله في الثانية عشرة من عمره، وأتقن اللغة الفارسـية، وقـرأ كتب الشريعة الإسلامية واللغة العربية على يد آبائه .

ثم ارتحل إلى دلهي عاصـــــمة العلم وملتقى الفطاحل لطلب التعليم العــالي، فــالتحق بمدرسة الأســتاذ (محمد حيــات)[1]، وســكن في مبناها حــتى أخذ حظــاً وافــراً من العلوم أبانت عن ذكائه وقدمته على أقرانه .

ثم سافر إلى (لكنـاو)[2] مدينة العلم والحضـارة، فتتلمذ

---

1 (?) اشتهر الشيخ (محمد حيات) بتدريس علوم الحـديث والهيئة والهندسة، بالإضافة إلى العلـوم المتداولة الأخـرى، وقد تتلمذ على يده علماء بلاد السند والهند .

انظــر: عبد الخــالق محمد ســعيد: رحمت الله الهنــدي وجماعته وجهــودهم في مواجهة الحملات التبشــيرية [التنصــيرية]: هــامش(194) .

2 (?) لكناو: مدينة في شـمال وسط الهنـد، عاصـمة ولاية (أوتـار برادش)، تقع على نهر جوماتي، في وسط سهل الجـانج الخصـيب.

على المفتي (سعد الله المـراد أبـادي)[1]، كما درس الطب على يد العديد من الأطبـــاء، ودرس العلـــوم الرياضـــية والهندســـية

على يد المختصين في هذا العلم[1].

وفيما يلي أسماء بعض أسـاتذة الشـيخ المعـروفين في شبه القارة الهندية:

1- الشيخ إمام بخش الصهبائي الفاروقي:

كان الشيخ الصهبائي عالمـاً جليلاً ومجاهـداً في سـبيل الله، اشترك في الجهاد ضد الإنجليز فقتلوه عقابـاً لـه، كما تعرضت أســرته لأشد التعــذيب والتنكيل من قبل الاحتلال الإنجليزي بعد ثورة (1857م)، حيث قتلت جيـوش الإنجلـيز معظم أفرادها بأشنع الطرق. وانتحرت سيدات هذه الأسرة

حيث ألقين بأنفســهن في الآبــار تحفظــاً لعصــمتهن من

وحشية الإنجليز العمياء[1].

اشتهر الشيخ الصهباني في شـتى العلـوم المتداولة في المدارس الدينية وخاصة في الأدب العربي، ويقـال أنه كـان عـديم النظـير في الهند في الأدب الفارسـي، ولـذلك تلقى

الشيخ رحمه الله الكـيرانوي على يـده اللغة الفارسـية، حـتى بـدأ

يؤلف الكتب الضخمة في الرد على النصارى بهذه اللغة[1].

2-الشيخ عبد الرحمن الجشتي:

كان أستاذ الأساتذة في جميع العلوم المتداولة في ذاك

الحين[1].

3-الشيخ عبد الغني بن الشاه ولي الله الدهلوي:

في نهاية مطاف هذه المرحلة العلمية، التحق الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ

بالمدرسة الرحيمية[1]. لتكميل علــوم التفســير والحــديث، فقـرأ الصـحاح السـتة على يد الشـاه عبد الغـني بن الشـاه

ولي الله تحت إشـراف الشـاه عبد العزيز[1] بن الشـاه ولي

الله الدهلوي[1].

ثانياً: تدريس الشيخ رحمت الله الهندي في الحرم المكي:

قبل هجـرة الشيخ رحمت الله إلى مكة تصـدر مجـالس الـدرس والإفتاء وفي الـديار الهنديـة، فتخـرج منها كبـار المدرسـين والمؤلفين ومؤسسي المدارس في أرجاء الهند.

ولكن ازديــاد النفــود التنصــيري في الهند شــغله عن
مواصــلة التــدريس فيهــا، فتفــرغ للتــأليف والــرد على

المنصرين[1].

وبعد أن هاجر إلى مكة، حـدث يومـاً أن كـان الشيخ رحمت الله

في طواف العمرة، التقى بالحـاج إمـداد الله[1] الـذي وصل إلى مكة قبله، فأكملا السعي معاً اصـطحبه إلى سـكنه في رباط داود قرب باب العمرة، وأقام معه.

وكانا يــترددان على الحــرم للعبــادة ولســماع دروس العلم، وكان ﷫ يفـتي على المـذهب الحنفي، فسـمع

الشيخ رحمت الله الشـــيخ أحمد زيـــني دحلان[1]- إمـــام وخطيب المسجد الحرام أنـذاك- ينتصر لمـذهب الشـافعي ويضـعف أدلة غيره، فسأله بتواضع طـالب العلم عن سـبب انتصـاره لمـذهب الشـافعي، وطـال النقـاش بينهما فـأدرك الشـيخ دحلان أن السائل من كبار العلماء، فأخذه بيـده وطلب منه التعرف إليه فاختصر له ظروفه وسبب مجيئه إلى مكة.

ثم اصـــطحبه إلى بيته وعمل وليمة كبـــيرة دعا إليها العلمـاء وطلب من الشيخ رحمت الله الحـديث عن المنـاظرة، وما يلاقيه المسـلمون في الهند من جـور الإنجلـيز، ثم أعطـاه

إجـازة التـدريس في المسـجد الحـرام، وسـجل اسـمه في

السجل الرسمي لعلماء الحرم[1].

ولما رأى الشيخ أن الدراسة في المسجد الحـرام ليس لها منهـاج ثـابت وأنها تقتصر على العلـوم الدينية واللغة العربيـة، أراد إدخـال علـوم جديـدة كالهندسة والرياضـيات وعلم المناظرة والعلوم الفلكية، وأحضر الكتب اللازمة من الهند، وكان يوماً مشهوراً في تاريخ التدريس في المسـجد الحـرام، عنـدما أخذ الشيخ رحمه الله يـدرس كتـاب: (حجة الله

البالغة في حكمة التشريع) [1]. وشرح الجغميـــني [2] في علم

الفلك، ومقدمة ابن خلدون[1].

وقد فصل في تدريسه بين علمي النحو والصـــرف بعد أن كانا يدرسان معاً، وكان يقوم بتـدريس هـذه العلـوم في داره حتى تخرج على يديه كثير من العلماء والقضـاة وكبـار

الموظفين، الذين كان لهم دور كبير فيما بعد في تاريخ مكة

والجزيرة[1].

ثالثاً: تلاميذ الشيخ رحمت الله:

أنشأ الشيخ رحمت الله مدرسة دينية في مسجد (كيرانة) بالهند، وبــدأ يــدرس طلاب العلم فيهــا، بالإضــافة إلى قيامه بفتح مراكز الــدعوة الإســلامية والــدفاع عنهــا، وذلك بتعليم فن

المنــاظرة ضد المنصــرين[1]، كما قــام بالتــدريس في مكة المكرمة فتتلمذ على يديه الكثير من العلماء.

وفيما يلي ذكر أســــماء بعض تلاميذ الشيخ رحمه الله في الهند والحجاز:

1- الشيخ عبد السميع الرامبوري مؤلف كتاب (حمد باري).

2- الشـــيخ أحمد الـــدين الجكوالـــوي مؤسس مدرسة مظهر العلوم بكراتشي.

3- الشيخ نور أحمد الأمر تسري.

4- الشيخ الشاه أبو الخير المجددي الدهلوي الفاروقي المصلح والمـــــــــــــربي الشـــــــــــــهير، ومن علماء الهنـد.

5- العلامة الشـيخ شـرف الحق الصـديقي الـدهلوي المنـاظر المعروف وصاحب مؤلفات في الرد على النصارى.

6- الشيخ القارئ شهاب الدين العثماني الكيرانوي.

7- جلالة الملك الشـريف حسـين بن علي الهاشـمي مؤسس الدولة الهاشمية بالحجاز.

8- حجة الأمة الشـــيخ عبدالله ســـراج، مفـــتي الحنفية وشـــيخ العلماء بمكة.

9- العلامة الشـيخ أحمد أبو الخـير مـرداد، المـدرس بالمسـجد الحرام وشيخ الخطباء والعلماء.

10- العلامة الشـيخ أمين محمد علي مـرداد، المـدرس والإمـام والخطيب بالمســـجد الحـــرام ونـــائب رئيس محكمة مكة آنذاك.

11- العلامة الشيخ أسعد أحمد دهان، المدرس بالمسجد الحرام وقاضي المحكمة الشرعية الكبرى بمكة.

12- العلامة الشيخ أحمد علي حسن النجار، قاضي الطائف.

13- العلامة الشيخ أحمد أبو الخير العطار، صاحب التأليف الشهيرة في الأسانيد.

14- العلامة الشيخ بدر الإسلام الكيرانوي، مدير المكتبة الحميدية بقصر يلدز ومترجم السلطان عبدالحميد خان.

15- العلامة الشيخ حسن عبد القادر طيب، المدرس بالمسجد الحرام.

16- العلامة الشيخ حسن كاظم، المدرس بالمسجد الحرام.

17- العلامة السيد حسن صدقة دحلان، المدرس بالمسجد الحرام.

18- العلامة الشيخ درويش العجيمي، المدرس بالمسجد الحرام.

19- العلامة الشيخ ضياء الدين عبد الوهاب المدراسي، مدير مدرسة « الباقيات الصالحات » في ويلور بجنوبي الهند.

20- العلامة الشيخ عبد الرحمن أحمد دهان، المدرس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتية.

21- العلامة الشيخ عبد الرحمن الشيبي، المدرس بالمسجد الحرام وسادن بيت الله الحرام.

22- العلامة الشيخ عبد الأول الجوتيوري الشهير بمصلح بنغال وصاحب مؤلفات نافعة.

23- العلامة السيد عبدالله محمد صالح الزواوي المدرس بالمسجد الحرام، ومفتي الشافعية بمكة ورئيس مجلس الشورى.

24- العلامة السيد عابد حسين مالكي المدرس بالمسجد الحرام ومفتي المذهب المالكي بمكة المكرمة.

25- العلامة الشيخ عبدالله أحمد أبو الخير المدرس بالمسجد الحرام ومفتي الحنفية وقاضي المحكمة الشرعية بمكة.

26- العلامة الشيخ عبد الرحمن العجيمي المدرس بالمسجد الحرام وقاضي محكمة الطائف.

27- العلامة الشيخ عبدالله الغمري المدرس بالمسجد الحرام .

28- العلامة الشيخ عبدالحميد بخش الفلكي المدرس بالمسجد الحرام .

29- العلامة الشيخ عبدالله محمد الغازي المدرس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتية ومؤرخ مكة المعروف .

30- العلامة الشيخ عبد الرحمن بخش الملا المدرس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتية.

31- العلامة الشيخ عبد الخالق محمد حسين البقالي المدرس بالمسجد الحرام ومؤسس المدرسة الاسلامية (دار الفائزين) بمكة المكرمة .

32- العلامة الشيخ عبدالله القاري المدرس بالمسجد الحرام والمدرسة الصولتية وشيخ القراء بمكة .

33- العلامة الشيخ عبد الرحمن الإله أبادي شيخ القراء بالهند .

34- العلامة الشـــيخ عبد الوهـــاب المدراسي مؤسس مدرسة (الباقيـــــــــــــــات الصـــــــــــــــالحات) في ويلور بجنوبي الهند .

35- العلامة الشيخ عبد القادر خوقير المدرس بالمسجد الحـرام .

36- العلامة الشـــيخ عبدالله صـــدقة زيـــني دحلان المـــدرس بالمسجد الحرام .

37- العلامة الشيخ عبد الحق القاري المدرس بالمسجد الحـرام والمدرسة الصـــــــولتية ومؤسس المدرسة الفخرية بمكة المكرمة .

38- العلامة الشـيخ محمد حامد الجـداوي المـدرس بالمسـجد الحرام ومدير مدرسة الفلاح وقاضي محكمة جدة .

39- العلامة الشـيخ محمد سـعيد أبو الخـير مـرداد المـدرس بالمسجد الحرام ومدير الأوقاف بمكة.

40- العلامة الشـيخ محمد سـعيد بابصـيل، المـدرس بالمسـجد الحرام .

41- العلامة الشـيخ محمد حسـين الخيـاط، المـدرس بالمسـجد الحرام ومؤسس المدرسة الخيرية بمكة المكرمة .

42- العلامة الشـــيخ الملا محمد إســماعيل النــواب، الطــبيب والشاعر المعروف .

43- العلامة الشيخ محمد علي سليمان مرداد، المدرس والإمـام والخطيب بالمسجد الحرام.

44- العلامة الشيخ محمد صالح الميمني، مؤرخ مكة .

45- العلامة الشيخ محمد علي زين العابدين، المدرس بالمسجد الحرام .

46- العلامة الشيخ محمد علي صديق كمال، المدرس بالمسـجد الحرام .

47- العلامة الشيخ محمد هاشم أشـعري، مؤسس جمعية نهضة العلماء باندونيسيا .

48- العلامة الشيخ محمد صالح صديق كمال، المدرس بالمسجد الحرام .

49- العلامة الشـــيخ محمد ســـليمان حسب اللـــه، المـــدرس بالمسجد الحرام .

50- العلامة الشـــيخ أبو الخـــير الفـــاروقي الهنـــدي، المصـــلح والمربي، ومن علماء الهند.

51- العلامة الجليل محمد علي، مؤسس مدرسة دار العلـــــوم ندوة العلماء بالهند .

52- العلامة الجليل محمد سـعيد رحمت نـاظر ومـدير المدرسة الصولتية بعد وفـاة مؤسسـها والـذي خـدم العلم نحو نصف

قـرن كامـل، وتخـرج في عهـده وعلى يديه عـدد كبـير من

العلماء والمدرسين والشخصيات الفاضلة[1] .

رابعاً: مؤلفات الشيخ رحمت الله الهندي:

للشيخ رحمت الله العديد من المؤلفـــات باللغـــات العربية والفارســية والأردية وكــان الشــيخ قد بــدأ إنتاجه العلمي برسائل صغيرة أو بالترجمة وذلك مثل:

1-رسالة في وقت صلاة العصـر:

وهي ما تزال مخطوطةبالعربية، وتسمى : النصرين في تأييد صلاة العصر على المثلين.

2-رسالة التنبيهات في إثبات الاحتيـاج إلى البعثة والحشر:

وهي رسالة فلسـفية باللغة العربيـة، تحتـوي على اثـنى عشر تنبيهــاً في إثبــات بعثة الرسل والبعث واليــوم الآخر وحاجة النـــاس إليهمـــا، وقد ســـلك الشيخ رحمت الله فيها الطريق العقلي المنطقي الفلســفي وحــده دون الاعتمــاد على أي دليل نقلي.

وقد احتـوت هـذه الرسـائل على العديد من المأخذ في مسـائل مخالفة لما عليه أهل السـنة والجماعة كما سـيأتي في الباب الثاني من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

3-رسالة في رفع اليدين في الصلاة.

4-ترجمة التحفة الأثنى عشريـــة.

وهي في الرد على الروافض للعلامة الشـيخ عبد العزيز ولي الله الـــدهلوي، ترجمها الشيخ رحمت الله من الفارســـية إلى اللغة العربية، وما تــزال مخطوطتها محفوظة في المدرسة الصولتية.

5-آداب المريديـن:

6-المحبوب إلى القلب (مرغوب د ل):

وهو ما يزال مخطوطاً بالأردية.

أما مؤلفــات الشيخ رحمه الله في الــرد على النصــارى، فهي على النحو التالي:

7-إظهار الحـق:

وهو من أهم الكتب المؤلفة في بابــه، يتضـــمن الكلام عن المسائل الخمس: التحريـف، والنسـخ، والتثليث وحقية القــرآن، ونبــوة ســيدنا محمد ﷺ وكــذلك عن كتب العهــدين القديم والجديـد.

وقد ألفه الشيخ للرد على كتاب (ميزان الحق) لفندر[1]، عـــــــــــــــــــــــام (1280هـــــــــــــــــــــــ) باللغة العربية وقد طبع هــذا الكتــاب مــرات عديــدة، وتعد طبعة الرئاسة العامة إدارات البحـــــــــــــــــــــــــــــــوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض بتحقيق الــدكتور محمد أحمد ملكـــــــــــــــــــاوي أجـــــــــــــــــــود تلك الطبعات والتحقيقيـات.

كما ترجم الكتاب لعـدة لغـات، منها التركيـة، والأرديـة، والفرنسية، والإنجليزية.

قالت عنه صحيفة لندن تايمز:

« لو داوم المسلمون على مطالعة هـذا الكتـاب لتوقف كليـاً انتشـار الـدين المسـيحي [النصـراني]، وأبت النفـوس

قبوله واستقاموا على الإسلام » [1].

وهـذا الكتـاب هو خلاصة ما ألفه الشـيخ من كتب في الـــــــرد على النصـــــــارى وآخر ما ألـف.

8-إزالة الأوهـام:

هـــذا الكتـــاب هو أول مؤلفـــات ﮏ لتفنيد حجج المنصرين، وقد رد فيه على (ميزان الحق) لرئيسهم: فندر، الذي أحدث ضجة كبـيرة في أوسـاط المسـلمين، وقد ألفه الشيخ باللغة الفارسـية لأنها كـانت اللغة العلمية والرسـمية في بلاد الهند، ثم طُبع سنة (1269هـ)، ويقع في خمسـمائة وأربع وســتين صــفحة، وقد تــرجم إلى الأرديــة، وتُســمى الترجمة (دافع الأسقام).

9-إزالة الشكـوك:

ألفه الشيخ بالأردية للإجابة على تسعة وعشرين سـؤالاً أوردها النصـــارى على أهل الإســلام وتســمى ســؤلات

الكرانجي[1] قال الشيخ في مقدمة الكتـاب: « وكـان البـاعث لي على
الكتابة هو أن بعض القسيسـين وضـعوا أسـئلة للمسـلمين، وأرســـــــــــــــلوها إلى ولي العهد (مـــــــــــــــرزا

فخر الـــدين بهـــادر)، فأرسل إلي أن أجيب عنها فـــأجبت

إمتثالاً لأمره »[1].

وكـانت تـأليف هـذا الكتـاب بجزئيه سـنة (1268هـ/ 1852م) ويقع في ألف ومئة وست عشـــرة صـــفحة، وهو

يتناول بالأدلة القاطعة إثبات نبوة محمد ﷺ وأنه خاتم النبيين،

ثم يثبت فيه وقوع التحريف المعتمد في كتب العهدين[1].

10-الإعجاز العيسوي:

يسـمى هـذا الكتـاب باسـمي آخـرين همـا: (الإعجـاز المسـيحي [النصـراني]) و (مصـقلة التحريـف) وأما مؤلفه فيذكره في كتابه إظهار الحق باسـم: (الإعجـاز العيسـوي)، وقد ألفه الشيخ في أكرا سنة (1270هـ) بالأردية، أثبت فيه بالأدلة القوية نسخ الإنجيل وتحريفها.

وقد جـرت المراسـلات والمنـاظرات الكـبرى بينه وبين

القسيس فندر أثناء وجوده في أكرا لتأليف هذا الكتاب[1].

11-أحسن الأحاديث في إبطال التثليث:

فرغ من تأليفه سنة (1271هـ) ويقع في سبعين صفحة بالأردية وتعـرض فيه لإبطـال عقيـدة التثليث بـدلائل عقلية ونقلية، وطبعه بالمطبعة الرضوية بدلهي عام (1292هـ).

12-البروق اللامعة:

ألف هذا الكتـاب بالعربيـة، واسـتدل فيه بأدلة من كتب العهـدين على أن محمد ﷺ مـذكور في تلك الكتب أنه نـبي وأنه خاتم الأنبياء، ولم يطبع هذا الكتاب وهو مفقود.

13-معدل اعوجاج الميزان:

ألف الشيخ هذا الكتاب بالأردية، وكـان سـبب تأليفه أن

الفاضل آل حسن[1] لما ألف كتابه (الاستفسـار) للـرد على نسخة مـيزان الحق الأولى لفنـدر، واطلع فنـدر على كتـاب الاستفسـار، عـدل مـيزان الحق بالزيـادة والحـذف وطبع النسـخة الثانية منه بالفارسـية، وكتب المؤلـف: (معـدل اعوجـاج المـيزان) ليظهر الفـوارق بين نسـختي المـيزان وللـرد على مـيزان الحق الجديد لفنـدر، لكنه لم يطبع وما زال مخطوطاً.

14-تقليب المطاعن:

ألف الشـيخ هـذا الكتـاب بالعربية للـرد على كتـاب القسـيس: (أ .سـميث) المسـمى: تحقيق الـدين الحق المطبوع سـنة (1842م)، وسـنة (1846م)، ولم يطبع هـذا الكتاب وهو مفقود.

وقد ذكر مؤلفه في آخر صـفحة من كتابه إظهـار الحق في حاشـــــية النســـــخة المقـــــروؤة عليه أن الكتب الثلاثة الأخـــــير (12-13-14) قد نهبت

وضـــاعت في وقعة الهند

سنـة (1857م)[1].

15-معيار التحقيق:

ألف الشيخ رحمه الله هـذا الكتـاب للـرد على كتـاب: (تحقيق

الإيمان) للقسيس: (صـفدر علي)[1] ولم يطبع هـذا الكتـاب

بعد ويظهر أنه مفقود أيضاً[1].



الفصل الرابع

تأسيس المدرسة الصولتية



عندما قام الشيخ "رحمت الله الكيرانوي" بالتدريس في المسجد الحرام، لاحظ أن التدريس محصور في المسجد الحرام، وفي الكتاتيب، حيث يقوم المدرسون بجمع طلابهم في حلقات، على اختلاف أعمارهم في أروقة

انظر: الموسوعة العربية العالمية: (21/145).

[1] (?) هو الشيخ سعد الله بن نظام الدين المراد آبادي، تتلمذ على يد الشاه عبد العزيز بن ولي الله والشاه محمد إسحاق الدهلوي، أمير المجاهدين، وكان الشيخ سعد الله عالماً وفقيهاً ومدرساً ومؤلفاً وشاعراً وزاهداً وتقياً.

انظر: فضيلة الأستاذ برهان الدين السنبهلي (رئيس قسم التفسير بكلية الشريعة وأصول الدين جامعة ندوة العلماء) : البعث الإسلامي (مجلة) العدد الخامس: ص(71-72)، محرم (1408هـ)، وامداد صابري: آثار رحمت الله: ص(118) نقلاً عن: عبد الخالق محمد سعيد: الشيخ رحمت الله وجماعته: ص(194).

[1] (?) انظر: الشيخ محمد سلم: أكبر مجاهد: (30-31)، ومحمد ملكاوي: المناظرة الكبرى: ص(28).

[1] (?) انظر: الماضي المجيد لعلماء الهند: (4/231-240)، وآثار رحمت الله: ص(2) نقلاً عن: عبدالخالق بن محمد سعيد الشيخ رحمت الله الهندي وجماعته: ص(195).

[1] (?) انظر: عبد الخالق بن محمد سعيد: رحمت الله الهندي وجماعته وجهودهم في مواجهة الحملات التبشيرية [التنصيرية]: ص(195).

[1] (?) انظر: المرجع السابق ص(195).

[1] (?) هي مدرسة الشاه ولي الله الدهلوي، أسسها والده الشاه عبد الرحيم الدهلوي، كانت أكبر مدرسة دينية في آسيا في ذاك

المسجد، ويعطـونهم دروسـاً في علـوم الـدين واللغة بغـير منهج ثابت .

وإذا أكمل الطـــالب دراسة الكتب الـــتي يشـــرحها المدرسون، -حسب تضلع كل واحد في مادتـه-، تقـوم هيئة العلماء بفحص هذا الطالب لمنحه إجازة التدريس.[1]

كما لاحظ الشيخ أيضاً: القصـور في الأسـلوب الـتربوي للتعليم، حيث كان قاصـراً لا يـدفع الطـالب إلى الصـبر في طلب العلم، فإن الأستاذ إذا بدأ الـدرس كـان يتلو النص ثم يشرحه بنفسه كخطيب أو واعظ.

ولم يكن الطالب يجـرؤ على مناقشة شـيخه، بالاضـافة إلى عدم تـوفر مقـررات ثابتة في العلـوم بلغة العصر على

الحين، ويمكن القول أنها كانت مدرسة دار العلوم ديوبند القديمـة، تخرج منها العديد من المشاهير والعلماء. انظر: عبد الخـالق محمد سعيد: رحمت الله الهندي وجماعته هامش ص(196).

[1] (?) الشاه عبد العزيز الدهلوي: هو الابن الأكبر للإمـام ولي الله الدهلوي، ولد عام (1159هـ-1746م)، تـوفي عـام 1239هــ، قـام بحمل لواء المجاهدين ضد الإنجليز في الهند على غـرار والـده، من مصنفاته: التحفة الاثنى عشرية في الرد على الروافض بالفارسـية، وبستان المحدثين بالفارسية.

انظر: عبد الخالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهنـدي وجماعتـه: ص(173)، وإسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: (1/585).

[1] (?) انظـر: عبد الخـالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهنـدي وجماعتـه: ص(196)، وأحمد السـقا: المدرسة الصـولتية ص(27-28)، الشيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهـد: ص(30-32)، وعمر عبد الجبـــار: دروس من ماضي التعليم ص(94-100)، وعبد الحي الحسني: نزهة الخواطر: (8/146-147)، ومحمد ملكاوي: المناظر الكبرى: ص(28).

كما لاحظ الشيخ أيضاً: القصـور في الأسـلوب الـتربوي للتعليم، حيث كان قاصـراً لا يـدفع الطـالب إلى الصـبر في طلب العلم، فإن الأستاذ إذا بدأ الـدرس كـان يتلو النص ثم يشرحه بنفسه كخطيب أو واعظ.

ولم يكن الطالب يجـرؤ على مناقشة شـيخه، بالاضـافة إلى عدم تـوفر مقـررات ثابتة في العلـوم بلغة العصر على وفق عقــول الطلاب، ومن أهم ما لاحظه الشـــيخ كـــذلك: اقتصار التعليم على تدريس العلوم التاليـة: النحـو، والفقـه، والحديث، والتفسير، والدراسة تسير ببطء شـديد, هـذا ولم يكن هناك رعاية شاملة لأبناء المهاجرين لمكة. [1]

عند ذلك أدرك ﷺ الهنـــــدي حاجة مكة المكرمة إلى مدرسة نظامية تعنى بتعليم طلاب العلم .

1- تأسيس المدرسة الصولتية:

لما رأى ﷺ أن الأوضــــــــاع التعليمية في مكة المكرمة ما زالت على الطريقة القديمة، أقدم على إحداث أول مدرسة بـــترتيب ونظـــام جديد على نفقته الخاصة في شهر رجب سنة (1285هـ) رجاء أن تخـدم طلاب العلم من الهند وسائر أنحاء العالم الإسلامي.

لكن هذه المدرسة التي كـانت في محيط الحـرم ببـاب الزيـــادة لم تحقق الغــــرض من تنظيم الدراسة المنهجية وإتمام سائر الترتيبات المدرسية، فنقلها إلى دار أحد أثرياء

أطـراف البلاد، وكـان قد قـاد حركة الجهـاد مع الشـيخ رحمت الله الهندي، مما أجـبره على تـرك بلاده إلى مكة المكرمـة. انظـر: عبد الخــالق بن محمد سـعيد: الشــيخ رحمت الله الهنــدي وجماعتــه: هامش ص(462).

اقتصار التعليم على تدريس العلوم التاليـة: النحـو، والفقـه،

1- تأسيس المدرسة الصولتية:

لما رأى الشيخ رحمه الله أن الأوضـــــــــاع التعليمية في مكة المكرمة ما زالت على الطريقة القديمة، أقدم على إحداث أول مدرسة بـــترتيب ونظـــام جديد على نفقته الخاصة في شهر رجب سنة (1285هـ) رجاء أن تخـدم طلاب العلم من الهند وسائر أنحاء العالم الإسلامي.

لكن هذه المدرسة التي كـانت في محيط الحـرم ببـاب الزيــــادة لم تحقق الغـــــرض من تنظيم الدراسة المنهجية وإتمام سائر الترتيبات المدرسية، فنقلها إلى دار أحد أثرياء الهند المهـاجرين المعروفة بـدار السـقيفة عند مطلع جبل هنـــدي بمحلة الشـــامية، وعـــرفت (بمدرسة الشيخ رحمه الله) أو (المدرسة الهندية).

وســــرعان ماغصت بطلابها فنقل قسم الحفـــاظ إلى المسجد الحرام ثانية، وأبقى قسم العلوم، وكان يـدعو الله أن يحقق أمنيته في إنشاء بناء خاص بالمدرسة .[1]

وشـاء الله تعـالى أن تـأتي امـرأة هندية من كلكتا في عـام (1289هــ) للحج اسـمها (صـولت النسـاء بيغم)[2]، وكـانت عازمة على إنشـاء ربـاط في مكة المكرمة -على عادة أهل الخـير في ذلك الزمـان- لسـكنى الحجـاج وحفظ أمتعتهم .

وكانت تسمع بصـاحب المنـاظرة المشـهورة الشيخ رحمه الله، لكنها لا تعرفــه، فتوصــلت إليه عن طريق زوج ابنتها الـــذي كـــان يحضر دروس الشـــيخ، واستشـــاره في أمر الربـــاط

رئيســاً للمنصــرين في الهنــد، فـأظهر نشـاطاً كبــيراً بحيث عــده المنصرون ثالث أخطر منصر يدخل الهند.

لكن هذه المدرسة التي كـانت في محيط الحـرم ببـاب الزيــــادة لم تحقق الغـــــرض من تنظيم الدراسة المنهجية وإتمام سائر الترتيبات المدرسية، فنقلها إلى دار أحد أثرياء الهند المهــاجرين المعروفة بــدار الســقيفة عند مطلع جبل هنـــدي بمحلة الشــــامية، وعـــرفت (بمدرسة الشيخ رحمت الله) أو (المدرسة الهندية).

وســــرعان ماغصت بطلابها فنقل قسم الحفـــاظ إلى المسجد الحرام ثانية، وأبقى قسم العلوم، وكان يــدعو الله

أن يحقق أمنيته في إنشاء بناء خاص بالمدرسة .[1]

وشـاء الله تعـالى أن تـأتي امـرأة هندية من كلكتا في عـام (1289هــ) للحج اسـمها (صـولت النسـاء بيغم)[2]، وكـانت عازمة على إنشـاء ربـاط في مكة المكرمة -على عادة أهل الخـير في ذلك الزمـان- لسـكنى الحجـاج وحفظ أمتعتهم .

---

1 (?) مولـوي صـفدر علي، كـان مسـلماً ثم تنصـر، وأخذ يعين المنصـرين في مجـادلاتهم مع المسـلمين، وكتابه (تحقيق الإيمـان) المذكور أعلاه.

انظر: ا.ل شاتلية: الغارة على العالم الإسلامي، ص(86).

1 (?) انظـر: الشـيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهد ص(39-32) و د محمد ملكـاوي: المنـاظرة الكـبرى: (135-138)، ص(29)، عبد الخـالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهنـدي وجماعته ص(375-378).

1 (?) انظر: حسن عبد الحي قزاز: أهل الحجاز بعبقهم التاريخي، ص(186)، ط1، 1414هـ-1994م، دار العلم-جدة .

1 (?) انظـــر: محمد ســـليم بن محمد ســـعيد: أكـــبر مجاهد في التاريخ، ص(50-51) .

1 (?) انظر: عزيز محمد حـبيب: المملكة العربية السـعودية، ص(250)، ط عام 1395هـ-1975م، مكتبة الانجلو المصرية-القاهرة، والأســـتاذ عبد الوهـــاب أحمد عبد الواســـع: التعليم في المملكة العربية السعودية بين واقع حاضره وأماني مسـتقبله: ص(29-30)، ط دار الكتـاب العـربي-بـيروت، ود/ محمد عبد الـرحمن الشـامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني: ص(12-39،18)، ط 1، 1393هــ-1973م، دار العلـوم ومكتبة النهضـة-الريـاض، وعبد الرحمن صالح عبدالله: تـاريخ التعليم في مكة المكرمـة: ص(125-126)، وعمر عبد الجبـــار: دروس من ماضي التعليم وحاضـــره بالمسجد الحرام: ص(16)، والشيخ محمد سليم: أكبر مجاهد: ص(

وكانت تسمع بصـاحب المنـاظرة المشـهورة الشيخ رحمت الله، لكنها لا تعرفــه، فتوصــلت إليه عن طريق زوج ابنتها الــذي كــان يحضر دروس الشــيخ، واستشـــاره في أمر الربـــاط فأخبرها بكـثرة الأربطة وأن أبنـاء مكة بحاجة إلى مدرسـة، وبها يحصل الأجر والثواب العظيم، وفوضت الشـيخ بشــراء الأرض والإشـــراف على البنـــاء فاشـــترى أرضـــاً بمحلة الخندرسية[3] .

وبوشر في البناء ووضع الشيخ بيده حجر الأسـاس لأول مدرسة دينية نظامية في الحجاز بجانب البيت العتيق صباح يوم الأربعاء (15) شعبان سنة (1290هـ) .

وتم افتتاح المدرسة وانتقـال الطلاب والمدرسـين إليها في الرابع عشر من محرم سنة (1291هـ) في احتفال كبير حضره علماء مكة وأعيانها .

وانتظمت فيها الدراسة وسائر الترتيبات كما كـان يبغي الشيخ، ورفض أن يطلق اسمه على المدرسة وأطلق عليها اسم (الصولتية)، إكراماً للمحسنة الفاضلة[1] .

50-52) .

2 (?) أي السيدة التي لا يصيبها الغم .

3 (?) هو مكان المدرسة الحالي الواقع في الوادي بين جبل عمر وجبل الكعبة وحارة الباب .

1 (?) انظر: د/ أحمد حجازي السـقا: المدرسة الصـولتية، ص(4)، (10)، (23)، وعبد الرحمن صالح عبدالله: تـاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص(127)، وعمر عبد الجبار: دروس من ماضي التعليم: ص(98)، والشيخ محمد سليم: أكبر مجاهد، ص(53) .

2- أهداف المدرسة الصولتية:

تتمثل أهـداف المدرسة الصـولتية في تثقيف أبنـاء مكة المكرمة والمجاورين لها، وإخـراج الأمة من ظلمـات الجهل إلى نور العلم، والعناية الخاصة بنشر وتعليم العلوم الدينية، وبذل المجهود في تقويم الأخلاق وتهذيبها .

وكـان الشـيخ يـرمي إلى تحقيق ثلاثة أهـداف من هـذه المدرسة:

الهدف الأول: تعليم أبناء المهاجرين الذين يفدون إلى مكة المكرمة من شـتى البقـاع، وأهل الحـرم، وتوفـير الرعاية الكاملة لهم من مأكل ومشـــــرب وملبس وأدوات مدرسية وكتب.

الهـدف الثـاني: تعليم أبنـاء المدرسة مهنة التـدريب الفـــني والصـــناعي، ليكســبوا عيشـــهم بعد التخـــرج من المدرسة بطرق شريفة .

الهدف الثالث: تخـريج علمـاء يحسـنون تلاوة القـرآن الكريم على أصول علم التجويد.[1]

ولقد سـعت المدرسة جاهــدة منذ عصر مؤسســها ~ واحفـاده من بعــده إلى تحقيق الأهــداف العلمية والتربوية التالية:

« أما أهـــدافها العلمية فمنذ أن وضـــعت المدرسة أول لبنة مباركة في لبناتها كــانت مقصــورة على نشر العلــوم وبثهــا، محــواً للأمية المنتشــرة، وقضــاءً على الجهل بكل ما أوتيت من قوة واستطاعه، وليس لها أي صــبغة من وراء ما تبــذل فيه قصــارى جهودها من نشل أبنــاء المســلمين من

[1] (?) انظر: محمد سليم: أكبر مجاهد، ص(55-56) .

ديـــاجير الجهل الحالك إلى النـــور المـــبين، بتزويـــدهم بالمعلومــات النافعة المختلفــة، لينشــأوا رجــالاً عــاملين ومصـلحين، عـدا أنهم عرفـوا الحقـوق والواجبـات فقـاموا بأدائها على وجه صحيح ينطبق مع أحكام الشريعة الغراء .

لـذا كـانت عناية المدرسة الخاصة بث العلـوم الدينيـة، من توحيــد، وتفســير، وحــديث، وفقـــه، وما إليها من بقية الفنون، على أنها لا تزال تعـنى عناية لا تقل عن تلك العناية بـالعلوم الأخـرى: كـالعلوم الاجتماعيـة، والعلـوم الرياضـية، فهي تســير بخطى واســعة في برنامجها لهــذه العلـــوم والفنون، ولا تـزال في أهـدافها العلمية ميالة إلى تقرير كل ما الفائدة فيه أجدى وأنفع من غيره .

أما خطتها التربوية المرسومة التي تحـرص عليها دائمـاً وتساعد على تنميتها واستمرارها، فهي غرس الفضـائل في نفـوس النشء الحـديث، بما تـدعو إليه التعـاليم الإسـلامية طبق الشريعة المحمدية السمحة، التي كان لها شـأو بعيـد، وأثر حميد في تربية النفوس وإصلاح ما اعوج منها، وتقـويم الأخلاق وتهــذيبها ليكـــون ذلك النشء مثـــالاً في الكمـــال والأخلاق والصفات وجلائل الأعمال » [1]

3- مميزات المدرسة الصولتية:

تميزت المدرسة الصولتية عن غيرها من المــدارس بما رســـمه لها المؤسس منهجـــاً تســـير عليه المدرسة في مسيرتها، والتي تتلخص فيما يلي:

---

[1] (?) أحمد السقا: المدرسة الصولتية: ص(35)، ومسعود سـليم رحمت الله: المدرسة الصولتية وجهاد قرن من الزمان، ص(154)، مقال بمجلة المنهل: عدد(467)، عام (1409هـ) .

« 1-يجب على كل مدرس وطالب ألا يشتغل بالأمور السياسية .

2-يجب على كل مدرس وطالب أن يبتعد عن المسائل الخلافية والأمور المعقدة .

3-يجب على كل مدرس وطالب تجنب العصبيات ودواعي الفرقة .» [1]

ولقد امتازت المدرسة الصولتية بالتالي:

- أنها تعتبر أول المدارس النظامية في المملكة العربية السعودية .

- أنها استطاعت أن تجمع بين التعليم المهني والنظري في الفترة بين (1365هـ) إلى عام (1372هـ) .

- اهتمام المدرسة الصولتية بالنشاطات غير المهنية، على اختلاف أنواعها منذ عام (1372هـ) .

- تميزت إدارة المدرسة الصولتية بالنشاط والحيوية وإصدار الأنظمة التربوية، والأخذ بمبدأ الشورى . [2]

---

1 (?) محمد سليم: أكبر مجاهد، ص(56) .

2 (?) انظر: عبد العزيز بن سليمان عوض الفقيه: المدرسة الصولتية بمكة المكرمة: دراسة تاريخية وصفية من عام (1292هـ-1412هـ)، بحث غير منشور رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

نقلاً عن: د/ جواهر أحمد قناديلي: التعليم الأهلي للبنات بمكة المكرمة، ص(3) ورقة عمل مقدمة إلى وزارة المعارف الإدارة العامة للتعليم بالعاصمة المقدسة إدارة الإشراف التربوي (اللقاء السادس للتعليم الأهلي)، محرم عام (1422هـ) .

4- نظام الدراسة بالمدرسة الصولتية:

إن أي عمل من الأعمال، أو مشروع من المشروعات، لا يمكن أن تؤتى ثماره وفوائده إلا إذا كان يسير في ظل قانون ينظمه ومنهج يتبعه، وإن كان لكل عصر ظروفه ومقتضياته، فإن المدرسة الصولتية قد واجهت عبر العصور ظروفاً وأحوالاً وقضايا يختلف بعضها عن بعض ومع هذا فقد حققت أهدافها ونجحت في أداء رسالتها .

ولما كانت المدرسة تعاني من مشكلة وهي أنها تقدم في وقت واحد منهجاً دراسياً عاماً لجميع الطلاب، مع اختلاف ألسنتهم وطباعهم وتقاليدهم ومذاهبهم الفقهية، فإن أفكارهم مختلفة وعاداتهم متنوعة .

لذلك رأت إدارة المدرسة أن تضع منهجاً دراسياً ونظاماً تعليمياً متطوراً يتناسب مع تطور التعليم والمستويات المختلفة للمتعلمين، ليستفيد من جميع الطلاب ويقبلون عليه.

وكان نظام الدراسة في المدرسة قائماً على مبدأ مراعاة الفروق الفردية، إذ يوضع كل طالب في المستوى الذي يلائمه .

يذكر أحد الكتاب عن نظام المدرسة الصولتية: أن كل تلميذ يعامل حسب قدراته الذاتية ...، فمجموعة تلاميذ يمكن أن يلتحقوا بها في وقت واحد، ولكن ما أن يمر وقت قصير حتى يتمايزوا في مستوياتهم في حدود المناهج

المقررة، ويقول: « لعل هذا النظام العريق قد سبق لفكرة نظام الساعات المعتمدة التي تأخذ به الجامعات الآن »[1]

وقد كـانت المدرسة تتـألف من عـدة مراحل دراسـية، وقد انتظمت الدراسة فيها منذ عـــام (1325هــــ-1907م) حتى عام (1345هـ-1926م) حسب التقسيم التالي:

1-القسم التحضيري ومدته أربع سنوات .

2-القسم الابتدائي ومدته أربع سنوات .

3-القسم الثانوي ومدته أربع سنوات .

4-قسم التكميل (القسم العالي) ومدته سنتان . [2]

وكـــان أهم ما يـــدرس إلى عـــام (1330هــــ) خمس وعشـرون مـادة هي: القـرآن الكـريم بالتجويد مع الحفـظ، علم تفسـير القـرآن المجيـد، الحـديث، التوحيد والعقائـد، الفقه الحنفي، الفقه الشـافعي، أصـول الحـديث، أصـول الفقـه، الفـرائض والمـواريث، الأخلاق، التـاريخ الإسـلامي، المعاني والبيان والبديع، الأدب والمنطق والحكمة ، الهيئـة، الميقات، الجـبر، المقابلـة، المسـاحة، الحسـاب، الهندسـة، العروض، القوافي، الصرف، النحو، الخط والإملاء[3] .

---

1 (?) عبدالله محمد الزيـــــــــد: التعليم في المملكة العربية السعودية، أنموذج مختلف، ص(7)، ط2، (1404هـ)، جدة .

2 (?) انظــر: تقرير إدارة المدرسة الصـولتية، المـؤرخ في عــام 1382هــ (محفـوظ في مكتبة الوثـائق التربوية بـوزارة المعـارف بالريـاض)، نقلاً عن: محمد الشـامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثمــاني، ص(40)، وعبد الـرحمن صـالح عبداللـه: تـاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص(127-128)، وعبدالله الزيد: التعليم في المملكة العربية السعودية أنموذج مختلف، ص(10) .

3 (?) انظــر: صــدى العلم من الحجــاز، ص(50)، (وهو كتــاب

وقد استمر النظام على النحو السابق حتى عام (1371هـ)، حيث أدمجت المرحلتان التحضيرية والابتدائية في مرحلة واحدة مدتها ست سنوات .

فأصبحت تتضمن ثلاثة أقسام من الدراسة:

القسم الأول: هو القسم الابتدائي، ومدته ست سنوات وفيه مقررات وزارة المعارف.

القسم الثاني: هو القسم الديني ومدته أربع سنوات وتدرس فيه الكتب الدينية مع القليل من الرياضيات، وهذا القسم له كتب مستقلة .

القسم الثالث: هو القسم المسائي ومدته سنتان وتدرس فيه الكتب الدينية غير التي في الثاني، وفي هذا القسم الكتب أكبر درجة وأعلى مرتبة من الكتب التي في القسم الديني[1].

وبفضل الله تعالى زادت حلقات العلم في المسجد الحرام، بتخرج الفوج الأول من طلاب هذه المدرسة، كما زاد عدد القراء والعلماء الذين تخرجوا منها ورجعوا إلى بلادهم يؤسسون المدارس الدينية ودور القرآن الكريم، في إندونيسيا، والهند، وماليزيا، ومختلف أنحاء العالم الإسلامي،

أصدرته المدرسة الصولتية عام (1331هـ) نقلاً عن: محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ص(40-41)، وعبدالله الزيد: التعليم في المملكة العربية السعودية أنموذج مختلف: ص(11-12) .

[1] (?) انظر: عبد الرحمن صالح عبدالله: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص(128-130) .

وقد شغل المتخرجون منها من جميع الأفـواج مناصب هامة في مختلف الوزارات والدوائر الحكومية[1] .

وفي عــام (1964م) تمت معادلة شــهادة المتخــرجين الــــــتي تمنحها هـــــــذه المدرســــــة، واعـــترف بها الأزهر بتـــاريخ 17/7/1964م، وهي تعـــادل الثانوية العامــة، وتؤهل المتخــرجين للالتحــاق بالجامعــات السعودية والكليـات الأزهرية[2]، وذلك في عهد الشـيخ محمد ســـــــــــــــــــــــــــــــــليم[3] بن محمد سعيـد[4] -عليهم رحمة الله- .

---

[1] (?) انظــر: عبد الــرحمن صــالح: تــاريخ التعليم في مكــة، ص(126)، ومحمد الشـــــامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثمــــاني، ص(48-49)، وعمر عبد الجبـــار: دروس من ماضي التعليم، ص(17) .

[2] (?) انظر: أحمد السقا: المدرسة الصـولتية، ص(106)، وزهـير محمد جميل كتبي: رجـال من مكة المكرمة العاصـمة المقدسـة، (4/160)، ط1، 1414هـ-1993م، دار الفنون-جدة .

[3] (?) محمد سليم بن محمد سعيد بن محمد صديق، ولد في مكة سنة 1323هــ، وتـربى على يد والـده محمد سـعيد تربية إسـلامية، تـولى إدارة المدرسة الصـولتية بعد وفـاة والـده لمـدة (52) سـنة، اشــترك في تحرير العديد من المجلات والصـــحف، وكـــان يلقي أحــاديث منتظمة في إذاعة الهند من دلهي، له كتب منهــا: تــاريخ مكة، أقوال الصالحين، وأكبر مجاهد، توفي سـنة 1397هــ، وتـولى بعده ابنه محمد مسعود إدارة المدرسة الصولتية .

انظر: أحمد السقا: ملحق عن مؤلف كتاب أكبر مجاهد: ص(85) .

[4] (?) هو محمد سعيد بن محمد صديق بن الطـبيب على أكـبر بن خليل الله الكيرانوي، وهو حفيد شقيق الشيخ رحمت اللــه، ولد في كيرانة سنة 1282هـ، ودرس في إحدى المدارس الحكومية هنــاك، والتي أقامها الاحتلال الإنجليزي، فلما علم عم والده الشـيخ رحمت الله كتب لأسرته أن يبعثوا بالطفل إليه في مكة المكرمة، وبالفعل

5- تعليم البنات بالمدرسة الصولتية:

إن فكـرة تعليم البنـات بالمدرسة الصـولتية لم تبـدأ إلا بعد مرور أربع وسبعين سنة من إنشـاء المدرسـة، حيث أن تعليم البنات لم يكن سائداً بالجزيرة العربية آنذاك .

وفي شـهر ربيع الثـاني من عـام (1365هــ) بـدأ تعليم البنـات، واسـتمر بالمدرسة حـتى عـام (1383هــ)، حيث هــدمت وأدخلت ضــمن مشــروع توســعة الحــرم المكي الشريف[1]، ثم بعد ذلك تم افتتاح مـدراس مـدارس البنـات الحكومية .

وخلال فترة تعليم البنات بالمدرسة الصـولتية، اختـارت إدارة المدرسة اثنين من المدرسات من ذوات الكفاءة في تدريس القرآن الكريم، والمواد الابتدائية للبنات .

وكان عدد الطالبات في اليوم الأول 46 طالبــة، وما إن انتهت ســنة واحــدة على هــذه المدرسة إلا وازداد الإقبـال عليها، وقفز عدد الطالبات إلى 130 طالبة .

وكـان منهج الدراسة قائمــاً على أســاس ختم القــرآن نظـــراً، وتحفيظ جـــزء (عم) غيبـــاً مع المبـــاديء اللازمة كالحساب والخط والسيرة النبوية[2] .

تم إرســاله إلى مكة المكرمة تحت رعاية الشــيخ رحمت اللــه، ثم أوكل إليه إدارة المدرسة الصولتية، توفي سنة 1357هـ .

انظر: زهير كتبي: رجال من مكة المكرمة: (4/35-199) .

[1] (?) شادية محمد باشماخ وفايزة عبدالله العريـاني ونجـوى عبد الرحيم شاهين ونوره صالح الفريح: خطوات تعليم المـرأة في مكة المكرمة، ص(32)، إدارة الإشراف التربوي، الإدارة العامة للتعليم بمكة المكرمة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، (1420هـ) .

[2] (?) مسعود سليم: المدرسة الصولتية وجهاد قـرن من الزمـان،

6- المسجد الأثري بالمدرسة الصولتية:

قام الشيخ رحمه الله الكيرانوي ببناء مسجد أثري بالمدرسة سنة (1302هـ) وقد بناه من أحجار (مكتبة الحرم الشريف) وذلك عندما هدمتها الحكومة العثمانية لقربها من زمزم ومضايقتها للحجاج .

وكان الشيخ قد طلب (أنقاضها) من والي مكة (عثمان نوري باشا) [1] فلما وافق الوالي ببيع مخلفات بناء مكتبة الحرم بألف وخمسمائة ريال على يد الشيخ، نقل الشيخ أحجار المكتبة وأنقاضها إلى المدرسة، بعد دفع الثمن المتفق عليه .

وبدأ ببناء مسجد ضخم بها، وقد اشترك الشيخ بنفسه وأساتذة المدرسة وطلابها في بناء هذا المسجد حيث كانوا يساعدون المعماريين الذين طلبهم الشيخ من الهند .

وبسبب ظروف مادية قاسية اضطر الشيخ إلى بيع بيته في مكة، حتى يتم بناء المسجد حسب رغبته، على طراز مساجد الهند الإسلامية .

وهكذا تم بناء هذا المسجد الأثري بأحجار مكتبة الحرم الشريف في سنة ألف وثلاثمائة وأربع من الهجرة[2] وظل

ص(158) . (مقال بمجلة المنهل) .

[1] (?) هو (نوري باشا) كان رجلاً عسكرياً قاسياً، عين والياً على الحجاز سنة 1299هـ.

انظر: محمد ملكاوي: المناظرة الكبرى: ص(40) .

[2] (?) محمد سليم: أكبر مجاهد، ص(65-66)، وأحمد السقا: المدرسة الصولتية، ص(36)، وعبد الرحمن صالح: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ص(125) .

المسجد تحت رعاية نظار المدرسة ومـديروها الأفاضل منذ العلامة محمد سـعيد إلى مـدير المدرسة الحـالي العلامة الشيخ ماجد سعيد بن مسعود حفظهم الله ورعاهم .

7- مكتبة المدرسة الصولتية:

لا يخفى على أحد ما للمكتبة من أهمية قصـوى في تثقيف الشـباب، وتزويـدهم بـالكتب العلمية النافعـة، وتشجيعهم على القراءة والبحث .

وهـذا ما أدركه الشيخ رحمه الله، فمنذ تأسيسه للمدرسة الصـولتية أنشأ فيها مكتبة علمية يأتيها الطلاب في غـير أوقـات الـدرس، تقـدم لهم الكتب العلمية .

وكـانت المكتبة في أول أمرها في غرفة من غـرف البناية الأولى للمدرسـة، وهـذه المكتبة هي نـواة مكتبة الشيخ المؤسس ~، الذي أخذ يوفر لها عدد من الكتب عن طريق الشـراء والاهـداء من مكتبته الخاصـة، بالإضـافة إلى مايوقف أو يهدي للمكتبة من عدد من الشخصيات والجهات المختلفة .

فنظراً لكثرة مايرد إلى المكتبة من كتب قيمة، أصبحت تلك الغرفة لاتتسع لهذا العدد الكبير من الكتب .

وفي عهد خليفته الشيخ محمد سعيد رأى بثـاقب فكـره أن يخصص عمـارة مسـتقلة لمكتبة المدرسة، فسعى إلى بنـاء مبـنى على أرض بجـانب المدرسة بواسطة تبرعات أهل الخير، وعند اكتمال المبـنى انتقلت إليه بعض الفصـول وخصصت غرفة خاصة بالمكتبة في المبـنى

الأول، وخصصت كــذلك غرفة للمطالعــة، بالإضــافة إلى تخصيص غرفة أخرى للصحف والدوريات.[1]

والمكتبة حاليـــــاً غنية بكتبها الدينية والأدبية والعلمية والمخطوطـات المختلفة مما يـدل على اهتمـام القـائمين عليهــا، حيث بلغ عـــدد الكتب في عهد المؤسس (2319) كتاباً، وتضم حاليـاً عـدداً من الأقسـام كقسم الكتب العامة وفيه (9939) مجلداً، وقسم المخطوطـات وعـددها (800) مخطـوط، وقسم الصـحف والـدوريات هـذا بالاضـافة إلى احتواء المدرسة على نظام فهرسة وتصنيف ونظام إعـارة، ويشـــرف على المكتبة حاليــاً موظفــون مختصــون تحت إشراف مدير المدرسة[2] .

8- الخدمات الاجتماعية بالمدرسة:

تـوفر المدرسة العديد من الخـدمات الاجتماعية سـواء كان للطلاب، أو لعامة أفراد المجتمع أو للحجاج .

فالمدرسة تضم قســـماً داخليـــاً يســـكنه الطلاب المحتـاجون للسـكنى المنقطعـون للدراسة ويشـتمل على عـدة غـرف، يـأوي إليه الطلاب في غـير أوقـات الدراسـة، حيث يـوفر للطلاب الفقـراء أو الغربـاء المسـكن والمأكل مجاناً[3] .

---

[1] (?) أحمد السقا: المدرسة الصولتية، ص(36)، ومحمد ملكاوي: مقدمة المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمت الله الهندي وفندر، ص(36)، موقع المدرسة على شبكة الانترنت: www.alsawlatiyah.com

[2] (?) موقع المدرسة على شبكة الانترنت: www.alsawlatiyah.com

[3] (?) محمد سليم : أكبر مجاهد، ص(65)، عبد الوهـاب إبـراهيم أبو سليمان: الوقف مفهومه ومقاصده، ص(23)، 1420هـ، وزارة

وهناك أيضاً دار الشفاء التي أنشأها محمد سليم عـام (1364هـ) وهي وحدة صحية متكاملـة، جعلت بإحـدى غـرف المدرسة لخدمة طلابها وأســاتذتها وســكان مكة المكرمة والمعتمرين وتلك بادرة لم تسبق في مدارس مكة .

وفي عام (1366هـ) اجتمعت هيئة دار شـفاء الصـولتية الطبي، وقررت تأسيس مجلس طبي باسم اللجنة الطبيــة، وتم الاتفاق على عمل مبنى خـاص ومسـتقل لـدار الشـفاء والعناية الطبية بالطلاب والعمل بصفة مسـتمرة في موسم الحج ورعاية الفقراء والغرباء .

ولم تكن دار الشفاء مجرد وحدة صـحية لصـرف العلاج والكشف عن المرضــى، بل كــانت مقــراً لتعليم مبــاديء الطب اليوناني للراغبين من طلبة المدرسة[1] .

9- العقبات التي واجهت المدرسة بعد تأسيسها:

تعرض الشيخ رحمه الله مؤسس المدرسة لكثير من الصعوبات التي كادت أن تقضي على جهوده في سـبيل بنـاء المدرسة وتشييدها .

فقد حـــاولت القنصـــلية الإنجليزية في جـــدة إغلاق المدرسة بإيحــائهم إلى الــوالي العثمــاني[2] بــأن المدرسة تشـــكل حركة أجنبية تعمل داخل بلاده وبـــذلوا كل جهد لإيقافهــا، وإغلاق أبوابها حــتى وصــلت وشــايتهم إلى أنهم

الشــؤون الإســلامية والأوقــاف والــدعوة والإرشــاد - الريــاض، (1420هـ).

1 (?) موقع المدرسة على شبكة الانترنت: www.alsawlatiyah.com

2 (?) وهو ’’نوري باشا‘‘ .

أقنعــوا الــوالي الجديد ’’نــوري باشا‘‘ بــأن المدرسة مركز حركة تعمل لهدم الخلافة العثمانية .

فبـدأ هـذا الـوالي يحـاول مضـايقة الشـيخ ليخنق عليه الجو، حـتى يضـطر الشـيخ إلى الخـروج من الحجـاز، ولـولا رحمة من الله بتــدخل الســلطان عبدالحميد خــان لنجحت القنصلية الإنجليزية في وقف المدرسة وإغلاقها، لكي يرجع الشيخ إلى الهند، وتقبض عليه سـلطات الاحتلال الإنجلـيزي وتشنقه أمام الشعب الهندي، كما شــنقت أصـحابه وقتلتهم بأشنع الطرق التي عرفتها البشرية .

ولكن الخطة التي رسمها الشـيخ لسـير أمـور المدرسة ضمنت استمرارها -والتي سـبق الإشـارة إليهـا- وملخصـها: وجـوب ابتعـاد الطلاب والمدرسـين عن الأمـور السياسـية والخلافات المذهبية والعصبيات القومية .

وكان لهذه الخطة -التي مازالت المدرسة سـائرة عليها إلى اليــــوم- الأثر الفعــــال في إبعـــاد الطلاب عن كل ما يشـغلهم عن العلم مما سـاعد على دوامهـا، رغم انقـراض غيرها من المدارس التي أنشئت بعدها[1] .

أما الصـعوبات الاقتصـادية الناتجة عن ضـعف الموقف المالي للمدرسة فهو نتيجة حتمية لما شـهدته المدرسة من تقلبات سياسية وكـوارث اجتماعية واضـطرابات عامة غـير مستقرة، سرعان ماتلاشى باستقرار تلك الأوضاع[2] .

---

[1] (?) محمد سـليم: أكـبر مجاهـد، ص(54-55)، وأحمد السـقا: المدرسة الصولتية، ص(35) .

[2] (?) انظـر: صـدى العلم من الحجـاز، ص(1)، نقلاً عن: محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني، ص(49) .

10- إنجازات المدرسة الصولتية:

إن الانجـازات والنتـائج الـتي ظهـرت على يد المدرسة الصولتية كثيرة، لايتسع مقام البحث لذكر جميعهـا، ولكن لا مـانع من التنويه إلى بعض الأمـور الهامة الـتي نتجت عن جهود الشيخ رحمت الله، من خلال تأسيسه للمدرسة، والتي شملت الحجاز وخارجها:

1-فقد تكونت جماعة المناظرين من علماء المسلمين، حيث خصص الشيخ المحاضرات اليومية لهـذا الغـرض، مما جعل الطلاب يعـودون إلى بلادهم بعد تخـرجهم ينـاظرون المنصرين ويردون عليهم .

2-زيادة حلقات العلم في المسـجد الحـرام، بعد تخـرج الدفعة الأولى من طلاب هذه المدرسة، بالإضافة إلى زيادة عـدد العلمـاء الـذين تخرجـوا منها ورجعـوا إلى بلادهم يؤسسون المدراس الدينية العربية .

3-تكـوين جماعة المتخصصـين في القـراءة والتجويـد، وزيادة عدد المقـرئين الـذين عـادوا إلى بلـدانهم لنشر هـذا العلم[1] .

ومع أن كتب التـاريخ ذاخـرة بمحاسن هـذه المدرسـة، وماقامت به من تقـديم خـدمات جليلة في الفـترة الأخـيرة من التاريخ، إلا أنني أكتفي بما يلي:

قال الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع (وكيل وزارة المعارف السـعودية) ووزير الحج والأوقـاف سـابقاً متحـدثاً

---

1 (?) انظـر: عبد الخـالق محمد سـعيد: رحمت الله الهنـدي وجماعته وجهـودهم في مواجهة الحملات التبشـيرية[التنصـيرية]، ص(515) .

عن الحركة العلمية في المملكة العربية السـعودية: « وإذا أردنا أن نقرر واقع الحركة التعليمية، رغم سوئه، فإن بداية القـرن التاسع عشر كـانت بداية إرهاصـات تعليمية ظهـرت في الأفق على يد أبنـاء البلاد وبعض الجاليـات الإسـلامية وأهمها المدرسة الصولتية بمكة »[1] .

وقد زار الملك عبد العزيز آل سعود[2] ~ هذه المدرسة في (28) من جمادى الثانية سنة (1244هـ) وتفقد فصـولها وأقسامها ةبناياتها وأثـنى على القـائمين عليها وقـال: « إن الصولتية هي الجامع الأزهر في بلادي »[3] .

ويـذكر بعض البـاحثين قـولاً في ذلك حيث يقـول: إن المدرسة الصولتية كانت « تعتبر أرقى المدارس والمتخـرج من صفوفها يعتبر عالماً » وقال: أن البـارزين من خـريجي هـذه المدرسة كـانوا يقومـون بالتـدريس في المسـجد الحرام[4].

---

1 (?) عبد الوهاب أحمد عبد الواسـع: التعليم في المملكة العربية السعودية، ص(29) .

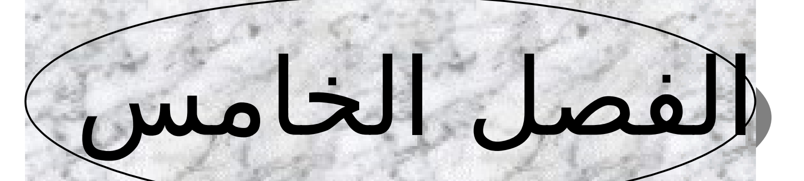
2 (?) هو الملك عبد العزيز بن عبد الـرحمن بن فيصل بن تـركي بن عبدالله بن محمد بن سـعود الكبـير أول من لقب بالسـلطان والملك، وقد ولد في الرياض سنة (1297هـ-1880م) وتوفي سـنة (1373هـ-1903م) وهو من أنشأ الدولة السعودية .

خير الدين الزركلي: الأعلام: (4/19) .

3 (?) انظـر: التقرير المكتـوب بمناسـبة مـرور مائة عـام على تأسيس المدرسة الصولتية، ص(2) .

4 (?) تقرير عن ماضي التعليم بمكة المكرمة (محفـــوظ في مكتبة الوثـائق التربوية بـوزارة المعـارف في الريـاض)، نقلاً عن: محمد الشامخ: التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثمـاني، ص(49) .





الفصل الخامس

مقاومة الشيخ رحمت الله الهندي للاحتلال الإنجليزي في الهند

وفيه مبحثـــــان : -

- المبحث الأول : **اشتراكه في الثورة وقيادته فرق الجهاد**.
- المبحث الثاني : **مصادرة أمواله وهجرته إلى مكة والقسطنطينية**.

المبحث الأول: اشتراكه في الثورة
وقيادته فرق الجهاد

لم تتوقف جهـــود الشيخ رحمه الله في مقاومة التنصـــير على التأليف وعقد المناظرات وإنشـاء مراكز الـدعاة، بل تعـدى ذلك كله ليجاهد النصــارى والمحتلين ويقــود فــرق الجهــاد بنفسه.

فبعدما تم للإنجليز من إنجازات باهرة في احتلال الهند، رأى العلمــاء والمجاهــدين ضــرورة جهــاد هــؤلاء المحتلين وطردهم عن بلادهم .

فكان للعلماء في الهند دور كبير في إشعال الثــورة ضد الإنجليز سنة (1857م)، وكانوا يفتون بوجـوب الجهـاد، وأن الانجلـيز يعـدون محـاربين للإسـلام، وقد أصـدروا في ذلك البيانــات الكثــيرة, وألقــوا الخطب ووزعــوا المنشــورات الداعية لذلك[1] .

ولقد اشـــترك الشيخ رحمه الله في إعــداد هــذه الفتــوى كما اشـــترك في مقابلة الإمـــبراطور لإقناعه بالاســـتمرار في المقاومة وأن لايأس من النجاح[2] .

---

1 (?) انظر: د/ عبـدالمنعم النمـر: تـاريخ الإسـلام في الهنـد, ص(424) .

2 (?) انظـر: محمد ميـان: ماضي علمـاء الهند المجيد (4/394)، نقلا عن عبد الخالق بن محمد سعيد: رحمت الله الهندي وجماعتـه، ص(466) .

ولما شاعت هذه الفتوى في هذا الــوقت, ثــار كثــير من النــــاس, وتجمع في دلهي عشـــــرات الآلآف من الجنــــود الثـــائرين، وتم اعلان القيـــادة العســـكرية واختيـــار الملك المغولي المسن (بهادرشاه) قائداً أعلى للثورة .

حينئذ اجتمع كثـــــير من المجاهـــــدين من مدينة دهلي وماجاورهــا، لخــوض المعركة ضد الإنجلــيز، وبــدأت فــرق المجاهــدين المســلمين تتــدفق من جميع أرجــاء الهند نحو العاصمة دهلي .

وهكذا اشترك المجاهدون المسلمون تحت قيادة علماء الإسلام في معارك ضارية ضد الإنجليز، حتى سـيطر الثـوار والمجاهدون على الموقف في العاصمة دهلي، وجرت دماء الإنجليز أنهاراً في الشوارع والبيوت، وكان القتل مصـير أي فــرد يتواطأ مع عــدو البلاد أو يخفيهم في بيتــه، وكــان من الممكن أن تنجح هذه الثورة في دهلي وفي غيرها؛ لــولا أن حدث الخلاف بين الأمراء من أسرة الملك وماقام به الثوار من عدم تحمل المسؤولية[1].

وكــان الشيخ رحمه الله الــذي انتصر على المنصــرين في الهند أول المجاهدين بأنفســهم وأمــوالهم في ســبيل الله لإخــراج المســـتعمر من أرض الهنـــد، فقـــام بـــإعلان الثـــورة على الانجليز، وحث المسلمين على بذل أموالهم وأرواحهم .

ولما ثار الجنود في حامية (ميرت) بسبب إجبار الضباط الإنجليز لهم على استعمال دهن الخنزير والبقر في تشحيم البنـــادق[2]؛ اتصل بهم الشيخ رحمه الله ووضع لهم خطة الوصـــول

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: ص(468-469) .

2 (?) انظر: ص(21) من هذا البحث .

إلى دهلي, وكـــان يعاونه في ذلك د/ محمد وزير خـــان[1]، ومولوي فيض أحمد بدايوني[2] كما كان يعاونه الحـاج إمـداد الله لتنظيم الثورة في مديرية شاملي وكيرانة[3].

فقام الشيخ بتنظيم الحركة في قلعة شـاملي وكيرانـه، وقـام بجمع النـاس في الأخـيرة ودعـوتهم للجهـاد، وكـان يرسل كتـائب المجاهـدين للهجـوم على ثكنـات الجيـوش الإنجليزية ولمساعدة المجاهدين إلى المناطق المختلفة .

ولما تضايق الثـوار في دهلي تحـرك إليها الشيخ رحمت الله من معسكره في (نجيب أباد) ومعه مئتا جندي[4] .

---

1 (?) درس الطب في لنـدن وتخـرج عـام (1832م) وكـان يتقن الإنجليزية واليونانيـة، اطلع على النصـرانية من مصـادرها الأصـلية، وأحضر معه مكتبة زاخـــرة عن النصــــرانية بلغاتها الأصــــلية وقد استعان به الشيخ رحمت الله في جهاده العلمي، وشارك خـان في ثــورة (1857م) ثم هــاجر إلى مكة المكرمة وتــوفي في المدينة المنورة ودفن بالبقيع .

انظر: عبد الحي الحسين: الثقافة الإسلامية في الهنــد: ص(226)، ومقالة الندوي: مولانا رحمت الله بمجلة البعث الإسلامي، ص(55) جمادى الآخر (1399هـ) .

2 (?) مولوي فيض أحمد بدايوني: عـالم جليل ومجاهد باسل قـاد حركة الجهاد في ميادين القتال ضد الإنجليز .

انظر: عبد الخالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهنـدي وجماعتـه، ص(461-467) .

3 (?) انظــر: عبد الخــالق بن محمد ســعيد: رحمت الله الهنــدي وجماعته، ص(473-474) .

4 (?) انظــــر: عمر عبد الجبــــار: دروس من ماضي التعليم، ص(95)، والشـيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهـد: ص(42-43)، وسـعيد

لقد كانت أسلحة المجاهدين بسـيطة لا تقـاس بأسـلحة الإنجلـيز، لكن أعنف المعـارك وأكثرها خسـارة في الجيش الإنجليزي تلك المعارك الـتي خاضـها المجاهـدون والعلمـاء باذلين أرواحهم دفاعاً عن دينهم وقد اعترف الإنجليز بـذلك في كتابـــاتهم وفي رســـائلهم لأهليهم وقد كـــان « حنقهم شـديداً على المسـلمين وأهل الخطر منهم، ومن له شـأن في المجتمع الهنـدي، يعلقـونهم على المشـانق ويقتلـونهم بتعـــذيب وإهانـــة، ويبحثـــون عن كل من كـــان له كلمة مسـموعة، أو نفـوذ في المجتمـع، وكـان من ضـمنهم وفي مقـــدمتهم الشيخ رحمت الله الكـــيرانوي الـــذي انتصر عليهم في المعركة الدينية وأسهم في الكفاح ضدهم ... »[1] .

الأعظمي الندوي مقالة له بعنـوان: الصـراع بين الفكـرة الإسـلامية والفكرة الغربية في الهند خاصة بمجلة البعث الإسلامي، ص(167) عـــدد (5-6-7) مجلد (20) ســنة (1396هـــ) ود/ محمد ملكــاوي: المناظرة الكبرى: ص(29-30) .

[1] (?) مقالة بعنـوان: (مولانا رحمت الله الكـيرانوي) لأبي الحسن النووي بمجلة البعث الإسلامي، ص(57-58) عدد(9)، جمادى الآخر سنة (1399هـ) .

المبحث الثاني: مصادرة أمواله وهجرته إلى مكة والقسطنطينية

أولاً: مصادرة أمواله وهجرته إلى مكة:

حينما فشلت ثورة (1857م) والـتي كـانت آخر محاولة يائسة لتحرير الهند المسـلمة من بـراثن الاحتلال الإنجلـيزي، وغلب الإنجلـيز على المسلمين المجاهدين بقوتهم العسكرية ومكايدهم الخسـية بالتحالف مع الهندوس والسيخ والشـيعة، أصـدرت الشـركة الإنجليزية
أوامر القبض على جميع قـادة المجاهـدين المسـلمين والتـابعين لهم، حيث يعـدونهم أصـحاب الفكر والقيادة في الثورة .

ونصبت أعواد المشانق لعلماء المسـلمين والمجاهـدين في الشوارع والميادين العامة ودخلت جيـوش الإنجلـيز كل بيت ومسـكن ومتجـر، وقتلت أصـحابها وهتكت الأعـراض ونهبت الأموال وعمت الفوضى[1] .

انتشـرت قـوات الجيش الإنجلـيزي في أنحـاء البلاد للقبض على قـادة الجهـاد، وشـنت حملات مكثفة للبحث عنهم، وضمن هذه الحملات وصلت قوات الجيش الإنجليزي إلى مدينة كيرانه، وحاصرت المدينة، ونصبت المدافع أمـام محلة الشيخ رحمت الله (دربـاركلان)، وكـان الشـيخ موجـوداً في

---

1 (?) انظـر: عبد الخـالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهنـدي وجماعته: (488-497) .

إحدى حجرات الطابق العلوي من المسـجد، كما كـان بعض المجاهدين في فنائه .

وحينما سـمعوا محاصـرة الجيـوش الانجليزية للمدينـة، وخاصة لمحلة الشيخ، أخبروا الشـيخ فقفز من أعلى مبـنى المســجد، وأمر زملائه بـــالخروج معه والاتجـــاه إلى قرية (بنجيت)، ووصل الشـيخ قرية (بنجيت) مع أصـحابه، وحينما دخل الإنجلـــــيز في مدينة كيرانه وخلا جميع الـــــبيوت من سـكانها، وجمعـوهم في ناحية المدينـة، ففتشـوا بيتـاً بيتـاً، وسألوا فرداً فرداً من الرجال والنسـاء والأطفـال ولكن لم يطلعوا على شيء .

وحينما فشلوا في العثور على الشيخ بدأوا بنهب أمـوال المدينة، وقتل أفرادها .

وبعد تفـــتيش مدينة كيرانة وتخريبها وقتل أهاليها ونهب أموالها، توجهـوا إلى المنـاطق الأخـرى بحثـاً عن الشيخ رحمه الله، وأخيراً وصلوا إلى قرية (بنجيت) التي كـان الشـيخ مختفيـاً فيها مع بعض زملائه المجاهـــــدين، فطلب عمـــــــدتها من الشيخ رحمه الله أن يتزيا بزي الفلاحين ويخرج للعمل في الحقـول فعمل الشـــيخ بمشـــورته، ومـــرت قـــوات الانجلـــيز على الشيخ رحمه الله فســألوه وزملاءه عن الشيخ رحمه الله ولم يعرفـــوه، ثم سألوا النساء والأطفال، فأنكروا معـرفتهم لهـذا الاسـم، ثم قـــاموا بتفـــتيش القرية واســـتفزاز أهلها بـــالنهب والتهديد بالقتل، وقبضوا على أربعة عشر شاباً كرهائن .

فأراد الشيخ أن يسلم نفسه للإنجليز لكن العمدة أخبره بعدم مبـالاة أهل القرية ولو أعـدموا كلهم، ولما يئسـوا من العثـور عليه أطلقـوا المعتقلين وقبضـوا على العمـدة بتهمة إخفاء الشيخ، ورفعوا أمر الشيخ إلى المحكمة بتهمة قيادته

للثورة، وإحـداث الشـغب والخـروج على القـانون، وأعلنـوا عن جائزة مقدارها ألف روبية لمن يأتي بالشيخ حياً أو ميتاً، ولكن بلا جـدوى، فـزادت نقمتهم على المسـلمين وبالـذات في مقاطعة كيرانه، لا لشيء إلا لأن الشيخ ينتسب إليهم .

وبثـوا عيـونهم للتحـري عن الشـيخ لكن الله هـداه لأن يغـير اسـمه بإسم (مصـلح الـدين) ويخـرج مـاراً بـالقرى والفيـافي إلى (سـورات) ثم إلى (بومبـاي)، وقد رأى فتك الإنجليز بالمسـلمين وذبحهم للعلمـاء على قارعة الطريـق، ومن (بومبـاي) ركب زورقـاً شـراعياً إلى المينـاء اليمـني (مخـا) لأن السـفينة الـتي تبحر من (بومبـاي) إلى جـدة قد فاتتـه، بالاضـافة إلى أن مينـاء بومبـاي يخص بـالموظفين والجنود الانجليز .

ولما وصل إلى (مخا) سافر إلى مكة المكرمة فوصــلها بعد ســنتين من الســفر المضي بين الــبر والبحر ســنة (1278هـ-1862م)، مهـاجراً إلى الله تاركـاً ممتلكاته الثابتة والمنقولة التي قام الانجليز باحصائها وإعلانها للبيع بــالمزاد العلــني، فــبيعت بــألف وأربعمائة وعشــرين روبية وقيمتها الحقيقية عشرات الألوف لما فيها من القصور والمزارع[1] .

---

[1] (?) انظـر: الشــيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهـد، ص(43-45)، وعمر عبد الجبـــار: دروس من ماضي التعليم، ص(95)، وأحمد السقا: المدرسة الصولتية، ص(29)، وعبد الخالق بن محمد سعيد: رحمت الله الهنــدي وجماعتــه، ص(497-500) ومحمد ملكــاوي: المناظرة الكبرى: (31-32) .

ثانياً: رحلاته الثلاث إلى القسطنطينية:

1- الرحلة الأولى سنة (1280هـ):

أصيب السلطان عبد العزيز خان[1] بغم شديد لسماعه أكاذيب فندر عن المناظرة، فكتب رسالة عاجلة إلى شريف مكة[2]، للاستفسارمن الحجاج الهنود عن قصة المناظرة وثورة سنة (1857م) وإعلام الباب العالي بحقيقة الأمر، فأخبره الشريف بأن الشيخ رحمه الله موجود في مكة، فطلبه السلطان كضيف خاص، وودعه والي مكة كضيف ملكي.

وعند وصوله إلى الاستانه في رجب سنة (1280هـ) ديسمبر (كانون الأول) لعام (1863م) استقبله السلطان عبد العزيز خان في موكب رسمي، وأنزله بالقصر الهمايوني، وأقام له حفلة كبيرة حضرها الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة، ثم طلب من الشيخ أن يحدثهم عن المناظرة والثورة ودور العلماء فيها، والمذابح الوحشية على يد الانجليز .

---

[1] (?) هو سلطان الدولة الثاني والثلاثون، عم السلطان عبدالحميد الثاني، ولد عام (1245هـ-1830م)، تولى العرش عام (1277هـ-1861م) وخلع في جمادى الأولى عام (1293هـ) في نهاية شهر مايو (أيار) عام (1876م)، وتوفي بعد أربعة أيام من خلعه، واهتم بالأسطول العثماني حتى كان ثالث أسطول في العالم وأنشأ المدارس العسكرية وعزز القوات البرية حتى بلغت (700ألف) .

انظر: مذكرات السلطان عبدالحميد: ترجمة محمد حرب: ص(134)، (1978م)، دار الأنصار-القاهرة.

[2] (?) وهو الشريف عبدالله بن عون .

وكـــان فنـــدر قد فر من تركيا عنـــدما ســـمع بوصـــول الشيخ رحمه الله إلى الاســتانة وإكــرام الســلطان لــه، ولما اطلع الســـلطان على الحقيقـــة، أمر بـــالقبض على المنصـــرين ومصـادرة كتبهم وإغلاق مراكــزهم، سـداً لبـاب الفتنـة، ثم طلب السلطان من الشيخ في هذه الزيارة تأليف كتاب في الرد على النصرانية، فألف كتابه (إظهار الحق) .

وكـــان الشيخ رحمه الله يلتقي بالســلطان بعد صــلاة العشـــاء يتبـــــــــــادلان الحـــــــــــديث وكـــــــــــــان يحضر جلســات المجلس الأعلى لشــؤون الدولة مع رئيس الــــــــوزراء خــــــــير الــــــــدين باشا التونسي[1] وغيره من كبار رجال الدولـة .

وقد عين له الســلطان راتبـاً شـهرياً قـدره خمســمائة مجيــدي، وعينه عضــواً لمجلس الــوالي بمكــة، وأنعم عليه بالخلعة السلطانية وبالوســام المجيــدي من الدرجة الثانيــة، تقديراً لجهوده في مقاومة التنصير والاستعمار، ثم اســتأذن الســلطان في العــودة إلى مكة المكرمة لمواصـلة تدريسه في الحرم الشريف فأذن له وودعه بنفسه[2] .

---

1 (?) مــؤرخ وسياسي قــدير تــولى عــدة مناصب في الحكومة العثمانية ولد سنة (1225هــ-1810م) وهو تــركي الأصل له كتـاب مطبوع (أقوم المسالك في معرفة أحـوال الممالـك) تـوفي سـنة (1308هـ-1810م)، انظر: الزركلي: الأعلام: (2/327) .

2 (?) انظر: الشيخ محمد سليم: أكـبر مجاهـد: ص(47-49)، ود/ أحمد الســقا: المدرسة الصــولتية: ص(30)، وعمر عبد الجبــار: دروس من ماضي التعليم: ص(96)، ود/ محمد ملكاوي: المناظرة الكـبرى: ص(38-39)، وعبد الخـالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهندي وجماعته: ص(530-533) .

2- الرحلة الثانية إلى القسطنطينية عام (1301هـ):

لما عين عثمـان نـوري باشا واليـاً على الحجـاز سـنة (1299هـ) وكان رجلاً عسكرياً قاسـياً، راودته الشـكوك في المدرسة الصـولتية ومؤسسـها بسـبب وشـايات الانجلـيز وإقناعهم إياه بأنها حركة تعمل لهدم الخلافة العثمانية .

ولما سمع السلطان عبدالحميد الثاني[1] بالتوتر الشـديد بين الشـيخ والـوالي، أرسل يطلب حضور الشيخ إلى دار الخلافة، وظن عثمان نوري أن الشـيخ سـيلقى جـزءاً قاسـياً، لكنه قوبل بالتكريم وبقي مع كبار رجال الدولة، وأنعم عليه السـلطان عبدالحميد بالخلعة الملكية الذهبية وبالوسام المجيدي قبل أن يقابله .

---

[1] (?) ولد عـام (1258هـ-1842م) وتـولى السـلطة عـام (1293هـ-1876م)، كـان يعمل لجمع شـمل المسـلمين وتوحيد صـفهم ضد الغـرب واليهودية العالميـة، ورفض السـماح لليهـود باستيطان فلسـطين، لـذلك عـاداه اليهـود والغـرب فأثـاروا الفتن الداخلية والخارجية حتى تم عزله عام (1909م).

انظر: مذكراته: ص(3-12) .

كما منحه شيخ الإسلام أحمد أسعد العرياني[1] (سند رؤوس) من المشيخة الإسلامية وهي وثيقة الشرف والامتياز للعلماء والمجاهدين .

ولما قابل السلطان اعتذر له السلطان عن تأخر المقابلة بينهما، ومنحه لقب (فايا حرمين شريفين) -أي ركن الحرمين الشريفين- وألبسه عباءة هذا اللقب، كما منحه سيفاً من ذهب منقوش عليه العبارات التمجيدية منها: « السلاح زينة لمن يجاهد في سبيل الله » وأهداه هدايا كثيرة، وقرر له راتباً شهرياً مقداره خمسة آلاف قرش .

أقام الشيخ في دار الخلافة مدة التقى فيها بالسلطان عدة مرات، تبادلا فيها الرأي في الأمور الدينية والسياسية الهامة، وقد اقترح على السلطان أن يمنع دخول الانجليز إلى عدن خشية تغلغلهم في البلاد الاسلامية .

ولما أراد العودة إلى مكة، أراد السلطان تقرير هبة مالية سنوية للمدرسة الصولتية لإعانتها على أداء رسالتها، لكن الشيخ اعتذر بكفاية إعانات المحسنين لنفقاتها، فودعه السلطان وداعاً رسمياً واستقبله أهل مكة وعلى رأسهم أميرها عثمان نوري الذي اعتذر للشيخ عما بدر منه .

---

[1] (?) ولد سنة (1865م) وكان عالم دين وسياسة، عمل رئيساً لمجلس الأبحاث الشرعية ثم قاضياً للعسكر، ونفي إلى ميديللي بعد عزل السلطان عبدالحميد، ثم عفي عنه وتولى نظارة العدلية بعد الحرب العالمية الأولى، ثم عمل عضواً في مجلس الشورى في الدولة، توفي سنة (1941م) .

مذكرات السلطان عبدالحميد: ص(144) .

ودامت المراسـلات بين الشـيخ والسـلطان عبدالحميد بالعربية والفارسـية، أما الأوسـمة والألقـاب فلم يسـتعملها الشـيخ طيلة حياته زهـداً منه وورعـاً وترفعـاً عن الظهـور بمظهر يؤثر على مكانته الدينية والعلمية[1] .

3- الرحلة الثالثة إلى القسطنطينية عام (1304هـ):

لما علم السلطان بأن الشيخ أصيب بضـعف في بصـره حـــتى عجز عن القـــراءة والكتابة طلبه على عجل للعلاج، فكـــانت رحلته الثالثة ســـنة (1304هـــ) اســـتجابة لرغبة السلطان رغم المرض وصعوبة السفر .

ورافقه في هـذه الرحلة تلميـذه الأسـتاذ (عبدالله جي) الـذي قيد أحـوال الرحلة مشـيراً إلى التكـريم الـذي لقيـاه وأنهمـا، كانا يفطـران مع السـلطان ويصـليان معه العشـاء والـــتراويح، وأن الســـلطان دعا خمسة أطبـــاء مع طبيبه الخاص لفحص عيني الشـيخ، فقـرروا إجـراء عملية جراحية بعد شهرين ريثما يخف نزول الماء في عينه .

لكن الشيخ اعتذر عن إجراء العملية لصـعوبتها في ذلك الزمان، كما اعتذر عن طلب السلطان الإقامة بجواره، لأنه يريد أن يموت في مكة .

---

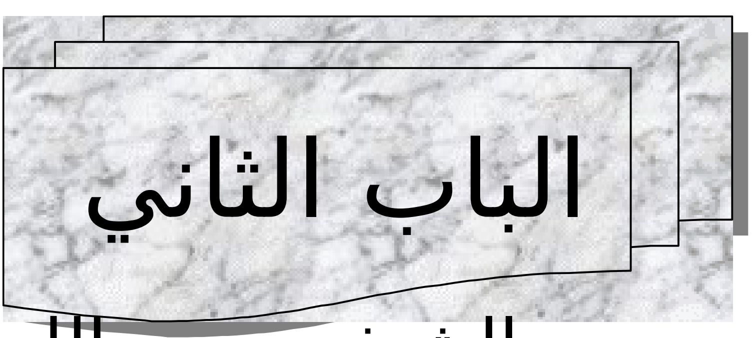
1 (?) انظـر: الشـيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهـد: ص(57-61)، أحمد الســقا: المدرسة الصــولتية: ص(30)، وعمر عبد الجبــار: دروس من ماضي التعليم: ص(96)، و محمد ملكـاوي: المنـاظرة الكـبرى: ص(39-41)، وعبد الخـالق بن محمد سـعيد: رحمت الله الهندي وجماعته: ص(523-537).

فودعه الســــلطان، ووصل الشـــــيخ إلى مكة في ذي القعدة سنة (1305هـ) وبعد شـهور من وصـوله إليها عمل له أحد الأطباء في مكة العملية الجراحية ولم تنجح .

وكـان حفيـده محمد سـعيد -المـدير الثـاني للمدرسة الصولتية- يقرأ له الرسائل الـواردة ويكتب له الـردود عليها بإملائه رحمهما الله تعالى[1].

---

[1] (?) انظـر: الشـيخ محمد سـليم: أكـبر مجاهـد: ص(61-64)، وأحمد السـقا: المدرسة الصـولتية: ص(30)، وعمر عبد الجبـار: دروس من ماضي التعليم: ص(96)، و محمد ملكـاوي: المنـاظرة الكــبرى: ص(41)، وعبد الخــالق بن محمد ســعيد: رحمت الله الهندي وجماعته: ص(537) .



جهود الشيخ رحمت الله في الدفاع عن العقيدة

وفيه ستــة فصــول **: -**

- الفصل الأول : **منهج الشيخ في الاستدلال على مسائل العقيدة**.
- الفصل الثاني : **التوحيـــــــد** .
- الفصل الثالث **: النبــــــوة** .
- الفصل الرابع : **حقيـة القـرآن الكريــم** .
- الفصل الخامس **: اليــوم الآخــــر** .
- الفصل السادس **: موقفـه من المخالفيـن** .



الفصل الأول

منهج الشيخ رحمت الله الهندي في الاستدلال على مسائل العقيدة والرد على المخالفين

وفيه أربعــة مباحــث **: -**

المبحث الأول : **منهجه في الاستدلال العقلي** .

المبحث الثاني : **منهجه في الاستدلال بالنصوص الشرعية** .

المبحث الثالث : **منهجه في التعامل مع نصوص كتب العهدين القديم والجديد** .

المبحث الرابع : **التزامه بآداب البحث والمناظرة**.



تمهيـــد:

يعد الاستدلال[1] جانباً أساسياً في العلوم الإسلامية بصـفة عامة، وفي العقيدة بصـفة خاصـة، ذلك لأن العقيـدة الإسـلامية قائمة -في مواجهة الخصوم- على الحجة والبرهـان، يقـول الله تعالى : [illegible] [الأنبياء: 24].

وقال تعالى: [illegible] [البقرة: 111].

ولقد اتفقت الفرق المتكلمة في العقيدة ممن ينتسب إلى الإسـلام على عـدم ثبـوت شـيء في العقيـدة إلا بـدليل، إلا أن الاختلاف حصل في تحديد نــوع الأدلة الـتي يعتمد عليهـا، وفي تقـديم بعضـها على بعض، لكن عامة الفـرق قد ضـلوا في هـذا البـــاب ، ولم ينج إلا أهل الســـنة والجماعة الـــذين اعتصـــموا بالكتاب والسنة.

فقد ذهب المتكلمـــون إلى تقـــديم الجـــانب العقلي على الجانب السمعي، واعتبار العقل هو الأساس الـذي يجب يكـون تصوره منطلقاً لإثبات مسائل العقيدة، وذلك هو ما أشـتهر عن المعتزلة ومتكلمي الأشـــاعرة والماتريديـــة، لـــذلك اتبع هـــؤلاء منهجاً فلسـفياً وصـفه أحد المفكـرين بأنه أقل وضـوحاً وقـوة، وأنه منهج واه، لأنه منهج جـدل لا منهج اقنــاع، وأنه لا يصـلح لا

---

[1] (?) الاستدلال - في عـرف أهل العلم- هو تقرير الـدليل لإثبـات المـدلول، والـدليل هو الـذي يلـزم من العلم به العلم بشـيء آخـر. (انظر: الجرجاني: التعريفات، ص24-89، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط عام 1423هـ- دار الكتاب العربي - بيروت).

للعلماء، ولا للعامة، بل هو أعجز عن أن يقنع المتكلمين أنفسهم[1] .

ولهذا كان منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال هو المنهج الأقوم، الذي يعصم العقل ويورث العلم واليقين؛ لأنهم هم الذين اعتصموا بالوحي الإلهي وتقيدوا بحدوده، ولم يسمحوا لعقولهم أن تتجاوز طورها، أو تخوض فيما لا مجال لها فيه، قال تعالى : [illegible] [المائدة: 15-16].

ولما كان للشيخ رحمه الله منهجه[2] الخاص في الاستدلال على مسائل العقيدة والرد على المخالفين، قمت بتقسيم هذا الفصل إلى المباحث التالية:

المبحث الأول: منهجه في الاستدلال العقلي.

المبحث الثاني: منهجه في الاستدلال بالنصوص الشرعية.

المبحث الثالث: منهجه في التعامل مع نصوص كتب العهدين القديم والجديد.

---

1 (?) انظر: د/ محمود قاسم: مقدمة مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد (ت595هـ)، ص9، ط3، مكتبة الانجلو المصرية- القاهرة .

2 (?) المنهج: هو الطريق الواضح، ومنه قوله تعالى: [illegible] [المائدة: 48] أي طريقاً واضحاً بيناً. (انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، (1/346)، ط4، 1990م، دار العلم للملايين- بيروت - لبنان، وابن منظور: لسان العرب، (2/383)، ط1،1410هـ، دار صادر - بيروت).

المبحث الرابع: إلتزامه بآداب البحث والمناظرة.



المبحث الأول : منهجه في الاستدلال العقلي

يعتـبر العقل آلة الإدراك والتميـيز عند الإنسـان، وهو نعمة عظيمة وهبها الله الإنسـان، وفضّـله بها على كثـير من خلقـه، قال تعالى :

[illegible] [الإسراء: 70].

وفي آيـات كثـيرة دعا الله تعـالى الإنسـان إلى اسـتعمال عقله للتوصل إلى غايـات نبيلة في حياتـه، قـال تعـالى: [illegible] [يونس: 101]. وغير هذه الآية مما يدل على حجية العقل، وفضـله، واعتبـار حكمـه، ولكنه مع ذلك له طاقته وحدوده التي يجب أن يقف عندها ولا يتجاوزها.

لهذا فقد أدرك السلف حقيقة العقل ومكانته، فاسـتعملوه في مجالاته الصحيحة، دون أن يخوضوا فيما ليس له فيه مجال من الأمور الغيبية.

وقد حاولت في أثناء قراءتي لمؤلفـات الشيخ رحمه الله التعـرف على منهجه في الاستدلال بالعقل في المسـائل العقديـة، وهل هو على منهج المتكلمين الذين عظمـوا العقـل، وأعطـوه فـوق ما يستحق ؟! أم هو على منهج السلف الـذين انصـفوا العقـل، وأنزلـوه منزلتـه؟ فوجـدت أن الشيخ رحمه الله يوافق المتكلمين في منهج الاستدلال بالعقل.

فنجـده يجعل العقل أصل النقـل، فالقـدح في العقل قـدح

في العقل والنقل معاً، وأن مسائل العقيدة: إما مســائل عقلية يستقل العقل بمعرفتها، وإما مسـائل سـمعية لا يسـتقل العقل بمعرفتها

يقـول الشـيخ ~: عند مخالفة النصـوص للـبراهين العقلية يجب التأويل، لأن الحَالَ لا يخلو عن أربعة أمور:

« إما أن نعمل بكل واحد من دلالة البراهين ودلالة القول.

وإما أن تركهما.

وإما أن نرجح النقل على العقل.

وإما أن نرجح العقل على النقل.

والأول: باطل قطعاً وإلا يلزم كون الشـيء الواحد ممتنعـاً وغير ممتنع في نفس الأمر.

والثاني: أيضاً محال وإلا يلزم ارتفاع النقيضين.

والثالث: أيضاً لا يجوز لأن العقل أصل النقـل، فـإن ثبـوت النقل موقـوف على ثبـوت وجـود الصـانع وعلمه وقدرته وكونه مرسـلاً للرسـل، وثبوتها بالـدلائل العقليـة، فالقـدح في العقل قدح في العقل والنقل معاً.

فلم يبق إلا أن نقطع بصحة العقـل، ونشـتغل بتأويل النقل ... » [1].

وهـذا الكلام يـذهب بنا إلى القـانون الكلي عند المتكلمين عنـدما تشـكل عليهم النصـوص، فيحـاولون التوفيق بينها وبين العقل .

وحاصل هذا القانون، قـولهم: « اعلم أن الـدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجـدنا أدلة نقلية يشـعر

---

[1] (?) إظهار الحق: (3/732-733).

ظاهرها بخلاف ذلك؛ فهناك لا يخلو الحـال من أحد أمـور أربـع: إما أن يصـدق مقتضى العقل والنقل فيلـزم تصـديق النقيضـين وهو محال .

وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال .

وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظـواهر العقليـة، وذلك باطل لأنه لا يمكننا أن نعـرف صـحة الظـواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبـات الصـانع وصـفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وظهور المعجـزات على محمد .

ولو جوزنا القـدح في الـدلائل العقليـة؛ صـار العقل متهمـاً غير مقبول القول. ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول .

وإذا لم نثبت هــذه الأصــول، خــرجت الــدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح لتصـحيح النقل يفضي إلى القـدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل .

ولما بطلت الأقســام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هـذه الـدلائل النقلية إما أن يقـال: إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صـحيحة إلا أن المـراد منها غـير ظواهرها. ثم إن جوزنا التأويل واشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصـيل، وإن لم يجز التأويل فوضـنا العلم بها إلى الله تعالى » [(1)].

---

[1] (?) الفخر الرازي: أساس التقديس، ص(130)، ط1، 1415هـ-1995م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، وانظر: ابن تيميـة: درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، (1/4-6)، ط عــام 1399هــ- نشر جامعة الإمــام محمد بن ســعود الإســلامية، والجويني: الإرشـاد إلى قواطع الأدلة في أصـول الاعتقـاد، تحقيـق:

هـذا بالإضـافة إلى إقـراره بـاحتواء القـرآن الكـريم على الدلالات العقلية[1] .

وفي موضع آخر يحـدد الشيخ رحمه الله حـدود العقل ومجالاتـه، مما جعله يقسم المسـائل إلى عقلية وأخـرى سـمعية، فيقـول في إثبـات الحاجة إلى نـبي: « إن العقل لا يسـتقل في معرفة كثير من الأمور، مثل: المعاد الجسماني، وأكثر أحـوال الآخـرة، وبعض صـفات اللـه، ووظـائف العبـادات، وغيرها ... وإن حكم العقل فيما يستقل بمعرفته أيضاً لا يكون موثوقــاً به في جميع الأوقـات، لأن العقـول متفاوتـة، سـيما إذا لاحظنا أن للأمزجة والعادات أيضاً دخلاً في الاعتقادات، وأن لكل قـوم مشـهورات مخصوصة بهم مسـلمة عنـدهم، بل هي بمنزلة البـدهيات عنـدهم، وغـيرهم لا يسـلمونها، بل يردونها وجوبـاً، وكـذا إذا لاحظنا أن النفس مسـخرة للـوهم وله اسـتيلاء عظيم عليهـا... فالتفويض في مثل هذا الأمر إلى العقل مظنة التنـازع والتقاتل واختلال النظـام... فالعقل غـير كـافٍ، ولا بد من الاحتيـاج إلى نبي، وهذا النبي يعاضد العقل، ويؤكد حكمه، ويجعله موثوقـاً به فيما يسـتقل ذلك العقل بمعرفتـه، مثـل: وجـود البـاري وعلمه وقدرته، فيكونان، بمنزلة دليلين على مدلول واحد.

ويرشد العقل ويهديه فيما لا يستقل بمعرفته، مثل: المعاد

أسـعد تميم، ص(301-302)، ط1، 1405هــ- 1985م، مؤسسة الكتب الثقافيـة، والغـزالي: المستصـفى في أصـول الفقه تحقيـق: حمـزة زهـير حافـظ، (3/353)، شـركة المدينة المنـورة للطباعة والنشر - جـــدة، وأبي بكر بن العـــربي: العواصم من القواصـــم. (ضمن آراء أبي بكر بن العربي: لعمـار الطـالبي): (1/153)، ط1، 1413هـ، دار الثقافة- الدوحة.

[1] (?) انظر: إظهار الحق: (3/819).

الجسـماني، ويجعل الحكم مأمونـاً عن اشـتباه المشـهورات والوهميات بالأوليات، ويكشف عن وجوه الأشياء التي لا يـدرك العقل حسنها وقبحها، أو يكـون مخالفة العقل إياها على سـبيل الجزم » [1].

وقضـية اسـتقلال العقل بالدلالة على مسـائل الاعتقـاد، معتمـــــــــــدة عند المتكلمين من المعتزلة[2] والماتريدية[3] والأشاعرة[4] ؛ حيث قـرروا أن العقل هو المـيزان الصـحيح وأن أحكامه يقينية، فأقمحوا العقل في مجالات ليست من مجـالات بحثـه، فخـرج العقل بأحكـام باطلة وفاسـدة، وهي -بـزعمهم- يقينية.

ثم أرادوا أن يجمعـوا بين هـذه الأحكـام ونصـوص الـوحي، فتولد لديهم تعارض بين الأحكام العقلية التي توصلوا إليها وبين نصوص الوحي، فأرادوا أن يتخلصوا من هذا التعارض، فوضـعوا قانونـاً يسـمى بقـانون التأويـل، الـذي حاصـله أنه يجب تقـديم العقل على النقـل، وتأويل النقل -حـتى يتفق مع العقـل- أو

---

1 (?) التنبيهات في إثبات بعثة الرسل واليوم الآخر وحاجة الناس إليهمـا: (33-34)، ط1، 1414هـ- 1993م، الجفـان والجـابي للطباعة والنشر.

2 (?) انظر: القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تحقيـق: عبد الكريم عثمان، ص(88)، ط1، 1384هـ، مكتبة وهبة- القاهرة.

3 (?) انظر: أبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليـف، ص(4-6)، دار المشـرق- بـيروت، وعبدالحميد عبدالله الألوسـي: نـثر اللألي على نظم الأمـالي، ص(204) ط1، 1330هـ، مطبعة الشـابندر- بغـداد، والكمـال بن أبي شـريف: المسـامرة شـرح المسايرة لابن الهمام: ص(31-32)، ط1، 1317هـ، بولاق.

4 (?) انظـر: الـرازي: أسـاس التقـديس: ص(130)، والجويـني: الإرشاد: ص(301-302) والغزالي: المستصفى: (3/353-356).

تفويضة.

وهي مسألة نقدها وأبطلها كثير من علماء أهل السنة والجماعة، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ألف كتاباً ضخماً في إبطال قانون التأويل السابق عند المتكلمين هو: "درء تعارض العقل والنقل"، وكذا تلميذه ابن القيم ~ في الصواعق المرسلة فقد أفرد له قسماً كبيراً من كتابه.

وخلاصة إبطال هذا القانون في النقاط التالية:

1-من الخطأ اعتقاد أن الأدلة الشرعية منحصرة في خبر الصادق فقط، وأن الكتاب والسنة لا يدلان إلا على هذا الوجه، وهذا ما أدى إلى تقسيم أصول الدين إلى : العقليات، والسمعيات، وجعل القسم الأول مما لا يعلم بالكتاب والسنة، وهذا غلط، لأن القرآن الكريم دل على الأدلة العقلية وبينها ونبه عليها، فيكون شرعياً عقلياً، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالى عليها في كتابه العزيز من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة على توحيده تعالى وصدق رسله، وإثبات صفاته وعلى المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل وهي براهين ومقاييس عقلية [1].

وقسم شرعي سمعي، بمعنى أن الشيء المستدل عليه في هذا القسم "لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق، فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً"[2] .

فعلى هذا التقسيم لم يبق دليل صحيح إلا ودخل في هذا

---

1 (?) انظر: ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل: (1/198-200).

وانظر بعضاً من هذه الأدلة: ص(130) وص(451).

2 (?) المصدر السابق: (1/199).

التقسيم، ثم يبقى ما عداه بدعياً.

2-بعد العلم بأقسـام الأدلة الشـرعية، فإنه يكـون منـاط الـترجيح - على فـرض وقـوع التعـارض- بين قطعية الدلالة وظنيته، لا على كونه سمعياً أو عقلياً. والقسمة العقلية لوقـوع التعارض تكون هكذا:

إذا تعارض دليلان شرعيان سواء كانا عقليين، أو سمعيين، أو كان أحدهما سمعياً والآخر عقلياً، فإما أن يكونا قطعـيين، أو ظنيين، أو أحدهما ظنياً والآخر قطعياً من حيث الدلالة.

و**الصورة الأولى**: وهي أن يكون الدليلان قطعيين ممتنعة الوقوع.

وأما **الصورة الثانية**: وهي أن يكون الدليلان ظنـيين، فإنه يصـار إلى طلب تـرجيح أحـدهما على الآخر - في حالة تعـذر الجمـع- بـأي نـوع من أنـواع الترجيحـات الصـحيحة المعتـبرة، وبقطع النظر في كون الدليل الشـرعي سـمعياً كـان أو عقليـاً فإن لم يوجد مرجح قُدِّم السمعي.

وأما **الصورة الثالثة**: وهي أن أحد الدليلين يكـون قطعيـاً والآخر ظنيا؛ فإنه يقدم القطعي على الظني لرجحانه[1] .

3-نص الشيخ رحمه الله على أن العقل، أصل النقل، موافقـاً في ذلك قانون المتكلمين، ومعـنى ذلك أن الأدلة العقلية هي أصل في معرفة صحة الأدلة النقليـة، وتنحصر تلك الأدلة العقلية في إثبات الصانع وصفاته، وكونه مرسـلاً للرسـل، وعلى هـذا فـإن الـدعوى أعم من الـدليل، ذلك أن الـدليل دالٌ على أن بعض الأدلة العقلية هي أصل في معرفة الشـرع فتقـدم، والـدعوى: تقديم كل الأدلة العقلية.

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (1/79-80).

فبالتالي لا يدل الدليل على الدعوى كلها وإنما على بعضها وهذا جواب تسليمي[1] .

4-أن يقال: ما هي الأدلة النقلية التي تخالف الأدلة العقلية المثبتة لوجـود الله والرسـالة؟ والمتفق عليه بين الأشـاعرة والماتريدية أن الأدلة الدالة على صـفات الأفعـال اللازمة والمتعدية، إنما تـدل على قيـام الحـوادث بـذات البـاري، وهـذا يناقض دليل الحدوث المقام لإثبات وجود الباري تعالى.

وأيضا فالأدلة الدالة على الصفات المتقدمة، وعلى صفات الذات الخبرية إنما تدل على التركيب والتجسـيم، وهـذا ينـافي الوحدانية في زعمهم.

وجواب كلامهم: هو أن ما توهمـوه من أدلة عقلية هي في الحقيقة أوهام وشـبهات وخيـالات باطلة لا يعـارض بها الكتـاب والسـنة، مع العلم بأنه قد قـام الـدليل على صـحة السـمع للإجماع على عصـمة المبلِّغ، وأنه لا يمكن الشـهادة بصـحة كل الأمور العقلية[2] .

5-مسألة القـول بـأن القـدح في الـدليل العقلي قـدح فيه وفي النقلي، قول متنـاقض، إذ أنه يلـزم كـذلك من القـدح في الـدليل النقلي القـدح في الـدليل العقلي- فـإن العقل شـهد بصحة السمع، فـإذا طعن فيه ثانية كـان ذلك دليلاً على الطعن في شهادته أولاً[3].

وإن قيل: إن صحة النقلي مشروطة بتصحيح العقلي له أو

---

1 (?) انظر: درء التعارض: (1/173).

2 (?) سيأتي مناقشة مسألة التشبيه والتجسيم في الفصل الثاني بمشيئة الله تعالى.

3 (?) انظـر: ابن تيميـة: درء تعـارض العقل والنقـل: (1/170-171).

معلقة به، فقـول مآله إلى الكفر -والعيـاذ باللـه- إذ هو يسـاوي القول: بأن الإنسان يؤمن بالرسول ما لم يظهر له ما ينـاقض العقل. وهذا كل من الارتياب والشك الموجب لكفر صاحبه[1] .

بنـاءً على هـذا المنهج العقلي الـذي رسـمه الشيخ رحمه الله في مناقشة مسائل العقيدة نجده موافقـاً للتطـبيق خاصة في نفي بعض الصــفات، ولكن ليس في مجــال التقرير وإنما في الــرد والإبطال لعقائد النصارى -كماسيأتي بمشيئة الله تعالى- .

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (1/186-189).

المبحث الثاني:
منهجه في الاستدلال بالنصوص الشرعية

يــراد بالنصــوص الشــرعية تلك النصــوص المــأخوذة من الكتــاب والســنة، ويطلق عليها النقــل، لأن الكتــاب والســنة منقولان عن الرسول ، وينقله الناس خلفاً عن سلف.

وقد مــرّ معنا الإشــارة إلى أن الــدليل الشــرعي ليس محصوراً على ما أفاده الخبر بنصه فقـط، أو ما يسـميه البعض الــدليل الســمعي، المختص بما لا يمكن العلم به إلا بالســمع وخبر الصادق. الأمر الذي فهمه كثير من علماء الكلام، غـافلين عن الأدلة القرآنية الكثيرة التي فيها مجادلة ومحاجة المنكـرين للألوهيــة، والنبــوة، والبعث، وغيرها مع عــدم إقــرار هــؤلاء المنكرين من مشـركي العـرب - وأهل الكتـاب وغـيرهم بنبـوة محمد ولا بما أنزل عليه من وحي.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يؤكد على أن الدليل الشـرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً، ومعنى كونه شـرعياً يـراد به إما :

أ-كون الشرع أثبته ودل عليه.

ب-أو كون الشرع أباحه وأذن فيه.

فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإما أن يكون معلومــاً بالعقل أيضاً ولكن الشرع نبّه عليه ودل عليـه، فيكـون شـرعياً عقلياً، وهـذا كالأدلة الـتي نبه الله تعـالى عليها في كتابه العزيز من الأمثــال المضــروبة، وغيرها الدالة على توحيــده وصــدق رسله، وإثبات صفاته، وعلى المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم

صـحتها بالعقل وهو بـراهين ومقـاييس عقليـة، وهي مع ذلك شرعية[1].

وإما أن يكـون الـدليل الشـرعي لا يعلم إلا بمجـرد خـبر الصـادق ، فإنه إذا أخـبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً.

وأما إذا أريد بالشرعي ما أباحه الشرع وأذن فيـه، فيـدخل في ذلك ما أخـبر به الصـادق، وما دل عليه ونبه عليه القـرآن، وما دلت عليه وشهدت به الموجودات. والشـارع يحـرم الـدليل لكونه كـذباً في نفسـه، مثل أن تكـون إحـدى مقدماته باطلـة، فإنه كذب والله يحرم الكذب لاسيما عليه، كقوله تعالى: [الأعراف: 169].

ويحرمه لكون المتكلم به يتكلم بلا علم، كما قال تعـالى: [الإسراء: 36] [2].

ومن خلال ردود الشيخ رحمه الله على أهل الكتـاب، جـاء ضـمناً في تلك الردود أحكاماً عامة تشمل كل نص، سـواء كـان نصـاً شرعياً من الكتاب والسـنة أو غـير شـرعياً وهي نصـوص كتب العهدين.

ولما كان الحكم عاما، فنقـول: إن كـان يقصد بها نصـوص العهدين دون غيرها فذاك صحيح، أما إذا قصد كل نص؛ فالكلام ليس على إطلاقـه، لـذلك كـان لنا هـذه الوقفـات فيما يتعلق بالنص الشرعي.

---

1 (?) انظر: بعضا من تلك الأدلة: ص(130) وص(451).

2 (?) انظـر: ابن تيميـة: درء تعـارض العقل والنقـل: (1/198-200).

الأولى: التأويل:

لما الــتزم الشيخ رحمه الله بالعقل ومبادئة كمصــدر أساسي في التلقي، وقـــــــــــرر أن أحكامه يقينية قطعية[1] ، أخضع النص الشـــــرعي لهـــــذا الأصـــــل، ونظر إليه نظر المعتضد لا نظر المعتمد[2] ، فما وافق العقل من نصوص الكتـاب والسـنة حمل على ظـاهرة واحتج بـه، وما عارضه وجب تأويله[3] بصـرفه عن ظـــاهره[4] . ولم أقف على أي تأويل للشيخ رحمه الله من النصـــوص القرآنية أو الأحـــاديث النبوية وقد كـــان تأويله ~ منصــباً على نصـوص العهـدين، فقد قـرر القاعـدة، ثم لم يستعملها، وهـذه القاعـدة - كما سـبق- قاعـدة عامة في كل نص عنـده يخـالف العقل الذي عده ~ قطعياً.

وفي إبطال التأويل المذموم، أسرد هذه النقاط باختصار:

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/687).

2 (?) انظر: التنبيهات: (34).

3 (?) التأويل من الأَوْل: وهو الرجـــــوع، وتـــــدور في اللغة على المرجع والمصـير والعاقبـة، وبتتبع آيـات الكتـاب والسـنة وجد أن للتأويل معنيان: الأول: عاقبة الأمر ومصيره. والثاني: التفسـير وهو بيـان المعـنى وشـرح ألفـاظ الكلام، وكل منهما يكـون في الطلب والخبر، وهناك معـنى ثـالث للتأويل اصـطلح عليه المتـأخرون: وهو صـرف اللفظ من الاحتمـال الـراجح إلى الاحتمـال المرجـوح، وهو تعريف ليس معــروف عند السـلف (انظـر: ابن منظـور، لســان العـرب: (11/32)، الجـوهري: الصـحاح: (4/1627)، ابن تيميـة، الصفدية، تحقيق: محمد رشـاد سـالم. (1/291)، ط2، 1406هـ، مجمـوع الفتـاوى، جمع وتـرتيب: عبد الـرحمن محمد قاسم وإبنه (4/68-69)، ط1، 1423هـ، 2002م، مؤسسة الرسالة- بـيروت ، الدرء : (1/14-15).

4 (?) انظر: إظهار الحق: (3/685،687،751).

1- أن هـذا التاويل حـادث ولم يـرد في الكتـاب والسـنة، وعليه فلا يجـوز حمل النصـوص على مصـطلح حـادث، بل لا بد من الرجـوع أولاً إلى الاسـتعمالات الـواردة لهـذا اللفظ وقت الـنزول. ولفظ التأويل لم يـرد في الكتـاب والسـنة إلا بمعـنى المرجع والمصير أو التفسـير، فحمل لفظ التأويل على غيرهما باطل[1].

2- أسـاس التأويل عند المتكلمين هو دعـوى التعـارض العقلي مع السمع مما يوجب عندهم اعتبار ظاهر النص مؤولاً، وهذا عائد إلى أحد أمرين:

الأول: اعتبارهم لما يقيمونه من الأدلة العقلية ومعارضـين بها المعاني الصحيحة للآيات؛ اعتبـارهم إياها أدلة قطعيـة، بينما هي في الحقيقة ليست كذلك، فإنه إذا وزن بـالميزان الصـحيح كما يقول شيخ الإسلام « وجد ما يعـارض الكتـاب والسـنة من المجهولات لا من العقولات »[2] .

الثـاني: فهمهم من الآيـات معـاني باطلة يعتبرونها هي الظـواهر المسـتفادة من تلك الآيـات، ومن ثم يقيمـون الـدليل العقلي على اسـتحالتها ومن ثم يؤولونها بمعـان أخـرى[3] وبالتـالي ما بـني على باطل فهو باطل.

3- اضـطراب منهج المتكلمين في التأويـل، فلا نجد لهم قانونـاً مسـتقيماً للتأويـل، فهم لا يسـتطيعون أن يفرقـوا بين

---

1 (?) انظر: ابن تيمية الصفدية: (1/291)، والـدرء: (1/14-15)، ومجموع الفتاوى: (4/68-69).

2 (?) التدمرية: (149). تحقيـق: محمد بن عـودة السـعوي، ط1، 1405هـ، مكتبة العبيكان- الرياض.

3 (?) انظر: المرجع السابق: (69).

النصوص التي تحتاج إلى تأويل والتي لا يحتاج إليه[1] .

الجـدير بالـذكر هنا أن نشـير إلى أن السـلف لا يمنعـون التأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظـاهره إلى معـنى محتمل إذا وجد دليل يقتضي ذلك من كتاب وسـنة، والـذي يمنعونه أن يتم ذلك بلا دليـل، أو أن يعتقد الصـارف وجـود دليل يحيل المعـنى الظاهر وليس هو في حقيقته بدليل صحيح كما يتـوهم، كتـوهم نفـاة الصـفات أن العقل يمنع إتصـاف البـاري بالصـفات الـتي وردت في الكتاب والسنة، ومن ثم يؤولونها.

الثانية: المجاز:

يرى الشيخ رحمه الله ضـرورة حمل نصـوص العهـدين الـتي تثبت الرؤية على المجـاز، لأن الـدليل العقلي القطعي -عنـده- يمنع حمل اللفظ على الحقيقة.

يقول ~ :« ولا يدعي أن التأويل مجاز فكيف يرتكب؟ لأن المصــــير إلى المجــــاز يجب عند القرنية المانعة عن إرادة الحقيقة، سيما إذا دل البرهان القطعي على المنع »[2] .

فيفهم من كلامه ~ أن اللفظ إذا خـــــالف العقل وجب حمله على المجـــاز. وهـــذا الحكم إن اختص بنصـــوص كتب العهـدين، فهو صـحيح، وشـواهده كثـيرة ذكرها الشيخ رحمه الله في كتابه إظهار الحق[3].

أما عند تعميم الحكم كما في النص الســابق الــذي يفهم منــه: أنه حين مخالفة اللفظ للعقل وجب حمله على المجــاز، سواء كان نصاً شرعياً أو غير شـرعياً فهـذا مخـالف للصـواب.

---

1 (?) انظر: ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل: (5/343-345).

2 (?) إظهار الحق: (3/687).

3 (?) انظر: المرجع السابق: (3/688-704).

لأن القول بالمجاز قول مبتدع محدث لا أصل له، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « من قال من الأصوليين ... إنه يعرف الحقيقة من المجاز بطرق، منها: نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا: هذا حقيقة، وهذا مجاز، فقد تكلم بلا علم، فإنه ظن أن أهل اللغة قالوا هذا، ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها ... » [1].

فالقول بالمجاز - الذي هو قسيم الحقيقة - قول محدث. وقد حدث بعد القرون المفضلة، وكان منشؤه من جهة المعتزلة، كما نص على هذا شيخ الاسلام وتلميذه الإمام ابن القيم. [2]

ومما يبين عدم صحة القول بالمجاز أصل وضع اللغة، فالعرب « إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها. وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية. فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود، ولا أيضاً كل المعاني، فإن المعنى الإفرادي قد لا يعبأ به، إذا كان المعنى التركيبي مفهوماً دونه ... ولهذا أصل في الشريعة صحيح، نبه عليه قوله تعالى: الآية [البقرة: 177]، فلو كان فهم اللفظ الإفرادي يتوقف عليه فهم التركيبي لم يكن تكلفاً، بل هو مضطر إليه .. ..

---

1 (?) الإيمان: (73)، ط1، المكتب الإسلامي - دمشق.

2 **(?)** انظر: ابن تيمية: الإيمان: ص(73)، وابن القيم: مختصر الصواعق المرسلة: اختصار: محمد بن موصلي، (2/5)، مصورة رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء - الرياض .

فإذا كان الأمر هكذا فاللازم الاعتناء بفهم معنى الخطــاب، لأنه المقصود والمراد، وعليه يبنى الخطاب ابتداءً))[1]

والقول بالمجاز يصح -كما يقول شيخ الاسـلام- : « لو علم أن الألفاظ العربية وضـعت أولاً لمعـان، ثم بعد ذلك اسـتعملت فيها، فيكون لها وضع متقـدم على الاسـتعمال. وهـذا إنما يصح على قول من يجعل اللغـات اصـطلاحية، فيـدعي أن قومـاً من العقلاء اجتمعـوا واصـطلحوا على أن يسـموا هـذا بكـذا، وهـذا بكذا، ويجعل هذا عاماً في جميع اللغات. وهذا القـول لا نعـرف أحداً من المسلمين قاله قبل أبي هاشم الجبائي[2] ...

---

[1] (?) الإمام الشاطبي: الموافقات في أصـول الشـريعة: (2/87، 88)، بعناية محمد عبدالله دراز، دار المعرفة - بيروت .

[2] (?) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي (أبو هاشــم)، من شيوخ المعتزلـة، وإليه تنسب الطائفة الهاشـمية من المعتزلـة، توفي سنة 321هـ، من كتبه: الجامع الكبير، والاجتهاد (انظر: الإمام الـذهبي: سـير أعلام النبلاء: (15/63)، ط1، 1401هــ- 1981، مؤسسة الرسالة - بيروت، وعمر كحالة: معجم المؤلفين: (2/15).

والمقصـود هنا أنه لا يمكن أحـداً أن ينقل عن العـرب، بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضـــعوا جميع هـــذه الأسماء الموجودة في اللغـة، ثم اسـتعملوها بعد الوضـع، وإنما المعروف المنقول بالتواتر اسـتعمال هـذه الألفـاظ فيما عينـوه بها من المعاني ... فالمولود إذا ظهر منه التمييز، سـمع أبويـه، أو من يربيه ينطق باللفظ، ويشير إلى المعنى، فصــار يفهم أن ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى، أي: أراد المتكلم به ذلك المعنى، ثم هذا يسمع لفظاً بعد لفظ، حـتى يعـرف لغة القـوم الــذين نشأ بينهم من غــير أن يكونــوا قد اصــطلحوا معه على وضع متقدم ... » [1].

ومما يدل على فساد القول بالمجاز، قـول القـائلين بـه، « إن كل مجاز يجوز نفيـه، ويكـون نافيه صـادقاً في نفس الأمـر، فتقول لمن قال: رأيت أسـداً يـرمي، ليس هو بأسـد، وإنما هو رجل شجاع، فيلزم على القول بأن في القـرآن مجـازاً، أن في القرآن ما يجوز نفيه.

ولا شك أنه لا يجوز نفي شـيء من القـرآن، وهـذا اللـزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجـاز في القـرآن، وبين جـواز نفي بعض القرآن قد شـوهدت في الخـارج صـحته، وأنه كـان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجـاز توصل المعطلـون لنفي ذلـك، فقـالوا: لا يـد، ولا اسـتواء، ولا نـزول، ونحو ذلك في كثـير من آيــات الصــفات، لأن هــذه الصــفات لم تــرد حقائقهــا، بل هي عندهم مجازات، فاليد مستعملة عنـدهم في النعمة أو القـدرة، والاستواء في الاستيلاء، والنزول نزول أمره ونحو ذلـك، فنفـوا

---

[1] (?) ابن تيمية: الإيمان: (74-76) .

هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول بالمجاز »[1]

وعلى هذا فلا يصح القول بالمجاز في القرآن أو الحديث أو اللغة، الأمر الذي لم يشير إليه ﷀ مباشرة،حيث كان حديثه منصباً على كتب العهدين واستعمال المجاز فيها، إلا أن تعميمه في الحكم يتوهم دخول النصوص الشرعية ضمن ذلك الحكم. والله أعلم .

الثالثة: أخبار الآحاد:

وافق ﷀ المتكلمين في مسألة اعتبار خبر الواحد، حيث يرى أنه معتبر في العمل وليس في إثبات العقائد وأصول الدين، لأنه لا يفيد العلم القطعي ولا علم الطمأنينة.

يقول: « وخبر الواحد ما نقله واحد عن واحد، أو واحد عن جماعة، أو جماعة عن واحد ... وخبر الواحد لا يوجب أحد العلمين المذكورين [العلم القطعي وعلم الطمأنينة]. ويعتبر في العمل لا في إثبات العقائد وأصول الدين، وإذا خالف الدليل القطعي -عقلياً كان أو نقلياً- يؤول إن أمكن التأويل، وإلا يترك ولا يعمل به، ويعمل بالدليل القطعي »[2]

وفي موضع آخر يقول:

« وعندنا الحديث الصحيح المروي برواية الآحاد لا يكون مبنى العقائد »[3]

---

1 (?) الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي ~: منع جواز المجاز: ص(8-9)، مطبوع مع أضواء البيان، مطبعة المدني، وانظر له: مذكرة في أصول الفقه: ص(57-58) المكتبة السلفية- المدينة المنورة .

2 (?) إظهار الحق: (3/920) .

3 (?) المرجع السابق: (3/898) .

والقول بعدم اعتبار حديث الآحاد في العقائد مشهور عند كل من المعتزلة[1] والأشاعرة[2] والماتريديه[3]، حيث يرون أن العقيدة لا تثبت إلا بالقرآن والحديث المتواتر القطعي الدلالة، بمعنى عدم، احتماله التأويل، خالياً من المعارض العقلي .

والكلام عن أبطال دعوى عدم حجية أحاديث الآحاد مستفيض اختصره في التالي:

1- نص الإمام الشافعي ~ على إجماع المسلمين على حجية خبر الواحد في (الرسالة) حيث قال: « ولو جاز لأحد من الناس أن يقول في علم الخاصة: أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد، والانتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته: جاز لي » [4].

وقال بعد أن نص على حجية خبر الواحد: « ولم يزل سبيل سلفنا والقرون بعدهم إلى من شاهدنا: هذه السبيل »[5].

2- القول بحجية خبر الواحد في العقائد والأحكام هو

---

[1] (?) انظر: القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة: ص(769-770) .

[2] (?) انظر: الرازي: أساس التقديس: ص(127-129)، الجويني، الإرشاد: (161)، الجويني، الشامل، (561) بتحقيق: هلموت كلو بفر، ص(561)، ط1988م، دار العرب للبستاني- القاهرة.

[3] (?) انظر: أبو منصور الماتريدي، التوحيد: ص(8، 9)، وملا علي قاري: شرح شرح نخبة الفكر: ص(37-39)، ط1، 1327هـ، مطبعة إخوان- اسطنبول، والكمال أبي شريف، المسامرة شرح المسايرة: ص(31)، (32) .

[4] (?) الرسالة: ت: أحمد شاكر: ص(457) .ط1، 1358هـ، مطبعة الحلبي- القاهرة.

[5] (?) الرسالة: ت: أحمد شاكر: ص(453) .

مـــذهب الإمـــام مالك ~، كما ذكـــره عنه محمد بن أحمد[1]، المعروف بابن خويز منداد.[2]

3- الإمام أحمد أيضـاً قـال بحجية خـبر الواحـد، فقد سـئل فقيل له: « ههنا اثنان يقولان إن الخبر يـوجب عملاً ولا يـوجب علماً، فعابه وقال: لا أدري ما هذا .. »[3]

4- لا يعـرف عن أبي حنيفة ~ أنه قـال بعـدم إفـاده خـبر الواحد العلم، أو أنه فـرق في قبوله بين العقائد والأعمـال. بل الذي ورد عنه قبول الأحاديث بدون تفريق.

فقد روي عنه أنه قال: « إذا جـاء الحـديث عن النـبي لم نحد عنه إلى غيره وأخذنا به »[4]

---

1 (?) محمد بن أحمد بن عبداللـــه، أبو بكـــر، ابن خـــويز منـــداد، المالكي، العراقي، فقيه، أصولي، من كبار المالكية. له كتـاب كبـير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقـه، وفي أحكـام القـرآن، تـوفي تقريباً سنة (390هـ).

انظر: الحافظ ابن حجر العسقلاني: لسان المـيزان: (5/291)، ط 3، 1406هـ، مؤسسة الأعلمي- بـيروت، وعمر رضا كحالـة: معجم المؤلفين: (3/75) .

2 (?) انظر: ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيـــز، (1/132)، ط1، 1398هـــ، مكتبة عـــاطف- القاهرة، وابن القيم: مختصر الصواعق: (2/363).

3 (?) ابن القيم: مختصر الصواعق: (2/363)، وأبو يعلى: العـدة في أصول الفقه: (3/899).تحقيق: أحمد علي سير المبـاركي، ط: 1400هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت.

4 (?) الموفق بن أحمد المكي: منـــاقب أبي حنيفـــة: 71، ط 1401هـ- دار الكتاب العربي- بيروت.

5- أن هذا هو مذهب أصحاب أبي حنيفة كما ذكر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره.[1]

وهو أيضاً مذهب السلف وجمهور المحدثين والأصوليين كما نص على هذا غير واحد من العلماء[2] .

6- أن أهل السنة لا يردون أحاديث الأحاد لمجرد كونها آحاداً، بل يقبلونها إذا تحققت فيها شروط تقتضي ثبوتها عن النبي ، وقبول المحدثين لآحاديث الآحاد لا يعني عندهم قبول خبر كل واحد كما يشنع بذلك علماء الكلام، حتى نسبوا إلى الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه يقول بأن خبر الواحد يفيد العلم من غير قرينة[3]، وقد عد الإمام ابن القيم ذلك من الكذب الصريح على الإمام أحمد[4] .

فخبر الواحد قد يكون صدقاً وقد يكون كذباً، فلا يفيد العلم لذاته، وإنما يترجح العلم بصدقه بقرينة تدل عليه، ولهذا اشترط علماء الحديث في راوي الحديث أن يكون عدلاً ضابطاً وإلا لم تقبل روايته، وأن يتصل بذلك السند إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علّة. ثم إنهم بعد ذلك ينظرون في المتابعات والشواهد فيحكمون على الحديث بالصحة أو الضعف بتتبع طرقه، وقد يختلفون في تصحيح حديث أو

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى: (18/17،41).

2 (?) انظر: ابن حزم الإحكام :(1/132)، ابن تيمية الفتاوى: (18/41)، ابن القيم: مختصر الصواعق: (2/362-363)، الشوكاني نيل الأوطار: (1/12).ط1، 1357هـ، المطبعة العثمانية المصرية.

3 (?) انظر: الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام: (2/239) المجلد الأول.ط1، 1423هـ-2002م، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان.

4 (?) انظر: ابن القيم: مختصر الصواعق المرسلة (2/445).

تضعيفه، لكن وفق منهج دقيق منضبط، لا بمجـرد التحـاكم إلى موافقة دلالة العقل كما هو مذهب المتكلمين.

7- مما يـدل على أن أحـاديث الآحـاد تـوجب العلم كما أنها توجب العمل إذا احتفت بها القـرائن: عمل النـبي حيث اقتصر بخـــبر الواحد في إيجـــاب العلم، فقد كـــان يبعث الآحـــاد من الصحابة إلى الملوك والرؤساء والأقطار يدعونهم إلى الإسلام. وهذا لا بد فيه من العلم، بمعنى الاعتقاد الجـازم الـذي لا يبقى معه شك ولا شبهة.[1]

8- أن القول بعدم حجية أحاديث الآحـاد يتنـافى في كمـال الدين وحفظه، إذ هي من الوحي كما قال تعالى: [illegible] [النجم: 3-4].

وبهــذا يتــبين لنا خطأ المتكلمين ومن وافقهم في قــولهم بعــدم اعتبــار أحــاديث الآحــاد في العقائد وتــبين لنا كــذلك أن الشيخ رحمه الله في منهجه من النصـوص الشـرعية سـواء كـانت من الكتاب أوالسنة موافقـاً للمتكلمين من الأشـاعرة والماتريديـة، وذلك نتيجة حتمية لمنهجه لعقلي الذي سبق بيانه.

وهو ~ ليس منشئاً لهـذا المنهج، وإنما مقلـداً لمن سـبقه من علمـاء الكلام الأشـاعرة- خاصة مع انتشـار كتب الأشـاعرة والماتريدية في بلاد الهنـــد- ، فهو لا يحمل وزر هـــذه القضـــية باعتبـاره مؤصـلاً لهـا، ولكنه مجتهد مـؤول، يتبع الأشـعرية في الأصـــــــــــول، والأحنـــــــــــاف في الفـــــــــــروع -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- .

---

1 (?) انظـر: الصـنعاني: توضح الأفكـار: (1/27).تحقيـق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط1، 1366هـ، مكتبة الخانجي- القاهرة.

المبحث الثالث : منهجه في التعامل مع نصوص ونسخ كتب العهدين القديم والجديد

يراد بكتب العهدين التـوراة والإنجيل وملحقاتهمـا، ويحسن بنا قبل أن نشـــير إلى منهج الشيخ رحمه الله في التعامل مع نصـــوص كتب العهــدين، أن نلقي الضــوء على هــذين الكتــابين بــالتعريف الموجز وذلك استكمالاً للبحث. وللحكم على صدق منهج الشيخ في التعامل مع التوراة والإنجيل.

أولاً: التـــــــــوراة[1]:

هو الكتـــاب الـــذي أنزله على موسى لقومه بـــني إسرائيل، وقد ذكر في القـرآن ثمـاني عشـرة مـرة، منها قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة: 44].

وتؤمن اليهود بالتوراة كتاباً منزلاً من عند الله على موسى ، ويلحقـون به أسـفاراً أخـرى تسـمى جميعها بـ(أسـفار العهد القـديم) -عند النصـارى- وتعتـبر المصـدر الأول لمعتقـداتهم

---

[1] (?) التوراة لها معان:

أ) الشـريعة الإلهيـة، أو تـوراة يهـوه، وتطلق على أسـفار موسى الخمسة (انظر: وليم مارش: السنن القويم في تفسير اسـفار العهد القـديم: (1/1)، 1973م، مجلس الكنـائس في الشـرق الأدنى - بيروت) .

ب) التـوراة في العربيـة: التـوراة والتورية أسـفار موسى الخمسـة، معـرب تـورو بالعبرانيـة، ومعناها شـريعة ووصـية وجمعهـا: تـورات وتوريـات، وتطلق على العهد القـديم (بطـرس اليسـتاني: محيط المحيط: ص413، ط1979م، مكتبة لبنان).

ج) قيل التـوراة مشـتق من قـولهم ورت نـاري ووَرَّيتهـا: إذا اسـتخرجت، لأنه قد اسـتخرج بها أحكـام شـريعة موسى ، وكـان البعض يجنح إلى أن لفظ التـوراة عـربي، والـذي يظهر أنه عـبراني معرب لأن لغة موسى كانت العبرانية فناسب أن يكون من لغته التي يفهمها قومه (انظر: محمود بن شريف: الأديان في القرآن: ص135-136، ط3، 1979هـ، دار عكاظ للطبع، ومحمد رشيد رضا: تفسـير المنـار: 3/155، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشـر- بـيروت) وقد عَّرف الشيخ التوراة بأنه: لفظ عبراني بمعنى التعليم والشـريعة، وقد يطلق ذلك اللفظ على مجموع كتب العهد العـتيق مجـازاً (إظهـار الحق: 1/99).

الدينيــة، كما يؤمنــون بتنزهه عن كل شــبهه تحيط بقداســته وصموده أمام كل نقد يوجه إليه لثبوت صحته.

وأما النصــارى فيطلقــون على هــذه المجموعة "كتب العهد القديم" لأنهم اصطلحوا اصطلاحين:

أحدهما: العهد القديم.

والآخر: العهد الجديد.

« ولعل بولس اليهودي الــذي ادعى الإيمــان بالمســيح بعد رفعه ، أول من اســــــتعمل في رســــــالته الثانية إلى أهل كورنتوس[1] عبــارة (العهد القــديم) للمجوعة المتضــمنة أســفار الشريعة والأنبياء، وسائر الكتابات اليهودية.

وأما العهد الجديد فاســتعمله (مــتى)[2] حسب زعمه على لسان المسيح »[3].

وكتب اليهود قسمان:

القسم الأول: الأسفار القانونية أو العلنية .

القسم الثاني: الأسفار غير القانونية السرية .

 أما القسم الأول: الأسفار القانونية أو العلنية:

فهي مجموع الأسفار التي تعتقد اليهــود بأنها الموحــاة من الله تبارك وتعالى، المتعلقة بخلق العالم، وميثاق الرب لإبــرام، لاســتيلاء نســله على الأرض، من حــدود مصر إلى الفــرات ومعاملة الله لشــعبه، ومجمــوع النبــوءات والنصــائح الدينية

---

1 (?) (3/14).

2 (?) (26/29).

3 (?) د/ محمد ضــياء الــرحمن الأعظمي: دراســات في اليهودية والمسيحية (النصرانية)وأديــان الهنــد، ص(126)، ط1، 1422هــ-2001م، مكتبة الرشد- الرياض.

والأدبيـة؛ لتنظيم العلاقـات والمعـاملات البشـرية بجميع أنـواع الكتابة من نـــثر وشـــعر وتـــاريخ وقصص وحكم وآداب وتعليم وانذار وفلسفة وأمثال[1].

وتتـألف أسـفار العهد القـديم من تسـعة وثلاثين سـفراً يختلف ترتيبها وتبويبها عند اليهود عما هو عليه عند النصارى[2].

وتنقسم هذه الأسفار إلى ثلاثة أجزاء رئيسيـة:

أ- التــوراة: وهي أســفار موسى الخمسة (التكـــوين- الخروج-اللاويون "الأحبـار"-العـدد- التثنية)[3].

ب) أسفار الأنبياء: وتنقسم هذه الأسفار إلى قسمين:

1- أســفار الأنبيــاء المتقــدمين: أي يوشع[4] -القضــاة[5] -

---

[1] (?) انظر: قـاموس الكتـاب المقـدس: ص(762-768)، ط14، 2001م، مكتبة العائلة- القاهرة.

[2] (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(764) .

[3] (?) انظـر: أحمد شـلبي اليهوديـة: ص(238)، ط5، 1978م، مكتبة النهضة - القاهرة .

[4] (?) يوشع بن نـون أو يشـوع، وهو اسم عـبري معنـاه (يهـوه خلاص) واسمه في الأصل هوشع، وموسى هو الذي دعاه يشـوع، فهو خادمه وخليفته وهو الذي قـاد الإسـرائيليين بعد وفـاة موسى من صـحراء سـيناء إلى أرض كنعـان (انظـر: قـاموس الكتـاب المقدس: ص1069-1089) .

[5] (?) القضاة: هم الذين عينوا في العهد الأول لبني إسـرائيل في فلسطين حيث كـانوا يعينـون قضـاة عليهم، ويسـمى عهـدهم بعهد القضاة، ويبدأ هذا العهد زمن يوشع خليفة موسى إلى زمن النبي صموئيل الذي هو آخر القضـاة (انظـر: قـاموس الكتـاب المقـدس: ص736) .

صموئيل[1] الأول والثاني-والملوك[2] الأول والثاني .

2- أسفار الأنبياء المتأخرين وينقسمون إلى:

أ - الأنبيــاء الكبــار وهم: (أشــعيا[3] -أرميا[4] -حزقيــال[5]) ويعتبرون سفراً واحـداً .

ب - أســفار الأنبيــاء الصــغار وهم: (هوشع[6] -يوئيل[7] -

---

1 (?) صموئيل: يزعمون أنه أحد أنبياء بني إسرائيل، وآخر القضــاة، وأنه هو الذي عين لهم أول ملوكهم طالوت الواردة قصته في ســورة البقرة (انظر: قاموس الكتـاب المقـدس: ص552، وأحمد شـلبي: اليهودية: 78) .

2 (?) الملوك: هم الذين حكموا بعد القضاة، وهو العهد الـذي بـدأ فيه الحكم ملكياً، فقد اختار صموئيل شاءول (طالوت) ليكــون أول ملك عليهم، ثم ملك عليهم بعــــده داود ، ثم ابنه ســــليمان (أحمد شلبي: اليهودية: 77-78) .

3 (?) أشعيا: هو أشعيا بن آمـوص، ومعـنى الاسم خلاص يهـوه أو خلاص الرب، وهو -عندهم- من أشهر أنبياء العهد القديم في القرن الثـامن قبل الميلاد (انظـر: قـاموس الكتـاب المقـدس: ص(81)، وأحمد شلبي: اليهودية: ص162) .

4 (?) أرميــا: هو ارميا بن حلقيا الكــاهن، يزعمــون أنه قد دعــاه الرب للقيام بالعمل النبوي في رؤيا رآها وهو بعد حدث فأحس بأنه قليل الخبرة فقال له الرب: جعلت كلامي في فمك، وأقمتك اليـوم على الشـعوب والممالك لتقطع وتهـدم وتبـني وتغـرس، وقد دامت خدمته ثمـان عشـرة سـنة وثلاثة أشـهر (انظـر: قـاموس الكتـاب المقدس: ص52) .

5 (?) حزقيال: اسم عبري معناه (الله القوي) وهو أحد الأنبياء الكبار-عنـدهم-، ابن يـوزي ومن عشـيرة كهنوتيـة، ولد ونشأ في فلسـطين وربما في أورشليم في بيئة الهيكل، وقد عاصر فترة سقوط يهوذا، وقد أبعد إلى بابل بعد سـقوط أورشـليم. (انظـر: قـاموس الكتـاب المقدس: ص(305)، وأحمد شلبي اليهودية: ص64).

6 (?) هوشع: تـزعم كتبهم أنه نـبي من أنبيـاء بـني إسـرائيل، وله

عاموس[1] -عوبيديا[2] -يونـان[3] -ميخا[4] -نـاحوم[5] -حبقـوق[6] -صـــــــــــــــــــــفنيا[7] -حجي[8] -زكريا[9] -ملاخي[10])
ويعتبرون سفـراً واحـداً[11].

ج) **أسفار الكتـب**: تتـألف من القصـائد الدينيـة، وكتب الحكمة، ويتشعب هذا الجزء إلى أنواع ثـلاث:

1- الكتب العظيمـة: وتشـمل المزامـير، الأمثـال، أيـوب،

سفر في العهد القديم يبحث في واجبات النـبي هوشع في شـمالي مملكة إسـرائيل من نحو عـام 745ق.م إلى الثلاثينـات أو العشر ينيات قبل الميلاد من نفس القرن، شـهد هوشع كثـيراً من احـداث خلع الملوك وقتلهم (انظر: الموسـوعة العربية العالميـة: 26/241، وقاموس الكتاب المقدس: 1005).

7 (?) يوئيل: نـبي يهـودي -عنـدهم- وله سـفر في التـوراة ضـمن المجموعة المســـماة الأنبيـــاء، في طبعـــتي التــــوراة اليهودية والنصـرانية، يناشد النـبي في سـفره القساوسة والأحبـار والنـاس التوبة وطلب الرحمة لإنهـاء ما ألم بهم من طــاعون (الموســوعة العربية العالمية: 27/341.وقاموس الكتاب المقدس:1103)

1 (?) عـاموس: أحد أنبيـاء بـني إسـرائيل كما هو وارد في كتبهم، ولد كما في سفره في قرية (تقـوع) الواقعة في جنـوب أورشـليم، وكـان راعيـاً للغنم كما ورد في سـفره (انظـر: قـاموس الكتـاب المقدس: 590) .

2 (?) عوبيديا: يعدونه نبي من أنبياء بني إسرائيل له سفر بإسـمه يعد جـزءاً من الكتـاب المقـدس اليهـودي يتكـون السـفر من 21 إصحاحاً، ومن المحتمل أنه وضع بعد تدمير بيت المقدس عام 587 أو 586 ق.م . (الموسـوعة العربية العالميـة: 16/699، وقـاموس الكتاب المقدس: 645) .

3 (?) يونان: لعله نـبي الله يـونس بن مـتى، وقصـته معروفة في القـرآن، وله سـفر في العهد القـديم يحكى تلك القصـة. (قـاموس الكتاب المقدس: 645).

4 (?) ميخا: سادس الأنبياء الصغار عندهم ويسمى المورشتي من مسقط رأسه (مورشه) قرية بقرب جت، تنبأ في ملك يوثام وآحـاز

أستير[1].

2- المجلات الخمس: نشيد الانشـاد، راعـوث[2]، المـراثي، الجامعة .

3- الكتب: دانيـال[3]، عـزرا[4]، ميخـا، أخبـار اليـوم الأول، أخبار اليوم الثاني[5].

فتكـون تلك الأسـفار القانونية تسـعة وثلاثـون سـفراً، أما

وحزقيا ملوك يهوذا (751-693 ق.م) وكان معاصـراً لأشـعيا الـذي يشـبهه في الأسـلوب ونهج كتابتـه، وله سـفر في العهد القـديم. (قاموس الكتاب المقدس: 936) .

5 (?) نـاحوم: اسم عـبري معنـاه (معـز)، وهو أحد الأنبيـاء الاثـنى عشر الصغار عنـدهم، وله سـفر تنبأ عن سـقوط نينـوى. (قـاموس الكتاب المقدس: 944).

6 (?) حبقـوق: اسم عـبري معنـاه (يعـانق) أو ربما اسم نبـات حديقـه، وهو نـبي في يهـوذا بـزعمهم، ويسـتفاد من المزمـور المنسـوب له أنه كـان من سـبط لاوي وأنه أحد المغـنين في الهيكل (قاموس الكتاب المقدس: 287).

7 (?) صنفيا: كاهن في مملكة يهوذا في الفـترة الواقعة بين عـام 630 وَ 625 ق.م وإليه ينسب أحد أسفار العهد القديم (الموسوعة العربية العالمية: 15/101، وقاموس الكتاب المقدس: 544).

8 (?) حجي: يزعمـون أنه أحد أنبيـاء بـني إسـرائيل له سـفر في العهد القديم، كلفه الرب ليكلم حاكم يهوذا وكاهنها منذداً ببقاء بيته خرابـاً، وبقـولهم: إنه لم يحن وقت بنائـه. (انظـر: أحمد شـلبي: اليهودية: ص(253).

9 (?) زكريا: هو زكريا بن برخيا بن عَـدّو، النـبي -كـاهن من فرقة أبيـا، وهو أبو يوحنا المعمـدان، كـان ورعـاً بـاراً. (قـاموس الكتـاب المقدس: 428،1106)

10 (?) ملاخي: أحد أنبياء بني إسرائيل عندهم ينسب إليه سـفر هو آخر أسـفار العهد القـديم، يـذهب بعض المحققين إلى أن هـذا المؤلف مجهـول، وإلى أن كلمة ملاخي مـاهي إلا تصـحيف للفظة عبرية وردت في ذلك السـفر وهي ملاكي أو رسـولي. (الموسـوعة

الشيخ رحمه الله ~ فقد عــدها بثمانية وثلاثــون ســفراً[1] لأنه أخــرج ســفر أســتير من تعــداد الأســفار المتفق عليها وجعله ضــمن المختلف فيه من أسفار العهد القديم، وبما أن الشك ليس في إصحاحات سفر أسـتير كلهـا، بل في الإصـحاحات الأخـيرة منه بعد الإصحاح العاشر، لذلك أخذت هذه الإصحاحات المشــكوكة مكانها في أسفار الأبوكريفا غير القانونية، وأدخل ســفر أسـتير

العربية العالمية: 24/84، وقاموس الكتاب المقدس: 913).

11 (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(762)، وأحمد شلبي: اليهوديــة: (238-239)، وســهيل الــديب: التــوراة بين التوحيد والوثنية: ص(11)، ط1، 1401هـ، 1981م، دار النفائس- بيروت.

1 (?) أسـتير: ذكر الشـيخ ~ في حاشـيته أن اسـتير اسم امـرأة (إظهار الحق: 1/102)، وفي الكتاب المقدس عندهم أنها فتاه من سبط بنيـامين، أعتلت عـرش الملـك. (قـاموس الكتـاب المقـدس: 63).

2 (?) راعوث: قـال الشـيخ ~ أنها اسم امـرأة من جـدات داود (إظهار الحق: 1/100)، وفي الكتاب المقدس: فتاة مؤابية هاجرت بعد وفـاة زوجها إلى بيت لحم، فكافئها الـرب بـأن صـارت ضــمن سلسلة نسب داود (قاموس الكتاب المقدس: 390).

3 (?) دانيــال: من ســبط يهــوذا ويمتد نســبه إلى عائلة داود بن يسي، ويعني اسمه في العبرية (الله دياني أو قاضــي) عــاش عصر المحنة الكبرى التي تعرض لها شعب يهوذا، وقد أُسر في غزو بابل وهو الــــذي فسر حلم ملك بابل عن التمثــــال العظيم كما في سفردانيال (انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(357)، وابن كثير: البداية والنهاية:(2/422) .

4 (?) عــزرا: هو الكــاهن ابن ســرايا، لقب بالكــاتب إذ أنه كــان موظفاً في بلاط امبراطور الفرس (ارتحتشـتا) ومستشـاراً له في شؤون الطائفة اليهودية التي كانت تقيم فيما بين النهرين منذ أيــام السبي، وهو يعتبر مؤسس نظم اليهودية المتأخرة. (انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(621) .

ضمن الأسفار القانونية المتفق عليها.

وقد بين الشيخ رحمه الله ~ أن هـذه الأسـفار « كـانت مسـلمة عند جمهور القدماء من النصارى، والسامريون لا يسـلمون منها إلا سـبعة كتب: الكتب الخمسة المنسـوبة إلى موسى ، وكتـاب يوشع بن نون وكتاب القضاة، وتخـالف نسـخة تـوراتهم نسـخة توراة اليهود » [1].

القسم الثاني: الأسفار غير القانونية السرية:

ويطلق عليها كتب (الأبوكريفـــا)، وهي تعـــني الخفـــاء والسرية، وهي:

أ) أسفار تاريخية وتشمل:

اسدراس الأول - المكابين[2] الأول والثـاني - إضـافات إلى سفردانيال وهي:

1- نشيد الثلاثة الفتية المقدسي، وتتمة سفردانيال.

2- تاريخ سوسنة[3].

3- تـاريخ انقلاب بيل وبقية سـفر (اسـتير)، ورسـالة أرميا

---

5 (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(764) .

1 (?) انظر: إظهار الحق: (1/99،101).

1 (?) إظهار الحق: (1/101-102) .

2 (?) المكـابين: ذكر الشـيخ ~ في حاشـيته أنه اسم شـخص (إظهـــار الحـــق: 1/102).وفي الكتـــاب المقـــدس أن يهوذا بن متاثياس يلقب (مكابيوس) ثم صار اسم لجميع الأسرة وأخيراً لكل الحزب الـذي تكـون نتيجة لظلم السـلوقيين (قـاموس الكتاب المقدس: 913).

3 (?) سوسنة: اسم عبري معناه زهرة السوسن، وقد اطلق هـذا الاسم على أحد أسـفار الأبو كريفا وهو الجـزء الـذي أضـيف إلى سفردانيال (قاموس الكتاب المقدس: 493) .

وصلاة منسى[4].

ب) **أسـفار قصصـية** تحتـوي أسـاطير وهي: (سـفر بـاروخ[1]- سـفر طـوبيت[2]- سفر يهوديـت[3]) .

ج) **أسفار رؤوية**: اسدراس الثاني .

د) **سـفران تعليمـان** وهمـا: (سـفر حكمة سـليمان - وسفر حكمة يشوع ابن سيراخ[4])[5].

وللعهد العتيق ثلاث نسخ مشهورة:

1- النسخة العبرانيــة:

والـتي تضم أسـفار موسى الخمسة وأربعة وثلاثين سـفراً

---

4 (?) منسى: ابن حزقيـا، وخليفته على العـرش، كـان أول ملكه يقوم بأعمال كفرية، فتاب بعد ذلك وأصـلح كثـيراً مما قد أفسـده، وبين الأسـفار الأبوكريفية صـلاة توبة منسى (قـاموس الكتـاب المقدس: 925).

1 (?) باروخ: كان كاتباً ومحباً للنبي أرميا، إليه ينسب سفر باروخ أحد أسفار الأبوكريفا (قاموس الكتاب المقدس: (158).

2 (?) طوبيا: أو طوبيت: من شخصيات هذا السفر البارزة رجلان، أب وابنه واسم كل منهما طوبيا وهو اسم عبري معناه (الله طيب) (قاموس الكتاب المقدس: 581).

3 (?) يهـوديت: تحكي كتبهم قصة أرملة تقية شـابه، تـدعى يهوديت، وهي بطلة سفر يهوديت من أسـفار الأبوكريفـا. (قـاموس الكتاب المقدس: 1084).

4 (?) يشوع بن سـيراخ: رجل يهـودي من أورشـليم كثـير التجـول والترحال، له أسلوب رائع يصوغ به أفكـاره عن الحكمة والرشد وله سفر من أسفار الأبوكريفا. (أحمد شلبي: اليهودية، ص255).

5 (?) انظر: قاموس الكتاب المقـدس: (18-19)، ومـتى بهنـام: مفـاتيح الكنـوز الإلهيـة: ص20، ط2، 1967م، مطبعة الفجالة الجديدة -مصر .

من أسفار الأنبياء فمجموع أسفارها تسعة وثلاثون سفراً، وهي التوراة التي يعترف بها اليهود العبرانيون الذين اتخذوا القــدس عاصـمة لهم، وكونـوا مملكة يـوذا الـتي كـان حكامها من نسل داود من سبط يهوذا .

ويعترف النصارى البروتستانت بهذه التـوراة ويطبعونها مع الأناجيل، وينشرونها في العالم لأنهم يعدون المسيح من اليهود الذين هم من سبط يهـوذا، وهـذه النسـخة يقـال بـأن كاتبها هو عزرا الورّاق[1].

2- النسخة اليونانية أو الترجمة السبعينية:

هي التي قـام بترجمتها اثنـان وسـبعون عالمـاً من علمـاء اليهود سنة 285ق.م، وعدد أسفارها ستة وأربعـون سـفراً؛ أي بزيادة سبعة أسـفار عن أسـفار النسـخة العبرانية زيـدت سـنة 114ق.م، وهي النســخة الــتي يأخذ بها نصــارى الكاثوليك ويســمونها التــوراة اليونانية أو (اللاتينيــة) أما اليهــود والبروتسـتانت فلا يأخـذون بهـا؛ لاعتقـادهم أن فيها ثلاثة عشر موضــعاً محرفــاً، وأن هــذه الأســفار الســبعة (المســماة: الأبوكرفيا) مكذوبة .

وكان قـدماء النصـارى إلى القـرن الخـامس عشر يعتبرونها صـــحيحة والعبرانية محرفـــة، ثم انعكس الأمر بظهـــور فرقة البروتستانت الـتي قـدمت العبرانية على اليونانيـة، فلـزم جهل أسلافهم كافة[2].

---

[1] (?) انظر: إظهار الحق: (2/429)، ومحمد ملكـاوي: المنـاظرة الكبرى هامش: ص(230)، قاموس الكتاب المقدس: (467) .

[2] (?) انظـر: إظهـار الحـق: (2/429-430)، ومحمد ملكـاوي: المناظرة الكبرى: هامش230، وقاموس الكتـاب المقـدس: 768، 903، 1129 .

3- النسخة السامرية:

هي الــتي يأخذ بها الســامريون الــذين كونــوا دولتهم في جبال السامرة، واتخذوا مدينة سبسطية -قرب نابلس- عاصمة لهم، وحكامها من سبط أفرايم بن يوسف بن يعقوب ، وهم لا يعترفون بالنسختين السابقتين، ولا بما يزيد عن أســفار موسى الخمســة. وهي مجــرد ســبعة كتب: الكتب الخمسة المنســوبة لموسى وكتاب يوشع وكتاب القضاة.[1]

ثانياً: الإنجيل:

عـــرّف الشيخ رحمه الله الإنجيل بأنـــه: لفظ معـــرب من الأصل اليوناني (انكليـون) بمعـنى البشـارة والتعليم، وهو لفظ مختص بالكتب الأربعة (متىّ ومرقس ولوقا ويوحنا)، وقد يطلق مجـازاً على مجموع كتب العهد الجديد.[2]

والنصـارى يقدسـون كلاً من العهد القـديم والعهد الجديـد، ويضمونها معاً في كتاب واحد، ومجموع العهدين يسمى "بيبل" وهو لفظ يوناني بمعنى: الكتاب.[3]

والإنجيل عند المسلمين: هو الكتاب الذي أنزله الله تعـالى على عيسى هدى ونور. قـال تعـالى:

---

[1] (?) انظـر: إظهـار الحـق: (2/429-430)، ابن تيميـة: الجـواب الصحيح: (2/450)، (3/42)، الفصل في الملل والنحل: (1/202)، قاموس الكتاب المقدس: (768)، (903)، (1129) .

[2] (?) انظر: إظهار الحق: (1/103)، وقاموس الكتاب المقـدس: (120) .

[3] (?) انظر: إظهار الحق: (1/103) .

[المائدة:46].

وإنجيل عيسى كان موجوداً في حياته وبعد مماته، ولأمر ما ضاع هذا الإنجيل[1]، ولم يعـثر عليه حـتى الآن، وهـذا ما أراد الشيخ رحمه الله توضيحه من خلال نقله الكثـير من أقـوال المـؤرخين النصارى، والتي منها قـول أحد المـؤرخين الألمـان: « أنه كـان في ابتـداء الملة النصـرانية، في بيـان أحـوال المسـيح، رسـالة مختصرة، يجوز أن يقال: أنها هي الإنجيل الأصلي، والغـالب أن هـذا الإنجيل كـان للمريـدين الـذين كـانوا لم يسـمعوا أقـوال المسيح بـآذانهم، ولم يـروا أحواله بـأعينهم، وكـان هـذا الإنجيل بمنزلة القلب، وما كـانت الأحـوال المسـيحية مكتوبة فيه على الترتيب » [2].

فيستظر الشيخ رحمه الله من الكلام السابق: أن الإنجيل الأصلي قد فقد. [3]

ثم حدث أن نشط النصارى في القـرون الأولى للنصـرانية في كتابة الأناجيل، والرسائل الدينية التي تحكي حياة المسيح وأقواله، حتى كثرت الأناجيل حـتى قيل أن الأناجيل بلغت نيفـاً ومائة إنجيل. [4]

وظل الأمر كـذلك حـتى انعقد مجمع نيقية سـنة (325م) فاختار من بين تلك الأناجيل الكثيرة الأناجيل الأربعة المعروفة،

---

[1] (?) انظر: ص(368) .

[2] (?) إظهار الحق: (2/379) .

[3] (?) انظر: إظهار الحق: (2/385) .

[4] (?) انظر: الشيخ عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء: ص(399)، دار الفكر - بيروت، علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(106-107)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة.

وألغى ما سواها من الأناجيل، واعتبرها أناجيل كاذبة.[1]

وفيما يلي التعريف بهذه الكتب الأربعة، وكاتبيها.

1- إنجيل متى:

(متى) إسم مشتق من الاسم العبري (شيتا)، الذي معناه: عطية يهـوه، أي عطية اللـه، ويـدعي لاوي بن حلفي، وهو أحد الحـواريين الإثـني عشر كما تـزعم كتبهم، وكـان قبل اتصـاله بالمسـيح من جبـاة الضـرائب للرومـان، في كفر نـاحوم[2] من أعمال الجليل بفلسطين.

وقد اختـاره المسـيح تلميـذاً لـه: حيث جـاء في الإصـحاح التاسع من إنجيل متى:

« وفيما يسـوع مجتـاز من هنـاك، رأى إنسـاناً جالسـاً عند مكان الجباية اسمه (متى)، فقال له: اتبعني فقام وتبعه » [3].

ولما صـعد المسـيح إلى ربه جـال (مـتى) لنشر النصـرانية في بلاد كثيرة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشـرين سـنة داعيـاً النصرانية، وكان مـوطن دعوته كما يـروي مؤرخو النصـرانية - هو الحبشة.

---

1 (?) انظـر: الاب عبد الأحد داود الآشـوري: الإنجيل والصـليب: ص(14)، نقله من التركية إلى العربيـة: مسـلم عـراقي ط عـام 1351هـ، القاهرة .

2 (?) كفرنا حـوم: هي قرية واقعة على الشـاطئ الشـمالي لبحر الجليل (بحيرة طبرية)، وكـانت في أيـام الرومـان مركـزاً للجبابـة، وكـان فيها مركز عسـكري رومـاني، وتبعد حـوالي 32كم شـمال شرقي الناصرة، لذلك كان المسيح يتردد إليها كثـيراً، ووقعت بعض معجزاته فيها (قاموس الكتاب المقدس: 782).

3 (?) فقرة: (9) .

ومات في سنة(70م) ببلاد الحبشة، على إثر ضرب مبرح، أنزله به أحد أعـوان ملك الحبشـة، وفي رواية أنه طعن بـرمح في سنة (62م) بالحبشة. [1]

وقد تضـاربت الآراء، واختلفت بخصـوص اللغة الأصـلية للإنجيل -الـذي كتبه مـتى- وحـول من قـام بترجمته على النحو التالي:

1-ذهب أكـثر الكتـاب إلى أن (مـتى) كتب أنجيله أولاً بالعبرانية أو الآرامية التي كـانت لغة فلسـطين في تلك الأيـام، وذلك لأنه كتبه لليهود لنشر النصرانية بينهم؛ وليقرأه مؤمنـوهم بها. [2]

2-وذهب آخرون إلى أنه كتب أصلاً باليونانية، كما هو الآن، وليست النسـخة اليونانية ترجمة لغيرهـا، بل هي النسـخة الأصلية. [3]

وسـواء كتب إنجيل مـتى بالعبرانية أو اليونانيـة، وسـواء كانت النسخة اليونانية نسخة أصلية، أو مترجمـة، فهـذا لا يغـير من طبيعة الموضـوع بالنسـبة لنـا، فالنسـخة العبرانية مفقـودة في نظر من يقـول بهـا، ولا توجد إلا النسـخة اليونانيـة، الـتي ترجمت إلى لغات أخـرى، وإلى هـذه النسـخة وإلى ترجماتهـا، يرجع الباحثون والمتدينون على السواء.

---

1 (?) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص 39-40، ط3، 1381هـ-1961م، دار الفكر العـربي - القـاهرة. وعلي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(80) .

2 (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(832-833)، والشـيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، ص(40).

3 (?) انظر: محمد أبو زهـرة: محاضـرات في النصـرانية ص(41-42)، على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة ص(86).

يقول الشيخ رحمه الله:

« الإنجيل الـذي ينسب إلى متى الآن، وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم، ليس من تصنيفه يقيناً، بل ضيعوه بعدما حرفوه، لأن قدماء النصارى كافة، وغير المحصورين من المتأخرين، على أن إنجيل (متى) كان باللسان العبراني، وقد ضاع وفقد بسبب تحريف بعض الفرق النصرانية، والإنجيل الموجود الآن ترجمته، ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة، حتى لم يعلم اسم المترجم أيضاً إلى هذا الحين، كما اعترف به جيروم[1] من أفاضل قدمائهم فضلاً عن علم أحوال المترجم »[2] .

2- إنجيل مرقس:

ومرقس اسمه يوحّنا، أما كلمة مرقس فهي لقب له[3]، وهي اسم لاتيني، معناه المطرقة.[4]

ويزعمون أنه من أوائل الذين آمنوا بالمسيح، وأجابوا دعوته، لكنه لم يكن من الحواريين الإثنى عشر، الذين اختصهم

---

1 (?) جيروم القديس (340-420) أحد لاهوتيي الكنيسة النصرانية في عهودها الأولى، قام بجانب ترجمته للتوارة بتقديم الكثير من الأعمال الدينية النصرانية (الموسوعة العربية العالمية: 8/636).

2 (?) إظهار الحق: (1/151). بتصرف وانظر: (2/532).

3 (?) أعمال الرسل: (12/12-25)، (15/37) .

4 (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(853) .

المسيح بالزلفى إليه.

وقد جعله المسـيح من بين السـبعين الـذين نـزل عليهم الروح القدس - في اعتقادهم - من بعد رفع المسـيح، وألهمـوا بنشر النصرانية، كما ألهموا مبادئها. [1]

وأصله من اليهود القـاطنين في شـمال أفريقيـا، ثم هـاجر أبواه إلى فلسطين، وأقاما في أروشليم، وهو أول من دعا إلى النصـرانية في مصـر، وأسس فيها بطرياركية الأسـكندرية، وهـوينكر ألوهية المسـيح، واسـتمر بمصر إلى أن ائتمر به الوثـنيون، فسـجنوه، وعـذبوه، وقتلـوه، وكـان ذلك سـنة 62م، وقيل سنة 67م. [2]

---

1 (?) انظر: الشـيخ محمد أبو زهـرة: محاضـرات في النصـرانية: ص(42) .

2 (?) انظر المرجع السابق: ص(43) .

وفيما يتعلق بمـدى صـحة نسـبة إنجيل مـرقس إليه فـإن الأمر يدور بين قولين:

الأول: أن بطـــرس[1] رئيس الحـــواريين هو الـــذي كتب الإنجيل ونسبه إلى مرقس.[2]

الثـــاني: أن مـــرقس كتب إنجيله بعد مـــوت بطـــرس وبولس[3].

---

[1] (?) بطــرس: اسم يونــاني معنــاه صــخرة، واســمه ســمعان (شمعون الصفا)، وله أخ اسمه أندراوس، كان بطرس من صيادي الأسماك، وقام بجولات كثيرة في انطاكيـة، وسـجن في روما سـنة 65م، وصــلب زمن نــيرون، وله رســالتان مع الرســائل الملحقة بالأناجيل هما الســفران (21)، و(22) من أســفار العهد الجديــد، ويشك كثير من المؤرخين في صحة نسبة الثانية إليـه، واختلف في زمان ومكان وتاريخ كتابتهمـا، وهو اسـتاذ مـرقس، ويعتقد كثـيرمن المؤرخين أنه هو كاتب إنجيلي مرقس ولوقا.

(انظــر: محمد أبو زهــرة: محاضــرات في النصــرانية: ص(64)، ومقدمة ابن خلــدون: (245-246)، ط1، 1413هـــ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان).

[2] (?) انظر : محاضــرات في النصــرانية: ص(43)، وعلي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(87) .

[3] (?) قتل بــولس ســنة 67 أو 68م حسب قــاموس الكتــاب المقدس ص(199)، انظر محاضرات في النصرانية ص(44) .

وهذا يعـني أنه هو كاتبه الحقيقي، وليس لغـيره دخل فيـه، وهذا هو الذي يجري عليه العمل بين النصارى .

أما من ناحية اللغة التي كتب بها إنجيل مرقس، فقد اتفق النصـــارى على أنه كتب باللغة اليونانيـــة، وعليه تهميشـــات باللاتينية، ولم نر أحداً منهم ناقض ذلك.

وقد أكد ذلك صاحب قاموس الكتاب المقـدس وغـيره من كتاب النصرانية.[1]

ولو نظرنا إلى تـاريخ التـدوين لهـذا الإنجيـل، لوجـدنا أن الكتـــــاب النصـــــارى قد اختلفـــــوا في زمن تأليف إنجيل مرقس على أقـوال:

1-فمنهم من يقـــول: أنه ألف زمن بطـــرس، وبـــولس، ولكنهم لا يتفقون على عام معين.[2]

2-ومنهم من يقـول: أنه ألف بعد موتهمـا، وهـؤلاء أيضـاً لا يتفقون على عام معين.[3]

وهكذا نرى أن « افتقار الإنجيل الثـاني الى معرفة صـاحبة الـــــذي كتبـــــه، والتـــــاريخ الـــــذي كتب فيه... هـذا الافتقـار كفيل بـأن يجعل الإنجيل الثـاني ليس

---

1 (?) انظر: الشـيخ محمد أبو زهـرة: محاضـرات في النصـرانية: ص(43)، وكذلك د/ رؤوف شلبي: يا أهل الكتـاب تعـالوا إلى كلمة سـواء، (1/154-155)، ط2، 1400هـ، 1980م، دار الاعتصـام القاهرة، قاموس الكتاب المقدس: ص(855) .

2 (?) انظر: محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية: ص(43)، ورؤوف شـلبي: يا أهل الكتـاب تعـالوا إلى كلمة سـواء، (1/154-155).

3 (?) انظر: الشـيخ محمد أبو زهـرة: محاضـرات في النصـرانية: ص(44)، ورؤوف شلبي: يا أهل الكتاب: (1/154-155).

على درجة من الثبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــات تجعله كتابـاً مقدسـاً »[1] بل ذلك مما يقـدح في قدسـية هـذا الإنجيل وإنه بإلهام من الله تعالى.

3- إنجيل لوقا:

لوقا اسم لاتيــني ربما كــان اختصــاراً لــ(لوقــانوس) أو (لوكيوس) [2].

ولد في أنطاكيـة، ودرس الطب، وزاول مهنته بنجـاح، وهو ليس من الحواريين عندهم، ولا من السبعين المختارين، الـذين نزل عليهم الروح القدس - في زعمهم - وإنما هو تلميذ بولس، ورفيق أسفاره وأعماله، وهذا محل اتفاق من النصارى.

وهو كـــاتب الإنجيل الثـــالث، وأعمـــال الرسل -حسب اعتقادهم- .[3]

ونجد كــذلك أنه مجهــول النســبة إلى مــوطن معين فمن قائل: إنه أنطاكي، ولد بانطاكيــة، ومن قائــل: إنه رومــاني، ولد بإيطاليا، وهو أيضاً مجهول الصنعة، فمن قائل: إنه طبيب و من قائل: إنه مصور، ومن قائل: إنه أديب[4] .

---

1 (?) رؤوف شلبي يا أهل الكتاب: (1/156) .

2 (?) قاموس الكتاب المقدس: ص(822).

3 (?) انظر: قاموس الكتاب المقـدس: ص(822)، الشـيخ محمد أبو زهرة: محاضـرات في النصـرانية: ص(44)، ورؤوف شـلبي: يا أهل الكتاب تعالو إلى كلمة سواء: (1/157).

4 (?) انظر: محاضرات في النصرانية: ص(45)، رؤوف شـلبي (1/157)، قـاموس الكتـاب المقـدس: ص(822)، أحمد شـلبي: المسيحة(226)، ط11، 2002م، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة.

ويختلفون أيضاً في القوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل، بعضهم يقول: إنه كتب لليونانين، وهناك من قال: أنه كتب للمصريين[1] .

أما لغة تدوين هذا الإنجيل، فيتفق المؤرخون النصارى جميعهم، على أن لغة التدوين التي كتب بها لوقا الإنجيل الثالث هي اللغة اليونانية[2].

هذا بالإضافة إلى وجود اختلاف بين علماء النصارى في تاريخ تأليف هذا الإنجيل[3] .

---

1 (?) الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية: ص(45)، رؤوف شلبي: (1/158).

2 (?) انظر: الشيخ: محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية: ص(46)، ورؤوف شلبي: يا أهل الكتاب: (1/158).

3 (?) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية: 45، ورؤوف شلبي: يا أهل الكتاب: (1/158)، وقاموس الكتاب المقدس: ص(88)، وموريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: ص(88)، ط4، 1977م، دار المعارف- لبنان.

4- إنجيل يوحنا:

يـزعم النصـارى أن يوحنا هو من كبـار الحـواريين الاثـنى عشـــر، وهو ابن زبـــدي، وزبـــدي من الســـابقين الأولين إلى النصـرانية، ومن كبـار دعاتهـا، وأمه سـالومي، قديسة شـهيرة، وهي على الأرجح أخت مريم أم يسـوع، وقد جـاءت من زبـدي بيوحنـا، وأخيه يعقـوب الكبـير، وهو من كبـار الحـواريين الاثـنى عشر أيضاً. يقول التاريخ النصراني:

إن المسـيح نفسه قد بـارك هـذين الأخـوين، لما قـدمتهما إليه سـالومي، وكـان يوحنا أحب الحـواريين إلى المسـيح، وأقربهم إلى قلبه، لذلك أطلق عليه اسـم: "الحـواري الحـبيب" أو "التلميذ الحبيب".

وقد اتخذ مهنة الصيد حرفة -كما هي عـادة اليهـود- والـتي

تقضي على أولاد الأشراف أن يتعلموا حرفة ما.

وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة المعتمـــــــدة عند النصـــارى، وهو آخرها تأليفـــاً، وثلاث رســـائل من الرســـائل الكاثوليكية ورؤيا يوحنا[1].

وجمهـور النصـارى، على أن كـاتب هـذا الإنجيل هو يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد[2].

لكن هناك من محققي النصـارى من أنكر أن يكـون كـاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري، بل كتبه يوحنا آخـر، لا يمت إلى الأول بصلة روحية، ولم يرد أحد إنكـارهم ممن وجـدوا في ذلك الوقت[3].

وهنـاك من يقـول: « إن الإنجيل الرابـع، وكـذلك الرسـائل المنسوبة إلى يوحنا .. إنما صـنفها شـخص مجهـول ، وذلك من ابتداء القرن الثاني »[4].

ويظن البعض: أن كـاتب هـذا الإنجيل شـخص آخر يـدعى "يوحنا الشـيخ" الـذي جـاء ذكـره في أوائل القـرن الثـاني الميلادي[5] .

---

1 (?) قـاموس الكتـاب القـدس: ص(1108-1109)، وانظـر: علي عبدالواحد في الأسفار المقدسة: ص(78-79).

2 (?) انظـر: الشـيخ محمد أبو زهـرة: محاضـرات في النصـرانية ص(46).

3 (?) انظر: المرجع السـابق ص(46)، وكـذلك رؤوف شـلبي: يا أهل الكتاب (1/161).

4 (?) الشـيخ: محمد أبو زهـرة: محاضـرات في النصـرانية: (46)، وانظر: رؤوف شلبي: يا أهل الكتاب: (1/161).

5 (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(1110).

ونـرى البـاحث والمـؤرخ النصـراني و ’’ولّ ديـورانت‘‘[6]. يعترف بالتناقضات الحاصـلة بين إنجيل يوحنـا، والأناجيل الثلاثة الأخرى، وينقل شكوك الباحثين النصارى في نسبة هـذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري فيقول:

« إن إنجيل يوحنا ينـاقض الأناجيل الأخـرى في كثـير من التفاصيل، وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح .

وإن ما يصـــطبغ به الكتـــاب من نزعة قريبة من نزعة القائلين: بـأن الخلاص لا يكـون بالإيمـان بل بالمعرفـة، وما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية ، قد جعلا الكثـيرين من البـاحثين في الدين النصراني يشكون في صـدق القـول بـأن واضـعة هو الرسول يوحنا »[2] .

إذاً فهناك شك وحـيرة فيمن كتب إنجيل يوحنا ولكن نكـاد نجزم أن كاتبه كتبه تحت دافع معين ولغرض خاص وهو : إثبات ألوهية المسيح، والقضاء على التعاليم التي تؤكد إنسانيته[3].

ولو أردنا معرفة لغة هذا الإنجيل؛ نجد أن جمهور النصـارى

---

6 (?) ول ديـورانت: (1885-1981م) مؤلف أمـريكي اسـتهدف في آثاره تبسيط التاريخ والفلسفة (انظـر: منـير البعلبكي: المـورد (ملحق الأعلام) ص(27)، ط 38، 2004م، دار العلم للملايين - بيروت.

2 (?) قصة الحضارة الجزء الثـالث من المجلد الثـالث ص(209). ط3، 1973م، الإدارة الثقافية في جامعة الـــدول العربية لجنة التأليف والنشر والترجمة.

3 (?) انظر: عبد الـرحمن بك باجه جي زاده: الفـارق بين الخـالق والمخلـوق ص(341)، ط1، 1322هــ، مطبعة التقـدم- مصـر، ومحاضرات في النصـرانية ص(49)، وقـاموس الكتـاب المقـدس: ص(1111).

قد اتفقوا على أن لغة تدوين هذا الإنجيل هي اللغة اليونانية[1].

أما تاريخ التدوين لهذا الإنجيل؛ فلا يوجد اتفاق بين العلماء على ضبط السنة التي كُتب فيها[2].

من خلال هذا العرض الموجز للأناجيل، وبيان قيمتها التاريخية، وقدسيتها عند أصحابها، نرى أنها تخلو من القداسة والإلهام، وذلك للمجاهيل التي تكتنفها، والغموض الذي يحيطها، سواء في مصنفيها، أولغة تدوينها، أو تاريخ التدوين.

بل إن دعوى أن الأناجيل موحى بها من الله، وأن أصحابها ملهمون (دعوى باطلة من أساسها، ليس لعدم إقامة الدليل، بل لأن البيانات كلها قائمة ضد هذه الدعوى، ولأن ما كان وحياً أو إلهاماً لا يختلف ولا يتناقض ولا يهدم بعضه بعضاً) [3] .

منهج الشيخ رحمه الله في التعامل مع نصوص كتب العهدين:

درس الشيخ رحمه الله كتب العهدين دراسة نقدية تحليلية عدة مرات. ولم يكتف بذلك بل درس كتب القدماء والمحدثين من علماء المسلمين واليهود والنصارى، حتى أصبح عالماً بجميع طرق النقد، والمواضع التي يستدل بها على دعواه، كما استعان في ذلك على أقوال أهل الديانتين من اليهود والنصارى ممن كتبوا أو قالوا بالحق الذي توصلوا إليه في أبحاثهم . وقد امتاز منهج الشيخ رحمه الله في مجال تعامله مع نصوص كتب العهدين بالمميزات التالية:

---

1 (?) قاموس الكتاب المقدس: (1110).

2 (?) انظر: علي وافي: الإسفار المقدسة، ص(88-89)، ورؤوف شلبي: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء: (1/165)، محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية: ص(48-49).

3 (?) الشيخ محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص(83) بتصرف.

-اعتماده على العديد من طبعات كتب العهدين حـتى بلغت (32) اثنتين وثلاثين طبعة بأربع لغات منها (13) بالعربية، و(8) بالفارسية و(6) باللغات الهندية و(5) بالإنجليزية.

-كثرة اسـتدلالاته من كتب العهـدين، والإطالة فيهـا، نـاقلاً عنها النصــوص غالبــاً، أو بــالمعنى أحيانــاً لتقوية أدلته وإقامته الحجة على خصمه.

-بيّن الشيخ رحمه الله نظرته إلى كتب العهـدين من أنها لا تعـدوا أن تكــون روايــات تاريخية مختلطــة، ولا تصل بــأي حــال من الأحوال إلى مسـتوى أقل كتب السـيرة شـأناً عند المسـلمين، وأنها ألفت في فــترات زمنية مختلفــة، وفيها أقــوال وأفعــال منسوبة لغير واضعيها، بل قد يكون السفر بأكمله منسوباً لغير كاتبه، وعلى فرض صحته فالسند مفقود[1] .

-اعتماد الشيخ رحمه الله على كتب التفسير، والتاريخ لعلماء أهل الكتاب القدماء وغـيرهم لبيـان الإشـكال أو الغمـوض في كتب العهدين.

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (2/387)، المناظرة الكبرى: (254)

-التركيز في الاستدلال بالأسفار المسلمة عند الخصـم، مع تعضـيد القــول أحيانــاً بــالكتب غــير المســلمة، كما فعل في الاستدلال على نبوة محمد ﷺ ، فقد استدل بالكتب المتفق عليها عندهم ويسلمونها، ثم زاد الأمر تأكيداً، بما جاء في إنجيل برنابا غير المسلم عندهم.

-يستعمل الشيخ رحمت الله كلمة كتاب وباب وآية، فيعني بالكتاب الســفر، ويعــني بالبــاب الإصــحاح ويعــني يالآية رقم الفقــرة المعينة.ولو أنه سلك في منهجه غير ذلك، لكان أفضــل، لكــون هذه المصطلحات إسلامية قرآنية، وبخاصة كلمة "آيــة" فإنها لا تسـتعمل في لغة العـرب لقـول على فقـرة من كتـاب إلا في القرآن الكريم، فهي مصطلح قرآني بحت.

وقد أجمل الشيخ رحمت الله اعتقـــــاد المســـــلمين في الكتب المقدسة عند النصــارى فقــال: « إن التــوراة الأصــلية. وكــذا الإنجيل الأصلي فقدا قبل بعثة محمد ﷺ والموجودان الآن بمنزلة كتابين من السير مجموعين من الروايـات الصـحيحة والكاذبـة، ولا نقـول: كانا موجـودين على أصـالتهما إلى عهد نبينا محمد ﷺ

ثم وقع فيهما التحريف، حاشا وكلا.

وكلام بولس على -تقـدير صـحة النسـبة إليـه- أيضـاً ليس بمقبول عندنا، لأنه عندنا من الكـاذبين الـذين كـانوا قد ظهـروا في الطبقة الأولى، وإن كـــان مقدســـاً عند أهل التثليث فلا نشتري قوله بحبه. والحواريـون[1] البـاقون بعد عـروج عيسى إلى الســـماء نعتقد في حقهم الصـــلاح ولا نعتقد في حقهم النبوة، وأقوالهم عنـدنا كـأقوال المجتهـدين الصـالحين؛ محتملة للخطأ.

وفقـدان السـند المتصل إلى آخر القـرن الثـاني، وفقـدان الإنجيل العـبراني الأصـلي لمـتى، وبقـاء ترجمته الـتي لم يعلم اسم صـاحبها أيضـاً إلى الآن بـاليقين، ثم وقـوع التحريف فيها

---

1 (?) هذا من باب التنزل مع الخصم، وإلا فإن منْ يعتقد النصارى أنهم حـــواري المســـيح حسب كتبهم لم يثبت أنهم هم حـــواري عيسى ، ولم يثبت أصلاً نسبة كتبهم إليهم.

صارت أسباباً أخر لارتفاع الأمان عن أقوالهم..

والتـوراة عنـدنا ما أوحي إلى موسى ، والإنجيل ما أوحي إلى عيسى في سورة البقرة: [البقرة:87]، وفي سورة المائدة في حق عيسى   [المائدة: 46] ...

وأما هـذه التـواريخ والرسـائل الموجـودة الآن فليست التـوراة والإنجيل المـذكورين في القـرآن، فليسا واجـبين التسليم، بل حكمهما وحكم سـائر الكتب من العهد العـتيق: أن كل رواية من رواياتها إن صدّقها القرآن فهي مقبولة يقيناً، وإن كذبها القرآن فهي مردودة يقينـاً، وإن كـان القـرآن سـاكتاً عن التصديق والتكذيب فنسكت عنه، فلا نصدق ولا نكذب » [1].

أما عن النسخ الـتي اعتمـدها الشيخ رحمه الله من كتب العهـدين، فقد نـص الشيخ رحمه الله على تلك النسخ في مقدمة كتابه إظهـار الحق، وهي:

1-ترجمة الكتب الخمسة لموسى باللغة العربية والـتي طبعت في لندن سـنة (1848م)، على النسـخة المطبوعة في رومية العظمى سنة (1264) [2].

2-ترجمة كتب العهـدين باللغة العربية الـتي طبعت في لنـدن عـام (1844م)، على النسـخة المطبوعة في رومية العظمى سنة (1671م) لمنفعة الكنائس الشرقية[3].

وقد علق الشيخ رحمه الله على هذه النسخة قائلاً:

« وجُعل في هـذه الترجمة الزبـور التاسع والعاشر زبـوراً

---

1 (?) إظهار الحق: (2/387-388).

2 (?) إظهار الحق: (1/10).

3 (?) إظهار الحق: (1/10) والهامش.

واحـداً، وقُسم الزبـور المائة والسـابع والأربعـون إلى قسـمين وجعل زبورين، فصار فيها عدد الزبورات ما بين العاشر والمائة والسابع والأربعين أقل منه بواحد بالقياس إلى الـتراجم الآخـر، وفيما عـداها متفقـه، فلو وجد النـاظر الاختلاف في هـذا الأمر بالنسـبة إلى الـتراجم الآخر فلا بد أن يحمل على ما ذكـرت »[1] .

3-ترجمة العهد الجديد باللغة العربية والتي طبعت ببيروت سـنة (1860م) " ومثلها طبعة (1865م) وهي ترجمة كتب العهدين العتيق والجديد، وجميع طبعـات الكتـاب المقـدس في القرن العشرين منقولة عن هذه الترجمة دون التقيد برموزهـا، وفي سـنة (1983)م صـدرت طبعة جديـدة لهـذه الترجمة مع التقيد برموزها ..."[2]

4-ترجمة فرقة البروتسـتانت الإنجلـيز المثبت عليها خـاتم سلطان بريطانيا آنذاك، وهي مطبوعة سنة (1819م) وسـنة (1835) وسنة (1836م) [3] .

5-ترجمة العهد العـتيق والجديد للـروم الكاثوليك باللغة الإنجليزية، وطبعت في دبلن سنة (1840م) [4].

---

1 (?) إظهار الحق: (1/10).

2 (?) محمد ملكاوي: هامش المناظرة الكبرى: (1/10).

3 (?) انظر: إظهار الحق: (1/11).

4 (?) انظر: المرجع السابق: (1/11).

المبحث الرابع :
التزامه بآداب البحث والمناظرة

إن قضية الـدعوة إلى الله تعـالى ليست بالقضـية السـهلة كما يتبادر إلى أذهان البعض؛ فهي تتطلب إدراكاً كاملاً لأبعادها

والصبر عليها حتى تأتي بثمارها المرجوة.

وفي أثناء خضوع الهند للحكم البريطاني وإثارة القساوسة المنصرين الكثير من الشبهات والقضايا حول الدين الإسلامي بهدف تضليل المسلمين، وإخراجهم من دينهم تصدى الشيخ رحمت الله لتلك الهجمات متسلحاً بآداب الداعية المسلم متمثلاً قوله تعالى :

[النحل: 125].

لقد التزم ~ بالآداب النفسية، والعلمية، واللفظية في مناظراته، فالآداب النفسية للبحث والمناظرة التي توفر في شخصه ~ :

1-تهيئة الجو المناسب للمناظرة:

لما رأى الشيخ رحمت الله اشتداد الحملات التنصرية، وأن كثيراً من شباب المسلمين أصبحوا حيارى في أمر دينهم، وأن المسلمين المخلصين راغبون في حصول مناظرة علنية لكسر شوكة المنصرين، قرر الشيخ رحمت الله دخول هذه المناظرة مع فندر زعيم هؤلاء المنصرين، ولم يشأ الشيخ رحمت الله دخول هذه المناظرة حتى يتم تهيئة الجو المناسب لها. فقام الشيخ رحمت الله بزيارة فندر ليتم الترتيبات ولكنه لم يجده[1] فقرر مراسلته لذلك الغرض، فبدأت المراسلات بينهما بتاريخ 23 أذار، وانتهت بتاريخ 8 نيسان من سنة 1854م.

بعد أن دامت سبعة عشر يوماً؛ أرسل كل طرف إلى الآخر تسع رسائل[2] ،تم بعدها الاتفاق على عقد المناظرة.

كما أنه ~ حدد شروطاً للمناظرة قبل الشروع فيها[3] ، مما يهيء الجو المناسب لكل من المتناظرين.

2-التواضع وحسن الخلق مع العزة والثبات على الحق:

إن المتأمل في مناظرة الشيخ رحمت الله مع المنصرين يلحظ

---

1 (?) امداد صابري: آثار رحمت الله (بالأردي) ص(134)، ص(140-141)، نقلاً عن ملكاوي المناظرة الكبرى: (157).

2 (?) انظر: ملكاوي: المناظرة الكبرى: (157-184).

3 (?) انظر: إظهار الحق: (1/82-94).

تلك العــزة الــتي تتفق مع التواضــع، والثبــات الــذي لا ينــافي التدرج.

3-الحلم والصبر:

مما لا شك فيه أن الجدال والحوار يثـير في النفس نـوازع متعـــددة من القابلية الســـريعة للاســـتفزاز، أو التعـــالي على الخصم؛ خاصة إذا كـان المنـاظر ممن عـرف بالمراوغة وسـوء الخلق، وقبح الألفاظ ممن كان على شـاكلة هـؤلاء المنصـرين. ولكن رغم ذلك فقد حـــــرص الشيخ رحمت الله على ملاطفة مناظرية والحلم معه وذلك من خلال:

أ- صبره حـتى ينهي خصـمه الكلام، فقد صـبر على فنـدر وهو يقـــــــــــــــــرأ من مـــــــــــــــــيزان الحق[1]، كما صــبر على مرافقة (فــرنج)[2] وهو يقــرأ كلامــاً طــويلاً من طومــاره[3]، كما صـــبر على كل التصـــرفات غـــير اللائقة وإنما المحاولات الاستفزازية[4].

ب- إذا انتهى من سوق كلام أو شاهد، وأراد الاتيان بشاهد آخر تجده يقول: إن أجزتم[5] نبين الساعة إن قبلتم، وهكذا[6] .

جـ- عدم غضـبه من تصـرفات فنـدر، وتنكـره هو وشـريكه

---

1 (?) انظر: المناظرة الكبرى: (244).

2 (?) قس من فرقة البروتستانت، عمل على التنصير في الهنــد، وقد عمل مســاعداً لفنــدر في مناظراته في الشــيخ رحمت اللــه. (انظر: محمد ملكاوي: مقدمة تحقيق كتاب إظهار الحق: ص(35).

3 (?) انظر: المناظرة الكـبرى:ص(258)، والطومـار: الصـحيفة، انظر: ابن منظور لسان العرب: (4/258).

4 (?) انظر: المناظرة الكبرى: (263-267).

5 (?) المناظرة الكبرى: (222).

6 (?) المناظرة الكبرى: (243).

للعلماء المعتبرين، ولم يكن يمنع فرنج من الكلام كما منع محمد وزير خان- مرافق الشيخ ومساعده في المناظرة- من الكلام أكثر من مرة، حتى غضب وقال: ألست شريك المناظرة؟[1].

د-كان الشيخ رحمة الله يناظر على طريقة إرخاء العنان للخصم في مسائل هامة، مثل تخيير فندر في مفهوم التحريف الذي يريده[2]؛ ليثبت له وقوع التحريف في كتب العهدين بهذا المفهوم المختار.

4-الرحمة والشفقة بالخصم، والحرص على أقناعه:

يظهر ذلك جلياً في كثرة سوق الدلائل والبراهين لاقناع المناظر، بل وإلزام المناظر بالدخول في الدين عند الغلبة والنصر[3] . فالشيخ رحمة الله طمع فعلاً في إسلام القسيس وغيره ممن على دينه، وهذه من الرحمة والشفقة على الخصم والذي لا يكون إلا في الداعية المسلم المتأدب بآداب الإسلام.

5-الجرأة والشجاعة لنصرة الحق:

كان الشيخ رحمة الله متصفاً بشجاعة المسلم وجرأة العالم في قول الحق.

ويظهر ذلك في:

أ- إحراجه لفندر، وكشفه للحاضرين، بقوله: « أوردنا إثبات إدعائنا شاهدين وأنتم تصرون على دعوى العموم بلا

---

1 (?) انظر: المناظرة الكبرى: (276).

2 (?) انظر: المناظرة الكبرى: (260) وما بعدها.

3 (?) الشيخ محمد سليم: أكبر مجاهد: (37).

شاهد »[1].

ب- تزييفه للعقائد النصـرانية، وكشـفه اللثـام عن حقيقتها دون حرج أو خوف، كما زيف كتبهم، وبين أنها محرفة ومفتقرة إلى السند.

ج- وكذلك كان جريئـاً في إظهـار تنـاقض فنـدر بين أقواله وكتاباته[2] .

د- وتظهر جرأته كــــذلك في طلبه من فنــــدر قبيل نهاية الجلسة الأولى بتســليم أو تأويل ســتين موضــعاً أقر علمــاء النصــارى بتحريفهــا، وأنه لا اســتدلال بمجمــوع العهــدين قبل التسليم أو التأويل، وبيـان السـند المتصل لبعض كتب العهـدين .[3]

هــ-كما وتظهر جرأته وشـجاعته بإعلانه في ختـام الجلسة الثانية بالصوت العالي؛ ليسمع الملأ أنه ما بقي بينه وبين فنــدر إلا الـنزاع اللفظي، لأنه أقر بوقـوع التحريف في كتب العهـدين بالمفهوم الذي يريده المسلمون[4].

و-مناداته في ختـــام الجلسة الثانية بأنه حاضر للمنـــاظرة إلى شهرين بلا عذر، تأكيده على هذا مرة ثانية في مكاتيبه بعد المناظرة[5].

هـذه كـانت الآداب النفسـية للمنـاظر، أما الآداب العلمية

---

1 (?) المناظرة الكبرى: (213).

2 (?) انظر: إظهار الحق: (1/25-95)، المناظرة الكبرى: (215-217).

3 (?) انظر: المناظرة الكبرى: (242-258).

4 (?) انظر: المرجع السابق: (262-263).

5 (?) انظر: المرجع السابق: (267).

التي توفرت في شخصية الشيخ رحمه الله فهي:

1- العلم والحفظ:

لقد أبـانت المنـاظرة عن علم الشيخ رحمه الله بما في كتب أهل الكتاب وأقـوال علمـائهم بل والحفظ التـام لما في تلك الكتب ويظهر ذلك من خلال:

أ- استشـهادة بحـوالي عشـرين شـاهداً من كتب قـدماء علمـــاء النصـــارى ومن كتب القس فنـــدر، ومن كتب علمـــاء المســلمين ومفســرين، وتلاوته هــذه الشــواهد من ذاكرته بلا زيادة أو نقص، ودون أن يفتح كتاباً.

بينما كـان القسيسـان فنـدر وفـرنج يفتحـان كتب علمـاء النصـارى لتلاوة الشـاهد، وكـان فنـدر يفتح كتب نفسه لتلاوة الشـاهد مما ألفه بنفســه، وإذا تعسر عليه الإتيـان بـدليل من الكتب التي يظن أن له فيها حجة، كان الشيخ رحمه الله يفهم مـراده، ويدله على موضعه، ويتلو له الشاهد من ذاكرته[1].

ب- معرفته التامة لجميع الاعتراضات والردود في القضـية الواحدة سواء كانوا من المؤيدين والمعارضين، وإذا ذكر قضـية معينـة، ذكر أسـماء علمـاء النصـارى المؤيـدين والمعارضـين، ووجهة نظر كل منهمـــا. وما ردوا به على بعضــــهم وما رجحه محققـــوهم في ذلـــك، وحفظه لأقـــوالهم المعتـــبرة في تلك القضية.

ج- إشـارته في شـواهده إلى اسم الكتـاب ومؤلفه ورقم الجـزء والصـفحة وسـنة الطبع ومكانـه، وإن كـان الشـاهد من فقـرات كتب العهـدين؛ لا يكتفي بتلاوته من الـذاكرة بل يشـير إلى اسم السفر ورقم الإصحاح والفقرة.

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (226-244-246-258).

2- الدليل وقوته:

لما كان الدليل يزداد قـوة بالأدلة الأخـرى، كـان الشيخ رحمه الله يستدل بأكثر من دليل على القضية الواحدة، حباً منه في تقوية أدلته. وإقامة الحجة على خصمه، وزيادة الدارس علمـاً بوجـوه الرد وطرقـه، وكـان ينبه بعد ذكر عشـرات الشـواهد والأقـوال إلى تركه شواهد أخرى اختصاراً في كتابه إظهار الحق.

وبذلك فقد استطاع الشيخ رحمه الله الإتيان بعشرات الشــواهد على القضية الواحدة من القضايا الكبرى كمسألتي النسخ والتحريــف، وكان يـأتي بشـاهدين أو ثلاثة على القضـية الجزئية مما يـدل على أنه كان ينقب تنقيباً دقيقـاً في كتب خصـمه، لاسـتخراج كل ما يؤيد حجته، ويلزم به خصمه.

وهو مع ذلك لا يكـرر تلك الأدلة والشـواهد، بل كـان كلامه مسـتنداً إما إلى العقل وإما إلى كتب العهـدين الـتي يسـلم بها الخصم، وإما من كلام علماء النصارى المعتبرين وقد سلك في ذلك مسـلكاً دل على قــوة ذكائه وحفظه حـتى أذهل خصــمه، حيث أنه يبــدأ بكلام نفسه على الموضع المتنــازع فيــه، فــإذا رفض الخصم قوله أتى له بالشواهد من كتب العهدين، فإن لم يقبل أتى له بأقوال العلماء النصـارى المؤيـدة لما يقـول، فـإذا ألزم الخصم الحجة لا يسـكت الشيخ رحمه الله بل يتبع الـدليل بـدليل آخر، زيادة في التأكيد على بيان المطلوب.

ولعل هذا المنهج عند الشيخ رحمه الله في البحث والمناظرة ألجأ خصمه إلى موقف الدفاع بـدل الهجـوم مما يـؤدي إلى زعزعة معتقدات الخصم.

هذا بالإضافة إلى وضوح وسهولة اسـتنباط الأدلة وترتيبهـا، فلم يجنح الشيخ رحمه الله إلى الأدلة الغامضة والاســــــتنباطات المعقدة، وقد ابتعد في أدلته عن الفرعيـات الـتي تكـون عـادة مثار جدل طويل، وركز على نقد العقائد الأساسـية الـتي يكفي

إبطال الواحدة منها لهدم الأصول التي يعتمد الخصم عليها.

3- الإلتزام بما يسلم به الخصم:

أثبت الشيخ رحمه الله الكثير من القضايا؛ كتحريف كتب العهدين ونسخها، ونبوة محمد ﷺ وبطلان عقيدتي التثليث وألوهية المسيح، دون أن يخرج عن المعتمد عند أهل الكتاب من أسفارهم، ومن أقوال كبار علمائهم ومحققيهم ومفسريهم، ولم يجنح إلى القرآن والسنة والأدلة العقلية إلا في مواضع محدودة وعند اقتضاء ضرورة الكلام؛ وذك لأن أهل الكتاب ينكرون القرآن والسنة، فلا ينفع معهم الاستدلال بهما عليهم.

وأما الأدلة العقلية فهي معطلة عندهم في مقابل النصوص المحرفة، لذا تسلح الشيخ رحمه الله بسلاحهم، وغاص في بطون كتبهم، فاستخرج مما فيها بطلان ما فيها، وأثبت تحريفها ونسخها بنفس فقرات، وأثبت وحدانية الله تعالى ونبوة محمد ﷺ بنفس فقرات أسفارها التي حرفت قصداً لإنكارهما.

4- وضع المقدمات والفوائد والتنبيهات:

قدم الشيخ رحمه الله لكتابه إظهار الحق، وأبوابه، وفصوله، وردوده الجزئية بمقدمات طويلة أو قصيرة حسب الحاجة، وسماها أحياناً فوائد أو تنبيهات، وهي ضرورية جداً في أماكنها من الكتاب، لأنها تعين الدارس على إزالة إشكالات كثيرة قد تعيقه أثناء الدراسة، أو لأنها تنبه الدارس إلى مغالطات كثيرة يموه بها النصارى على المبتدئين في هذا الفن.

أما الآداب اللفظية فقد راعى الشيخ رحمه الله حسن استخدام العبارات المناسبة، متأدباً بأدب السؤال، مع التذكير والوعظ المناسبين لحال الخصم[1]، حتى وصل به الأمر أن يقول عندما

---

[1] (?) انظر: إظهار الحق: (1/12-19).

يورد قـولاً من أقـوال الخصـوم والمخـالفين (النبيل أو الفاضل فلان)[1].

---

1 (?) المرجع السابق: (1/37).



الفصل الثاني

التوحيــــــــــد

وفيه ستـــة مباحـث :-

- المبحث الأول : **وجـود الله تعالـى** .
- المبحث الثاني : **وحدانيـــة الله**.
- المبحث الثالث : **الأسماء والصفـات** .
- المبحث الرابع : **توحيد الألوهيـــة** .
- المبحث الخامس : **إبطال عقيدة التثليث** .
- المبحث السادس : **إبطال ألوهية عيسى** ﷺ .

تمهيــد:

التوحيد لغـة: هو مصـدر وحد يوحد توحيـداً، فهو على وزن تفعيل، ويعني: الحكم والعلم بأن الشيء واحد[1].

فالكلمة تدور معانيها على الوحدة والإنفراد والتفرد.

أما مـدلول التوحيد الشـرعي عند أهل السـنة والجماعـة، مأخوذ من التفعيل النسبة كالتصديق لا للجعل، فمعـنى وحـدت الله تعـــالى: نســـبته إلى الوحدانية لا جعلته واحـــداً[2]، لأن وحدانيتـه: صـفته، وليست بجعل جاعـل، أما التوحيد فهو فعل المكلف.

والتعريف الجامع للتوحيد هو: "إفراد المعبـود بالعبـادة، مع اعتقاد وحدته ذاتاً صفاتاً وأفعالاً"[3] والمعبود هو الله وحده.

وعلى هـــذا فيكـــون التوحيد ثلاثة أقســـام، وهي: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

ولما كان التوحيد هو أصل الدين في إلهية الرب وربوبيتـه، وأسمائه وصفاته، كان الحديث ابتداءً عن موقف الشيخ رحمه الله من أقسام التوحيد، وتوضيح جهوده في الـدفاع عن وحدانية الـرب تعالى في مواجهة النصارى، وما شـاب ذلك من خلل نـاتج عن منهجه في الاستدلال -كما سبق-.

---

1 (?) انظر: الجوهري: الصحاح: (2/547،548).

2 (?) انظر: محمد أحمد السفاريني: لوامع الأنوار البهيـة، تعليـق: عبد الـــرحمن أبا بطين وســـلمان ســـحمان، (1/56-57)، ط2، 1405هـ-1985م، المكتب الإسلامي - بيروت.

3 (?) المرجع السابق: (1/57).

وهـذا سيتضح لنا من خلال المبـاحث التالية -إن شـاء الله تعالى-.



المبحث الأول :
وجـود الله تعالـى

يعتبر الإيمـان بوجـود الله تعـالى أصـلاً من أصـول الـدين، وهذا الإيمـان أمر فطـري في البشر جميعـاً، إذ كل إنسـان يقر بوجود الله تعالى والعقل البشري يـدرك هـذه الحقيقة الجليـة، بما أودع فيه من ضـــرورة يحس بها دون أن يكـــون بحاجة إلى منهج مرسـوم يسـلكه للتعـرف على خالقــه، وبارئه ومكونــه، وموجده من العدم، وميسر رزقه وتقلبه في هذه الحياة.

فالاعتقاد بوجود الله تعالى أمر فطري لا يحتاج إلى دليــل، وإنما الــدليل يكــون عند فســاد الفطــرة وتغيرهــا، وغاية هــذا الاســـتدلال العقلي هو مجـــرد الكشف عن وجه الضــــرورة الفطرية وبيان المقـدمات الضـرورية الـتي تسـتند إليهـا، وهـذا ليس في الحقيقة اســـتدلالاً نظريـــاً وإنما هو كشف عن وجه الضرورة في المقدمات الضرورية.

لذلك كـان الاسـتدلال على هـذه قضـية -قضـية وجـود الله تعالى- حتى تقوم الحجة على من أنكر، وليردوهم إلى الفطـرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

يقول شيخ الإسـلام ابن تيميـة: « الإقـرار بالخـالق وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته، وإن كـان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثـيرة وقد يحتـاج إلى الأدلة عليه كثـير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها »[1] .

وقد شغل بقضية الاستدلال على وجـود الله تعـالى علمـاء من مختلف الطوائف والمـــدارس كما شـــغل بها من قبلهم،

---

[1] (?) ابن تيمية مجموع الفتاوى: (6/73).

وسلكوا في ذلك مسالك متعددة.

وقبل أن أبدأ في بيان المسلك الذي ســلكه الشيخ رحمه الله في إثبــات هــذه القضــية؛ أذكر نبــذة مــوجزة عن مســلك كل من الفلاسفة والمتكلمين في إثبات وجود الله تعالى حتى يتــبين لنا منهج الشيخ رحمه الله من خلال منهجهم. ثم أعقب بـــــــذكر المنهج الصحيح والسليم في إثبات وجود الله تعالى والذي ســلكه أهل السنة والجماعة في ذلك.



المطلب الأول: طريقة الفلاســفة والمتكلمين في إثبات وجود الله تعالى:

1) الفلاسفة:

سلك الفلاسفة الإلهيون في إثبات وجود الله تعـالى طريق الوجوب والإمكان، فقسموا الموجودات إلى واجب وممكن.

وقد لخص صـــاحب المواقف هـــذا الاســـتدلال فقـــال: « المسلك الثـاني: للحكمـاء وهو أن (في الواقـع) موجـوداً، فـإن كان واجباً فـذلك، وإن كـان ممكنا احتـاج إلى مـؤثر، ولا بد من الانتهاء إلى الواجب وإلا لزم الدور والتسلسل[1] » [2].

وليس هذا محل تفصيل لهذا الدليل فأكتفي بما أوردته من تلخيص له.

والــذي يهمنا هنا أن نعلم أن هــذه الطريقة الفلســفية مما يعلم بالاضــطرار أن محمــداً ﷺ لم يــدع النــاس بها إلى الإقــرار بالخــالق ســبحانه ولا ســلف الأمة وأئمتهــا، وقد فنــدها شــيخ الإسلام ابن تيمية، وبيّن ما يترتب عليها من نتائج فاسدة؛ كنفي جميع الصـفات الإلهية وإثبـات وجـود واجب وهو اللـه، ليس له

---

1 (?) الدور: توقف الشيء على ما يتوقف عليـه، ويســمى الــدور المصرح كما يتوقف أعلى ب وبالعكس، أو بمراتب ويســمى الــدور المضـــمر، كما يتوقف أعلى ب وب وج على أ ، التعريفـــات: ص(89).

التسلسل: ترتيب أمور غير متناهية: التعريفات: ص(52).

2 (?) القاضي عضد الـدين الإيجي: المواقـف، وشـرحه للشـريف علي بن محمد الجرجــاني (8/7) وما بين القوســين للشــارح، (ط 1،1419هـ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان).

حقيقة سوى مطلق الوجود[1].

2) المتكلمون:

عرف المتكلمون ما في قـول الفلاسـفة من الضـلال، وأنه يقضي ألا يكــون الله خالقــاً، لكنهم ظنــوا أنه لا بد لــرد قــول الفلاسفة ونقض شبهاتهم من الاستدلال على حـدوث[2] العـالم واحتياجه إلى محـدث وهو الله لهـذا بـذلوا جهـداً كبـيراً في إثبات حدوث العالم والرد على من قـال بقدمه واسـتدلوا على حدوثهما بما يطول وصفه.

وحاصله: أن العـرض[3] حـادث بدلالة وجـوده وعدمـه، وأن الجوهر[4] حـادث لعـدم إمكـان خلـوه من العـرض؛ كـأن يكـون

---

1 (?) انظر: درء تعـارض العقل والنقـل: (1/215-219)، وكتـاب النبوات: (62)، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، ط1، 1422هـ- مؤسسة الرسالة، بيروت، ومنهاج السنة: (1/234)، تحقيق: محمد رشــاد ســالم، ط1، 1406هــــ، جامعة الإمــام محمد بن ســعود الإسلامية.

2 (?) الحدوث: ما يكون مسبوقاً بالعدم، ويسمى: حـدوثاً زمانيـاً. وقد يعـبر عن الحـدوث بالحاجة إلى الغـير، ويسـمى: حـدوثاً ذاتيـاً: (الجرجـاني: التعريفـات: ص(71)، وانظـر: الجـوهري، الصـحاح: (1/278).

3 (?) العَرَض: الموجود الـذي يحتـاج في وجـوده إلى موضـع، أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجـوده إلى جسم يحله ويوقـوم به (الجرجاني: التعريفـات: (122)، وانظـر: الجـوهري الصـحاح: (3/1083).

4 (?) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيـان كـانت لا في موضـع، وهو منحصر في خمسة: هيولي، وصـورة، وجسـم، ونفس، وعقـل، لأنه إما أن يكــون مجــرداً أو غــير مجــرد (انظــر: الجرجــاني، التعريفات، ص70)

متحركاً وساكناً، وبنوا على ذلك مقدمة هي عندهم ضرورية؛ وهي أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، والقول باستحالة تسلسل الحوادث في الماضي وجعلوا ذلك نقيضاً لتلك المقدمة.

وبناءً على ما سبق جعل المتكلمون النظر أول واجب على المكلف مخالفين بذلك العقل والنقل.

وقد حصر صاحب المواقف طرق المتكلمين في إثبات وجود الله تعالى في أربع طرق فقال : « قد علمت أن العالم إما جوهر أو عرض وقد يستدل بكل واحد منهما إما بإمكانه أو حدوثه فهذه وجوه أربع:

الأول: الاستدلال بحدوث الجواهر: وهو أن العالم حادث، وكل حادث فله محدث.

الثاني: بإمكانها: هو أن العالم ممكن، لأنه مركب، وكثير وكل ممكن فله علة مؤثرة.

الثالث: بحدوث الأعراض: مثل ما نشاهد من انقلاب النطفة علقة، ثم مضغة، ثم لحماً ودماً، إذ لا بد من مؤثر صانع حكيم.

الرابع: بإمكان الأعراض: وهو أن الأجسام مماثلة، فاختصاص كل بما له من الصفات جائز، فلا بد من التخصيص من مخصص له »[1].

وهذا الدليل هو المسلك المشهور للمعتزلة[2]، وأخذه

---

1 (?) عبد الرحمن الإيجي: المواقف في علم الكلام، بشرح الجرجاني: (8/3-8).

عنهم جمهور الأشاعرة[1]، والماتريدية[2]؛ مما ترتب عليه إيجاب النظر العقلي لمعرفة الله تعالى.

ولا شك أن هـذا المسـلك -مع ما عليه من مآخذ واعتراضات- مسلك شاق يصعب تصوره على المتخصصين فضلاً عن غير المتخصصين، وفيه من الطول والخفاء واللبس والإبهام ما لا يخفى، فلا يصح لأن يجعل سبيلاً لتحصيل أشرف المطالب وهو الإيمان بالله تعالى.

وبعد: فما سبق كان نبذة موجزة عن منهج كل من المتكلمين والفلاسفة في الاستدلال على وجود الله تعالى، وقد تبين أنهم جميعاً اعتمدوا في استلالهم على مجرد العقل وعلى البراهين المنطقية والفلسفة بشكل عام وابتعدوا كل الابتعاد عن الأدلة القرآنية التي هي أفضل الطرق وأنفعها لإثبات وجود الله تعالى.

---

1 (?) انظر: الباقلاني: التمهيد: ص(37-44)، ط3، 1414هـ-1993م، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت لبنان)، وله الإنصاف: ص(15-18)، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط3، 1413هـ-1993م، مكتبة الخانجي- القاهرة، والجويني: الإرشاد: ص(40-49).

2 (?) انظر: أبو منصور الماتريدي: التوحيد: (11-19، 40، 82، 141، 142)، الكمال بن الهمام: المسايرة: (17-18).

المطلب الثـــاني: منهج الشـــيخ رحمت الله الهندي في إثبات وجود الله تعالى:

عند تتبع ما كتبه الشيخ رحمت الله الهندي في مسألة إثبات وجـــود الله تعالى نجد أنه لم يعرض هذه المسـألة عرضـاً مفصـلاً، بل نجده يذكر هذه المسألة في ثنايا عرض قضية أخرى.

فـالشيخ رحمت الله ~ يناظر أناساً مقـرين بوجـود الله تعـالى ولا يخـــــــــــــالج قلـــــــــــــوبهم شك في هذه المسألة.

فهو يعــرض هــذه القضــية من بــاب ضــرب الأمثلــة: إما لمســألة النسخ والأمــور الــتي لا يقع فيها النَسْــخ، وإما كمثــال لدور العقل وحدوده.

فالأول: عندما ضرب لنا الشيخ رحمت الله الأمثلة على الأمور التي لا يقع فيها النسخ، حيث قال: إن النسخ لا يطـرأ عنـدنا « على الأمور القطعية العقلية؛ مثل أن صانع العالم موجود»[1].

والثاني: عند إثباته للحاجة إلى بعثة الرســل، وبيــان حــدود العقل، ومدى الوثوق بأحكامه، حيث يرى أن مسألة وجــود الله تعــالى من الأمــور الــتي يســتقل العقل بمعرفتهــا؛ بحيث يــأتي النص معضــداً ومقويــاً للعقل في حكمه فيكــون بمنزلة دليلين على مدلول واحد.

يقــول في التنبيهــات: « وهــذا النــبي يعاضد العقل ويؤكد حكمه ويجعله موثوقـــاً به فيما يســـتقل العقل بمعرفته مثـــل:

---

1 (?) إظهار الحق: (3/643)، والمنـاظرة الكـبرى: تحقيق محمد ملكاوي ص(206).

وجـــود البـــاري وعلمه فيكونـــان بمنزلة دليلين على مـــدلول واحد»[1].

فيتضح من كلام الشيخ رحمه الله: أن مسألة وجود الله تعالى من الأمور العقلية القطعية التي يستقل العقل بمعرفتها.

وهــذه المســألة مرتبطة بمنهج الشيخ رحمه الله في الاســتدلال العقلي فهو يقول:

« إن ثبــوت النقل موقــوف على ثبــوت وجــود الصــانع، وعلمه، وقدرته، وكونه مرسلاً للرسل، وثبوتها بالـدلائل العقلية »[2].

وهــذا المســلك موافق لمنهج المتكلمين من الأشـــاعرة والماتريدية الذين قرروا: أن العقل يستقل بإثبـات وجـود اللـه، ووحدانيته، واتصافه بالحياة، والعلم، والقـدرة، والإرادة، وجـواز إرسال الرسل، ثم يعزل نفسه، فلا يتوقف العقل على الشــرع في مثل هذه الأمور، لأن الشـرع متوقف عليه فيهـا، فلو توقف عليه لزم الدور وهو باطل.

ويبطل شـيخ الإسـلام ابن تيمية هـذا المنهج فيقـول: « إن جمهور الخلق يعترفون بـأن المعرفة للصـانع وصـدق الرسـول ليس متوقفــاً على ما يدعيه بعضــهم من العقليــات المخالفة

---

1 (?) ص: (34).

2 (?) إظهار الحق: (3/733).

للسـمع، والواضـعون لهـذا القـانون -كـأبي حامد[1] والـرازي[2] وغيرهما- معـترفون بـأن العلم بصـدق الرسـول لا يتوقف على العقليـــات المعارضة لـــه، فطوائف كثـــيرون -كــأبي حامد والشهرسـتاني[3] وأبي القاسم الــراغب[4] وغــيرهم- يقولــون العلم بالصانع فطري ضروري.

---

1 (?) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي ، ولد سنة (505هـ)، بـرع في الفقه وأصـوله وعلم الكلام وغير ذلك وله مصـنفات فيهـا، وقد كـان منتميـاً إلى الأشـعرية في طريقته الكلاميـة، ورجع عنها إلى منهج أهل السـنة في آخر حياتـه، من مصنفاته: إحياء علـوم الـدين، والاقتصـاد في الاعتقـاد، وقواعد العقائـد. (انظـر: الإمـام الـذهبي: سـير أعلام النبلاء: (19/323 وما بعدها)، والزركلي: الأعلام: ص22).

2 (?) أبو عبدالله فخر الـــــــــدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، التيمي البكـري الـرازي، يعـرف بـابن الخطيب، ولد سـنة (544هـ) وتـوفي سـنة (606هــ) من أئمة الأشـاعرة الـذين مزجـوا المـذهب الأشـعري بالفلسـفة والاعـتزال. (انظـر: ابن حجر لسـان المـيزان: (4/246-249)، الأعلام: (6/313)، والبداية والنهايـة: (13/65)).

3 (?) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكـريم بن أحمد الشهرسـتاني، أشــعري العقيــدة، شــافعي المــذهب، ولد ســنة (467هـــ)، من تصـــانيفه: نهاية الإقـــدام في علم الكلام، و مصـــارعة الفلاســـفة، والملل والنحــل، تــوفي ســنة (548هـــ)، (انظــر: كحالــه: معجم المــؤلفين: (3/344)، الــزركلي: الأعلام: (6/215)، وابن حجــر: لسان الميزان: (5/263)).

4 (?) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني: إمام في اللغة، وينسب إلى الأشعرية، ويقال أنه معتزلي- من تصــانيفه: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومفردات ألفاظ القرآن، توفي سنة (425هـ) (انظر: الإمام شمس الـدين الـذهبي: سـير أعلام النبلاء: (18/120)، وكحالة: معجم المؤلفين: (1/642).

والرازي والآمدي[1] وغيرهما من النظار يسـلمون أن العلم بالصانع قد يحصل بالاضطرار وحينئذ فالعلم بكون الصانع قادرا معلــوم بالاضــطرار، والعلم بصــدق الرســول عند ظهــور المعجـزات الـتي تحـدى الخلق بمعارضـتها وعجـزوا عن ذلك معلوم بالاضطرار.

ومعلوم أن السـمعيات مملـوءة من إثبـات الصـانع وقدرته وتصديق رسوله، ليس فيها ما يناقض هذه الأصول العقلية التي بها يعلم السمع بل الذي في السمع يوافق هذه الأصول»[2].

وكما سبق فإن القـول بـأن معرفة الله عقلية يـترتب عليه إنكـار فطرية المعرفـة، والقـول بأنها نظريـة، وأنها واجبة على كل مكلف، وهذا مخالف لما هو معلوم بضرورة العقل.

وهــذا ما أدى بالشيخ رحمه الله أن يجعل التفكــير في معرفة الله تعـالى وصـفاته وأفعاله العمـدة الكـبرى الـذي هو من أغـراض التكليف، يقول: « وهـذا التكليف لا يمنع القلب من الاسـتغراق في معرفة الله والفناء في عظمته، لأن التفكر في معرفة الله وأفعاله العمدة الكبرى من أغراض التكليـف، وسـائر التكـاليف داعية إليـه، ووسـيلة إلى إصـلاح المعـاش المعين على صـفاء الأوقات عن المشوشات الـتي شـغلها التكـاليف »[3] والصـحيح

---

1 (?) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن ســالم الآمــدي الشافعي الأصولي الأشـعري، ولد سـنة(551هــ) وله في الأصـول: الإحكام، وفي علم الكلام: غاية المرام، وأبكار الأفكار، توفي سنة (631هـ). (انظر: ابن كثير: البداية والنهاية: (13/165)، وابن حجر: لسان الميزان: (3/134)، والإمام الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال: (2/259)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).

2 (?) ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل: (1/91-92).

أن الإنسان.مطـالب بـالتفكر في مخلوقـات الله تعـالى، ولكنه ليس مأموراً أن يعرف الله عن طريق ذلك النظر والتفكير.

أما استدلال أهل السنة والجماعة على وجود الباري فقد استدلوا بالأدلة التي وردت في نصوص الكتاب الكـريم والسـنة المطهرة وهي على النحو التالي:

أولاً: دلالة الفطرة:

الفطـرة السـليمة مجبولة على الإقـرار بوجـود الله تعـالى والإيمان به وهذا الشعور الفطري لا ينكـره سـوى شـراذم من شواذ البشر من الدهريين والملاحـدة ثم لا يملكـون إلا اللجـوء إليه عند الضرورات والشدائد.

فـالفطرة لو سـلمت من المعـارض لبقيت على حالها من السلامة والاستقامة، يقول شيخ الإسـلام ابن تيميـة: « الإقـرار بالله والاعتراف بالصانع ثابت في الفطـرة، كما قـرره سـبحانه في كتابه في مواضــع، فلا يحتــاج هــذا إلى دليل بل هو أرسخ المعارف وأصل الأصول »[1] .

ودلالة الفطرة على وجود الله تعالى والإيمـان به والإقـرار بربوبيته وحده لا شريك لـه، من القـرآن الكـريم قوله تعـالى:

(الروم:30).

نقل الإمـام ابن عبد الـبر[2] إجمـاع أهل التفسـير على أن المقصــود بــالفطرة الإســلام حيث قــال « أجمع أهل العلم بالتأويل على أن المـراد بقوله تعـالى:

---

1 (?) مجموع فتاوى ابن تيمية: (2/72).

2 (?) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد الـــبر النمـــري الأندلسي، حافظ المغرب، أحد كبـار المالكيـة، ولد سـنة (368هــ) وتـوفي سـنة (463)، له تصـانيف كثـيرة، وأكبرها التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

(انظر ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: (18/153)، كحالة: معجم المؤلفين: (4/170).

الإسلام وهو المعروف عند عامة السلف »[1] .

ومن السنة حديث النبي الوارد في الصحيحن من حـديث أبي هريـرة قـال: قـال رسـول الله : ((ما من مولـود إلا يولد على الفطـرة فـأبواه يهودانه أو ينصـرانه أو يمجسـانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء))[2] .

وبالحديث القدسي الذي أخرجه مسلم فيما يرويه النــبي عن ربه قـال: ((إني خلقت عبـادي حنفـاء كلهم، وإنهم أتتهم الشـياطين فاجتـالتهم عن دينهم وحـرمت عليهم ما أحللت لهم))[3].

ثانياً: دلالة الخلق:

فإن حدوث الأشياء المشاهدة يقتضي بالضرورة أن يكــون لها موجد، لاسـتحالة أن يكـون وجودها وانتقالها من العـدم إلى الوجود ذاتياً أو من غـير سـبب، وهـذه المقـدمات الضـرورية لا يمكن الاستدلال عليها؛ لأن ذلك يستلزم إما التسلسل أو الدور الممتنعين.

وهـذا ما وقع فيه المتكلمـون عنـدما اسـتدلوا على وجـود

---

1 (?) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد الـــــبر المـــــالكي القرطــبي: التمهيد لما في موطأ مالك من المعــاني والأســانيد: (394-6/393) ط1، 1420هــ دار إحيـاء الـتراث العـربي بـيروت-لبنان.

2 (?) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجنـائز، بـاب: ما قيل في أولاد المشركين، حديث: (1385) ص(222)، ومسلم في صحيحه: كتـاب المقـدر، بـاب: معـنى كل مولـود يولد على الفطـرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين: (8/52).

3 (?) رواه مسـلم في كتـاب الجنة وصـفة نعيمها وأهلهـا، بـاب: صفة يوم القيامة: (8/159).

الباري تعالى على أساس حدوث هذا العالم واحتياجه إلى محدث هو الله [illegible] لهذا بذلوا جهدا في إثبات حدوث العالم، والرد على ما من قال بقدمه.

فهؤلاء المتكلمين يقدمون بمقدمات ليدللوا على قضية اعتبرها القرآن قضية فطرية في الإنسان، وترتب على هذا المنهج الذي اعتمدوه تعطيل صفات الله تعالى ورد النصوص الثابتة بالكتاب والسنة.

فالاستدلال العقلي الذي هو مقتضى الضرورة الحسية على وجود الله تعالى هو مجرد الكشف عن وجه تلك الضرورة، ولا يمكن الاستدلال عليها فدلالة الخلق على وجود الخالق هي أدلة عقلية صحيحة وشرعية دل عليها القرآن بقوله تعالى : [illegible] [فصلت: 53].

وقال تعالى: [illegible] [الذاريات:20-21].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « الاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها وبين وأرشد إليها، وهي عقلية، فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول [illegible]، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر.

لكن الرسول أمر أن يستدل به ودل به، وبينه واحتج به فهو دليل شرعي لأن الشارع استدل به وأمر ان يستدل به،

وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته »[1] .

وكما يـدل المخلـوق على الخـالق من جهة حدوثه وتـرجح وجوده على عدمه واستحالة أن يكون وجوده ذاتيـاً أو من غـير موجد، كـذلك يـدل المخلـوق على الله أيضـاً من جهة ما يظهر في المخلوقــات من النظــام المحكم -وهــذا مقتضى الإدراك الحسي الضـروري- كما ورد ذلك في قـوله تعـالى: [الفرقان:2] وقال تعالى: [الملك:3].

وقوله عز من قائل: [النمل: 88] وغيرها من الآيات التي تدل على وجود الله .

ثالثاً: دلالة المعجزة:

دلالة المعجـزة على وجـود الله تعـالى واضـحة لأنها دلت على صدق الرسول، وأن ما أخبر به صدق ومن أعظم ما أخبر به وجوب الإيمان بوجوده ، وتوحيـده وعبادته وحـده لا شـريك له.

وأيضاً فإن الرسول لم يـدع أن المعجـزة من عنـده؛ وإنما أخبر أنها من عند الله، وهذا يوجب الإيمان بوجوده .

ومن خلال تتبع ما كتبه الشيخ رحمت الله الهنـــــدي لم أقف على كلام يشير فيه إلى إثبات وجود الله عن طريق المعجزات. إلا أن إيراده لمعجزات النبي للاستدلال على صـدق نبوته[2] -كما سيأتي في فصل النبـوات بمشـيئة الله تعـالى- يسـتلزم وجـود

---

1 (?) النبوات: ص(70).

2 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1000-1073).

الله ، لأن الإيمان بالرسول يستلزم ثبوت وجود الله ، والإيمان بالرسول يقتضي وجوب الإيمان بالذي أرسله وهو الله تعالى.

وأهل السنة والجماعة كما استدلوا على وجود الله بآيات الخالق التي شملت الآفاق والأنفس استدلوا أيضاً على وجوده بالمعجزات التي أيد بها أنبياءه.

وقد نسب ابن تيمية هذه الطريقة - أي طريقة الاستدلال بالمعجزات على وجود الله سبحانه- إلى أئمة السلف حيث يقول: « وهذه طريقة السلف وأئمة المسلمين في الاستدلال على معرفة الصانع وحدوث العالم »[1] .

ويقول أيضاً في موضع آخر: « المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله، لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث له، وأنه أحدثها لتصديق الرسول، وإن لم يكن قبل قد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع »[2].

أما ابن القيم فيرى أن طريق إثبات وجود الصانع بالمعجزات من أفضل الطرق وأعظمها دلالة على الصانع سبحانه حيث يقول: « وهذه الطريقة من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله، وارتباط أدلة هذا الطريق بمدلولاتها أقوى من الأدلة العقلية الصريحة، ولهذا يسميها الله آيات بينات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها »[3] .

---

1 (?) درء تعارض العقل والنقل: (8/352).

2 (?) المرجع السابق: (9/41).

3 (?) ابن القيم: الصواعق المرسلة: ص(3/1197).تحقيق: علي دخيل الله، ط1، 1408هـ، دار العاصمة-الرياض.

المبحث الثاني :
وحدانيـــة الله

المقصود بوحدانية الله تعالى، إثبات أنه واحد لا شريك له، وهذا يستلزم أن يكون الله تعـالى هو المتفـرد بـالخلق والملك والتدبير لجميع المخلوقات.

والأسـاس العقلي في الاسـتدلال على وحدانية الله تعـالى هو النظر في انتظام المخلوقات وفق سنن ثابتة مطــردة، وأن المــدبر لها لا بد أن يكــون واحــداً، لعــدم إمكــان تعــدد الإلهة المدبرة للعـالم مع تحقق الانتظـام في المخلوقـات، لأنه يلـزم من تعدد الأرباب اختلاف إراداتهم في تدبير المخلوقـات. وهـذا يلـزم فسـاد المخلوقـات وعـدم انتظامهـا؛ لكنها منتظمة ليس فيها فساد من هذا الوجه، فدل هذا على أن المدبر لها لابد أن يكون واحداً وهو الله تعالى.

وفي إثبــات وحدانية الله تعــالى نــاقش الشيخ رحمه الله هــذه القضية مع النصارى، مسـتخدماً الدلالة العقلية المنطقية الــتي عن طريقها يمتنع الشركاء مع الله تعالى.

وحاصل ذلك المنهج الذي سلكه الشيخ رحمه الله لإثبـات وحدانية الله تعالى: أنه قدم لتلك النتيجة بمقدمات ضرورية؛ فقال ~ : « فالأشـياء تنقسم إلى ممكنـات وممتنعـات، فالممكنـات هي الأشـياء الـتي لا يـدرك العقل ماهيتها وكنهها كما هي، ولكن مع ذلك يحكم بامكانهـا، ولا يلـزم من وجودها عنـده اسـتحالة مـا، والممتنعــات هي الأشــياء الــتي يحكم العقل بداهة أو بــدليل قطعي بامتناعها ويلزم من وجودها عنده محال ما »[1].

---

[1] (?) إظهار الحق: (3/713-714) بتصرف يسير.

فهو يريد من ذلك إبطال معتقد النصارى القائلين بالوحـدة الحقيقيـة، والتثليث الحقيقي في الـذات الإلهيـة- تعـالى الله ذلك.. [1] .

ثم يمثل لبعض الممتنعـات فيقـول: « كاجتمـاع النقيضـين الحقيقيين وارتفاعها، وكذا اجتماع الوحـدة والكـثرة الحقيقـيين في مادة شخصياً في زمان واحد من جهة واحدة.

وكـذا إجتمـاع الزوجية والفرديـة، وكـذا اجتمـاع الأفـراد المختلفة، وكذا إجتماع الأضداد؛ مثل النـور والظلمـة، والسـواد والبيـاض، والحـرارة والـبرودة، والرطوبة واليبوسـة، والعمى والبصر، والسـكون والحركـة، في المـادة الشخصـية مع اتحـاد الزمان والجهة - واسـتحالة هـذه الأشـياء بدهية يحكم بها عقل كل عاقل- وكذا لزوم الدور والتسلسل »[2].

ثم يـأتي ليقـرر بعد هـذه المقدمة الضـرورية القطعية - مقدمة أخرى وهي: أن « العـدد لما كـان قسـماً من الكم؛ فلا يكـون قائمـاً بنفسه بل بـالغير، وكل موجـود لابد أن يكـون معروضـاً للوحـدة أو الكـثرة، والـذوات الموجـودة الممتـازة بالامتياز الحقيقي المتشخصة بالشخص تكون معروضة للكـثرة الحقيقيـة، فـإذا كـانت معروضة للكـثرة الحقيقية لا تكـون معروضة للوحـدة الحقيقيـة، وإلا لـزام اجتمـاع الضـدين الحقيقيين.. نعم يجوز أن تكون معروضة للوحدة الاعتبارية بأن يكون المجموع كثيراً حقيقياً، وواحداً اعتبارياً »[3] .

فـالشيخ رحمه الله يركز هنا على مسـالة التوحيد الحقيقي،

---

1 (?) سـيأتي تفصـيل هـذه المسـألة في مبحث إبطـال عقيـدة التثليث ص(140)

2 (?) إظهار الحق: (3/714).

3 (?) المرجع السابق: (3/715).

والكثرة الحقيقية، حتى يبطل قـول النصـارى الوحـدة الحقيقية والتثليث الحقيقي في الذات الإلهية.

لكنه في المقابل يثبت وحدانية الله - تعـــالى - من خلال المقـدمات السـابقة حـتى لا يـؤدي ذلك إلى اجتمـاع الضـدين الحقيقين: الوحـدة والكـثرة، وهو محـال وبالتـالي يلـزم تعـدد الوجبـاء ويفـوت التوحيد يقينـاً[1]، فيخلص إلى نتيجـة: أن الله واحد.

ولكي يثبت الشيخ رحمه الله وحدانية الله تعالى؛ يعـرض اللـوازم الباطلة من القــول بعــدم وحدانية الله تعــالى، أو التثليث من منظور النصارى، فيقرر: أن اجتمـاع التثليث الحقيقي، والتوحيد الحقيقي؛ وإن كان محالاً لاستلزامه اجتماع الضدين الحقيقـيين في الله، فإنه يترتب عليه لوازم باطلة، هي:

أ-« كون الله مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعـل، لاتحـاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضاً مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجــزء وهلم جرا، وكون الشيء مركباً من أجـزاء غـير متناهية بالفعل باطل قطعاً »[2].

ب-يستلزم كذلك بالإضافة إلى تعدد الوجباء « أن لا يكـون الله حقيقة محصلة، بل مركباً اعتبارياً، فـإن الـتركيب الحقيقي لابد فيه من الافتقـار بين الأجـزاء ...، ولا افتقـار بين الواجبـات لأنه من خواص الممكنات، فالواجب لا يفتقر لغيره.

وكل جــزء منفصل عن الآخر وغــيره وإن كــان داخلاً في المجموع، فإذا لم يفتقر بعض الأجـزاء إلى بعض آخر لم تتـألف

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (3/725).

2 (?) المرجع السابق: (3/726).

منها الذات الأحدية، على أنه يكون الله في الصـورة المـذكورة مركبـــاً، وكل مـــركب يفتقر في تحقيق كل واحد من الجـــزء، والجـــــــــــزء غـــــــــــير الكل بالبداهـــــــــــة، فكل مركب مفتقر إلى غـيره، وكل مفتقر إلى غـيره، ممكن لذاتـه، فلـــــــــــيزم أن يكـــــــــــون الله ممكنا لذاتـــــــــــه، وهذا باطل »[1] .

ج- ثم ينتقل إلى الشـركاء مع الله تعـالى هل هم جميعـاً متصفون بصفات الكمال أم لا؟!

« فعلى الشق الأول: لم تكن جميع صــــفات الكمـــــال مشـــتركاً فيما بينهم ..، وعلى الشق الثـــاني: فالموصـــوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمـال، وهـذا نقصـان يجب تنزيه الله عنه » [2] .

د- « أن الشركاء إذا كانوا جميعاً ممتازون بامتيـاز حقيقي؛ وجب أن يكون المميز غير الوجوب الذاتي؛ لأنه مشترك بينهم، وما به الاشـــتراك غـــير ما به الامتيـــاز، فيكـــون كل واحد منهم مركباً من جزئين، وكل مـركب ممكن لذاتـه، فلـيزم أن يكـون كل واحد ممكنـــــــــــــــــــاً لذاتـــــــــــــــــــه»[3]. وهو باطل.

وبالتالي يخلص إلى نتيجة: امتناع الشـركاء مع الله تعـالى، وتثبت وحدانية الله تعالى حقيقة.

وهـذه اللـوازم الباطلة من القـول بالوحـدة والكـثرة في الــــــــــــــــــذات المشخصـــــــــــــــــــة، هي من

---

1 (?) إظهار الحق: (3/726).

2 (?) المرجع السابق: (3/727).

3 (?) المرجع السابق: (3/727).

عبـارات الأشـاعرة المتـآخرين الـذين احتكـوا بالفلسـفة، بل وتحديـــــــــــــــداً الإيجي[1] والجرجـــــــــــــــاني شـــارح المواقف[2] الـــذي قـــال: « لا بد في تـــركب الماهية الحقيقية من حاجة الأجـــــــــــــــزاء بعضـــــــــــــــها إلى بعض؛ إذ لو استغنى كل من الأجـزاء عن الآخـر، لم يحصل منها ماهية واحـــــــــــــــدة، وحـــــــــــــــدة حقيقية كـالحجر الموضـوع بجنب الإنسـان... فإنه مـركب من الآحـــــــــــــــاد مع اســـــــــــــــتغناء كل منها عن الآخـر » [3].

وقـــرر أيضـــاً أن المـــركب ينتهي إلى بســـيط « إذ لابد أن يكـــون في المـــركب أمـــور، كل واحد منها حقيقة واحـــدة، وإلا لكان مركباً من أمور لا نهاية لها »[4].

وفي موضع آخر يقـرر الإيجي طريقة الفلاسـفة في إثبـات وحدانية الله تعالى بقوله: « أما الحكمـاء فقـالوا: يمتنع وجـود موجـودين كل واحد منهما واجب لذاتـه، وذلك لوجهـان: الأول:

---

1 (?) الإيجي: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفـار الشـافعي الأشعري الشيرازي (عضد الدين)، عالم مشارك في العلوم العقلية والأصلين والمعاني والبيان والنحو والفقه علم الكلام، من مؤلفاته: الرسالة العضدية في الوضع، المواقف في علم الكلام، رسـالة في علم الأخلاق، تـوفي مسـجوناً بقلعة دريميـان سـنة 756هــ على الأرجـح.

(انظر: تاج الدين السـبكي: طبقـات الشـافعية الكـبرى: (10/46) ط عام 1383هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القـاهرة، وكحالـة: معجم المؤلفين: (2/76)).

2 (?) انظر: المجلد الثاني: (4/45-50).

3 (?) شرح المواقف: المجلد الثاني: (3/59-60) .

4 (?) المرجع السابق: المجلد الثاني: (3/34) .

لو وجد واجبـان -والحـال أن الوجـوب نفس الماهيـة- لتمـايزا بتعين لامتنـاع الاثنينية مع التشـارك في تمـام الماهية بـدون الامتيـاز بـالتعين الـداخل في هوية كل من ذينك المتشـاركين فيلـزم تركبهمـا، أي تـركب هوية كل منهما من الماهية المشـتركة، والتعين الممـيز، وإنه محـال، إذ يلـزم أن لا يكـون شيء منهما واجباً والمقدر خلافه وهو أي هذا الوجه مبني على أن الوجوب وجودي...

الثـاني: الوجـوب الـذي هو نفس ماهية الـواجب هو المقتضى لتعين، الـذي ينضم إليه فيمتنع التعـدد حينئذ في الـواجب، أما الأول وهو أن الوجـوب هو المقتضى للتعين، فـإذ لولاه فإما أن يسـتلزم ويقتضي التعين الوجـوب فيلـزم تـأخره، أي تأخر الوجوب عن التعين، ضرورة تأخر المعلـول عن علتـه، ويلزم الدور لأن الوجوب الذاتي الذي هو عـني الـذات يجب أن يكون متقـدماً على ما عـداه عله لـه، أو لا يسـتلزم ولا يقتضي شيء منهما الآخر فيجـوز حينئذ الانفكـاك بينهمـا، لاسـتحالة أن يكون هناك أمر ثالث مقتضياً لهما معاً حتى يتلازما لأجله .. ..

وأما الثاني: وهو أن الوجوب إذا كـان هو المقتضى للتعين، امتنع التعـدد فلما علمت أن الماهية المقتضـية لتعينها ينحصر نوعها في شخص واحد ولذلك لم يتعرض له »[1]

وبهـذا نجد أن هـذه الطريقة لما كـانت مخالفة للطريقة القرآنية في إثبـات وحدانية الله تعـالى فإنه يلـزم عنها لـوازم باطلة من نفي الصـفات الثابتة في الكتـاب والسـنة على نحو ماسوف يفصل في مبحث الصفات بحول الله تعالى .

فالمسـلك القـرآني لإثبـات وحدانية الله - تعـالى - هو

---

1 (?) المرجع السابق (المجلد الرابع: (8/45-47). بتصرف يسير .

المسلك الصحيح والأمثل، لأن تلك النصوص القرآنية ليست أخباراً محضة، بل هي أدلة نقلية عقلية .

ولقد أثبت القرآن الكريم في نصوص عديدة وحدانية الله تعالى ومن تلك النصوص:

1-قول الله تعالى: [illegible] [المؤمنون:91].

دلت هــذه الآية على نفي الولد عن الله تعــالى، كما دلت على نفي أن يكـــون معه إله آخــــر، لأنه لو كـــان معه إله آخر لذهب كل إله بما خلق، وانفرد عن الآخر بمخلوقاته، كما يلــزم أن يعلو كل منهما على الآخر .

يقول الإمام ابن جرير[1] في معنى الآية: « إذن لاعتزل كل إله منهم بما خلق من شيء فانفرد به، ولتغـالبوا فلعلا بعضـهم على بعض، وغلب القـوي منهم الضـعيف؛ لأن القـوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضـعيف لا يصـلح أن يكـون إلهـا، فسـبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها لمن عقل وتدبر »[2].

---

[1] (?) ابن جريــــر: أبو جعفر محمد بن جرير الطـــبري، الإمـــام الحافظ المفسر الفقيه، ولد سنة 223هـ، من تأليفه: جـامع البيـان في التفسير، وتبصير أولى النهى معالم الهـدى في العقيـدة، تـوفي سنة 310هـ .

(انظر: الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء: (14/267)).

[2] (?) ابن جرير الطــبري: جــامع البيــان: (18/49)، 1405هــ-1948م، دار الفكر- بيروت .

2-وقوله تعالى: [الأنبياء:22].

ومعـــنى الآيـــة: أنه لو كـــان مع الله آلهة أخـــرى من المخلوقات لاختل نظامها، وفسدت، وسـبب فسـادها ما يكـون بين تلك الآلهة من طلب العلو، ونفـوذ الإرادة على الغـير، فلما امتنع الفسـاد علم أن المـدبر للمخلوقـات واحـد، لأن انتفـاء اللازم يـدل على انتفـاء الملـزوم، فيكـون انتظـام المخلوقـات على سـنن ثابتة دليلاً على وحدانية الله تعـالى، والفسـاد في الآية: عدم انتظام المخلوقات على قول كثير من المفسرين .

يقول الإمـام البغـوي[1] في معـنى قولـه: : « لخربتا وهلك من فيها بوجـود التمـانع بين الآلهـة، لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام »[2]

ويقـول الشـيخ السـعدي[3]: « أي في

[1] (?) هو أبو محمد الحسـين بن مسـعود بن الفـراء البغـوي، أحد أئمة الشافعية، وكان يلقب بمحي السـنة، له تصـانيف منهـا: شـرح السنة، ومعالم التنزيل، توفي سنة 516هـ

انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: (19/439) .

[2] (?) البغوي: معالم التنزيل: (3/241)، تحقيق خالد العك، ومروان سوار، ط2-1407هـ، دار المعرفة- بيروت.

[3] (?) هو عبد الـرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سـعدي التميمي، ولد بعنيزة سنة (1307هـ)، له مؤلفـات نافعة في التفسـير والفقه والعقيدة، توفي سنة (1376هـ).

انظر ترجمته في مقدمة كتابه: الرياض النـاظرة والحـدائق النـيرة الزاهـرة في العقائد والفنـون المتنوعة الفـاخرة، وقد وضع هـذه المقدمةأحد تلاميذه، ط عام 1405هـ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

الســــموات والأرض، في ذاتها وفسد من فيها من المخلوقات .

وبيان ذلك: أن العالم العلوي والسفلي، على ما يـرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام الذي ما فيه خلل ولا عيب ولا ممانعة ولا معارضة، فـدل ذلك على أن مـدبره واحـد، وربه واحد، والهه واحد، فلو كان له مـدبران وربـان أو أكـثر من ذلك لاختل نظامه وتقوضت أركانه، فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شـيء وأراد الآخر عدمـه، فإنه محـال وجـود مرادهما معـاً ووجـود مـراد أحـدهما دون الآخر يـدل على عجز الآخر وعـــدم اقتـــداره، واتفاقهما على مـــراد واحد في جميع الأمور غير ممكن .

فـإذاً يتعين أن القـاهر الـذي يوجد مـراده وحـده من غـير ممانع ولا مدافع هو الله الواحد القهار »[1]

3-وقوله تعـالى: [الإسراء: 42].

ومعنى الآية: أنه لو كان مع الله آلهة يستحقون العبادة مع الله تعالى؛ لابتغت تلك الآلهة طريقاً إلى مغالبة الله على ملكه وســلطانه، ووجه دلالة الآية على وحدانية الله تعــالى: أن الله الحق لا يكون داخلاً في ملك غيره وتحت قهـره وسـلطانه، بل يكـون له وحـده الملك والسـلطان والتـدبير، والآلهة المزعومة التي يعبدها المشـركون داخلة في ملك الله وتـدبيره، ليس لها شـيء من ملكه وسـلطانه، والمشـركون يقـرون بـذلك، لكنهم يدعون أنها مستحقة للعبادة، وإن كانت مملوكة لله تعالى.

فالآية وإن كـــانت دليلاً على وحدانية الله تعــــالى، وأنه

---

[1] (?) عبد الرحمن بن سعدي: تيسير الكريم الـرحمن في تفسـير كلام المنان: (5/220-221)، المؤسسة السعيدية -الرياض .

المتفرد بالخلق والملك والتدبير لجميع المخلوقات، إلاأنها أيضاً دليل على لزوم أن يكون الله هو المعبود وحده؛ لأن استحقاق العبادة هو مقتضى الربوبية التي يختص بها الله تعالى.

قال الإمام القرطبي[(1)]: « قال ابن عباس { : لطلبوا مع الله منازعة وقتالاً كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقال سعيد بن حبير[(2)] : المعنى: إذاً لطلبوا طريقاً إليه ليزيلوا ملكه لأنهم شركاؤه » [(3)].

---

1 (?) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلس، أبو عبدالله القرطبي من كبار المفسرين، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى والآخرة، توفي سنة 671هـ.

(انظر: الزركلي: الأعلام (5/322)، وكحالة: معجم المؤلفين: (3/52)).

2 (?) سعيد بن جبير الأسدي: الكوفي، أحد الأعلام، ثقة ثبت، فقيه، قتله الحجاج بن يوسف سنة (95هـ) ولم يكمل الخمسين. (انظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ: (1/76-77، دار إحياء التراث العربي، وسير أعلام النبلاء: (4/321)).

3 (?) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: (10/265-266)، تصحيح أحمد البردوني، ط2، 1372هـ، دار الشعب- القاهرة.

وهو المنقول عن الحسن البصري[1][2]، وسفيان الثــورى[3]، وعليه أكثر المفسرين.[4]

وقال الإمام البغوي في معنى الآية: [illegible] [الإسراء: 42] أي (بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض، وقيل معنـاه: لطلبـوا إلى ذي العــرش سـبيلا بـالتقرب إليه قـال قتـادة: لعرفـوا الله بفضـله وابتغوا ما يقربهم إليه. والأول أصح) [5] .

والآية وإن كـانت دليلاً على اسـتحقاق الله للعبـادة إلا أن ذلك مسـتند وحدانية الله تعـالى وكونه هو المتفـرد بالربوبيـة، فتكون دلالتها على التوحيد لازمة لدلالتها على الوحدانية.

ومن هنا نخلص إلى أن منهج الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ في إثبـات وحدانية الله تعـالى مخالفة لمنهج القـرآني في ذلـك: وكل منهج خـالف القرآن الكريم فإنه يلزم منه لوازم باطلة.

---

[1] (?) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد الأنصاري نشأ في المدينة وكان حافظـاً، علامة من بحـور العلم، وكان بليغ الموعظة توفي سنة (110هـ) وقد قارب التسعين (انظر: الإمام الذهبي: تذكرة الحفاظ: (1/71)، الزركلي: الأعلام: (2/226).

[2] (?) انظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير: (5/38)، ط3، 1404هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

[3] (?) سـفيان بن سـعيد بن مسـروق الثـورى، إمـام حافظ من أوعية العلم ولد سنة (97هـ) توفي سـنة (161هــ) (انظـر: الإمـام الذهبي: سير أعلام النبلاء: (7/229)).

[4] (?) انظــر: شــيخ الإســلام ابن تيميــة: مجمــوع الفتــاوى: (16/122).

[5] (?) البغوي: معالم التنزيل (3/116).

ذلك أن الشيخ رحمه الله ~ سلك مسلكاً اضطر فيه إلى نفي صفات الله تعالى، بناءً على نفي التركيب المستلزم نفي الصفات، وهذا ما سوف نفصله في مبحث الأسماء والصفات إن شاء الله تعالى.



المبحث الثالث :
الأسماء والصفــات

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات:

يراد بذلك: إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في الكتاب والسنة وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسـماء والصـفات؛ من غـير تحريف[1] لألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها[2] بنفيها أو نفي بعضها عن الله ، ولا تكييفها[3] بتحديد كنههــا، أو إثبــات كيفية معينة لهــا، ولا تمثيلها[4]، ولا تشبيهها[5] بل تمرها كما وردت مع اعتقاد مدلولها

---

[1] (?) التحريف: لغة التغيـير، وفي الاصـطلاح: تغيـير النص لفظـاً، وتحريف أسماء الله وصفاته، وهو تغيير ألفاظها وتغيـير معانيها إلى معان باطلة لا يدل عليها الكتاب والسـنة، فـالتحريف اللفظي: مثل نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: [illegible] [النسـاء: 164] ليكون التكلم من موسى ونفي كلام الله لـه، والتحريف المعنوي: كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة أو النعمة، وتحريف وجهه إلى ذاته وما أشبه ذلك.

[2] (?) التعطيـل: لغة التفريغ والتخليـة، وفي الاصـطلاح: إنكـار ما يجب إثباته لله تعالى من الأسماء والصفات.

[3] (?) التكييف: هو بيان كيفية صفات اللـه، بـأن يقـال: أن الصـفة على هيئة كذا وكيفية معينة.

[4] (?) التمثيل: هو إثبات المثيل والنظير للشيء، فتقول: هذا مثل أو مثليه، أو نظيره.

ومعانيها، على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه.

ولقد لخص شيخ الإسلام ابن تيمية مجمل اعتقـاد السـلف في هذا الباب، فقال: « فالأصل في هـذا البـاب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسـله، نفيـاً وإثباتـاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفى عنه مانفاه عن نفسه .

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها؛ إثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولاتعطيل .

وكذلك ينفون عنه مانفاه عن نفسه مع إثبــات ما أثبته من الصفات، من غير إلحـاد: لافي أسـمائه ولا في آياتـه، فـإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياتـه، كما قـال تعـالى: [الأعراف: 180].

وقال تعـالى: الآية [فصلت:40].

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: [الشورى:11].

ففي قولـه: رد للتشـبيه والتمثيـل، وقوله: رد للإلحاد والتعطيل » [1].



[1] (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (3/3-4) .

المطلب الثـاني: موقف أهل الكتـاب من صـفات الله تعالى، والرد عليهم:

الله له صـفات الكمـال المطلق الـتي لا يشـوبها شـائبة نقص. ولا شك أن أنبيـاء الله تعـالى إلى بـني إسـرائيل وخاصة موسى وعيسى عليهما السـلام؛ قد علما بـني إسـرائيل ذلـك، كما أن التـوراة والإنجيل المـنزلان قد تضـمنا ذلـك؛ إلا أن بـني إسـرائيل قد كفـروا وضـلوا وانحرفـوا عن دين الله فتكـونت لديهم عقيدة منحرفة جعلتهم يقولون في الله قولاً عظيماً .

لقد نسب اليهـود للإله من الحـواس والأعضـاء، ما جـاء ذكرها بقرينة لا يتأتى معها الانصـراف عن التجسـيم بـأي حـال من الأحـوال. وذلك ما عـبر عنه الشيخ رحمه الله: بالآيـات غـير المحصورة التي فيها إشعار بالجسـيمة والشـكل والأعضـاء لله تعـالى. [1] مثـل: الـرأس، والشـعر، والعضـد، والقفـا، والأذن، والعين والأجفـان، والرجـل،والأنـف، والنفس، والفم، والشـفة، واللسـان، واليـد، والـذراع، والكـف، والأصـابع، والقـدمين، والرجلين، والقلب والأحشاء. وغيرها .

وبهـذا وصـلوا إلى حد جسـيم من بـذاءة القـول، وشـناعة الاعتقـاد؛ مما لا يجـرؤ عليه غـيرهم، إذ قاسـوا الخـالق على المخلـوق، فصـبغوا التوحيد بالتشـبيه والتجسيم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

« أما التوحيـد، فـإن اليهـود شـبهوا الخـالق بـالمخلوق، فوصـفوا الـرب سـبحانه بصـفات النقص الـتي يختص بها

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/682) .

المخلوق، فقالو: الله فقير وبخيل وأنه تعب وغير ذلك »[1]

وقد قـرر أيضـاً شـيخ الإسـلام ابن تيمية أسس عقيـدة التوحيد الاسلامية، في مواجهة انحرافات اليهـود في تصـويرهم لصـفات الله تعـالى، فقـال: « المسـلمون وسط يصـفون الله تعالى بما وصف به نفسه، ووصـفه به رسـله، من غـير تحريف ولا تعطيـل، ولا تكـييف ولا تمثيـل، يصـفونه بصـفات الكمـال، وينزهونه عن النقـائص الـتي تمتنع على الخـالق، ولا يتصف بها المخلـــوق، فيصـــفونه بالحيـــاة والقـــدرة والرحمة والعـــدل والإحسان، وينزهونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفناء، ويعلمون مع ذلك أنه لا مثيل له في شـيء من صـفات الكمـال، فلا أحد يعلم كعلمـه، ولا يقـدر كقدرتـه، ولا يـرحم كرحمته، ولا يسمع كسمعه، ولا يبصر كبصره، ولا يخلق كخلقه،

ولا يستوي كاستوائه، ولا يأتي كإتيانه، ولا ينزل كنزوله .

كما قال الله تعالى: [illegible] [الإخلاص: 1-5] » [2].

كما أشار شـيخ الإسـلام ~ إلى طريقة الرسل في إثبـات الصفات الإلهية للرد على تشـبية اليهـود بقولـه: « إن الرسل - صلوات الله عليهم- جـاءوا بنفي مجمل وإثبـات مفصـل، ولهـذا قال سبحانه:

[illegible]

---

1 (?) ابن تيميـة: الجـواب الصـحيح لمن بـدل دين المسـيح: (2/260)، ط2، 1409هـ-1999م، دار العاصمة الرياض، وانظر: (3/100)، وانظر: مجموع الفتاوى: (3/371-372) .

2 (?) الجواب الصحيح: (2/142-143)، وانظر: مجموع الفتاوى: (3/129-130) والرسالة التدمرية: ص(22) وما بعدها .

[illegible] [الصافات: 180-182].

فسبح نفسه عما وصفه به المخـالفون للرسل لسـلامة ما قـــالوه من النقص والعيب، وطريقة الرسل هي ما جـــاء بها القرآن، والله تعالى يثبت الصـفات على وجه التفصـيل، وينفي عنه على طريق الإجمـال التشـبيه والتمثيـل، فهو في القـرآن يخبر أنه بكل شـيء عليم، وعلى كل شـيء قـدير، وأنه عزيـز، غفـور رحيم، وأنه سـميع بصـير، وأنه غفـور ودود، وأنه تعـالى على عظم ذاته يحب المؤمـــنين ويرضى عنهم، ويغضب على الكفار ويسخط عليهم.

وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليماً، وأنه تجلى للجبل فجعله دكـا، وأمثال ذلك.

ويقول في النفي: [illegible] [الشورى:11].

[illegible] [مريم: 65].

[illegible] [النحل:74].

[illegible]

[illegible] [الإخلاص:1-4].

فيثبت الصفات وينفي مماثلة المخلوقات » [1].

ومن هنا يتبين أن افتراء اليهود بتشـبيه الخـالق بـالمخلوق باطل مخـالف لعقيـدة الإسـلام فالله [illegible] وصف نفسه بصـفات يجب إثباتها له على الوجه الـذي يليق بربوبيتـه، كما نفى عن نفسه مماثلة المخلـوقين في هـذه الصـفات وغيرها فلا يجـوز

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (6/37-38)، وانظر: الجـواب الصـحيح: (1/71-72) .

الخروج عن ذلك .

وكــذلك النصــرانية الــتي تجعل الآلهة ثلاثة أقــانيم، وأن اللاهوت يتحد ويحل بالناسوت فيكـون المخلـوق إلهـاً، كل ذلك من صور انحراف أهل الكتاب في صفات الله تعالى .



المطلب الثـالث: منهج الشـيخ رحمت الله في توحيد الأسماء والصفات:

قبل أن نبـدأ في بيـان منهج الشيخ رحمت الله في أسـماء الله وصـفاته، ينبغي الإشـارة إلى أن الشيخ رحمت الله يعـرض قضـية الصفات لا من جهة التقرير، بل لإبطال عقيـدة التثليث وألوهية عيسى .

ثم إنه ~ أثناء مناقشته لتلك القضية مع أهل الكتاب ومن خلال كتبهم يطلق حكماً عاماً حتى أنه يتوهم للقـارىء أن ذلك يشـمل نصـوص القـرآن الكـريم، ولا شك أن ذلك العمـوم مما ينطوي تحته حق وباطـل، وبحاجة إلى تفصـيل على وفق منهج أهل السنة والجماعة.

وفي إثبات الشيخ رحمت الله ~ لصفات الله تعالى، يلاحظ اتباعه لطريقة المتكلمين في النفي والإثبات، ومن ذلك:

أنه ذكر أن كتب العهـدين احتـوت على: ((أن الله واحد أزلي، أبـدي لايمـوت، قـادر، يفعل مايشاء، ليس كمثله شيء، لا في الذات ولا في الصفات، بريء عن الجسم والشكل))[1].

ويقول في موضع آخر مبطلاً عقيدة التثليث: ((وظـاهر أن ذات الله وصـفاته الكمالية قديمة غـير متغـيرة موجـودة أزلاً وأبداً))[2].

ويقرر كذلك احتواء القرآن على صـفات الله الكاملـة، من

---

1 (?) إظهار الحق: (3/682) .

2 (?) المرجع السابق: (3/720) .

كونه تعالى: « واحداً، وقـديماً، وأزليـاً، وأبـدياً، وقـادراً، وعالمـاً، وسميعاً، وبصيراً، ومتكلماً، وحكيماً، وخبـيراً، وخـالق السـموات والأرض، ورحيماً، ورحماناً، وصـبوراً وعـادلاً، وقدوسـاً، ومحييـاً، ومميتـاً... وتنزيه الله عن المعـائب والنقـائص، مثل الحـدوث والعجز والجهل والظلم وغيرها »[1] .

وكما مـرّ معنا[2] ، فـإن الشيخ رحمت الله يـرى ضـرورة تأويل الفقـرات المشـعرة بالتجسـيم والصـورة أو المشـابهة بالمخلوقـات، ذلك لأنها تخـالف البرهـان العقلي، الـذي يعـده قطعياً، ولأن هناك تعارضاً بين تلك الفقرات، والفقرات الأخرى التي تنزه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات[3].

ومن تلك الصـفات الـتي أشـار اليها الشيخ رحمت الله بأنها تـوحي بالتجسيم والصورة والتي ينبغي تأويلها:

الوجة، اليدين، الأصابع، العين، القدم والرجل[4].

ولنا فيما سـبق من أقـوال الشيخ رحمت الله عـدة وقفـات للمناقشة:

---

1 (?) المرجع السابق: (3/833) .

2 (?) انظر ص(86) من هذا البحث.

3 (?) انظر: إظهار الحق: (3/685-714) .

4 (?) انظر: المرجع السابق: (3/684)، ولقد بين الشـيخ رحمت الله بعد سرد نصـوص التـوراة لمثل تلك الصـفات وغيرها أنه يجب تأويل تلك النصوص بنصوص التنزيه، ذلك لأن نصوص التنزيه توافق البرهـان العقلي القطعي، وأن أهل الكتـاب يوافقوننا ولا يرجحـون تلك الفقـرات المشـعرة بالتجسـيم على الفقـرات التنزية (إظهـار الحق: 3/685) .

أولاً: من أصــول أهل السـنة والجماعة في بـاب الصفات: الإجمال في النفي غالباً:

طريقة القران الكـريم هي الإجمـال في النفي، والتفصـيل في الإثبات، وذلك لأنه كلما كثرت الصـفات الثبوتيه الكاملة مع تنوع دلاتها: كلما ظهر من كمال الموصـوف بها -وهو الله [illegible]- ما هو أكـثر، بخلاف النفي، فإنه كلما أجمل كـان أدل على التنزيه من كل وجـــه، كما في قوله تعـــالى: [illegible] [مريم: 65]، وقوله: [illegible] [الاخلاص: 4]. وقوله [illegible] [الشورى: 11]، وهي في هذا بيان لعموم كماله [illegible] .

وقد يجيء النفي مفصـلاً في بعض المواضع -وهـذا قليـل- ويكـون قد ذكر لسـبب، مثل أن يكـون رداً على ما ادعـاه في حقه الكاذبون، كما في قوله تعالى:

[illegible] [مريم: 91-92] [1].

---

[1] (?) انظـر: ابن أبي العز الحنفي: شـرح العقيـدة الطحاويـة: (1/114-115)، تحقيق عبد الـرحمن عمـيرة، ط2، (1407هـــ-1986م)، مكتبة المعارف-الرياض، ومحمد صالح العثيمين: القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسـمائه الحسـنى: (23-24)، ط1، 1406هـ-1986م، دار ابن الجوزي- الأحساء .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « مما يبين أن طريقة أتبــاع الأنبيــاء من أهل الســنة هي الموصــلة للحق دون طريقة من خــالفهم من الفلاســفة والمتكلمين: أن المقصــود هو العلم، وطريقه هو الـدليل، والأنبيـاء جـاءوا بالإثبـات المفصل والنفي المجمــل، كإثبــات الصــفات لله مفصــلة، ونفي الكفؤ عنــه، والفلاسفة يجيئون بالنفي المفصل: ليس بكذا ولاكذا، فإذا جـاء الإثبات أثبتوا وجوداً مجملاً واضـطربوا في أول مقـدمات ثبوته ..... »[1]

ثانيــاً: من أصـول أهل السـنة إثبـات صـفات الله تعــالى كما وردت في الكتــاب والســنة بلا تمثيل ولا تكـييف، وأن الاشـتراك في مطلق الوصف لا يقتضي التشــبيه والتمثيل كما أن علمنا وإيماننا بالشــيء لا يتوقف على معرفة كيفيته . [2]

وهنا نرى أن الشيخ رحمه الله أثبت بعض الصــفات، ونفى البعض الآخــــر، فقد أثبت: العلم، والقــــدرة، الإرادة، الحيــــاة، الكلام، السمع، والبصر، وهي الصفات العقلية الـتي يشـترك في إثباتها الدليل العقلي والدليل السمعي .

وهذه الصفات يثبتها جمهور الأشاعرة والتي يطلقون عليها صفات المعاني. [3]

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (6/66)، وانظر: التدمريـة: ص(8)، ودرء التعارض: (5/163-164)، (6/348) .

2 (?) انظـر: أبو القاسم إســماعيل بن محمد الاصــبهاني: الحجة في بيـان المحجة وشـرح عقيـدة أهل السـنة: ص(46)، ت محمد ربيع مدخلي، ومحمد أبو رحيم، ط1، 1411هـ-1990م، دار الراية للنشر والتوزيع- الرياض .

وفي المقابل ينفي الصـــفات الخبريـــة: كـــالعين والوجه واليدين والقدم وغيرها -كما سبق- .

وكانت حجته في نفي تلك الصفات الخبرية هي ذاتها حجة المتكلمين في نفي تلك الصــفات، وفيما يلي بيــان تلك الحجة مع مناقشتها وإبطالها:

أ- أن إثبــــات الصــــفات الخبرية على حقيقتها يستلزم التشبيه والتجسيم: ولا شك أن هـذه الشـبهة هي أصل الشـبه الـتي أدت إلى نفي الصـفات، ذلك لأن المتكلمين اعتمــدوا في تنزيه الله تعــالى على نفي الجســم، بيد أن لفظ الجسم فيه إجمال أوقع هؤلاء في التخبط والاضطراب .

والإجمال -كما يرى شيخ الاسلام- كثيراً ما يكون سبباً في قبول الباطل أو رد الحق، يقول: « إذا قـال القائـل: إن البـاري تعالى جسم. قيل له: أتريد أنه مركب من الأجـزاء كالـذي كـان متفرقاً فركب؟ أو أنه يقبل التفريق، سواء قيل: اجتمع بنفسه، أوجمعه غـيره؟ أو أنه من جنس شـيء من المخلوقـات؟ أو أنه مركب من المادة والصورة؟ أو من الجوهر المنفرد؟ فإن قــال هذا، قيل: هذا باطل .

وإن قـــال: أريد به أنه موجـــود أو قـــائم بنفسه .. أو أنه موصوف بالصفات، أو أنه يرى في الآخرة، أو أنه يمكن رؤيتــه، أو أنه مباين للعالم، فوقـه، ونحو هـذه المعـاني الثابتة بالشـرع والعقل .

قيل له: هذه معان صـحيحة، ولكن اطلاق هـذا اللفظ على هذا بدعة في الشرع، مخالف للغـة، فاللفظ إذا احتمل المعـنى الحق والباطل لم يطلق، بل يجب أن يكـون اللفظ مثبتـاً للحق نافياً للباطل .

وإذا قال: ليس بجسم .

قيـــل: أتريد بـــذلك أنه لم يركبه غـــيره، ولم يكن أجـــزاء متفرقة فركب، أو أنه لا يقبل التفريق والتجزئة، كالـذي ينفصل بعضه عن بعض؟ أو أنه ليس مركباً من الجـواهر المنفـردة، ولا من المادة والصورة، ونحو ذلك من المعاني.

أو تريد شيئاً يستلزم نفي اتصافه بالصفات بحيث لا يــرى، ولا يتكلم بكلام يقوم به، ولا يبـاين خلقـه، ولا يصـعد إليه شـيء ولا يــنزل منه شــيء، ولا تعــرج إليه الملائكة ولا الرســول، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يعلو على شيء ولا يدنو منه شــيء ولا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا مباين ولا محايث له، ونحو ذلك من المعاني السلبية التي لا يعقل أن يتصف بها إلا المعدوم.

فإن قال: أردت الأول.

قيل: المعـنى صـحيح، لكن المطلقـون لهـذا النفي ادخلـوا فيه هذه المعـاني السـلبية، ويجعلـون ما يوصف به من صـفات الكمــال الثبوتية مســتلزمة لكونه جســماً، فكل ما يــذكر من الأمـور الوجودية يقولـون: هـذا تجسـيم، ولا ينتفي ما يسـمونه تجسيماً إلا بالتعطيل المحض...»[1]

ب- أن إثبـــات الصـــفات الخبرية على حقيقتها تستلزم التركيب المستلزم الافتقار.

وهـذا ما نفـاه الشيخ رحمه الله عن الـذات الإلهية عنـدما نـاقش

---

[1] (?) منهـاج السـنة النبويـة: (2/211-214)، وانظـر: في لفظ الجسم وما فيه من إجمـــال والأقـــوال فيـــه، ومنهج الســـلف في إطلاقه: مجموع الفتاوى: (5/420-434)، درء التعارض: (4/134-135)، (6/131-346)، (10/307-310)، الصــفدية: (1/117-118).

النصارى في مسألة توحيد الله، ونفي الشريك عنه[1] .

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن لفظ التركيب والافتقار كلفظ الجسم، فيها إجمال: وحينئذ فمن نفي الصفات لأجل شبهة التركيب يقال له: ما تعني بالتركيب؟ إن كنت تقصد به ماركبه غيره، أو ما كان مفترقاً فاجتمع أو ما يمكن تفريق بعضه عن بعض، فلا ريب أن هذا باطل والله منزه عنه.

أما إن كنت تقصد به ما تميز منه شيء عن شيء، كتميز العلم عن القدرة، وتميز ما يرى مما لا يرى، ونحو ذلك، أو ما ركب من الوجود والماهية، أو من الذات وصفاتها، فهذا حق لكن تسمية هذا تركيباً إنما اصطلاح اصطلحوا عليه ليس موافقاً للغة العرب، ولغة أحد من الأمم، وإذا كان مثل هذا مركباً فما من موجود إلا ولا بد أن يعلم منه شيء دون شيء، والجسم الذي له صفات لا يعرف في اللغة إطلاق كونه مركباً، فإن التفاحة التي لها لون وطعم وريح، لا يعرف في اللغة إطلاق كونها مركبة من لونها وطعمها وريحها، كما لا يعلم في اللغة القول: أي الإنسان مركب من الطول والعرض، أو من حياته ونطقه...[2]

وكذلك الافتقار وهي من حجج نفاة التركيب المشهورة: أن المركب مفتقر إلى أجزائه، وهو محال على الله[3] .

وقد بين شيخ الإسلام ما في لفظ الافتقار من الإجمال فقال: « ولفظ الافتقار هنا . إن أريد به افتقار المعلول إلى علته كان باطلاً، وإن أريد به افتقار المشروط إلى شرطه - فهذا تلازم من الجانبين، وليس ذلك ممتنعاً.

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/726)، وص79 من البحث .

2 (?) انظر: درء التعارض: (1/280-281)، (5/146-147).

3 (?) انظر: إظهار الحق: (3/726)، وص80 من البحث .

والواجب بنفسه يمتنع أن يكـون مفتقـراً إلى ما هو خـارج عن نفســه، فأما ما كــان صــفة لازمة لذاتــه، وهو داخل في مسمى اسمه، فقول قائل: إنه مفتقر إليهـا، كقولـه: إنه مفتقر إلى نفسه، فإن القائل إذا قال: دعوت الله، أو عبدت الله، كان اسم ''الله'' متناولاً للذات المتصفة بصـفاتها، ليس اسم ''الله'' اسماً للذات مجردة من صفاتها اللازمة لها.

وحقيقة ذلك أن لا تكون نفسه إلا بنفسه، ولا تكون ذاته إلا بصـفاته، ولا تكـون نفسه إلا بما هو داخل في مسـمى اسـمها، وهذا حق، ولكن قول القائل: إن هذا افتقار إلى غيره، تلــبيس، فإن ذلك يشعر أنه مفتقر إلى ما هو منفصل عنه وهذا باطل » [1].

« ولفظ الافتقــار مثل لفظ الغــير، ومثل لفظ الانقســام والجـزء والتحـيز وغيرهـا، وكلها ألفـاظ مجملـة، محتملة للحق والباطــل. وتســمية الحق باسم الباطل لا ينبغي أن يــؤدي إلى تــــــــــــرك الحـــــــــــق، بل لا بد من الاستفصال » [2].

ومن ناحية أخـرى يمكن الـرد على هـؤلاء بـأن يقـال لهم: هـذه الصـفات كالوجه واليد والغضب والرضـا.. ونحوهـا، يمكن قيامها بغير جسـم، كما أمكن قيـام عنـدكم علم وقـدرة وإرادة وسمع وبصر وكلام بغير جسـم، فـأثبتوا تلك الصـفات كما أثبتم هذه وقولوا أنها تقوم بغير جسم.

« فإن قالوا: لا يعقل رضـا، وغضب إلا ما يقـوم بقلب وهو جسم، ولا نعقل وجهاً ويداً إلا ما هو بعض من جسم.

---

1 (?) درء التعارض: (1/282).

2 (?) انظر: المرجع السابق: (6/296-299).

قيل لهم: ولا نعقل علماً إلا ما هو قـائم بجسـم، ولا قـدرة إلا ما هو قائم بجسم، ولا نعقل سمعاً وبصـراً وكلامـاً إلا ما هو قائم بجسم. فلم فرقتم بين المتماثلين؟

وقلتم: إن هــذه يمكن قيامها بغــير جسم وهــذه لا يمكن قيامها إلا بجسم، وهما في المعقول سواء.

فــإن قـالوا: الغضب هو غليـان دم القلب لطلب الانتقـام، والوجه هو ذو الأنف والشفتين والسان والخد، أو نحو ذلك.

قيل لهم: إن كنتم تريديون غضب العبـد، وجه العبد فوازنه أن يقال لكم: ولا يعقل بصر إلا ما كان بشـحمه ولا سـمع إلا ما كان بصماخ، ولا كلام إلا ما كـان بشـفتين ولسـان، ولا إرادة إلا ما كان لاجتلاب منفعة أو استدفاع مضـرة، وأنتم تثبتـون للـرب السمع والبصر والكلام والإرادة على خلاف صفات العبـد، فـإن كان ما تثبتونه مماثلاً لصفات العبد لزمكم التمثيل في الجميع، وإن كنتم تثبتونه على الوجه اللائق بجلال الله تعـالى من غــير مماثلة بصــفات المخلوقــات فــأثبتوا الجميع على هــذا الوجه المحــدود، ولا فــرق بين صــفة وصــفة، فــإن ما نفيتمــوه من الصفات يلزمكم فيه نظير ما أثبتمـوه، فإما أن تعطلـوا الجميع وهو ممتنـع، وإما أن تمثلـوه بالمخلوقـات وهو ممتنـع، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره، وحينئذ فلا فرق بين صفة وصفة فالفرق باطل بينهما بإثبات أحدهما ونفي الآخر فراراً من التشبيه والتجسيم قـول باطل يتضـمن الفـرق بين المتماثلين والتناقض في المقالتين » [1].

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (6/45-46).

ج- دعـــوى أن إثبـــات الصـــفات الخبرية على حقيقتها يستلزم الحدوث:

فقد عد الشيخ رحمه الله الحدوث من الصـفات الـتي ينبغي تنزيه الله تعـالى عنها[1] ، وكـذلك الأشـاعرة عـددوا من الصـفات السـلبية: المخالفة للحـوادث ولما أرادوا بيـان المسـتحيل في حق الله تعـالى، ذكـروا أن ضد المخالفة للحـوادث المماثلة للحـوادث، وحصـروا المماثلة في عشر صـور، وهي: الجسـم، والجوهر، العرض، والمكان، والجهة[2] والتحيز، والتقيد بالزمان، وحلـول الحـوداث بـه، والصـغر والكـبر، والأعـراض[3] .فقـال الأشاعرة بوجوب نفي هذه الصفات عن الله تعالى.

والشيخ رحمه الله ومن وافقه في القـول بقـدم الصـفات وعـدم جواز حدوث شـيء منهـا، يـرون أن ما نشـاهده مما يـدل على حدوث هذه الصفات، من المرئيات التي حـدثت بعد أن لم تكن والمسـموعات الـتي ظهـرت، إلى غـير ذلـك، يـرون أنها من متعلقـات الصـفات القديمة وليس في شـيء منها دليل على حـدوث الصـفة، وهـذا ما تستشـفه من قـول الشيخ رحمه الله : « وظاهر أن ذات الله وصفاته الكمالية قديمـة، غـير متغـيرة أزلاً وأبداً » .[4]

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/833).

2 (?) سيأتي الكلام على المكان والجهة ونفي الشيخ رحمت الله لهما منسوبة إلى الله تعالى.

3 (?) انظـر: الجويـني: الإرشـاد: (58-68)، إبـراهيم البـاجوري: تحفة المريد: ص(96)، ط1، 1403هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

4 (?) إظهار الحق: (3/720).

والقول بمنع حلول الحوادث بذات الله تعالى، محل اتفـاق بين المتكلمين من أشاعرة ومعتزلة[1]، وكذلك الفلاسفة[2] .

وقد ذكر شـيخ الإسـلام ابن تيمية ~ أن القـول بحلـول الحوداث بذات الله تعالى « هو مذهب أكـثر أهل الحـديث، بل قول أئمة الحديث، وهو الـذي نقلـوه عن سـلف الأمـة، وأئمتها وكثـير من الفقهـاء والصـوفية أو أكـثرهم، وفيهم من الطوائف الأربعـــة: الحنفية والمالكية والشـــافعية والحنابلة ما لا يحصى عدده إلا الله » [3].

ولا شك أن القول بنفي حلول الحوداث بذات الله تعالى لا دليل عليـه، فهو كلام مجمل يشـتمل على حق باطـل، لأنه إن أريد بـالنفي؛ أنه سـبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شـيء من مخلوقاته المحدثة أو لا يحـدث له وصف متجـدد لم يكن، فهـذا نفي صحيح.

وإن أريد به نفي الصـــــفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريـد، ولا يتكلم بما شـاء إذا شـاء، ولا أنه يغضب ويرضى كأحد من الـــــورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من الـــــنزول، والاســـتواء، والاتيـــان، كما يليق بجلاله وعظمته فهـــذا نفي باطل[4]. وهو ما قصـــده النفـــاه هنـــا، ووجه بطلانه أنه ينفي

---

[1] (?) انظـر: القاضي عبد الجبـار: شـرح الأصـول الخمسـة: ص(181) .

[2] (?) انظـر: الـرازي: الـربعين في أصـول الـدين: (118)، ط1، 1353هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد .

[3] (?) بيان تلبيس الجهمية: (1/203) تحقيق وتعليق الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط1، 1391هـ ، مطبعة الحكومـة- مكة المكرمة.

اتصاف الله سبحانه بصفات الكمال المتعلقة بمشيئته، وقدرته، مما يؤدي إلى إضافة العجز إلى الله .

وهكــذا يتضح لنا أن القــول بحلــول الحــوادث بــذات الله تعــالى، بمعــنى أنه يتكلم مــتى شــاء ويفعل ما يريد هو الــرأي الصــحيح بدلالة العقل والنقــل، كما اتضح لنا موافقة الشيخ رحمه الله الأشاعرة في هــذه المســالة وغيرها من مســائل الصــفات كما سبق.



المطلب الرابع: منهج الشيخ رحمت الله في رؤية الله تعالى:

رؤية الله تعـالى أصل من أصـول العقيـدة الـتي يجب أن يعتقدها العبد في ربه وهي أعظم نعيم وعـده الله عبـاده في الآخرة[1].

وهــذه الرؤية ليست صــفة من صــفات الله تعــالى، لأن الرؤية هنا لا تقـوم بالله تعـالى بل المؤمنـون هم الـذين يرونه ســبحانه، فالله هو المــرئي لهم، وإنما ذُكــرت في مبـــاحث الصــفات لأنها محل نــزاع بين الســلف والخلف[2] ولأن نفــاة الرؤية هم نفاة الصـفات، وينفـون الرؤية بنفس الحجج الواهية والشبهات الباطلة التي ينفون بها الصفات .

والشيخ رحمت الله يرى اسـتحالة رؤية الله في الـدنيا، لأنه تعـالى لاشبه له ولا صورة ولا جسـم، ومـاورد في كلام الله أو الأنبيـاء أو الحواريين -في كتب النصارى المحرفـة- من جـواز رؤية الله تعالى فهو محمول على المجاز .

يقـول ~: « من كـان مرئيـاً لا يكـون إلهـاً قط ولو أطلق عليه في كلام الله والأنبياء والحواريين لفظ الله ومثله، فلا يغـتر أحد بمجـرد اطلاق مثل لفظ اللــه، ولا يـدعى أن التأويل مجاز فكيف يرتكب، لأن المصير إلى المجــاز يجب عند القرينة

---

1 (?) انظـر: مجمـوع الفتـاوى: (6/469)، وابن أبي العـز: شـرح العقيدة الطحاوية: (1/238) .

2 (?) انظـــر: محمد أمـــان علي الجـــامي: الصـــفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه ص(337، ط1، 1408هـ، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة .

المانعة عن إرادة الحقيقة، سيما إذا دل البرهـان القطعي على المنع))[1].

ولم ينص الشيخ رحمه الله على رؤية الله تعـالى على المـذهب الصحيح عند المسلمين، ولكن يستنبط من كلامه ~ استحالة رؤية الله تعالى حقيقةً في الأخرة، لأمرين:

الأول: أن علة استحالة رؤية الله في الدنيا باقية، وهي التشبيه، والتجسيم، والصورة، وأن البرهان العقلي- الذي يعده ~ قطعياً- يمنع ذلك، فلا يتغير الحكم اذا ربط بالدار الآخرة.

الثاني: أن الشيخ رحمه الله يرى تنزيه الله تعالى عن المكان، لتعارض ذلك مع البرهان العقلي القطعي-في نظره-.[2]

فإما أنه ينفي الرؤية تمامـا، وإما أنه يثبت الرؤية في الأخرة ولكن مع نفي المكان والجهة على طريقة الأشاعرة[3]، والماتريدية[4].

والثاني أرجح لأن الشبهة هي ذاتها شبهة الأشاعرة التي وافقهم في كثير من المسائل كما مرّ معنا، ولم يجرؤ على

---

1 (?) إظهار الحق: (3/687) وانظر: (3/687-846) ويقصد بالبرهان القطعي (العقل) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/686) .

3 (?) انظر: الجرجاني: شرح المواقف: (8/22-28،131)، الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد: ص(42)، ط1، (1403هـ)، دار الكتب العلمية-بيروت، وسعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد: (181) . تحقيق: عبد الرحمن عميرة ط2، 1407هـ، مكتبة المعارف - الرياض .

4 (?) انظر: الماتريدي: التوحيد: ص(77-85)، وأبو المعين النسفي: التمهيد في أصول الدين: ص(38-41)، تحقيق: عبد الحي قابيل، ط عام 1407هـ، دار الثقافة للنشر والتوزيع .

نفي الرؤية تمامــاً إلا الجهمية والمعتزلــة، خاصة وأنه حــدد الرؤية الممنوعة في الدنيـا .

وفيما يلي مناقشة هـذه المسـائل من منظـور أهل السـنة والجماعة .

أولاً: مسألة رؤية الله تعالى.

أهل السـنة والجماعة يثبتـون رؤية الله تعـالى في الـدار الآخرة على حقيقتها بلا كيفية، ولا إحاطة، وهي رؤية بالعين[1] ، مع إثبات لازمها وهي الجهة، أي جهة العلـو، أما في الـدنيا وإن كـــانت جـــائزة عقلاً فإنها ممتنعة ســـمعاً[2]، على خلاف بين العلماء في رؤية محمد ﷺ ربه ليلة المعراج[3].

والقـول بثبـوت رؤية الله تعـالى بلا جهة معلـوم الفسـاد بالضرورة، كما أن الأحاديث المتـواترة الـواردة في الرؤية دلت على أن المؤمنين يرون ربهم في جهة العلو من وجوه منها:

أحـــــدهما: « أن الرؤية في لغتهم لا تعـــــرف إلا لرؤية مـــايكون بجهة منهم. فأما رؤية ما ليس في الجهة فهـــذا لم يكونوا يتصورونه فضلاً عن أن يكون اللفظ يدل عليه، ... فإنك

---

[1] (?) انظر: ابن عثيمين: تعليقـات على العقيـدة الواسـطية، ص(42)، ط1، (1412هـ)، دار الوطن-الرياض.

[2] (?) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري: (8/608) . تحقيق: محمد فؤاد عبد البـاقي ومحب الـدين الخطيب، ط عـام 1379هــ، دار المعرفة - بيروت .

[3] (?) انظر تفاصـيل هـذا الخلاف في: القاضي عيـاض: الشـفا: (122-117)، ط1، 1423هـ، دار ابن حزم-بيروت لبنان، وابن حجر: فتح البـاري: (8/68)، مجمـوع الفتـاوى: (512-6/510)، ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية: (249-1/248) .

لست تجد أحداً من الناس يتصور وجود موجـود في غـير جهـة، فضلاً عن أن يتصور أنه يرى، فضـلاً عن أن يكـون اسم الرؤية المشهور في اللغات كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة » [1] .

الوجه الثـاني: أنه « شـبه لهم رؤيته برؤية الشـمس والقمر، وليس ذلك تشبيهاً للمرئي بالمرئي، ومن المعلـوم أنه إذا كـانت رؤيته مثل رؤية الشـمس والقمر وجب أن يـرى في جهة من الـرائي، كما أن رؤية الشـمس والقمر كـذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخـبرهم برؤية مطلقة نتأولها على ما يتـأول من يقول بالرؤية في غير جهة .

أما بعد أن يستفسـرهم عن رؤية الشـمس صـحوا ورؤية البدر صحوا، ويقول: ((إنكم ترون ربكم كـذلك)) فهـذا لا يمكن أن يتأول على الرؤية التي يزعمونها فإن هـذا اللفظ لا يتحملها لا حقيقة ولا مجاز » [2].

ذلك أن المتكلمين حملـوا حـديث أبي هريـرة أن أناسا قالوا: يا رسول الله، هل نـرى ربنا يـوم القيامـة؟ فقـال: ((هل تضارون في الشمس ليس دونها سـحاب)) قـالوا: لا يا رسـول الله، قـال: ((هل تضـارون في ليلة البـدر ليس دونها سـحاب)) قالوا: لا يا رسول الله، قال: ((فـإنكم تـرون ربكم يـوم القيامة كذلك)) [3] حملوه على إثبات الرؤية بدون جهة تضمهم[4].

---

1 (?) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهية: (2/410) .

2 (?) ابن تيمية: بيـان تلـبيس الجهيـة: (2/410-411)، وانظـر: الفتاوى: (16/84-85) .

3 (?) البخاري: في التوحيد باب قوله تعالى: ح(7437)، ص(1279)، ومسلم: في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية: (1/112).

4 (?) انظر: مجموع الفتاوى: (16/85).

الوجه الثـالث: ((أنه قـال: (هل تضـارون في الشـمس ليس دونها سـحاب، وهل تضـارون في القمر ليس دونه سـحاب)، فشـبه رؤيته برؤية أظهر المرئيـات، إذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي .

ومن يقول إنه يرى في غير جهة؛ يمتنع عنـده أن يكـون بينه وبين العباد حجاب منفصل عنهم، إذ الحجـاب لا يكـون إلا لجسم ولما يكون في جهة، وهم يقولون: الحجـاب عـدم خلق الادراك في العين، والنـبي ﷺ مثل رؤيته برؤية هـذين النـورين العظيمين إذا لم يكن دونهما حجاب)) [1].

الوجه الرابع: ((أنه أخـبر أنهم (لا يضـارون في رؤيتـه) وفي حديث آخر: (لايضامون)، ونفي الضير والضـيم إنما يكـون لإمكان لحوقه للرائي، ومعلـوم أنما يسـمونه رؤية وهو رؤية ما ليس بجهة من الـرائي لا فوقه ولا شـيء من جهاتـه؛ لا يتصـور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفي ذلك، بخلاف رؤية مايواجه الرائي ويكـون فوقه فإنه قد يلحقه فيه ضـيم وضـير: إما بالازدحـام عليـه، أو كلال البصر لخفائه كـالهلال، وإما لجلائه كالشـمس والقمر)) [2] .

وبهذا نرى خطأ من أثبت الرؤية بلا مكان وجهـة، لأنه ((قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصـحابة، وأئمة الإسـلام، وأهل الحديث عصابة الاسلام ونزل الإيمان، وخاصة رسول الله ﷺ على أن الله ﷻ يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يـرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما تـرى الشـمس في الظهـيرة، فـإن كـان لما أخـبر الله ورسـوله عن ذلك حقيقة -وأن له والله حق الحقيقة- فلا يمكن أن يـروه إلا من فـوقهم لاسـتحالة أن يـروه

---

1 (?) بيان تلبيس الجهية: (2/411) .

2 (?) المرجع السابق: (2/411) .

من أســـفل منهم أو خلفهم أو أمـــامهم أو عن يمينهم أو عن شمائلهم ...)) [1] .

ثانياً: مسألة نفي المكان عن الله تعالى.

القول بنفي المكان والجهة والحيز: هو إنكار أن يكون الله تعالى حالاً أو متحداً بشيء من خلقه، وإنكـار أن يكـون أسـفل أو فوق المخلوقات، أما نفي أن يكون الحق تعـالى عاليـاً على الخلق نفي باطل .

وأما نفي للاتحاد والحلول والسفل فنفي صحيح .

وحقيقة أمر نفـاه المكـان، أن يتوصـلوا بنفي ذلك عن الله اسـتواءه على عرشــه، لأن شــبهتهم العقلية في ذلـك: أن كل ماكـان له مكـان، فإما أن يكـون أكـبر منـه، أو أصـغر منـه، أو مسـاوياً لـه، فيكـون جسـماً، فالمسـتوي على الشـيء يكـون محتاجاً إليه ... ورتبوا على هذا منع الإشارة إليه[2].

والجواب: أن الألفاظ التي أتوا بها من الجسمية والمكـان، ألفاظ لم ترد في الكتـاب والسـنة، والـواجب عـدم المسـارعة بنفيها أو إثباتها، إذ أكثر من يقول بنفيها عن الله يريد بأنه ليس مسـتوياً على العــرش وليس له علو ذاتي على الخلــق، فعلى هـذا إن أريد بالمكـان: العلو واسـتواؤه على العـرش، قلنـا: إن هذا النفي باطل، ولكننا لا نسمي ذلك مكاناً، وإن أريد بالمكـان غير ذلك فنبرأ إلى الله تعالى من إثباته له.

وكـذلك يقـال في لفظ الجســم: فـإن أريد به ما يصح أن

---

1 (?) ابن القيم: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ص(476)، ط1، (1411هـ)، دار ابن كثير للطباعة والنشر-دمشق .

2 (?) انظر هذه الشبهة في: الرازي: أسـاس التقـديس: ص(27-34) .

يرى وأنه متصف بصفات الذات والفعل، فلا يجوز نفيه عن الله تعالى، إلا أن الـواجب مراعـاة الألفـاظ الشـرعية. وإن أريد أنه مركب من أجزائه، والمركب مفتقر إلى جزئه كالأبدان، أو غـير ذلك من المعاني الدالة على النقص، فلا يجـوز إثباته لله تعـالى لا معنى ولا لفظاً. [1]

وأما اللوازم التي ذكروها من أن إثبات الاستواء له يقتضي أن يكـون في مكـان - وقد تقـدم الـرد عليه - وأن ما كـان له مكان لزمه أحد ثلاثة أمور: إما أن يكـون أكـبر منه أو أصـغر أو مساوياً، فجوابه:

إن القول بـأن يكـون أصـغر أو مسـاوياً قـول باطـل، وأما كونه أكبر فهـذا نلتزمـه، فالله تعـالى أكـبر من كل شـيء ذاتـاً وعظمة وجلالاً وكمالاً، ولا ندخله في ذلك متـوهمين بآرائنـا، ولا مكيفين ولا محـددين. مع ملاحظة أنهم اسـتخدموا للتوصل إلى هذا الإلزام قياساً شمولياً وهو لا يجوز استعماله في المطـالب الإلهية. [2]

وأما القول بأنه لو كان مستوياً على العرش لكان محتاجـاً إليـــــــــــــه: فخطأ أيضـــــــــــــاً، لأن هــــــــــــــذا مبني على قيـاس الخـالق على المخلـوق، فـإن القـائس تـوهم حاجة البـــــــــــاري إلى العـــــــــــرش كاحتيـــــــــــاج المستوي على الفلك والأنعام إليهـا، وهـذا باطـل، فـإن اللـه: ﴿ ﴾ [الشـــــــورى: 11]

فكما أخـبر أن له قـدرة وعلمـاً وسـمعاً وبصـراً، ولم يلـزم من إثباتها للخالق أن تكون مماثلة لما للخلـق، فكـذلك لا يلـزم في

---

1 (?) انظر: ابن تيميـة: تفسـير سـورة الاخلاص: (127)، ت عبد العلي عبدالحميد حامد، ط1 (1406هـ)- الدار السفلية- الهند .

2 (?) انظر: ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية: (2/56-160) .

الاستواء. فالله هو الغني عن الخلق، وهو الخالق للعرش ولغيره فكل ما سواه مفتقر إليه.[1]

وبهذا يتضح لنا من المطالب السابقة الآتي:

1-إثبات الشيخ رحمه الله للصفات العقلية الذاتية وهي: العلم، والإرادة، والقدرة، والحياة، والسمع والبصر، والكلام. موافقاً في ذلك الأشاعرة .

2-نفي الصفات الخبرية الذاتية كالوجه واليد والقدم وغيرها، بحجة استلزامها التجسيم والشكل .

3-نفي الصفات الفعلية كالنزول والمجيء، لاعتقاد أن إثباتها يستلزم إثبات حلول الحواث بذات الله تعالى .

4-نفي الاستواء والعلو، بحجة أن إثبات ذلك يقتضي إثبات المكان المستلزم للتركيب والافتقار .

أما باب الأسماء فلم يتوفر فيما لدينا من كتب الشيخ رحمه الله الكلام في مسائله .



---

[1] (?) انظر: التدمرية: (81-83) .

المطلب الخـامس: منهج الشـيخ رحمت الله في القدر:

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان، التي لا يصح إيمـان العبد إلا بها.

ويراد به « أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادهـا، ثم أوجد ما سـبق في علمه أنه يوجـد؛ فكل محـدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته » [1].

والإيمان بالقضاء والقـدر ركن من أركـان الإيمـان، ومبـنى من مبانيه العظـام. ففي الصـحيحين من حـديث أبي هريـرة، وعمر بن الخطاب {، حول قصة جبريل ، ومجيئه إلى النبي ، وتعليمه للصـحابه أمـور دينهم، قوله لجبريل حين سـأله عن الإيمـان: « أن تـؤمن بالله وملائكتـه، وكتبـه، ورسـله، وبـاليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره » [2].

وعقيـدة القضـاء والقـدر مبنية في حقيقتها على المعرفة الحقة لصـفات الله تعـالى وأسـمائه الحسـنى، ومنها العلم والقدرة والإرادة، لهذا أدرجته في مبحث الصفات .

وللشيخ رحمت الله كلام في نسـبه الهداية والضـلال إلى تعـالى، ذلك أن المنصرين أثاروا شبهة: أن القـرآن ليس من عند اللـه؛ بـدليل احتوائه على بعض المضـامين الباطلة -في نظـرهم-

---

[1] (?) ابن حجر: فتح الباري: (1/118) .

[2] (?) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النـبي : الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ح(50)، ص(12) .

ومسلم في كتـاب الإيمـان، بـاب معرفة الإيمـان والإسـلام والقـدر وعلامات الساعة: (1/29) واللفظ لمسلم .

كنسبة الهداية والإضلال إلى الله تعالى .

فقال ~ : « لا يلزم من خلق الشر أن يكـون شـريراً، كما لا يلـزم من خلق السـواد والبيـاض وغيرهما من الأعـراض أن يكـــون أســـود أو أبيض، والحكمة في خلق الشر كما هي في خلق الشـيطان، الـذي هو أصل الشـرور، ورأس المفاسـد، مع علم الله الأزلي بأن الشيطان يصدر عنه كذا وكذا .

وكما هي في خلق الشـهوة، والحـرص في طبع الإنسـان، مع علمه الأزلي بما يـــترتب عليها في كل فـــرد من أفـــراد الإنسان .

وكما كان الله قادراً على ألا يخلق الشـيطان، أو يخلقه ولا يعطيه القـــدرة على الإغـــواء، ويمنعه عن الشـــرور، ومع ذلك خلقه ولم يمنعه عن الشر لحكمة مـــا، فكـــذلك قـــادر على ألا يخلق الشر لكنه في خلقه حكمة ما » [1].

ويتضح لنا من هذا أن الشيخ رحمه الله يثبت القدر مع ما يقتضـيه إثباته من إثبات: الخلق، والقدرة، والحكمة.

ويفهم من كلام الشيخ رحمه الله: أن اسـناد الهداية والضـلال إلى الله تعالى، اسناد من حيث أنه خلق أفعال العباد، ووضع نظـــام الأسباب والمسببات، لا أنه أجبر الإنسان على الضلال والهدايه.

خاصة وأن الشيخ رحمه الله شنع في رده على هذه الشـبهة على

---

1 (?) إظهار الحق: (1/885) .

(لوثر[1]) بل وكتبهم المقدسة، وما ورد فيها من إثبات الجبر[2].

فالله جعل الإيمـان والعمل الصـالح سـبباً في الاهتـداء، وجعل الكفر والمعاصي سـبباً في الضـلال، وبحسب ذلك الأثر الطيب أو الخبيث يكون الجزاء بالثواب والعقاب.

فمن أراد الله تعـالى هدايته للحق يوفقه للإيمـان ويعينه على العمل الصـالح، وييسر له سـببه، ويجعل له القبـول في نفسه، ومن أراد إضلاله يجعل صدره ضيقاً حرجـاً، ويجعل على قلبه أكنة تحـول بينه وبين الإيمـان والعمل الصـالح فختم على قلبه وطبع عليه، فامتنع بذلك من وصول الهدى إليه.

وفي ذلك يقول سبحانه: [illegible] [الليل:5-10].

وفي الحديث عن النبي أنه قال: « اعملوا فكل ميسر لما خلق لـه، أما من كـان من أهل السـعادة فييسر لعمل أهل السـعادة، وأما من كـان من أهل الشـقاء، فييسر لعمله أهل

---

1 (?) مارتن لوثر: ظهر في القرن السادس عشر الميلادي، ودعا لإصـلاح الكنيسة وكـان ظهـوره في ألمانيـا، وقد كـان لـوثر عالمـاً بـاللاهوت، وهو رجل ألمـاني مسـتقل العقل حر التفكـير، مما أدى بالكنيسة إلى إصدار قرار بحرمانه من الحقـوق القانونية والمدنيـة، وصادفت دعوة لوثر في القرن السادس عشر نجاحاً، واعتنقها كثير من المصلحين الذين ساروا في طريق لوثر فـأنكروا حق الغفـران، والاسـتحالة ووقف فهم الكتـاب المقـدس على الكنيسة وما شـابه ذلك.

وكان من أهم نتائج هذه الحركة الإصلاحية إنشاء كنائس جديـدة لأتباعها سميت الكنائس البروتستانتية (انظر: أحمد شلبي: المسيحية: ص(274-275). وانظر: الموسوعة العربية العالمية، (21/175).

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/883).

الشقاوة))[1] .

ويقـــول ابن القيم ~ : « وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخـــــرهم وكتبه منزلةً عليهم، على أنه ســــبحانه يضل من يشــاء ويهــدي من يشــاء وأنه من يهد الله فلا مضل لــه، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيـده لا بيد العبـد، وأن العبد هو الضـال أو المهتـدي، فالهداية والإضـلال فعله سـبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه »[2] .

وما ذكره الشيخ رحمه الله في معـنى الهداية والإضـلال، ونسـبتها إلى الله هو موافق لما عليه جمهور أهل العلم إجمالاً.

---

1 (?) أخرجه البخـــاري: في كتـــاب التفســـير بـــاب ''فسنيســـره للعســرى'' ص(885) ح(4949)، ومســلم في كتـاب القـدر بـاب: كيفية خلق الآدمي. (8/47) المجلد الرابع.

2 (?) شـــفاء العليـــل: (140) عنايـــة: خالد عبـــداللطيف الســـبع العلمي: ط3، 1418هـ 1998م، دار الكتاب العربي- بيروت.

المبحث الرابع :
توحيد الألوهيـــة

توحيد الألوهيـة: هو ما يعـبر عنه بتوحيد العبـادة، أو توحيد الطلب والقصد.

« وهو العلم والاعـتراف بـأن الله ذو الألوهية[1]، والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها. وإخلاص الدين لله وحده » [2].

وهذا التوحيد أهم أنواع التوحيد وأشـرفها، وهو أول الـدين وآخــره، وباطنه وظــاهره، وأول دعــوة الرسل وآخرهــا، وهو معنى قول: لا إله إلا الله[3] .

وهو أيضــاً التوحيد المطلــوب في الأســاس، فمن أتى به فقد وحد الله في ذاته وأسـمائه، وصـفاته، وأفعالـه، وربوبيتـه؛ لأنه الله استعبد خلقه بالألوهية الجامعة لصـفات الكمـال، فمن

---

1 (?) الألوهيــة: هي العبــادة، يقــال: أله إلاهــه، وألوهة وألوهية بمعنى: عَبَـدَ عبـادة (الجـوهري: الصـحاح، (6/2223) مـادة: ألـه)، وألوهية الله تعالى هي مجموع عبادته على مراده نفياً وإثباتاً، علماً وعملاً، وجملة وتفصيلاً. انظر: مؤلفات الشيخ الإمـام محمد بن عبد الوهـاب القسم الخـامس ص(174)، إعـداد نشـر: جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية- بالرياض.

2 (?) عبد الرحمن بن ناصر السعدي: القـول السـديد في مقاصد التوحيد: ص(14)، مطبوع مع كتـاب التوحيد للشـيخ محمد بن عبد الوهاب، ط12، الجامعة الإسلامية.

3 (?) انظر: الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب؛ تيســير العزيز الحميد في شــرح كتــاب التوحيــد. ص(36). ط5، 1402هـ، المكتب الإسلامي.

شهد أن لا إله الله بصدق فقد وحد الله تعالى التوحيد كله.

ولا يكــون العبد موحــداً التوحيد الــذي ينجي صــاحبه في الدنيا من عـذاب القتل والأسـر، وفي الآخـرة من عـذاب النـار بمجرد اعتقـاده أن الله هو رب كل شـيء وخالقه ومليكـه.وأنه المــدبر للأمــور جميعــاً، فــإن مثل هــذا التوحيد كــان يقــرّ به المشركون الذين أمر الرسـول ﷺ بقتـالهم، بل لا بد مع ذلك من توحيد الألوهية، الذي هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، والذي من أجله خلق الله الخلـق، وجعل الجنة والنار ، وفرق الناس إلى شقي وسعيد[1] .

والشيخ رحمه الله يؤكد على أهمية العبـــــادة وأداء الطاعـــــات، واجتناب المنكرات، وتحريم عبادة غير الله تعالى وكـذا تحـريم الشرك والردة عن الدين[2] .

ولكنه يقع فيما وقع فيه كثـــــير من المتكلمين من الخلط بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، نجد ذلك في قوله: « شهد بوحدانيته في صـــفات الألوهية النظـــام المشـــاهد في جميع الكائنات »[3] .

أما ما يتعلق بمســـائل العبـــادة وفروعها فلا نجد له ذكر خاصة فيما توفر لدينا من مراجع له.

أمامســـألة إطلاق توحيد الالوهية على توحيد الربوبية فهو بحاجة إلى التفصيل التالي:

---

1 (?) انظر: محمد خليل هراس: دعوة التوحيد: ص(39)، ط1، (1406هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت.

2 (?) انظـــر: إظهـــار الحـــق: (1/58)، (3/682)، (3/834)، والتنبيهات/ (24) .

3 (?) التنبيهات: ص(24) .

أن الأشـــاعرة يعرفـــون كلمة (إلـــه): بأنه القـــادر على الاخـــتراع، ومن ذلك ما نســـبه البغـــدادي[1] إلى أبي الحسن الأشعري[2] فقـال: « واختلف أصـحابنا في معـنى الإلـه: فمنهم من قــال: أنه مشــتق من الإلهيــة، وهي: قدرته على اخــتراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري »[3]

وقد حكى الرازي هـذا القـول ذاكـراً دليله دون أن يسـمى قائله، فقال في صدد حكاية مـذاهب النـاس في أصل اشـتقاق اسم الله تعــالى (اللــه) قــال: " القــول الســابع: الإله من له الإلهية، وهي القـدرة على الاخـتراع، والـدليل عليه أن فرعـون

---

[1] (?) عبد القــاهر البغــدادي، أبو منصــور عبد القــاهر بن طــاهر الشـــافعي، الأشـــعري، الأصـــولي، وهو أكـــبر تلاميذ أبي اســـحاق الاســفراييني، تــوفي ســنة: (429هــ)، من مصــنفاته: الفــرق بين الفـــرق، كتـــاب التفســـير، الكلام في الوعيد الفـــاخر في الأوائل والأواخر .

انظــر: الــذهبي: ســير أعلام النبلاء: (17/572)، وكحالــة: معجم المؤلفين: (2/201) .

[2] (?) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر اسحاق بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بــرده بن أبي موسى الأشـعري، وكنيته أبو الحسن، ولد بالبصرة سنة (260هـ) وسكن بغداد، متكلم إليه تنتمي الطائفة الأشـعرية، مر في حياته بثلاثة أطـوار، المرحلة الاعتزالية ثم المرحلة الكلابية ثم المرحلة الســـنية، من مصـــنفاته: التبيين في أصـول الـدين، مقـالات الإسـلاميين واختلاف المصـلين، الرد على المجسمة، توفي في بغداد سنة (324هـ) على الارجح .

انظر: ابن عساكر الدمشقي: تبيين كـذب المفـتري فيما نسب إلى أبي الأشـعري: (34، 40، 56)، ط3، (1404هــ-1984م)، دار الكتب العربي- بيروت، وعمر كحالة: معجم المؤلفين: (2/405) .

[3] (?) أصــول الــدين: (123)، ط عــام (1346هــ)، دار الفنــون- استنبول- مدرسة الالهيات .

لما قال: ﴿ [illegible] ﴾ [الشعراء: 23]، قال موسى في الجواب: ﴿ [illegible] ﴾ [الشعراء: 24]، فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله: القدرة على الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقاً لذلك السؤال »[1] .

والجواب من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن فرعون كان متظاهراً بإنكار وجود رب العالمين بل كان يدعي أنه رب العالمين بقوله: ﴿ [illegible] ﴾ [النازعات: 24]، وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الزخرف:54]، وقال: ﴿ [illegible] ﴾ [غافر: 37]، ولذلك كان سؤاله بقوله: « وما رب العالمين » سؤالاً عن وصف الرب تعالى، وليس سؤالاً عن الماهية، إذ السؤال عن ماهية الشيء فرع الإقرار به -وهو لا يقر بالله متظاهراً- فمن لم يقر بشيء لايسأل عن ماهيته[2] ، فمن سأل عن ماهية الإنسان فقال: ما الإنسان؟ فإن ذلك فرع إقرار بوجوده، وكذلك هنا[3].

ولذلك فإن فرعون لم يكن قد سأل عن حقيقة الإلهية، وإنما سأل عن وصف الرب الذي يتظاهر بانكاره ويوضح هذا آية أخرى وهي:﴿ [illegible] ﴾ [طه: 49]، ومعلوم أن «من» لا يسأل بها عن ماهية الشيء وحقيقته، وإنما حقيقة

---

[1] (?) الرازي: شرح أسماء الله الحسنى: ص(124)، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد: ط1، (1404هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت .

[2] (?) انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم: (3/333)، (1401هـ)، دار الفكر-بيروت .

[3] (?) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى: (16/334) .

معــنى الإلهية هي: اســتحقاق الله للعبــادة بماله من صــفات الكمــــال وتنزهه عن صــــفات النقص، وقد دلت الأدلة على ذلك[1].

الوجه الثاني: أنه لو كان معنى إله، القـادر على الاخـتراع، كــــــــان معــــــــــــنى لا إله إلا الله أي: لا خالق إلا الله ولا قادر على الاختراع إلا هو، وهذا المعنى كان يقــــــــول به المشــــــــــركون، ولــــــــــذلك يحتج الله عليهم بمعرفتهم هذه بقوله: [illegible] [البقــــــــــــرة: 22]،

أي تعلمـــون أنه لا رب لكم غـــيره كما نُقل ذلك عن جمع من المفسرين[2].

فلو كـان المعـنى ما ذكـره هـؤلاء المتكلمـون لما اسـتقام الإنكــار على المشــركين الــذين يقــرون بــأن الله هو خــالقهم وخالق كل شيء، وإنما كان شركهم في الألوهية[3].

الوجه الثالث: إن هذا القول غـير معـروف عند أهل اللغـة، ولـذلك لم يحتج من قـال بهـذا القـول بشـاهد من شـواهد لغة العرب، ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة[4].

ومن هـــذا نجد خطأ من أطلق على توحيد الألوهية حـــدود

---

[1] (?) انظـر: الشـيخ عبد الـرحمن أبي بطين: رسـالة في تعريف توحيد العبــادة: (1/170) وما بعــدها (ضــمن مجموعة التوحيــد)، (1407هـ)، تحقيق بشير محمد عيون، دار البيان-دمشق .

[2] (?) انظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطـبري: جـامع البيـان في تأويل آي القرآن: (1/163) .

[3] (?) انظر: الشـيخ سـليمان بن عبداللـه: تيسـير العزيز الحميـد: ص(76) .

[4] (?) انظر: المرجع السابق: ص(76) .

توحيد الربوبية لما يلـــزم عن ذلك من لـــوازم باطلة في جعل توحيد الربوبية هو أول واجب على المكلف وغيرها .

تنبيــه:

يــــذكر الشيخ رحمه الله أن القـــرآن قد اشـــتمل على: ((توحيد الذات، وتفريد الصفات)) [1] .

وهذا يجعلنا نرجع إلى تعريف الأشاعرة للتوحيد بأنه: إثبات الوحدة في الـذات والصـفات والأفعـال، فوحدانية الـذات تنفي تـركب الـذات وتعـددها، ووحدانية الصـفات تنفي التعـدد في صــفات الله من جنس واحـــد، وتنفي مشـــابهة صـــفات الخلق لصـفاته، ووحدانية الأفعـال تنفي أن يكـون لغـير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد[2].

وظاهر أن هذا التعريف يشـتمل توحيد الألوهيـة، أما تحديد الشيخ رحمه الله للتوحيد؛ فهو خاص بتوحيد الصـفات فقـط، وإن كـان صـحيحاً إجمـالاً، لأن اعتقـاد وحـدة الله تعـالى ذاتـاً وصــفاتاً مطلوبة، فالله واحد لا يشبهه شـيء في ذاته ولا في صـفاته، ولكنه كـان غـافلاً عن توحيد العبـادة الــذي هو قســيم توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

---

1 (?) إظهار الحق: (3/780) .

2 (?) انظـــر: إبـــراهيم بن محمد البـــاجوري: تحفة المريد شـــرح جوهرة التوحيد: ص(59-60) .

المبحث الخامس :
إبطال عقيدة التثليث

تمهيــــد:

لقد اتفقت أصول الإيمـان في رسـالة الأنبيـاء جميعـاً، وإن اختلفت في الشــرائع والفــروع، ذلك لأنها تصــدر من مشــكاة واحدة من الله العلي العظيم .

ثم إن شعار الأنبياء والمرسلين جميعـاً إلى قـومهم واحـد، إلا وهو عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: [illegible]

[الأنبياء: 25] .

وبما أن عيسى [illegible] أحد رسل الله تعـــــالى؛فقد جـــــاء بالإسـلام الـذي هو دين جميع المرسـلين، فالـدين عند الله الإسلام.

ثم حصل الانحـــراف عن التوحيد الـــذي جـــاء به عيسى [illegible] باعتنـــاق عقائد باطلة ما أنـــزل الله بها من ســلطان؛ كعقيد ة الصلب والفداء والعشاء الرباني والتثليث، الذي هو لب العقيدة النصرانية ومحل إجماع جميع الفرق النصرانية، وهو كـذلك سر محيّر يعجز النصارى أنفسهم عن إدراك حقيقته .

ولقد تناول الشيخ رحمه الله موضوع التثليث بكثـير من الاهتمـام؛ فقد أفـرد له مصـنفاً وهو (أصح الأحـاديث في إبطـال التثليث)، حيث أبطل التثليث بدلالة العقل والنقل من نصـــــــوص كتب

العهدين .

هـذا بالإضـافة إلى أنه عقد بابـاً في كتابه الشـهير إظهـار الحـــق، في إبطـــال التثليث، ضم معه إبطـــال ألوهية عيسى على اعتبار أنه أحد أهم الأسباب التي أدت إلى القول بالتثليث.

وقبل بيـــان منهج الشيخ رحمه الله في إبطـــال عقيـــدة التثليث، يستحسن أن نلقي ضوءاً على النقاط التاليـة:

1- تاريخ عقيدة التثليث عند النصارى.

2- الجذور التاريخية العقيدة التثليث النصرانية.

3- حقيقة التثليث ومراد النصارى به.

4- بعض أدلة النصارى على التثليث.



المطلب الأول: التثليث عند النصـــارى: تاريخيـــة، جذوره، حقيقته، أدلته:

1- تاريخ عقيدة التثليث عند النصارى:

إن أول ما تكلم به عيسى وهو في مهده؛ إثبـات عبوديته لله تعالى قائلاً: [مريم: 30]، وقال: [مريم: 36].

وبقي عيسى على إقراره بالتوحيد، والدعوة له منذ كـان في المهد إلى أن صار نبياً ينادى قومه بقوله: [المائدة: 72].

بل حـتى في يـوم الحشـر؛ حيث أخـبر الله بأنه سـوف يسأل -وهو أعلم- عيسى في ذلك اليوم عما أحدثه قومه من تأليهه وتأليه أمه، وهل هو الذي طلب من قومه ذلـك، فيجيبه بأنه ما دعاهم إلا إلى توحيد الله وعبادته وحده؛ قال تعالى:

[المائدة: 116-117].

وظل التوحيد كـذلك عـبر القـرون في قلـوب القلة القليلة

التي بقيت متمسكة بالعقيدة الصحيحة، بعد الانحراف الذي دخل التوحيد، من القول بألوهية عيسى ، وألوهية الروح القدس باعتبارهما أقنومين من الأقانيم[1] الثلاثة التي تشكل الثالوث المقدس عندهم.

ثم إن هذا الانحراف قد بدأ منذ حياة المسيح ، فكان هناك من ادعى بنبوته لله تعالى، ومن ألهه، ولهذا أعلن برنابا[2] على لسان المسيح براءته من دعوى الألوهية، ومن

---

1 (?) الأقنوم: كلمة سريانية معناها شخص أساسي، أو شخص رئيس أو كيان ذاتي أو في الذات أو مبدأ الأشياء، وهي قريبة من الكلمة اليونانية Norms.

والأقانيم عند النصارى هي: الآب، والابن وروح القدس، وفكرة الأقانيم وردت في الفلسفة اليونانية، وتأثر بها يوحنا صاحب الإنجيل، وأحد طلاب مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي أخذت على عاتقها الجمع بين الفلسفة اليونانية والنصرانية كما هو واضح من إنجليه.

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (2/9666)، إشراف: د/ مانع الجهني، ط4، 1420هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر - الرياض، والقس فايز فارس: حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص(52)، دار الثقافة المسيحية، مطبعة القاهرة.

القـائلين بألوهيتـه، مؤكـداً عبوديته لله تعـالى وبشـريته، حيث يروي عن عيسى قوله: « إني أقشعر؛ لأن العالم سـيدعوني إلها، وعليّ أن أقـدم لأجل هـذا حسـاباً، لعمر الله الـذي نفسي واقفة في حضرته إني رجل فان كسائر الناس »[1].

وحين نعت الإسرائيليون عيسى بأنه إله، استشاط غضباً ووصف ناعتيه بالضلال والمروق عن الـدين قـال لهم: « .. لقد ضللتم ضلالاً عظيماً أيها الإسرائيليون؛ لأنكم دعوتموني إلهاكم وأنا إنسـان »[2].

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقسم المراحل التي مرت بها العقيدة عند النصارى وتطوراتها حتى استقرت على التثليث إلى مرحلتين أساسيتين:

-المرحلة الأولى: من بعثة المســـيح إلى مجمع نيقية[3]

---

1 (?) إنجيل برنابا (12-52/10).

2 (?) إنجيل برنابا: (93/2).

سنة (325م).

-المرحلة الثانية: من مجمع نيقية إلى الوقت الحاضر[1].

المرحلة الأولى: من بعثة المسيح إلى مجمع نيقية سنة (325م):

في أوائل هــذه المرحلــة؛ كــانت ديانة عيسى كما أخــبر القرآن الكريم؛ ديانة توحيد تدعوا إلى عبـادة إله واحــد، وتقـرر أن المسيح إنسان من البشر، أرسله الله تعالى بــدين جديــد، وشــريعة جديــدة، كما أرسل رســلاً قبلــه، ولكن لم تمض بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق النصرانية.

ولقد كانت نشأة النصرانية على يد ذلك الأفـاك بـولس[2] منذ

---

[1] (?) انظر: علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص(120) وما بعدها.

العقود الأولى بعد رفع المسيح؛ فانتشر القول بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس.

وخاصة في رسائله الثلاث عشرة[1] التي كتبها بين سنتي 45م و65م)، حيث تضمنت القول بألوهية المسيح، وألوهية روح القدس، وهي احدى أركان الثالوث المقدس في العقيدة النصرانية.

فقد جاء في الإصحاح الأول من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس من قوله « أنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح الذي سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح أمين هو الله الذي به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا »[2]

وقال أيضاً: « لكن لنا إله واحد الأب، الذي منه جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به »[3]

وورد في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس عن الروح القدس قوله: « وأما الرب فهو الروح»[4]

ولكن مع هذا بقيت عقيدة التوحيد عند بعض الأفراد والفرق والكنائس، منذ القرون النصرانية الأولى، حتى وقتنا الحاضر، وإن ظل الموحدون منذ ذلك الحين موضع الحرمان والاضطهاد من الأغلبية النصرانية المثلثة، ويتضح ذلك جلياً في

---

1 (?) لأن الرسالة إلى العبرانيين مشكوك في نسبتها إلى بولس.

2 (?) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: (1/7-9) .

3 (?) المصدر السابق: (8/ 6) .

4 (?) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: (2/ 17) .

إنجيل برنابا الحـواري، الـذي ينكر ألوهية المسـيح، وكـذلك عند أبيـون[1] وفرقتـه، فقد تضـمن إنجيله النص على التوحيـد، وهو من الأناجيل غـير المعتمـدة، وقد بقيت فرقته على ذلك حـتى انقرضت في القرن الرابع[2].

وجـاء آريـوس[3]- قسـيس الأسـكندرية في بداية القـرن الرابع الميلادي- وأعلن أن الله وحده الإله الواجب الوجـود، أما

---

1 (?) أبيـون: فقيه لغـوي، أسـكندري، عـاش في القـرن الأول الميلادي، واشتهر ببحوثه عن هوميروس، وبرسالته التي هاجم فيها اليهود مهاجمة عنيفة، مما حدا بالمؤرخ اليهـودي (يوسـيفوس) إلى كتابة رسـالة للـرد عليه ورغم أنه وفرقته قبلـوا المسـيح إلا أنهم قبلوه بمعنى المهـدي المنتظـر، ورفضـوا الإقـرار بألوهيتـه، وولادته العذرية، وتذكر بعض المصادر: أنه لا يوجد شخص بهذا الاسم.

انظر: د/ عبدالمنعم حنفي: الموسـوعة النقدية للفلسـفة اليهوديـة: ص(43)، ط1، 1400هـ-1980م، مكتبة مدبولي -القـاهرة، وعلي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(124) .

2 (?) انظـر: د/ عبـدالمنعم حنفي: الموسـوعة النقدية للفلسـفة اليهودية: ص(43) .

المســيح فهو غــير مســاو للأب في الجــوهر والعظمــة، وهو مخلوق بإرادة الله حادث غـير أزلي، فاضـطهد بسـبب ذلك في مجمع نيقيــة، وظل كــذلك هو وأتباعــه، موضع اضــطهاد من الحكام والقساوسة، حتى بـدأ في الاضـمحلال والتنـاقص حـتى انقرض كل الانقراض في القرن الخامس الميلادي. [1]

أضف إلى ذلك ممن سار على خط التوحيد أوريجـانوس[2] الــذي أعلن عــدم تعــدد الالهــة، وعــدم تجزئتــه، فحكم عليه بالحرمــان، واحــرقت كتبه[3]: وبــولس الشمشــاطي[4] بطريك

---

1 (?) انظر: أحمد عبد الوهـاب: طائفة الموحـدين من المسـيحية عبر القرون: ص(24-26)، ط1، 1400هـ، 1980م مكتبة وهبة - القاهرة .

2 (?) اوريجانوس: فيلسوف نصراني عاش، ما بين عـامي (185-254م)، ولد بمصر وتعلم بالاسـكندرية، ونشر الإنجيل بست صـور مختلفــة؛ عبرية ويونانية لمقابلة بعضــها ببعض، في الـــرد على المعارضـين، وكتب في ذلك عـدة كتب أشـهرها (المبـادئ الأولى) باللغة اللاتينية، وكتاب (معارضة سلسوس) وحاول أن يؤيد العقيدة النصــرانية ببيــان اتفاقها مع الفلســفة، فكــان بــذلك واضع حجر الأساس لفلسفة العصور الوسطى.

انظـر: المنجد في اللغة والأعلام: ص(85)، ومحمد شـفيق غربـال وآخـــرون: الموســوعة العربية الميســرة: ص(261)، ط عـــام 1401هـ- 1981م، دار نهضة لبنان للطبع والنشر - بيروت.

3 (?) انظــر: محمد عــزت إســماعيل الطهطــاوي: النصــرانية والإسلام: ص(138)، دار الأنصار- القاهرة .

أنطاكية الذي أعلن وحدة الجـوهر الإلهي[1]، وطائفة الموحـدين في بولونيـا، الـتي كـانت موضع الاضـطهاد بسـبب توحيـدها،[2] وكذلك المصلح الأسباني سرفيتوس[3]، الـذي أحـرق حيـاً عـام 1553م بسبب إعلانه التوحيد.[4]

كل ذلك يـدلنا على قـوة الاعتقـاد بالتوحيد عند النصـارى، قبل مجمع نيقية .

المرحلة الثانية: من مجمع نيقية سنة (325م) إلى الوقت الحاضر:

على الـــرغم من الأصـــوات الداعية للتوحيد منذ القـــرون الأولى للنصــرانية، إلا أن الانحــراف عن تلك العقيــدة بــالقول بــالتثليث لم يثبت بصــفة رســمية إلا في مجمع نيقية ســنة (325م)، حيث أمر قسطنطين[5] امـبراطور الرومـان بـأن يعقد

---

1 (?) انظر: محمد مجدي مرجان: الله واحد أم ثالوث: ص(45) .

2 (?) انظــر: محمد عــزت إســماعيل الطهطــاوي: النصــرانية والإسلام: ص(139) .

3 (?) سرفيتوس: هو ميخائيل سرفيتوس (1511-1153م)، كـان طبيباً أسبانياً ولا هوتيـاً، ولد في تـوديلا بأسـبانيا، ودرس الطب في باريس، قوبل بعدم ارتياح من جـانب الرومـان الكاثوليك وسـلطات الكنيسة البروتســتانية وأدين لعــدم انصــياعه للعقائد المرتضــاة، فحــوكم وأتهم بأنه منشق عن العقيــدة وحرقــوه بمدينة شــامبل بسويسرا. (الموسوعة العربية العالمية: (12/236)).

4 (?) انظـر: محمد الغـزالي: التعصب والتسـامح بين المسـيحية والإســلام: ص(102)، دار الكتب الحديثة لصــاحبها توفيق عفيف عامر .

5 (?) هو الامبراطور الروماني قسطنطين الأول (الكبــير) (288-337م)، وهــوابن الملك قســطانش أول، والملكة هيلانــة، انفــرد بتولي الحكم سنة 312م، وقد اصدر في سنة 313م منشور ميلان

مجمع ديني مسكوني، يضم ممثلين لجميع الكنائس في العــالم النصـــــراني، وذلك لحل الاختلافـــــات العقدية الموجـــــودة في الكنيسة في تلك الأزمان .

وكـان أبـرز وجـوه الاختلاف، ذلك الاختلاف والتعـارض بين دعـوة كنيسة الاسـكندرية الـتي كـانت تنـادي بألوهية المسـيح على مـذهب بـولس، وبين دعـوة الأسـقف الليـبي آريـوس في الاسكندرية أيضاً، الذي وصف بأنه عالم ومثقف، وواعظ مفوه، وزاهد متقشف وعالم بالتفسـير، حيث أخذ ينـادي بـأن الله اله واحد، غير مولود، أزلي، أما الابن فهو ليس أزلياً، وغـير مولـود من الأب، وأن هـــذا الابن خـــرج من العـــدم مثل كل الخلائق حسب مشيئة الله وقصده[1].

فقـــرر ذلك المجمع قطع آريـــوس عن الخدمة وتكفـــيره وحرمانه وطرده، وإثبات ألوهية المسيح وتكفير كل من يــذهب أن المسيح إنسان، وتحريق جميع الكتب الـتي لا تقـول بألوهية المسيح وتحريم قرآءتها[2].

الذي أقر فية التسـامح مع النصـارى، ولم يعمّد قسـطنطين إلا وهو على فراش المـوت، وهو أول من أوجد فكـرة المجـامع النصـرانية فدعا إلى مجمع مسكوتي (عام) لمناقشة رأي آريـوس في انكـاره ألوهية المسيح فانعقد هذا المجمع في بلدة نائس (نيقية) .

انظر: محمد شفيق غربال وآخرون: الموسـوعة العربية الميسـرة: ص(1379)،   وفريد وجـدي: دائـرة معـارف القـرن العشـرين: (4/455)، ط1، 1971م، دار المعرفة - بيروت.

[1] (?) انظـــر: القس حنا الخضـــري: تـــاريخ الفكر المســـيحي: (1/619)، دار الثقافة المسيحية، دار الطباعة القومية.

[2] (?) انظـــر: محمد أبو زهـــرة: محاضـــرات إلى النصـــرانية: ص(117)، د/علي عبد الواحد داني: الأسفار المقدسة: ص(125-126) .

ولم يتعرضوا -في هذا المجمع- لتأليه روح القدس إطلاقـاً، حتى قامت دعوة جديدة تدعو إلى تأليه روح القـدس، وأنه رب خالق محي ومميت، وأنه مع الأب والابن يمثلون الأسرة الإلهية الكاملة، والكل إله واحد، ويـتزعم هـذه الـدعوة المؤلهة لـروح القدس بطريك كنيسة الاسكندرية، وكان على الطرف المقابل أسقف القسطنطينية آنـذاك مقـدونيوس[1] الـذي يـرى أن روح القـدس مخلـوق غـير إلـه، وكـان ذلك عـام 381م، في مدينة القسطنطينية، وتضـمنت قراراته عن: لعن مقـدنيوس وكل من يقـول مقالتـه، وإثبـات أن روح القـدس خـالق عن مخلـوق إله حق، وأنه مع الأب والابن جوهر واحد وطبيعة واحدة .

وزادوا في الأمانة الــتي وضــعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً في مجمع نيقية قولهم: « ونـؤمن بـروح القـدس الـرب المحــيي المميت المنبثق من الآب الــذي هو مع الآب، والابن، مسجود له وممجد وناطق في الأنبيـاء » [2].

وبـذلك تقـرر التثليث في النصـرانية، وأصـبح هو العقيـدة الرسـمية الـتي يجب أن يعتنقها كل شــخص نصــراني، وذلك

---

[1] (?) مقدونيوس: وهو ممن تـأثر بـآراء أريـوس، فكـان يقـول أن روح القــدس مخلوقــة، وكــان بطريكا للاســكندرية لمــدة عشر سنوات، فكان المجمع الثاني الذي قرر إنزاله من وظيفته ولعنــوه، يقول ابن حزم:« وكان من قول مقدونيوس هـذا التوحيد المجـرد، وأن عيسى عبد مخلـوق إنسـان نـبي رسـول الله كسـائر الأنبيـاء عليهم السـلام، وأن عيسى هو روح القـدس وكلمة الله وأن روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك » .

انظر: ابن حـزم: الفصل في الملل والنحـل: (1/160)، تـاريخ ابن خلدون: (2/174)، الشهرستاني: الملل والنحل: (2/255) .

[2] (?) انظــر: أحمد شــلبي: المســيحية: ص(169)، وعلي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(126-127) .

عندما تدخلت عصا السلطان، وجبروته في فرضها على الناس، وبالتـالي أصـبح هـذا التثليث هو عقيـدة الفـرق النصـرانية على اختلاف مذاهبهم ومنازعهم، من نسـاطرة، ويعاقبـة، وملكانيـة، فهم مجمعون على القول بالتثليث، ومتفقون على أن « أقنـوم الأب هو الـذات، وأقنــوم الابن هو الكلمة وهي العلم، وأقنــوم الــروح القدس هو الحياة وأنها لم تزل فائضة من الآب » [1].

وتنبت آراءهم الفــرق النصــرانية الحديثــة: الأرثــوذكس[2] والكاثوليك[3]، والبروتسـتانت [4] حيث أجمعت هـذه الفـرق على

1 (?) سـعد بن كمونة اليهـودي: تنقيح الأبحـاث في الملل الثلاث: ص(52)، دار الأنصار- القاهرة .

2 (?) الارثــوذكس: هم نصــارى الشــرق الــذين تبعــوا الكنيسة الشرقية في القسـطنطينية، وأهم ما يتمـيزون به هو اعتقـادهم أن الروح القدس انبثق من الأب فقط، وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الارثوذكسـية أو الكنيسة الشـرقية أو اليونانية في أوروبا الشـرقية وروسيا، وأصحاب هذه الكنيسة لا يجتمعون تحت لــواء رئيس واحد بل كل كنيسة مستقلة بنفسها.

انظر: أحمد شلبي: المسحية: ص(250) .

3 (?) الكاثوليك: هم أتباع البابا في روما، وهم الذين يقولون بــأن الروح القدس انبثق من الأب والابن معـاً، ويعتـبر بابا الفاتيكـان هو الــرئيس العــام لجميع الكاثوليــك، وهم أكـثر الأوربــيين الغربــيين وشعوب أمريكا الجنوبية، وتسمى كنيســتهم الكنيسة الكاثوليكية أو الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية .

انظر: أحمد شلبي: المسيحية: ص(249-205) .

اعتقاد التثليث كعقيدة أساسـية في النصـرانية، وأعلنت أن كل منكر لهذا الثالوث فهو كافر، لأنه في نظرهم قد جــرد الله عن المحبة والسعادة، حيث زعمـوا أن وحدانية الله المطلقة كفـر، وانتقاص للذات الإلهية، وأن التثليث هو الكمـال لوجـود المحبة والسعادة بين أفراد الأسـرة الإلهيـة.[1] تعـالى الله عن قـولهم علواً كبيراً .

2- الجذور التاريخية لعقيدة التثليث النصرانية:

الثـــالوث ليس بـــدعاً في النصـــرانية، ولكنه يمتد بجـــذور عميقة في أرض الوثنية القديمة، في الهند، ومصـر، وأفريقيـة، حيث أخذه النصارى من الأمم السـابقة عليهم، والـتي اختلطت بهم فيما بعد، وانتشرت النصرانية بين صفوفها.

وبطبيعة الحال فإن الاختلاط بين النصـارى وبين تلك الأمم قد أثمر ثمرته، وأينع حصاده، وهو انتقال التصورات الدينية عند تلك الأمم إلى تصور النصارى للعقائد والشعائر النصرانية .

وكـان هـذا التقـارب بين العقيـدة النصـرانية -في صـورتها المحرفة- وبين عقائد تلك الأمم سبباً من أسباب قبولهم لها .

" لقد كان موضوع تعدد الآلهة يكـاد يكـون عامـاً في جميع الثقافـــات القديمة قـــال به المصـــريون القـــدماء، وقـــال به الآشوريون، والبابليون، والفرس، والهنود، والصينيون، واليونان، على اختلاف في عــدد الآلهــة، ومكــانتهم، واختلاف في تصــور صلة الآلهة بعضهم ببعض أوصلتهم بالبشر .

أما التثليث فلعله كان تحديـداً لهـذا التعـدد الـذي بولغ فيه أحيانـاً، ويمكن القــول بــأن تحديد الآلهة بثلاثــة، عمل له صــلة

---

[1] (?) انظر: محمد مجدي مرجـان: الله واحد أم ثـالوث: ص(17-18) .

بعبادة الأبطال، تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ، والـتي لايزال لها بقايا في عالمنا الحاضر .

وارتباط التثليث بعبادة الأبطال مرجعه أن الجماهير كـانت تعبد البطل لعمل رائع قـام بـه، ثم يتخذ البطل له زوجة فتحتل معه مكـان الألوهية وتسـجد لها الجمـاهير، وينجب الزوجـان، ويعين البطل أحد أبنائه ليتـولى مكانه فيما بعـد، فتسـجد له الجماهير ويتم بذلك الثالوث .

تلك هي الفكرة الأولى للتثليث، ثم انطلق التثليث فلم يعد يتقيد بهذه الفكرة، وأصبح الثـالوث معبـوداً معروفـاً لكثـير من الأمم)) [1] .

وفيما يلي طرف من الوثنيات المثلثة التي نراها قد أثـرت بتصوراتها في العقيدة النصرانية:

« لعل البـابليون هم أول من قـال بالثـالوث، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث كـانوا يـدينون بتعـدد الآلهـة، ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة فجعلوها مجموعات متميزة المكـان والقـدرة، كل مجموعة ثلاثـة، فكـانت المجموعة الأولى على رأس الآلهـة، وتتكـون هـذه المجموعة من إله السـماء، فإله الأرض، فإله البحـر، أما المجموعة الثانيـة، فإله القمر وإله الشمس، وإله العدالة والتشريع »[2] .

وأيضاً كان التثليث معروفاً عند قدماء الهنود، والذين كانوا قبل المسـيح بـآلاف السـنين، حيث نـرى « أن أعظم وأشـهر عبـادتهم اللاهوتية هو التثليث (أي القـول بـأن الإله ذو ثلاثة أقانيم) ويسمون هذا التعليم بلغتهم (تري مـورتي) وهي عبـارة

---

1 (?) أحمد شلبي: المسيحية: ص(149) .

2 (?) د/ إبراهيم مـدكور: تـاريخ الفلسـفة ص(6)، نقلاً عن أحمد شلبي: المسيحية: ص(149) .

مركبة من كلمتين، بلغتهم السنسكريتيه (تري) ومعناهـا: ثلاثـة، و(مورتي) ومعناها هيئات وأقانيم، وهي: برهما وفشـنو وسـيفا، ثلاثة أقانيم متحدة لا تنفك عن الوحدة فهي إله واحد »[1]

أما التثليث عند الصينيين فقد وجد عندهم، رغم أنهم كانوا وثنيين [2].

وقد كـان التثليث معروفـاً عند المصـريين القـدماء، حيث اتجهت مدرسة الإسـكندرية نفس الاتجـاه في التثليث، « وبعد الفتح الإغـريقي أصـبحت مدينة الإسـكندرية الجديـدة مركـزاً لحياة مصر الدينية، بل أصـبحت في الحق مركز الحيـاة الدينية للعالم الهلليني كافة، فأقام بطليمـوس الأول[3] معبـداً عظيمـاً هو معبد السـرابيوم، كـان يعبد فيه نـوع ما من ثـالوث الأربـاب مكــون من: أوزيــريس وإيــزيس وحــورس، ولم يكن النــاس يعدونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاثاً لإله واحد » [4].

« وقد اسـتمرت مدرسة الاسـكندرية هـذه تباشر مكانتها

---

1 (?) دوان: خرافات التوراة وما يماثلها في الأديان الأخـرى: ص(366)، نقلاً عن الأسـتاذ محمد طـاهر التنـير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: ص(19)، ط 1330هـ - بيروت.

2 (?) انظـــر: محمد طـــاهر التنـــير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: ص(24).

3 (?) بطليمـوس: هو القلـوذي- مؤلف كتـاب المجسـطي، عـالم بالرياضة والعلـوم، وهو أول من عمل الاسـطرلاب الكـرى (المنظـار الفلكي)، والالات النجومية والمقاييس والأرصاد وقد كان في زمان (أدريانوس) و(انطونينوس).

انظر: ابن النديم: الفهرست: ص(329).

4 (?) إبـراهيم مـدكور: تـاريخ الفلسـفة ص(65)، نقلاً عن أحمد شلبي، المسيحية: ص(150).

الثقافية حـتى ميلاد المسـيح، وبعد ميلاد المسـيح، ومن أشـهر علمائها: أفلوطين[1] (205-270) وعلى يده كان تجديد مـذهب افلاطون حتى عرف مذهب أفلاطون[2] بالأفلاطونية الحديثة.

وخلاصة مـــذهب أفلـــوطين: « أن في قمة الوجـــود يوجد (الواحـد) أو (الأول) وهو جـوهر كامل فيـاض، وفيضه يحـدث شيئاً غيره هو العقل، وهو شبيه بـه، وهو كـذلك مبـدأ الوجـود، وهو يفيض بـــدوره، فيحـــدث صـــورة منه هي النفس وتفيض النفس، فتصدر عنها الكواكب والبشر، أو بعبارة سهلة موجزة: ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة: الأول، العقل، النفس » [3].

ثم أن القسيسين أنفسهم اعترفوا « بأن المصرين القدماء كانوا يؤمنون بعقيدة التثليث، وأن الهنود كانوا يؤمنــون بعقيـدة التثليث، وهـذا إنما يـدل على شـيوع هـذه العقيـدة في العـالم. تلك العقيـدة الـتي جعلت العـالم يقبل على النصـرانية حيثما صـاغها اليهـود على مثالهـا؛ لأنها لا تتصـادم أساسـاً مع عقائد آبائهم وأجدادهم »[4]

وبعد: فقد كـانت هـذه لمحة عـابرة عن وجـود التثليث في

---

1 (?) مؤسس المدرسة اليونانية الفلســفية الــتي تعــرف باسم الأفلاطونية المحدثة، ولد في مصر، والتحق بحملة حربية إلى الشرق ليتعلم المزيد عن الفلسفة الهندية وقضى أفلـوطين سـنوات حياته الأخيرة في التدريس بروما.

انظر: الموسوعة العربية العالمية: (2/394).

2 (?) انظر ترجمته ص(499).

3 (?) د/ إبراهيم مدكور: تـاريخ الفلسـفة: ص(56) نقلاً عن أحمد شلبي: المسحية: ص(151) .

4 (?) أحمد حجــازي الســقا: أقــانيم النصــارى: ص(88)، دار الأنصار- القاهرة .

الأمم القديمة، ثم انتقاله إلى النصرانية .

وقد أكد الشيخ رحمه الله خلوّ عقيدة الأمم السابقة -من آدم إلى موسى عليهم السـلام- من القـول بـالتثليث. يقـول في الأمر الثـاني عشر من مقدمته في بـاب إبطـال التثليث: « عقيـدة التثليث ما كـانت في أمة من الأمم السـابقة من عهد آدم إلى عهد موسى »[1]. ويقـول: « بل أدعي أنه لم يثبت بـالنص كـون هـذه العقيـدة لأمة من الأمم السالفة »[2]

ويعـنى الشيخ رحمه الله بـالأمم السـالفة: الأمم من عهد آدم إلى عهد موسى عليهما السـلام.خاصة أنه لم يسـبق أن دعى نـبي من الأنبيـاء بهـذه العقيـدة الباطلـة، بل إن عيسى نفسه لم يثبت أنه دعا إلى هـذه العقيـدة فضـلاً عن غـيره على نحو ما سيأتي في المطالب التالية.

ولا يفهم من كلامه أن النصـارى أول من قـال بـالتثليث، خاصة مع سـعة اطلاعه في علم مقارنة الأديـان؛ بل واحتكاكه بالهندوس الذين يدينون بالتثليث في شبه القارة الهندية.

وسيأتي استخدام الشيخ رحمه الله لهذا الدليل في إبطال عقيـدة التثليث في المطلب التالي.

3- حقيقة التثليث ومراد النصارى به:

يريد النصارى بالتثليث، كما يذكر قاموس الكتاب المقدس -هـو: إله واحد الآب والابن والـروح القـدس، إله واحـد، جـوهر واحد، متساوين في القدرة والمجد.[3]

---

1 (?) إظهار الحق: (3/718) .

2 (?) المصدر السابق: (3/719) .

3 (?) قاموس الكتاب المقدس: ص(232) .

ويفسرون هذه العقيدة بقولهم: إن تعاليم الثالوث يتضمن:

1- وحدانيـــــة الله.

2- لاهوت الآب والابن والروح القدس.

3- أن الآب والابن والروح القـدس أقـانيم؛ يمتـاز كل منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الأبد.

4-أنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد.

5-أن بين أقــانيم الثــالوث تميــيزاً أيضــاً في الوظــائف والعمل، لأن الكتاب يعلّم أن الأب والابن والروح القــدس واحد في الجوهر؛ متساوون في القدرة والمجد.

6-أن بعض أعمـال اللاهـوت تنسب في الكتـاب المقـدس إلى الأب، والابن والروح القدس مثل خلق العالم وحفظه.

وبعض الأعمـــــال تنسب على الخصـــــوص إلى الآب مثل الاختيار والدعوة، وأن بعض الأعمال تنسب على الخصوص إلى الابن مثل الفـداء، وبعض الأعمـال تنسب خصوصـاً إلى الـروح القدس مثل التجديد والتقديس.[1]

ويعتقد النصـارى: أن العلاقة بين الأقـانيم الثلاثة هي علاقة ترابط في كيان واحـد، وعلاقة اتحـاد، ومشـاركة ومسـاواه في الطبيعة الإلهية. يقولـون:

« إن الأقـانيم وإن كـانت ثلاثة في أقنوميتهـا، وشخصـيتها ليس لها ســوى طبيعة الهية واحــدة، وكل واحد من الأقــانيم يملك الطبيعة الكاملة »[2].

---

1 (?) انظـر: القس فـايز فـارس: حقـائق أساسـية في الإيمـان المسيحي: ص(53) .

2 (?) الأب بـولس اليـاس اليسـوعي: يسـوع المسـيح (شخصـيته وتعاليمه)، ص(78)، ط2، المكتبة الكاثوليكية-بيروت .

وهــذا يعــني أن الألوهية الكاملة ثلاثة أيضــاً، لأن الأقــانيم ثلاثة، ولكل واحد منها الطبيعة الإلهية الكاملة كما يقولون.

وعن إعلان ذات الله الواحد في أقــانيم ثلاثــة، يقــول أحد قساوستهم:

« وهـــــذه الوحدانية الجامعة هي المعروفة في الكتـــــاب باسم: ''الأب والابن والـروح القـدس'' وقد الـتزم بها النصـارى كإعلان عن الاله الواحد ذي الثلاثة أقانيم، وليست كتجليـات، أو مظاهر في ذات الاله الواحد »[1] .

يتضح مما سـبق: أن وحدانية الله عند النصــارى حقيقيــة، وكــذلك تثليثــه، فهو واحد حقيقي، وهو في نفس الــوقت ثلاثة حقيقيـــة، حيث يتمـــيز كل واحد من هـــؤلاء الثلاثة بأعمـــال وممـيزات ليست من ممـيزات الآخـر، وهـؤلاء الثلاثة في نفس الوقت واحد في جوهرهم، أي لهم ذاتاً واحـدة، وهم متسـاوون في قدرتهم، ومجدهم، ووجودهم، لم يسبق أحد منهم الآخر .

وهذا شيء محيّر جـداً، ولهـذا فقد صـرح كثـير منهم بعـدم معقولية التثليث، وأنها قضــية لا يفهمها العقل ولا يقبلهــا، فمن تلك الأقوال[2]:

« أن الثـالوث سر يصـعب فهمه وإدراكـه، وإن من يحـاول إدراك سر الثـــالوث تمـــام الإدراك كمن يحـــاول وضع ميـــاه المحيط كلها في كفه » .

ويقـــول آخـر: « أجل إن هـذا التعـــليم عن التثليث فــوق

---

1 (?) القس إليـاس مقـار: إيمـاني أو قضـايا المسـيحية الكـبرى، ص(70)، دار الثقافة المسيحية-القاهرة .

2 (?) انظـــر: محمد أحمد الحـــاج: النصـــرانية من التوحيد إلى التثليث، ص(207)، دار القلم- دمشق، ط1.

إدراكنا ولكن عدم ادراكه لا يبطله ».

بل ويحـاول بعضـهم أن يشـبه ذلك بقـول المسـلمين في صــفات الله « إن العقــول لا تــدرك كيفيتها »[1] وهــذا من التلـبيس والتـدليس، لأن إثبـات صـفات الله ، أمر يقبله العقل بل يوجبه العقل ولا يرفضـــه، وعـــدم إدراك كيفيتها يتلاءم مع مستوى علم الإنسان بالله ، ومن هذا الباب كثير من الغيبيـات التي يؤمن الإنسان بها وفق نصوص الشرع ويقبلها العقل، مثل ما ورد في الجنة والنار وعذاب القبر وغيرها .

وذلك يختلف تماماً عن التثليث الذي يزعمه النصارى وهو: أن الثلاثة الحقيقية هي الواحد الحقيقي والواحد الحقيقي هو الثلاثة، فهذا ما لا يطيق العقل قبوله وفهمه[2].

4- بعض أدلة النصارى على التثليث:

ليس للنصارى على التثليث ما يستحق أن يسـمى دليلاً، إذ أن ما ذكروه يدل على أنهم لفقوا كلاماً زعموا أنه دليل .

ثم إن هـذا الـذي يجعلونه دليلاً ليس صـريحاً في التثليث، فيلجأون إلى القول بأن التثليث يظهر ضمنياً في العهد القـديم بينما يظهر واضحاً في العهد الجديد .

وفي ذلك يقول أحد القسيسين:

« لا توجد للنصـارى أدلة صـريحة من التـوراة تـدل على عقيـدة التثليث لـديهم، وإنما يفهم ضـمنياً منهـا، فقد جـاءت

---

1 (?) حبيب سعد: أديـان العـالم، ص(282)، دار التـأليف والنشر للكنيسة الأسقفية-القاهرة .

2 (?) انظر: سعود الخلف: دراسات في الأديان، ص(274)، ط 1، (1422هـ-2003م)، مكتبة أضواء السلف - الرياض.

ألفاظ في التوراة مثل: كلمة اللـه، حكمة اللـه، روح اللـه، ولم يعلم من نـــزلت إليهم التـــوراة ما تكنه هـــذه الكلمـــات من المعــاني، لأنه لم يكن قد أتى الــوقت المعين الــذي قصد الله فيه إيضاحها على وجه الكمال والتفصيل .

ومع ذلك فمن يقــرأ التــوراة في ضــوء الإنجيل يقف على المعنى المراد إذ يجدها تشير إلى أقانيم اللاهوت .

وأن المســـمى بكلمة اللـــه، والمســـمى بـــروح الله في التـوراة؛ هما المسـيح والـروح القـدس المـذكوران في الإنجيل ولكل واحد منها نسبة سرية أزلية إلى الله تفوق الادراك »[1] .

وهــذا النــوع من التأويل وإن أطلقــوا عليه ضــمنياً فهو بلا دليل .

وفي هــذا المعــنى يشــير ﭬ إلى أن مســتند أهل التثليث - خاصة من نصــوص العهد القــديم - ما هي إلا تحريف لمعانيها يقـــول: « وهوســـات أهل التثليث، بتمســـكهم ببعض فقرات ســفر التكـوين لا تتم علينــا، لأنها في الحقيقة من قبيل كون المعنى في بطن الشاعر » [2].

أما في العهد الجديد وخاصة إنجيل يوحنا فهو « مملوء من المجـاز، قلما تجد فقـرة لا تحتـاج إلى تأويل .. .. وأن الإجمـال يوجد كثيراً في أقوال المسـيح؛ بحيث لم يفهمها معاصـروه ولا تلاميذه في كثير من الأحيان مالم يفسرها بنفسه ... »[3]

أما هذه النصـوص الـتي يسـتدل بها النصـارى على عقيـدة

---

1 (?) رسالة في الفروع والأصول: ص(43-45) نقلاً عن د/ أحمد شلبي: المسيحية: ص(154) .

2 (?) إظهار الحق: (1/718) .

3 (?) الشيخ رحمت الله: إظهار الحق: (3/751). بتصرف .

التثليث من العهد القــديم. منها ما ورد في ســفر التكــوين في الاصـحاح الأول منـه: « في البـدء خلق الله السـموات والأرض »[1]

ويقولـون في بيـان وجه الاسـتدلال بهـذا النص « أن اسم الله (ألوهيم) [2] في الأصل العبراني بصـيغة الجمـع، وهكـذا هو حيث ورد »[3]

ويقول أحد قساوسـتهم: « إن لفظ ألـوهيم الـذي ورد في العهد القــديم ألفي مــرة يشــير بجلاء إلى التثليث في شــخص الله، التثليث الذي اتضح بالتدريج في الاعلانـات الإلهية عن الله الواحد الأحد، حتى اشرق نوره تماماً في العهد الجديد »[4].

كما أنهم يســـــتدلون بكل لفظ ورد فيه صــــيغة المتكلم (الجمــع)، على الثــالوث. وهــذا من التعسف في التأويــل، لأن لفظ (ألـــوهيم) ليس فيه ما يـــدل على التثليث لا ضـــمناً ولا

---

1 (?) فقرة (1) .

2 (?) يوجد في العهد القـــــديم باللغة العبرية ثلاث مترادفـــــات رئيسية لاسم الجلالة، وهي: ألوهيم، ويهـوه وأدونـاى، فالاسم الأول مســتعمل كثــيراً في الاصــحاح الأول من ســفر التكــوين، ويكــثر استعماله في مزامير (42-72) ملك المزامير التي سميت بمزامير ألــوهيم .. .. ويــدل هــذا الاسم على صــفة الله كالخــالق العظيم، وعلى علاقته مع جميع شـعوب العـالم من أمم ويهـود ... غــير أن هذه الكلمات الثلاث لا ترد في الترجمة العربية بصـيغتها العبرانيــة، إنما تستعمل بدلاً منها ألفاظ مثل: الله، ويهوه، والرب، أو السيد.

انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(107) .

3 (?) انظــر: جـوش مكـدويل: برهـان يتطلب قـراراً: ص(425)، ترجمة القس: منيس عبد النور، دار الثقافة المسيحية - القاهرة .

4 (?) القس إلياس مقـار: إيمـاني. أو قضـايا المسـيحية الكـبرى: ص(69) .

استتاراً، خاصة وأن صاحب قـاموس الكتـاب المقـدس لم يشر إلى أن هذا اللفظ (ألوهيم) يدل على الجمـع، بل قـال: « يـدل هذا الاسم على صـفة اللـه، كالخـالق العظيم، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود »[1].

أما التعبـير بصـيغة الجمع لا يـدل على التثليث كـذلك، لأنه كناية عن العظمة الإلهية، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: « كـان من أســباب نــزول آية [illegible] [آل عمــران: 7]: احتجــاج النصارى بما تشـابه عليهم، كقولـه: (أنـا) و(نحن)، وهـذا يعـرف العلماء أن المراد به الواحد المعظم الذي له أعوان؛ لم يـرد به أن الالهة ثلاثة ... »[2].

أما أدلة النصـــارى على التثليث من العهد الجديـــد، فهي كثيرة فقد أخـذوا من هـذه الشـواهد مجموعـتين من الفقـرات كأدلة لإثبات عقيدة التثليث وهما:

أولاً: الفقرات الـتي ذكر فيها الأب والابن والـروح القـدس معاً .

ثانياً: الفقرات التي تثبت ألوهية كل واحد منها على حدة .

ولن أطيل في ذكر نمـاذج من المجموعـتين ولكن سـوف أقتصر على أهمها:

- ألفاظ الصـورة الموضـوعة للمعمودية وهي: « عمـدوهم باسم الأب والابن والروح القـدس » [3].

وهذا اللفظ (عمدوهم باسم الآب والابن والـروح القـدس)

---

1 (?) نخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: ص(107) .

2 (?) مجموع الفتاوى: (13/145) .

3 (?) إنجيل متى: (28/19) .

لا يعني أكثر من طلب الإيمان بهؤلاء الثلاثة الــذين هم الله جل جلاله، ورسوله المسيح والملك جبريل .

- ويسـتدلون كـذلك بـالأحوال الـتي واكبت تعميد المسـيح حيث ورد في إنجيل متى « فلما اعتمد يسوع صعد للـوقت من الماء، وإذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نـازلاً مثل حمامة وآتيا عليـه. وصـوت من السـماء قـائلاً: هـذا هو ابـني الحبيب الذي به سررت»[1]

وعلى فرض صـحة هـذه الرواية فهي تـدل على ثلاثة وهم المسيح الـذي اعتمـد، والـروح القـدس الـذي نـزل على شـكل حمامة، وقائل من السماء (هذا هو الحبيب) فأين إثبـات التثليث هنا؟!

فمن هــذا يتضح لنا أن عقيــدة النصــارى في التثليث ليس لها أدلة تثبت صـحتها، كما أن كل أقنـوم من أقـانيم الثـالوث لا يوجد له أدلة تثبت مفهومهم لـه، مما يجعل التثليث من أساسه قائماً على دعاوى لا دليل عليها .

1 (?) (3/16).

المطلب الثــاني: إبطــال الشـــيخ رحمت الله الهندي لعقيدة التثليث:

لقد شغلت قضية إبطال التثليث عند النصارى حـيزاً كبـيراً في كتابــات ﵀، فقد أفــرد له مصـــنفاً أســـماه (أصح الأحـاديث في إبطـال التثليث) وخصه بالإسـهاب في مصـنفات أخرى كإظهار الحق، وإزالة الأوهام وغيرهما.

ولقد كان ﵀ يركز في إبطاله لعقيـدة التثليث، على الكلام الإجمالي على تلك النصوص التي يسـتند عليها النصـارى في إثبـات هـذه العقيـدة، سـواء من نصـوص العهد العـتيق، أو العهد الجديد. مبيناً أنها على فرض صحتها -جدلاً - فهي لا تـدل على مرادهم بل هي في دلالتها على التوحيد أقوى.

وكــان رد ﵀ في إبطــال هــذه العقيــدة النقل من نصوص العهدين التي تدل صراحة على التوحيـد، وكـذلك بدلالة العقل حيث أنه يـــترتب على عقيـــدة التثليث لـــوازم باطلة تعارض العقـل .

ومن الملاحظ أن ﵀ في إبطاله لعقيـــــدة التثليث؛ أبطل كذلك ألوهية المسيح أيضاً، دون فصل بينهمـا، لاعتبـارات أهمهــا: أن القــول بألوهية عيسى ، هي الركــيزة الأساســية والأقنوم الثاني، الذي أدى إلى القول بــالتثليث، أما ألوهية روح القدس فقد جاءت متأخرة قليلاً عن دعوى ألوهية عيسى حتى اكتمل الثالوث.

ولقد حـــــاولت الفصل بين ردود ﵀ في إبطـــــال التثليث، وردوده في إبطــال ألوهية عيسى ، ورأجــأت الكلام عن منهج ﵀ في إبطـــــال ألوهية عيسى إلى المبحث

التالـي.

أولاً: إبطال التثليث نقلاً:

سلك الشيخ رحمه الله في إبطـال عقيـدة التثليث نقلاً مسـلكين، وهما:

المسلك الأول: إثبات أن كتب العهـدين ناطقة بالتوحيـد، مع عدم التصريح فيها بالتثليث إطلاقاً.

المســلك الثــاني: نقض أدلة النصــارى على التثليث من نصوص كتب العهدين.

والشيخ رحمه الله في اســتدلاله بنصــوص كتب العهــدين؛ ليس إيمانــاً منه بصــحتها، ولكن من بـــاب التـــنزل مع الخصـــم، ومخاطبتهم بما يؤمنـون به ويعتقدونه دليلاً، وإلا فـإن الشيخ رحمه الله قد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك- في كثـير من مناظرته وكتبـه، بوقوع التحريف القصدي في كتبهم، مما أرغم زعيم المنصرين في الهند (فندر) الإقرار بوقوع التحريف في سبعة مواضع، كما اعــترف أيضــاً بوجــود أربعين ألف موضع أطلق عليه (ســهو الكاتب) أو (اختلاف العبارة) .[1]

المســـلك الأول: **إثبـــات أن كتب العهـــدين ناطقة بالتوحيد، مع عدم التصريح فيها بالتثليث إطلاقــاً:**

في هذا المسلك، أثبت الشيخ رحمه الله أن مسـتند النصـارى من نصــوص العهــدين في القــول بعقيــدة التثليث، هي ذاتها في الدلالة على وحدانية الله تعالى، وبشرية المسيح .

وكذلك الرسائل التي كانت تكتب لأقطار اليونان والرومان

---

[1] (?) انظــر: المنــاظرة الكــبرى: ص(20) و(258). وســيأتي الحــديث عن التحريف في الفصل الرابع من البحث -إن شــاء الله تعالى- .

مبشرة بألوهية المسيح هي الرسائل الـتي تتضـمن نقض هـذه الدعوى، وعليه فإما أن يعترفوا بمدلول أدلتنا عليهم من كتبهم، وإما أن يقروا إذاً بتحريفها وعدم صحة استدلالهم علينا بها .

ولقد أكد ﵀ هذا المعـنى في مقدمته لهـذا البـاب - إبطال التثليث - بقوله: « إن كتب العهد العتيق ناطقة بـأن الله واحـد، أزلي أبـدي لا يمـوت قـادر يفعل ما يشـاء، ليس كمثله شيء لا في الذات ولا في الصفات، بريء عن الجسم والشـكل .. .. »[1]

إذن فعقيدة التوحيد هي الأصـل؛ واسـتدل عليها ﵀ بما يلي:

أولاً: ما ورد في إنجيل يوحنا قـول عيسى مخاطبـاً الله تعـالى: « وهـذه هي الحيـاة الأبدية أن يعرفـوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته »[2].

يقـول ﵀: « فـبيّن عيسى أن الحيـاة الأبديـة، معرفة وحدانية اللـه، وأن عيسى رسـوله، ولم يقل أن الحيـاة الأبدية معرفة الأقـانيم الثلاثة أو أن عيسى إنسـان وإلـه. ولا احتمال هنا بخوف عيسى من اليهود؛ لأنه كان يخاطب ربه، ولو كان اعتقاد التثليث وألوهية المسيح مدار النجاة لبينه، وإذا ثبت أن الحيـاة الأبدية في اعتقـاد وحدانية الله وبشـرية المسـيح الرسـول، فضـدهما هو المـوت الأبـدي؛ لوجـوب المغـايرة بين الرسول (العبد المخلـوق) ومرسـله (الله الخـالق). ولم يحصل على هـذه الحيـاة الأبدية إلا المسـلمون بفضل اللـه، وأما المجوس والنصارى واليهـود فمحرومـون منهـا؛ لانتفـاء العقائد

---

1 (?) إظهار الحق: (3/682) .

2 (?) (17/3).

الصحيحة عندهم »[1]

وثانيـاً: ما رود في إنجيل مـرقس « (28) فجـاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سـأله أية وصـية هي أول الكل (29) فأجابه يسـوع إن أول كل الوصـايا هي إسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد (30) وتحب الـرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكـــرك ومن كل قـدرتك. هـذه هي الوصـية الأولى (31) وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين (32) فقال له الكاتب جيـداً يا معلم بـالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر ســـواه (33) ومحبته من كل القلب ومن كل النفس ومن كل القـــدرة، ومحبة القـــريب كـــالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح (34) فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل. قـال له: لست بعيداً عن ملكوت الله »[2]

ومثل هذه الفقرات ما ورد في إنجيل متى، إلا أن المسـيح قال في آخرها: « (40) بهـاتين الوصـيتين يتعلق النـاموس كله والأنبياء »[3]

يقول الشيخ رحمه الله :

« نعلم أن أول كل الوصـــايا المصـــرح بها في التـــوراه[4] والإنجيل وعليها مـــدار النـــاموس وعمل الأنبيـــاء، هي اعتقـــاد وحدانية الله، ولم يقل عيسى إن أول كل الوصايا هي اعتقـاد التثليث، ولا إن المســيح أحد الأقــانيم الثلاثــة. إذن فــالواجب

---

[1] (?) إظهار الحق: (3/736-737). بتصرف .

[2] (?) (12/28-34) .

[3] (?) (22/40).

[4] (?) انظـــر: ســـفر التثنيـــة: (4/35-39) و(6/4-5) و(13-14)، وسفر اشعيا: (45/5) و(46/9) .

اعتقاد وحدانية الله، ورسالة رسله جميعـاً، ومنهم المسـيح » .[1]

في مقابل إثبــات الشيخ رحمه الله وحدانية الله تعــالى من كتب العهدين أشـار ~ إلى جـانب من الأهميـة؛ وهو عـدم التصـريح بهــذه العقيــدة على لســان أي نــبي من الأنبيــاء من آدم إلى عيسى .

يقــــول: « عقيـــــدة التثليث ما كـــــانت في أمة من الأمم السابقة من عهد آدم إلى عهد موسى ، وهوسات أهل التثليث بتمســكهم ببعض فقــرات ســفر التكــوين؛ لا تتم علينا لأنها في الحقيقة تحريف لمعانيها ويكـــون المعـــنى على تمســـكهم من قبيل كـــــون المعـــــنى في بطن الشـــــاعر، ولا أدعي أنهم لا يتمسكون بزعمهم بفقرة من فقرات السـفر المـذكور، بل ادعي أنه لم يثبت بـالنص كـون هـذه العقيـدة لأمة من الأمم السـالفة. وأما أنها ليست ثابتة في الشريعة الموسوية وأمته فغير محتاج إلى بيان »[2]

ثم قـــــال: « والعجب كل العجب أن تكـــــون الشـــــريعة الموسـوية، الـتي كـانت واجبة الطاعة لجميع الأنبيـاء إلى عهد عيسى عليهم السـلام خالية عن بيـان هـذه العقيـدة الـتي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجـاة أحد بـدونها نبيــاً كــان أو غــير نــبي، ولا بين موسى ولا نــبي من الأنبيــاء الإسـرائيلية هـذه العقيـدة ببيـان واضح بحيث تفهم منه هـذه العقيدة صراحة ولا يبقى شك مـا... . وأعجب منه أن عسـيى أيضاً مابين هذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح »[3]

---

1 (?) إظهار الحق: (3/737-738). بتصرف .

2 (?) إظهار الحق: (3/718-719) .

3 (?) المرجع السابق: (3/720-721) .

فمن هنا نخلص بنتيجة وهي: خلو نصوص كتب التوراة من التصريح بالتثليث، بل لم يعهد هذه الدعوى، في رسالة أي نبي من الأنبياء من آدم إلى موسى .

وفي المقابل فإن نصوص كتب العهدين مصــرحة بوحدانية الله تعالى، وبها تكون النجاة، والحياة الأبدية .

المســلك الثــاني: **نقض أدلة النصــارى على التثليث من نصوص كتب العهدين:**

نَقض الشيخ رحمه الله أدلة النصـــارى على التثليث، ســـواء من نصوص العهد العتيق، أو من العهد الجديد وأقـوال الحـواريين -بزعمهم-.

يقول في أدلتهم من نصوص العهد العتيق أنهـا: « ضـعيفة جداً، ومع قطع النظر عن الضعف لا يثبت منها ألوهية المسـيح، مالم يعترف النصارى أن المسيح إنسان كامل وإله كامل وهـذا التأويل باطـل » [1].

ثم بين الشيخ أن نصوص العهد الجديد وأقوال الحواريين -بزعم النصارى- من المجمل التي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لا يــــــــدل بحسب معانيها الحقيقية على مقصـودهم، فاسـتنباط الألوهية منها مجـرد زعم لا يعتد به في مقابل البراهين العقلية القطعية والنصوص العيسوية .

القسم الثـــاني: أقـــوال يفهم تفســـيرها من الأقـــوال المسـيحية -بــزعمهم- الأخــرى، أو من بعض مواضع الإنجيــل، ففيها أيضاً لا اعتبار لرأيهم .

القسم الثـالث: أقـوال يجب تأويلها عنـدهم أيضـاً، وعند التأويل نقول: يجب أن يكون هذا التأويل غير مخالف للــبراهين

---

1 (?) إظهار الحق: (3/767). بتصرف .

والنصوص .[1]

وكـــان الشيخ رحمه الله قد خلص بنتيجة مؤداها ضـــرورة التأويل لنصـــوص العهـــدين بشـــرط عـــدم مخالفته للـــبراهين العقلية وللنصوص .

هذا التأويل يلجأ إليه لسببين ذكرهما الشيخ، وهما:

أولاً: كثرة المجاز والاستعارات في نصوص العهدين سواء في صـفات الله تعـالى، أو في اطلاق لفظ الله أو الـرب على غـــير الله حقيقة كالملك والرســـول والإنســـان الصـــالح بل والشيطان وما لا يعقل، وفي مواضع غيرهما.[2]

ثانيـــاً: الإجمــــال في كلام المســـيح ؛ بحيث لا يفهمه معاصروه وتلاميذه مالم يفسرها بنفســه.[3]

فالمجـــاز والإجمـــال في نصـــوص العهـــدين تحتم التأويل المطابق للبرهـان العقلي والنصـوص. الأمر الـذي لم يلـتزم به مفسروا العهدين .

وبالتالي لا تكون أدلتهم على التثليث أدلة قوية، وصـريحة، بل هي من باب التمويه والتعسـف، والألغـاز، وتحريف لمعانيها الصحيحة.

خاصة بعد أن ثبت تحريف نصـــــوص العهـــــدين. يقـــــول الشيخ رحمه الله:

« إن ألفـاظ المسـيح بعينها ليست بمحفوظة في إنجيل من الأناجيــل، بل في كــلٍّ توجد ترجمتها في اليونــاني على ما فهم الرواة، وإن إنجيل مـتى لم يبـق، بل البـاقي ترجمتـه، ولم

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (3/751).

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/687-700) .

3 (?) انظر: المرجع السابق: (3/708) .

يعلم أيضــاً اسم مترجمه بــالجزم إلى الآن، ولا يثبت بالســند المتصل أن الكتب الباقية من تصــنيف الأشــخاص المنســوبة إليهم، وقد ثبت أن التحريف وقع في هــذه الكتب يقينــاً، وثبت أن أهل الــدين والديانة كــانوا يحرفــون قصــداً لتأييد مســألة مقبولة أو لدفع اعتراض »[1]

من هــذا التحريف القصــدي لتأييد عقيــدة التثليث، ما وقع في رسالة يوحنا الأولى « (7) فإن الذين يشهدون في الســماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد (8) والشهود الذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الــروح والمــاء والدم والثلاثة هم في واحد »[2].

وقد كان أصل العبارة على زعم محققيهم هذا القدر:

« لأن الشــهود الــذين يشــهدون ثلاثة وهم الــروح والمــاء والدم، وهؤلاء الثلاثة تتحد في واحد » فزاد معتقــدو التثليث هــذه العبارة: « في السماء ثلاثة وهم الآب والكلمة والــروح القــدس وهؤلاء الثلاثة واحد والشهود الذين يشــهدون في الأرض » فيما بين أصل العبارة وهي ملحقة يقيناً .[3]

وهــذا التحريف القصــدي لإثبــات التثليث، مما اعــترف به محققو النصــارى وعلمــاؤهم المعتــبرين كما نقل ذلك عنهم الشيخ رحمه الله [4].

وبسبب هذا التحريف وغيره ختم الشيخ رحمه الله كلامه في هــذا

---

[1] (?) إظهار الحق: (3/712) .

[2] (?) (5/7-8).

[3] (?) انظــر: المرجع الســابق: (2/497) وما بعــدها، والمنــاظرة الكبرى: ص(238) .

[4] (?) انظر: المرجع السابق: (2/498).

الباب بقوله:

« واعلم أرشدك الله تعالى أنما نقلت الأقـوال المسـيحية [النصرانية] وأولتها لأجل اتمام الإلزام، وإثبات أن تمسـكهم بها ضعيف، وكذا ما قلت في أقوال الحواريين إنما هو على تسـليم أنها أقوالهم، ولا يثبت عنـدنا انها أقـوال المسـيح والحـواريين لأجل فقدان إسنادها، ولأجل وقـوع التحريف فيها عمومـاً، وفي هذه المسألة خصوصاً .

وعقيـدتي أن المسـيح والحـواريين كـانوا بـرآء من هـذه العقيدة الكفرية يقيناً وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسـوله، وأن عيسى عبدالله ورسـوله، وأن الحـواريين رسل رسول الله »[1].

ثانياً: إبطال ﷺ التثليث عقلاً:

الدلالة العقلية غير معتبرة عند النصارى لما سبق بيانه من إعتبارهم التثليث من الأسرار التي لا يدرك العقل ماهيتها، فهم ممن عطلـوا عقـولهم سـواء في مسـألة التثليث أو العشـاء الرباني أو الاتحاد أوغيرها من العقائد المرفوضة عقلاً .

ولقد كان أكثر خطاب الشيخ رحمه الله في مناقشة النصـارى هو خطاب عقلي لأنه يهدف من ذلك إلى اقنـاع المسـلمين الـذين تسـلل الشك إلى قلـوبهم بفعل هـؤلاء المنصـرين؛ حيث أن عقائد هـؤلاء باطلة وواهية ومفضـية إلى اسـتخفاف الإنسـان بعقله، بالإضافة إلى إفحـام النصـارى بالحجة العقلية مع الحجج النقلية السابقة .

وفي إبطـال الشيخ رحمه الله لـدعوى التثليث نـاقش القضـايا التالية:

---

1 (?) إظهار الحق: (3/767) .

-إبطال دعوى التوحيد مع القول بالتثليث.

-القول بالتثليث يستلزم أن يكون الله ممكناً لذاته وهذا ممتنع .

-القول بالتثليث يستلزم اتصاف الله تعالى بصفات النقص .

-القول بالتثليث يستلزم حدوث الله - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وفيما يلي مناقشة العناصر السابقة:

1- إبطال دعوى التوحيد مع القول بالتثليث**:**

رغم أن النصارى يقولون بالتثليث، إلا أنهم يدّعون التوحيد، وأن هذا الثالوث يؤلف إلهاً واحداً .

يقول الشيخ رحمه الله في تصوير هذه القضية:

« المنازعة بيننا وبين أهل التثليث لا تتحقق مالم يقولوا: إن التثليث والتوحيد كليهما حقيقيان، وإن قالوا إن التثليث حقيقي والتوحيد اعتباري فلا نزاع بيننا وبينهم، لكنهم يقولون: أن كلاً منهما حقيقي كما هو مصرح به في كتب علماء البروتستانت »[1] .

لذلك عارض الشيخ رحمه الله مقولة ''فندر'' التالية: « ونحن لا نقول أن الله ثلاثة أشخاص أو شخص واحد بثلاثة أقانيم في الوحدة، وبين الأقانيم الثلاثة، وثلاثة أشخاص بعد السماء والأرض »[2] .

عارضه بقوله: « هذه مغالطة صرفه، لأن الوجود لا يمكن أن يوجد بدون التشخص، فإذا فرض أن الأقانيم موجودة

---

1 (?) إظهار الحق: (3/715) .

2 (?) المرجع السابق: (1/63) .

وممتـازون بالإمتيـاز الحقيقي، كما صـرح هو بنفسه في كتبـه، فالقول بوجود الأقـانيم الثلاثة هو بعينه قـول بوجـود الأشـخاص الثلاثة »[1] .

يفصل هـذه المسـألة في موضع آخر بقولـه: « العـدد لما كـان قسـماً من الكم لا يكـون قائمـاً بنفسه بل بـالغير، وكل موجـود لا بد أن يكـون معروضـاً للوحـدة أو الكـثرة، والـذوات الموجـودة الممتـازة بالامتيـاز الحقيقي المتشخصة بالتشـخص تكـون معروضة للكـثرة الحقيقيـة، فـإذا صـارت معروضة لها لا تكـون معروضة للوحـدة الحقيقيـة، وإلا يلـزم اجتمـاع الضـدين الحقيقـــيين ... نعم يجــوز أن تكــون معروضة للوحــدة الاعتبارية بــأن يكــون المجمــــــــــــوع كثـــــــــــيراً حقيقيـــــــــــاً، وواحـــــــــــداً اعتباريـاً »[2].

ثم إن دعواهم التوحيد قد فاتت بقولهم بالتثليث واســتلزم تعدد الوجباء[3].

أما دعـــوى النصـــارى -لتأييد معتقـــدهم-: « أن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وإن كانا ضـدين حقيقـيين في غـير الواجب، لكنهما ليسا كذلك فيه »[4] .

فقد اعتبر الشيخ رحمه الله هذه الدعوى « سفسطة محضة، لأنه إذا ثبت أن الشـيئين بـالنظر إلى ذاتيهما ضــدان حقيقيــان أو نقيضـــــــان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد

---

1 (?) المرجع السابق: (1/63)

2 (?) المرجع السابق: (3/715) .

3 (?) انظر: المرجع السابق: (3/725) .

4 (?) المرجع السابق: (3/725) .

شخصي في زمان واحد من جهة واحدة، واجباً كان ذلك أو غير واجب .

للاعتبـارات التاليــة:

1- أن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صــحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد .

2- أن الثلاثة مجمــوع آحــاد ثلاثـــة، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأساً .

3- أن الواحد الحقيقي جــــزء الثلاثـــــة، فلو اجتمعا -التثليث والتوحيد الحقيقيان- في محل واحد يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءاً .

4- أن هـذا الاجتمـاع يلـزم كـون الله مركبـاً من أجـزاء غـير متناهية بالفعل، لاتحـاد حقيقة الكل والجـزء على هـذا التقـدير، والكل مركب، فكل جـزء من أجزائه أيضـاً مـركب من الأجـزاء التي تكون عين هذا الجزء، وهلم جراً، وكون الشيء مركباً من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعاً » [1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال دعـوى التوحيد مع القول بالتثليث: « وهذا لا يصح اعتقـاده، لأنه لا يجـوز أن يعتقد المعتقد في الشــيء أنه ثلاثــة، مع اعتقــاده فيه أنه واحــد، لأن ذلك متضاد، وإذا كان ذلك كـذلك، فليس يخلو من أن يعتقد أنه ثلاثة أو أنه واحد، وليس يحتاج أن يعرف بدليل بطلان قول من ادعى أن الواحد ثلاثـــة، وأن الثلاثة واحد لأن ذلك لا يعقل وهو كمن ادعى في الشيء أنه موجود ومعدوم، أو قـديم ومحـدث، أو في الجسم أنه قائم قاعد، متحـرك سـاكن، وإذا كـان كـذلك

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/762) .

فتناقضه أظهر من أن يحتاج فيه إلى دلالة »[1].

2- القول بالتثليث يستلزم أن يكون الله ممكناً لذاته:

بيّن الشيخ رحمه الله أن من خواص الممكنات الإفتقار إلى الغـير والتركيب، فكل من كان كذلك فهو ممكن لذاته .

يقول في هذا المعنى: « لو وجد في ذات الله ثلاثة أقـانيم ممتـازة بامتيـاز حقيقي كما قـالوا، فمع قطع النظر عن تعـدد الوجباء، يلزم أن لايكون الله حقيقة محصلة بل مركباً اعتبارياً، فـإن الـتركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقـار بين الأجـزاء، ولا افتقار بين الواجبات لأنه من خواص الممكنات .

فالواجب لا يفتقر إلى غـيره، وكل جـزء منفصل عن الآخر وغـيره، وإن كـان داخلاً في المجمـوع، فـإذا لم يفتقر بعض الأجـزاء إلى بعض آخر لم تتـألف منها الـذات الأحديـة، على أن يكون الله في الصورة المذكورة مركباً، وكل مـركب يفتقر في تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائـه، والجـزء غـير الكل بالبداهة، فكل مـركب مفتقر إلى غـيره، وكل مفتقر إلى غـيره ممكن لذاته فيلزم أن يكون الله ممكناً لذاته وهو باطل »[2] .

وقـال: « لو كـانت الأقـانيم الثلاثة ممتـازة بامتيـاز حقيقي وجب أن يكون المميز غير الوجوب الذاتي، لأنه مشترك بينهم، ومابه الاشتراك غير مابه الامتياز، فيكون كل واحد منهم مركباً من جزئين، وكل مركب ممكن لذاته، فيلزم أن يكون كل واحد منهم ممكناً لذاته »[3] .

---

1 (?) ابن تيمية: الجواب الصحيح عن بدل دين المسيح: (4/448-449) .

2 (?) إظهار الحق: (3/726) .

3 (?) المرجع السابق: (3/727) .

3- القول بالتثليث يستلزم إتصاف الله بصفات النقص:

يقـــــول الشيخ رحمه الله ~: « إذا ثبت الامتيــــاز الحقيقي بين الأقانيم، فالأمر الذي حصلً به الامتياز إما أن يكون من صـفات الكمــال أو لا يكــون، فعلى الشق الأول لم تكن جميع صــفات الكمال مشتركاً فيما بينهم، وهـوخلاف ما تقـرر عنـدهم أن كل أقنـوم من هـذه الأقـانيم متصف بجميع صـفات الكمـال، وعلى الشق الثاني فالموصوف به موصوفاً بصـفة ليست من صـفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه »[1] .

4- القول بالتثليث يستلزم حدوث الله:

يقول الشيخ رحمه الله: « الاتحاد بين الجوهر اللاهوتي والناسوتي لو كان حقيقياً، لكان أقنـوم الابن محـدوداً متناهيـاً، وكلما كـان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصـان ممكنـاً، وكلما كـان كـذلك، كان اختصاصه بالقدر المعين تخصيص مخصص وتقـدير مقـدر، وكلما كـان كـذلك فهو محـدث، فيلـزم أن يكـون أقنـوم الابن محدثاً ويستلزم حدوثه حدوث الله » [2].

ولقد مـــرّ معنا مناقشة عبـــارات الشيخ رحمه الله الســـابقة وما يترتب فيها من لوازم باطلة، وإن كانت رداً على النصـــارى في القول بالتثليث .

وهكـذا رأينا كيف أن الشــيخ قد أخذ أقــوال النصـارى في عقيــدة التثليث والــتي تشــكل بمجموعها قضــية واحــدة وهي القـــول بـــالتثليث، فقـــام بتحليلها من خلال الوصف والمقارنة والتفسير، ومن ثم أثبت من خلال هذه العمليات العقلية بطلان قول القائلين بالتثليث .

---

1 (?) المرجع السابق: (3/727) .

2 (?) إظهار الحق: (3/727) .

ولقد ضـلل شـيخ الإسـلام ابن تيمية النصـارى في مواضع عديدة في عقيدة التثليث قال: « لقد ضلوا في عقيدتهم ضلالاً بعد ضلال، ضلوا أولاً، حيث جعلوا مـراد المسـيح وغـيره بـالابن وروح القدس صفة الـرب، ثم ضـلوا ثانيـاً، حيث جعلـوا الصـفة خالقاً ورباً، ثم ضلوا ثالثـاً، حيث جعلـوا الصـفة تتحـدد ببشر هو عيسـى، ويسـمى المسـيح، ويكـون هو الخـالق رب العـالمين، فضلوا في التثليث ضـلالاً مثلثـاً، حيث أثبتـوا ثلاث صـفات دون غيرها، وجعلوها جواهراً وأرباباً، ثم قالوا هي إله واحد »[1] .



---

1 (?) الجواب الصحيح: (3/490) .

المبحث السادس :
إبطال ألوهية عيسى

تمهيـــــد:

زعم اليهود أن المسيح لقيـط، وأن أمه بغي، أتت به من الزنى، وجحدوا رسالته ودعوتـه، في حين أن النصـارى غلو فيه فذهبوا إلى القول بأنه إله في صورة بشر، جاء يخلص بني آدم من خطيئتهم، منذ خلق آدم إلى يوم القيامة .

فــنزل القــرآن الكــريم يــبين فســاد اعتقــاد الفــريقين، وينســبهما إلى الغلو القــبيح والشــرود عن الحــق، والبعد عن السواء .

فهو يؤكد عبوديته لله تعــالى، وبشــريته، وأنه رســول إلى بني إسرائيل:

قال الله تعالى: [illegible] [المائدة: 72].

وقال تعالى: [illegible] [آل عمران: 49].

ولقد رتب هــؤلاء النصــارى على عقيــدة ألوهية عيسى ، عقائد أخــرى باطلة ارتبطت بهــذا المبــدأ اعتباطا كألوهية روح القـدس، وعقيـدة التثليث، وكـذلك التعميـد، والعشـاء الربـاني، والصلب والفـداء، وغيرها من العقائد الـتي الـتزم بها النصـارى نتيجة لاعتقــــــــــــــــــــــــــــادهم ألوهية عيسـى .

وهم في تلك العقائد مختلفون في الأساسـيات فضـلاً عن الفروع، مما أدى إلى تعدد طوائف النصارى وفرقهم .

وكما ســبق، فقد اهتم الشيخ رحمه الله بـــالكلام على مســألتي التثليث وألوهية عيسى، لارتباطهما ببعضـهما، ولإجمـاع فـرق النصـارى عليهمـا، ولم يتعـرض الشيخ رحمه الله لإبطـال ألوهية روح القـدس على اعتبـار أن مـابني على باطل فهو باطـل، فتأليهه جاء متأخراً زمنـاً ورتبة عن تأليه المسـيح، ولأن إبطاله لعقيـدة التثليث إبطال ضمني لألوهية الروح القدس .

وإن تأليه المســـيح غلبت على ألوهية رب العــــالمين، فتراهم يدعون المسيح باسـمه وأنه إله ورب، ولا يـذكرون الله إلا قليلاً .

وقد أبان القرآن الكريم عن هـذه الحقيقة -وهي تفضـيلهم المسيح ربهم المزعوم على الإله الحق- بقوله سـبحانه: [المائدة: 73]، فالله تعالى عندهم هو ثالث ثلاثة، وهذه مرتبته عنـدهم عمليـاً، وإن نـافقوا بغـير ذلـك، أما أول الثلاثة فهو المسـيح، وأما ثـاني الثلاثة فهو الروح القدس .

ولقد سـار الشيخ رحمه الله لإبطـال عقيـدة ألوهية المسـيح على فـرض أن مـاورد في كتب العهـدين كله صـحيح، وافـتراض أن الأناجيل نص كلام المسيح، لأجل إتمـام الحجة وزيـادة الإلـزام، وإثبات أن تمسكهم بها واحتجاجهم بنصوصها ضعيف بل وباطل مع افــــتراض صــــحتها، فكيف وقد ثبت وقــــوع التحريف فيها عموماً، وفي مسألة التثليث وألوهية المسيح خصوصاً .

ثم أسقط دعـوى ألوهية المسـيح مع قـولهم بقتله وصـلبه وإهانتـــه، بل ولعنه ودخوله جهنم، وكل ذلك وغـــيره في إبطاله العقلي لألوهية المسيح .

ولم يختلف منهج الشيخ في إثبات بشرية المسيح كثــيراً عن منهجه في إبطــال التثليث، لأن إبطــال التثليث هو إثبــات بشرية المسيح والعكس صحيح .

لكن الشيخ ~ لسـعة إطلاعه نـراه قد تنـوع في اسـتدلاله بالنصوص على الأمرين، ففي إبطاله للتثليث اسـتعمل نصوصـاً وبراهين تختلف عن النصوص والبراهين التي أثبت فيها بشــرية المسيح ، على الرغم من أنها تصب في اتجاه واحد .

وذلك زيادة في الافحام وتأكيد الأدلة .

وقبل بيــان إبطــال الشيخ رحمه الله لألوهية المســيح؛ يحسن بنا إلقاء الضوء على النقاط التالية:

1- اعتقاد النصارى في المسيح وأدلتهم على ذلك .

2- عقائد فرق النصارى في حلول الإله بالمســيح واتحــاده به .



المطلب الأول: اعتقـاد النصـارى في المسـيح وأدلتهم على ذلك:

1-المسيح بين الديانة الصحيحة والنصرانية:

عيسى ، نبي من أنبياء الله تعالى، أرسله الله تعـالى إلى بني إسرائيل لدعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده لاشريك له « وإن الإرهاصات التي سـبقت بعثتـه، والمعجـزات الـتي ظهـرت على يديه بعد رسـالته، هي نـوع من الارهاصـات والمعجـزات الـتي يؤيد الله تعـالى بها رسـله، وأن خلقه بـدون أب ليس إلا إرهاصاً من الإرهاصات، وإن أمه صديقه من البشر، وقد كرمها الله، فنفخ فيها من روحه فحملت بالمسيح » [1].

ولم يعهد أنه دعا الناس يوماً أنه إله، أو إبن إله، بل كان يحرص دائماً أن يـدعو نفسه بلقب (ابن الإنسـان) حيث يتكـرر هـذا الوصف لنفسه على لسـانه في كافة الأناجيـل، فهو أحد أبناء آدم، وله نفس طبيعتهم، ولد من أنثى كما يولدون وعـاش كما يعيشون[2].

ويتكرر لفظ (ابن الإنسان) في الأناجيل في مواضع كثـيرة منها:

ما جاء في إنجيل متى:

« وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسـان في السـماء، وحينئذ تنـوح جميع قبائل الأرض ويبصـرون ابن الإنسـان آتيـاً على

---

1 (?) د/ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(120) .

2 (?) انظر: محمد مجـدي مرجـان: المسـيح إنسـان أم إلـه: ص(225-226)، دار النهضة العربية -القـاهرة . انظراسـتدلال الشـيخ بهذا الدليل ص(35) .

سحاب السماء بقوة ومجد كثير »[1] .

وما جاء في إنجيل مرقس:

« لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدَم بل ليَخدُم »[2] .

ويروي لوقا أيضاً على لسان المسيح قوله:

« للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه »[3].

وكذلك ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح :

« الحق الحق أقول لكم، من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون، وينزلون على ابن الإنسان »[4] .

وغيرها كثير؛ حصرها أصحاب قاموس الكتاب المقدس في ثمانية وسبعين موضعاً من الأناجيل الأربعة، يستخدم فيها يسوع عبارة (ابن الإنسان) تعبيراً عن نفسه، والتي تدل على الإنسانية الخالصة[5].

بل إنه لم يصف نفسه بأنه صالح فضلاً عن أن يكون إلهاً، وأنكر على من وصفه بذلك قائلاً: « لماذا تدعوني صالحاً، فليس أحدُ صالحاً إلا واحد وهو الله »[6] .

ولكن مظاهر الشرك والانحراف التي أخذت تتسرب إلى

---

1 (?) (24/ 30) .

2 (?) (10/ 45) .

3 (?) (9/ 58) .

4 (?) (1/ 51) .

5 (?) انظر: نخبة من من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتين: قاموس الكتاب المقدس: ص(124) .

6 (?) إنجيل مرقس: (10/ـ 18) وسيأتي استدلال الشيخ رحمت الله لنظير هذا الدليل في نفي كون المسيح إلهاً بأقواله، انظر: ص(221).

تلك الديانة السماوية، منذ عهد المسـيح ، غـيرت تلك العقيـدة الصافية الـتي وردت في كتـاب الله تعـالى إلى عقائد باطلة ما أنــزل الله بها من ســلطان، هي في أصــلها رواسب ديانــات قديمة ومعتقدات سائدة في البلاد التي انتشرت فيها النصرانية الجديـدة، بالإضـافة إلى تـأثير بـولس اليهـودي في النصـرانية عقيدة وشريعة .

ومع هذا الانحراف الذي ظهر منذ حياة المسيح كما مــر، ظلت طائفة من النصـــــارى محافظة على عقيــــدة التوحيد الخالصــة، حــتى وقتنا الحاضـر، وإن لم يكن لهم أثر كبــير في النصــرانية بفعل المجــامع المســكونية وســلطة القــوة الــتي مارسها معهم الرومان .

لذلك نجد أن النصارى انقسموا إلى طائفتين:

« طائفة أشركت بالله -سبحانه- وجعلته ثالث ثلاثة، بإثبات بنوة المسيح لله تعالى، وألوهيتــه، وطائفة بقيت محافظة على التوحيد في عقيـدتها، بتقرير بشـرية المسـيح وعـدم القـول لا بربوبيته ولا بألوهيتـه .

وضمت كل طائفة من هاتين الطـائفتين تحت لوائها فرقـاً كثيـرة » . [1]

ومع مــرور الــوقت تغلب الباطل على الحــق، وأصــبحت النصرانية تختلف اختلافاً كلياً، عن رســالة عيسى المنزلة من عند الله تعالى، وهي الإسلام .

أما الموحــدون القــائلون ببشــرية المســيح؛ فهم طوائف

---

1 (?) د/ علي عبد الواحد وافي: الأســفار المقدســة: ص(121). بتصرف .

كثيرة منهم: [1]

(برنابا الحواري) الـذي رفض القـول بتأليه المسـيح، وكتب إنجيله يشرح فيه الحقيقة للناس.

وكذلك (أبيـون) وفرقته الـتي كـانت تعتـبر المسـيح مجـرد بشر رسول، وتنكر ألوهيته، وقد ظلت كذلك حتى انقرضت في القرن الرابع الميلادي .

وأيضـاً (آريـوس) قسـيس الاسـكندرية، في بداية القــرن الرابع الميلادي، الــذي أعلن أن الله وحـــده هو الإله الـــواجب الوجود، أما المسيح فهو غير مساو للأب في الجوهر والعظمة، وهو مخلـوق بـإرادة الله حـادث غـير أزلي، فحكم عليه وعلى أتباعه - في مجمع نيقية - يتـدخل من الامـبراطور قسـطنطين في ذلك الوقت - بالكفر والهرطقة والحرمان .

ثم بقيت هذه الفرقة تقـاوم حـتى وجـدوا ثقة قسـطنطين وعطفه عليهم سـنة 328م، حيث أمر بعــودة آريــوس وأتباعه من المنفى إلى كنائسهم .

وكـــان في ذلك الـــوقت (اثناســـيوس) [2] -القائل بألوهية المســـــــــيح- بطريكـــــــــــاً على الاســـــــــــكندرية -وهو لا يقل شـــأناً عن بـــولس في تحريف رســـالة عيسى -فاشتد النزاع بينه وبين الآريوسيين حول ألوهية المسيح ونبوته، حتى عقد مجمع صور عام 335م فخلع (اثناسيوس) وقرر نفيه

---

1 (?) انظر: ص(173) من البحث .

2 (?) اثناســـيوس: (295م-373م) من آبـــاء الكنيســـة، حـــارب الآريوسـيين بعد المجمع النيقـاوي، نفي خمس مـرات، له مؤلفـات لاهوتية عديدة.

انظـــر: المنجد في اللغة والاعلام: ص(26)، الموســـوعة العربية العالمية: (1/173) .

إلى تريفس في جنوب غرب فرنسا .

ثم عاد بعد ذلك إلى كرسي الاسكندرية . [1]

ومنذ ذلك التاريخ توالى أباطرة مناوئون للآريوسيين، ولكن ذلك لم يقض على الحق، فلم يزل بصيص نور التوحيد موجوداً حتى يومنا هذا .

ومن الموحـدين كـذلك فرقة الشمشـاطيين، أتبـاع بـولس الشمشاطي، الذي كان أسـقفاً لانطاكية منذ سـنة 260م، فقد أنكر ألوهية المســيح وقــرر أنه مجــرد بشر رســول وقد عقد بأنطاكية من ســنة 264م إلى 269م ثلاث مجــامع للنظر في شأنه وانتهى الأمر بحرمانه وطرده . [2]

هــذا بالاضــافة إلى الكثــير من الفلاســفة المتــأخرين، والأسـاقفة المتقـدمين، ممن يـرون بشـرية المسـيح ووحدانية الله تعالى .

ولا تـزال في وقتنا الحاضر كنـائس تـؤمن بعقيـدة التوحيد في هولندا وانجلترا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية . [3]

وفي مقابل هؤلاء الموحـدين، كـان الكثـير ممن قد دخلـوا النصرانية وفيهم رواسب الوثنية، ففهموا النصرانية على حسب ما عرفوه أولاً، وتمثلوها حسبما اسـتكن في نفوسـهم من آراء ومعتقدات سابقة ..

« وكان العامة بين حبلين قــويين، وكل حبل في يد عصـبة

---

1 (?) انظـر: أحمد عبد الوهـاب: طائفة الموحـدين: ص(24-26). بتصرف .

2 (?) انظــر: د/علي عبد الواحد وافي: الأســفار المقدســة: ص(124). بتصرف .

3 (?) انظر: أحمد عبد الوهاب: طائفة الموحدين: ص(62) .

من أولي القــوة، فحبل التوحيــد، ومعه العقــل، ومعه الأصــل، ومعه السيادة للتوحيد .

وحبل تأليه المســيح، ومعه القــوة، حيث أخذ يجتــذب إليه العامة، وعمل على أخذهم بعاملين:

عامل الاستهواء: جاءهم من الناحية التي يحبونهــا، وأرضى شهوتهم فيها، وهي ناحية تقديس المسيح .

وعامل الســـلطان: وتمكينه من الرقـــاب، وتغـــريب من لايقول هذه المقالة واضطهاده، وابعاده عن حظيرة النصــرانية، ولعنه، وطرده، وتصويره للناس بصــورة من لا يقـدس المسـيح ولا يرجو له وقاراً ولا إجلالاً .

كانت العامة بين هـذين الحبلين، وهـذين العـاملين مع فقد الكتب النصرانية القاطعة في الاستدلال، والتي توقف المغالين عن حد الاعتدال، وقد كانت كفة التوحيد هي الراجحة حتى بعد مجمع نيقيــة، لكن جــاءوا بعد ذلــك، وأخفتــوا صــوت المنــادين بالتوحيد، وحيل بينهم وبين مايدعون إليه، ولم يمكنونهم من أن تصل دعوتهم إلى العامة، فصــار العامة لايســمعون بعد ذلك إلا جانبــاً واحــداً، وخاضــعين لعامل واحد وهو الخــروج عن نطــاق التوحيـــد، فتم للحكـــام والقسيســـين ما أرادوا، واختفى دين المسيح وقام دين البطارقة والقسيسين » [1].

ولما كــانت عقيــدة بنــوة المســيح لله وألوهيته قد بــدت بـــــــــدايتها الأولى في حيـــــــــــاة المســــــــــيح -لما نقلناه سابقاً من إنجيل برنابا- فإن المسيح لعن وتــبرأ من كل زعم أنه ابن الله أو أنه إله[2] .

---

1 (?) الشــيخ: محمد أبو زهــرة: محاضــرات في النصــرانية: ص(142) . بتصرف يسير .

2 (?) انظر: ص(170) من البحث .

ثم كانت هناك تلكم الشخصية التي أنشـأت هـذه العقيـدة وأنمتها في عقول النصارى، تلك هي شخصية بـولس اليهـودي، فقد كان ملماً بالفلسفات الأغريقية الـتي كـانت تمثلها مدرسة الاسكندرية، واغتنم وضع النصـارى المـؤلم نتيجة للإضـطهادات المدمرة التي استمرت أكـثر من ثلاثة قـرون، فأوجد للنصـارى أفكـاراً ونظريـات جديـدة مماثلة إلى حد بعيد للنظرية الوثنية القديمة، فأقبل عليها الوثنيون الداخلون في النصرانية .

ولقد قاوم بعض الحواريين دعوة بـولس هـذه، إلا أن هـذه المقاومة لم يكتب لها النجاح لقوة شخصية بولس وأفكاره[1].

وتقـررت عقيد ألوهية المسـيح وبنوته لله تعـالى، وأخـذت طابعـاً رسـمياً، بعد مجمع نيقية عـام (325م)، تؤيـده قـوة السلطان آنذاك، وتلا هذا المجمع مجامع مسكونية عديـدة كلها قامت وأقرت بألوهية المسيح وبنوته لله .

وقد تبنت الطوائف النصـرانية القديمة من ملكانية ونسـاطرة ويعاقبه عقيـدة بنـوة المسـيح لله تعـالى وألوهيتـه، واسـتمرت الطوائف الحديثة من الأرثـوذكس وكاثوليك وبروتسـتانت على نفس هـذه العقيـدة دون أن يكـون لـديهم مسـتند عقلي، وكل ما يسـتندون إليه في تقررها هو الكتـاب المقـدس عنـدهم؛ سـواء في الأسـفار القديمـة، أو الأناجيل الأربعة وغيرها، وهي الأدلة الـتي سنعرضـها في الفقـرة التالية والـتي أبطلها الشيخ رحمه الله الهنـدي بما يسـقط دلالتها على ما يعتقدونه .

---

[1] (?) انظـر: محمد عـزت إسـماعيل لطهطـاوي: النصـرانية والإسلام: ص(249-262) باختصار .

2- أدلة النصارى على ألوهية المسيح ونبوته لله تعالى:

يستدل النصارى على ألوهية عيسى بنصوص من الكتاب المقـدس -عنـدهم- سـواء في عهديه القـديم والجديـد، أو فيما يتضمنه هذا الكتاب من الرسائل والأسفار .

ومجمل ما اســتدلوا به في مســألة ألوهية المســيح : إطلاق الأناجيل على المســيح لفظ ابن اللــه، وأنه من فــوق وليس من هذا العالم، وكذلك ما ورد أن المسـيح والآب واحـد، وأن من رأى المســيح فقد رأى الله لأنه في الآب والآب فيــه، وأنه خرج من عند الله، بالإضـافة إلى إطلاق لفظ الإله والـرب على المســيح والتعميد باسم الثلاثــة، وما ظهر على يديه من المعجزات .

وقد أبطل الشيخ رحمه الله هذه الأدلة على نحو ما سيأتي لاحقـاً .

أما اســتدلالهم على ألوهية المســيح من نصــوص العهد العتيق فهم يستشهدون بنصوص التوراة التي تتضـمن الألفـاظ الدالة على تلك العقائد خاصة لفظ الآب، المقتضـــية البنـــوة. ومنها:

« أليس هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك »[1]

وهــذا الــدليل حجة عليهم، لأنه يقتضي أن يكــون الله - تعالى - أباً لغير المسيح وليس معناه سوى الرب .[2]

واســتدلوا كــذلك بما رووه عن داود في المزمــور المئة والعاشر:

« قـال الـرب لـربى اجلس عن يميـني حـتى أضع أعـدائك

1 (?) سفر التثنية: (32: 6) .

2 (?) انظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح: (3/236) .

موطِئاً لقدميك »[1]

ووجه استدلالهم بهذا الدليل هو قولهم:

« لا يمكن أن نجد لهـــذا التعبـــير حلاً، من غـــير الايمـــان بالمخاطبة الأزلية بين الآب والابن، واليقين بـــأن الله النـــاطق كان يكلم ذاته الإلهية »[2] .

والصـــحيح أن كلمة (ربي) يـــراد بها الســـيد، فـــذكر الأول مطلقاً والثاني مقيداً فيكون معناه: وقال الله لسيـدي [3].

ومن النصوص الـتي استشـهد بها النصـارى على عقيـدتهم من التوراة ما جاء على لسان داود في الزبور الثـاني قولـه: « قال لي: أنت ابني أنا اليوم ولدتك »[4] .

وهذا حجة عليهم فإنه سمى داود ابنـــاً فعلم أن الابن ليس مختصاً بالمسـيح وقوله (أنا اليـوم ولـدتك) تـدل على حـدوث هـذا الفعل وهـذا ينـافي ما اعتقـدوه من أزلية أقنـوم الابن لأنه عندهم مولود قبل الدهور[5] .

وغاية ما يقال للنصارى في احتجاجهم بما ورد في التـوراة من ألفاظ البنوة والأبوة والولادة، أن كل هذه الألفاظ تستعمل في حق غير المسيح، فلها إذاً معنى غـير المعـنى الـذي يريـده النصـــارى في حق المســـيح، فلا وجه عند النصـــارى في أن يتحكموا ويفرضوا ما يفرضونه من المعاني لتلك الألفاظ خاصة

---

1 (?) فقره: 1 .

2 (?) القس إلياس مقار: إيمـاني أو القضـايا المسـيحية الكـبرى: ص(117) .

3 (?) انظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح: (3/453) .

4 (?) فقره: 7 .

5 (?) انظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح: (3/454) .

بالمسيح، مادامت ترد بمعانٍ أخـرى، هـذه على فـرض صـحتها وإلا فإنها غير ثابتة في نفسها .

المطلب الثـاني: عقائد فـرق النصـارى في حلول الإله في المسيح واتحاده به:

1- معنى الحلول والاتحاد والعلاقة بينهما:

أ- معنى الحلول:

الحلول لغة: النـزول. و« حل بالمكان يحـلّ حلـولاً، ومحلاً، وحِلا وحَلَلا، وذلك نزول القـوم بمحلـة. وهو نقيض الارتحـال ... وحل واحتل به، واحتله: نزل به » [1].

وجاء الحلول في القاموس المحيط بمعنى النـزول أيضـاً . [2]

« وحل غضب الله على الناس: نزل، وفي التنزيل العزيز: ﴿ ... ﴾ [طه: 81]

والمكـــان وبه - حلــولاً: نـــزل بـــه. وفي التنــــزيل العزيز: ﴿ ... ﴾ [الرعد: 31]. ويقال حللت بهم، وحللت عليهم. و- البيت سكنه فهو حال جمع حلول وحُلاّل وحلّلّ » [3].

وجاء في التعريفـات للجرجـاني[4]: « الحلـول السَّـرياني -

---

1 (?) ابن منظور: لسـان العـرب: (11/163)، فصل الحـاء بـاب اللام .

2 (?) الفـيروز ابـادي: (3/359)، فصل الحـاء بـاب اللام/ مكتبة النوري -دمشق .

3 (?) المعجم الوسيط: (1/193) . ط2، دار الفكر .

بفتح السـين المشـددة والـراء المهملة - عبـارة عن: اتحـاد الجسمين بحيث تكون الاشارة إلى أحـدهما إشـارة إلى الآخـر، كحلول ماء الورد، فيسمى السارى حالاً، والمسري محلاً .

والحلـول الجـواري، عبـارة عن: كـون أحد الجسـمين طرفـاً للآخر، كحلول الماء في الكوز »[1].

ويقصد الجرجاني بـ(اتحاد الجسمين) حصـول أحـدهما في الآخر، واختصاصه به، وإلا فهنـاك فـرق بين حلـول الشـيء في الشـيء، وبين اتحادهما معـاً بحيث يصـيران شـيئاً واحـداً كما سيأتي بيانه عند تعريف الجرجاني نفسه للإتحاد .

والحلول نوعان:

حلـول عـام: ومعنـاه -عند القـائلين بـه- حلـول الله في الكـون، فيصـبح الكـون كله بكل جزئياته محلا له ، وهو قـول غالب متعبدة الجهمية[2] الـذين يقولـون « إن الله بذاته في كل مكان، ولا يخلو منه مكان » .

وحلول خاص: ويقصد به حلـول ذات اللـه، أو صـفة من صـفاته في جسد إنسـان معين من خلقـه، أو روحـه، أو في أي كائن آخر حياً كان أو جمادا، بحيث يصبح هـذا الشـخص المعين أو الكائن المعين محلاً للإله أو مظهراً له .

---

1 (?) ص: (80) .

2 (?) أتباع الجهم بن صفوان: الـذي زعم أن الايمـان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل بالله، وأن الجنة والنار تبيدان، وقال بـالجبر والاضـطرار، وأنكر الاسـتطاعات كلها وغيرها من البـدع، ظهـرت بدعته بترمذ، وقتله سالم بن أحوز بمرو .

انظر: الشهرستاني: الملل والنحل: (1/73)، عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق: ص(158)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

هذا النـوع من الحلـول هو الـذي تقـول به النصـارى، حيث يقولـون: إن ذات الله حلت في عيسى وتـدرعت بـه، كحلـول الماء في الإناء .

وكلا النـــوعين باطلة في حق الله ، لما يـــترتب عليه من المحالات في حقه [1].

ب- معنى الاتحاد:

الاتحاد لغة صـيرورة الشـيئين واحـداً. و « أحد الإثـنين، أي صيرهما واحداً » [2].

يقول الجرجاني في التعريفات: « الاتحاد هو تصيير الـذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد، من الاثنين فصاعداً »[3].

ويقـول أيضـاً: « الاتحـاد هو امـتزاج الشـيئين، واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً »[4].

والاتحاد نوعان:

اتحـاد عـام: وهو اتحـاد الـذات الإلهية مع جميع الكائنـات فتصـبح عين وجودهـا، وهو قـول الملاحـدة الـذين يزعمـون أن ذات الإله سبحانه هي عين وجود الكائنات.

---

1 (?) انظر: ابن تيمية: مجموع الرسائل والمسـائل: (1/97-98)، ط1، (1341هـ)، مطبعة المنـار-مصـر، وللمؤلف نفسـه: مجموعة الرسائل الكـبرى: (3/117-118)، ط2، (1392هــ-1972م)، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان .

2 (?) الإمـام السـيد محمد مرتضى الزبيـدي : تـاج العـروس من جـــواهر القـــاموس: (2/288) فصل الهمـــزة بـــاب الـــدال.ط1، 1306هـ- المطبعة الخيرية- مصر. وانظـر: الجرجـاني: التعريفـات، ص(16).

3 (?) ص(16).

4 (?) ص(16).

اتحـــاد خـــاص: وهو اتحـــاد الـــذات الإلهية ببعض النـــاس المخصصين، وامتزاج هذه الذات مع الإنسان في شخص واحد، كما تقول بذلك فـرق النصـارى، حيث يقولـون باتحـاد اللاهـوت والناسوت معاً، وامتزاجهما في شخص المسيح .

وكلا النوعين باطل في حق الله تعـالى؛ لما يـترتب عليهما من المحالات في حقه [1].

ج- العلاقة بين الحلول والاتحاد:

الاتحاد مبني على الحلـول، فالقـائلون بالاتحـاد قد تـدرجوا من القـول بـالحلول أولاً، ثم ارتقـوا إلى القـول بالاتحـاد، ففي الحلول بقاء الإثنينيـة، بمعـنى أن يحل أحد الشـيئين في الآخـر، مع احتفاظ كل منهما بذاته.

أما في الاتحاد ففناء للإثنينية، بحيث تصبح الذات الإنسـانية والـــــــــذات الإلهية شـــــــــيئاً واحـــــــــداً، فلا اثنينية بين ذات الله، وذات الإنسان حينئذ.

وعقيدتا الحلـول والاتحـاد انتهت ببعض الفـرق إلى القـول بوحـدة الوجـود، حيث يقولـون: لا حلـول ولا اتحـاد بل ليس إلا موجود واحد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان معنى وحدة الوجـود عند القائلين بها:

« أن الوجود عندهم واحد، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات، وليس للخـالق عنـدهم وجـود مبـاين لوجـود المخلوقات، منفصل عنها أصلاً، بل عنـدهم ما ثم غـير الخـالق، ولا سواه ولهذا قالوا: إن آدم من الله بمنزلة إنســان العين من

---

[1] (?) انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى: (2/771) بتصرف.

العين »[1].

إذن فالقول بوحدة الوجود يعني: أن وجود المخلوقات عين وجود الخالق، لا فرق بينهما من حيث الحقيقة، أما ما يظن أنه فرق بين وجود الخالق، ووجود المخلوق، فإنما هو - في نظر أصحاب وحدة الوجود- أمر يقضي به الحس الظاهر والعقل القاصر عن إدراك الحقيقة على ما هي عليه في ذاتها، من وحدة ذاتية تجتمع فيها الأشياء.

2- آراء فرق النصارى في حلول الإله بالمسيح واتحاده به:

انتشرت عقيدتا الحلول والاتحاد بين فئات كثيرة من النصارى، واعتنقوها بل أجمعوا عليها كما أجمعوا من قبل على التثليث، وألوهية عيسى وبنوته لله تعالى، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في طبيعة المسيح: هل طبيعته طبيعة واحدة لأنه إله؟ أم أن له طبيعتين طبيعة الهية وطبيعة إنسية لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً؟ .

وكانت مناقشة الشيخ رحمه الله لكبار الفرق النصرانية: النسطورية، واليعقوبية، والملكانية، لذلك سوف نقتصر على دراسة هذه الطوائف الثلاثة في مسألة طبيعة المسيح وكيفية إتحاد اللاهوت به، وسأرجيء الرد عليهم في مطلب إبطال الشيخ رحمه الله لألوهية المسيح.

أ) عقيدة النسطورية في الحلول والاتحاد:

تنسب النسطورية إلى نسطور، الذي كان بطريكاً

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (2/112)، بتصرف يسير، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،ص(82)، ط4، (1397هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت.

للقسطنطينية سنة (428م) [1]، والذي ذهب إلى القول: « بـأن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان فقــط، لأن ما يولد من الجسد ليس إلا جســداً، ولأن المخلــوق لا يولد الخـــالق، وعلى هـذا، فمـريم لا تسـمى والـدة الإلـه، بل والـدة المسـيح الإنسان، وقد جاء اللاهـوت لعيسى بعد ولادتـه، أي اتحد عيسى بعد الـولادة بـالأقنوم الثـاني اتحـاداً مجازيـاً فمنحه الله المحبة ووهبه النعمة »[2] .

وبهـذا يكـون نسـطور قد وضع الأسـاس للقـول بطبيعـتين للمسيح لمن جاء بعده وإن كان فيه محاولة للقرب من التوحيد، مما أدى إلى انعقاد مجمع أفسس الأول سـنة (431م)، وقـرر: لعن، وطرد نسطور الذي ينكر ألوهية المسيح[3].

يصور الشهر ستاني مذهب النساطرة على النحو التالي:

« قال (أي نسطور): إن الله تعـالى واحد ذو أقـانيم ثلاثـة: الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الــذات، ولا هي هــــو، واتحــــدت الكلمة بجسد عيسى لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا عن طريق الظهور، كما قالت اليعقوبيـة، ولكن كإشـراق الشـمس في كـوه أو على بلـور، أو كظهور النقش في الخاتم .....

---

1 (?) ذكر الشهرســـــــــتاني في الملل والنحل أنها تنسب إلى نسـطور الحكيم الـذي ظهر في زمـان المـأمون: (2/251) وهـذا خطــأ، والصــحيح أنها تنسب إلى نســطور الــذي كــان بطريكــاً للقسطنطينية، كما ذكر ابن حزم في الفصل: (1/111) .

2 (?) انظر: د/ أحمد شلبي: المسيحية: ص(202). بتصرف

3 (?) انظـر: د/ علي عبد الواحد وافي: الأسـفار المقدسـة: ص(133)، وَ د/القس جـون لـوريمر: تـاريخ الكنيسـة: (3/215-219)، ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة المسيحية .

ويعني بقوله هو واحد بالجوهر، أي ليس مركبــاً من جنس، بل هو بسيط واحد، ويعني بالحيــاة والعلم، أقنــومين جــوهرين، أي أصلين مبدأين للعالم، ثم فسر العلم بالنطق والكلمة .

ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعــالى، موجــوداً، حيــاً، ناطقاً، كما تقول الفلاسفة في حد الإنسان، إلا أن هذه المعاني تتغاير في الإنسان، لكونه مركباً وهو جوهر بسيط غــير مــركب ....

وزعمــوا أن الابن لم يــزل متولــداً من الآب، وإنما تجسد واتحد بجسد المســيح حين ولــد، والحــدوث راجع إلى الجسد والناســوت فهو إله وإنســان اتحــدا وهما جــوهران، أقنومــان، طبيعتان: جوهر قديم، وجوهر محدث، إله تام وإنسان تام، ولم يبطل الاتحاد قــدم القــديم، ولا حــدوث المحــدث، لكنهما صــارا مسيحاً واحداً، مشيئة واحدة[1] ....

وأما قــولهم في القتل والصــلب، فيخــالف قــول الملكانية واليعقوبية حيث يــذكرون (أي النســاطرة) أن القتل وقع على المســيح من جهة ناســوته، لا من جهة لاهوتــه؛ لأن الإله لا تحله الآلام..... »[2] .

أما ابن حــزم الظــاهري[3] فينقل عن النســاطرة تصــورهم

---

1 (?) يذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي في الأسفار المقدســة: ص(134) أنه لم يقل بالمشيئة الواحــدة إلا المارونية وهــذا يخــالف ما نقلنــاه هنا عن الشهرســتاني، فالمــارونيون مســبوقون بــالقول بالمشيئة الواحدة على ما نقله الشهرســتاني عن النســاطرة بــأنهم قالوا بالمشيئة الواحدة أيضاً .

2 (?) الشهرستاني: الملل والنحل: ص(2/252-253) .

لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، فهم يقولون: « إن الإله اتحد مع الإنسان، بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً، كاتحاد الماء يلقى في الزيت، فكل واحد منها باق بحسبه »[1] .

إذن فإن نسطور يذهب إلى القول بطبيعة واحدة للمسيح، وبالتالي بمشيئة واحدة، ولكنه إذ قال باتحاد اللاهوت به بعد ولادته؛ وضع الأساس الذي تطور به أتباعه فيما بعد، حيث قالوا بطبيعتين للمسيح، وإن بقوا على القول بأن له مشيئة واحدة .

ولقد تطور مذهب النساطرة فيما بعد، إلى أن جمعوا بين قولي زعيمهم نسطور ومخالفيه من الملكانيين، حيث تابعوا نسطور في القول بالمشيئة الواحدة، وتابعوا الملكانيين في القول بالطبيعتين -كما سيأتي-، مما أدى إلى انفصالهم عن الكنيسة الشرقية صاحبة القول بالطبيعة الواحدة وأصبحت لهم كنيستهم الخاصة .

ب) عقيدة اليعقوبية في الحلول والاتحاد:

وهي تنسب إلى يعقوب البرادعي، لاكمؤسس لمذهبها، وإنما كمجدد له في القرن السادس الميلادي (543م) حيث « نشأ هذا المذهب قبل ظهور يعقوب البرادعي بأمد طويل، ولا أدل على ذلك من أنه قد أخذ بهذا الرأي -(وهو أن للمسيح طبيعة واحدة)- معظم المجتمعين في مجمع أفسس الثاني الذي انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي » [2].

---

1 (?) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل: (1/116-117) بتصرف يسير .

2 (?) د/ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(132) .

فقد أعلن بطريك الإسكندرية (الباباكيراس)[1] بأن للمسيح طبيعة واحــدة، ومشــيئة واحــدة، وعقد لهــذا الغــرض مجمع أفسس الثـاني بالأناضـول سـنة (449م) حيث عقـده بطريك الإسكندرية آنذاك البابا ديسقورس[2] واتخذ قراراً يوافق عقيدة الباباكيراس حول طبيعة المسيح، ثم كان مجمع خلقيدونيه عام (451م) رداً على قرارات هذا المجمع ورفضها[3].

واليعاقبة إذ يقولـون بالطبيعة للمسـيح الناشـئة من اتحـاد الأقنوم الثاني به (أي بالمسيح) يقررون بـذلك أن مـريم ولـدت إلهاً ولم تلد إنساناً عادياً بل ابن الله المتجسد، لذلك هي حقـاً أم الآلهة.

يقــول الشهرســتاني في تصــوير مــذهب اليعاقبة هــذا: اليعقوبية « قالوا بالأقـانيم الثلاثة إلا أنهم قـالوا: انقلبت الكلمة (الأقنوم الثاني) لحماً ودماً فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو، وعنهم أخبرنا القـرآن الكـريم: [illegible] [المائدة: 72] فمنهم من قــال المســيح هو الله ومنهم من قــال: ظهر اللاهــوت

---

[1] (?) الباباكيراس: أو كيرلس الاسـكندري، قـديس الاسـكندرية (412-444م) ترأس مجمع أفسس الذي حرم نسطور. له مؤلفـات دينية. من معلمي الكنيسة (المنجد في اللغة والأعلام: 483) .

[2] (?) ديسقورس: بطريك الاســكندرية عُقد المجمع الرابع بمدينة خلقيدونية للنظر في قوله: أن المسيح جوهر من جوهرين، وأقنـوم من أقنومين، وطبيعة من طبيعتين، ومشيئة من مشـيئتين، مخالفـاً في ذلك أقــوال البطارقــة: من أن للمســيح جــوهرين وطبيعــتين ومشيئتين وأقنوم واحـد، مما أدى إلى ضـربه ونفيه وكل من يقـول مقولته.

أحمد شلبي: المسيحية: ص(209)، تاريخ ابن خلدون: (2/175) .

[3] (?) انظر: جون لوريمر: تاريخ الكنيسة: (3/226-232) .

بالناسـوت فصـار ناسـوت المسـيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة بل صار هو هو.

وهـــذا كما يقـــال: ظهر الملك بصـــورة إنســـان، أو ظهر الشـيطان بصـورة حيـوان كما أخـبر التنزيل عن جبريل : [illegible] [مريم: 17].

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحـد، إلا أنه من جـوهرين، وربما قـالوا: طبيعة واحـدة من طبيعـتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركباً كما تـركب النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً أقنوماً واحـداً، وهو إنسـان كله وإله كله، فيقـال الإنسـان صـار إلهـاً ولا ينعكس، فلا يقـال الإله صـار إنسـاناً، كالفحمة تطـرح في النـار فيقـال صـارت الفحمة نـاراً، ولا يقـال صـارت النـار فحمة وهي في الحقيقة لا نـاراً مطلقـة، ولا فحمة مطلقـة، بل هي جمـرة، وزعمـوا أن الكلمة اتحـدت بالإنسـان الجـزئي لا الكلي، وربما عـبروا عن الاتحاد بالامتزاج والأدراع والحلول كحلـول صـورة الإنسـان في المرآة المجلوة ...

واليعقوبية لما اعتقدت أن المسيح هو جوهر من جـوهرين وهو إله وهو المولود، قالوا: إن مـريم ولـدت إلهـاً -تعـالى الله عن قـولهم علـواً كبـيراً- وكـذلك قـالوا في القتـل: وقع على الجوهر، الـذي هو من جـوهرين وقـالوا: ولو وقع على أحـدهما لبطل الاتحاد، وزعم بعضهم: إنا نثبت وجهين للجوهر القديم .

فالمسيح قديم من وجه، محدث من وجه، وزعم قـوم من اليعقوبيـة: أن الكلمة لم تأخذ من مـريم شـيئاً لكنها مـرت بها كالماء في الميزاب »[1] .

---

[1] (?) الملل والنحل: (2/253-254) .

وينقل ابن حـــزم عن اليعاقبة مـــذهبهم في المســـيح وتصورهم لكيفية اتحاد اللاهوت بالناسـوت به حيث يقولـون: « إن الإله اتحد من الإنســان، بمعــنى أنهما صــارا شـيئاً واحــداً كاتحاد الماء يلقى في الخمر، فيصيران شيئاً واحداً »[1] .

وقد ظل هذا القول هو عقيدة كنيسة القسـطنطينية حـتى تســمت باسم الكنيسة الأرثوذكســية (أي الكنيسة المســتقيمة الــرأي) وانفصـلت بـذلك عن الكنيسة الغربية في رومــا، وذلك في الربع الأخــير من القــرن التاســع، فالمــذهب الارثوذكسي المعاصر يقول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة للمسيح .

ج) عقيدة الملكانية في الحلول والاتحاد:

أصحاب هذا المذهب يقولون بأن للمسيح طبيعتين:

طبيعة إلهيــــة، وطبيعة ناســــوتية[2]، فهم يتفقــــون مع النساطرة في القـول بـأن للمسـيح طبيعـتين، لكنهم يختلفـون عنهم في أنهم يقولون: إن مريم ولدت الإله والإنسان معاً .

فهي قد ولدت يسوع الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع النــاس في الطبيعة الإنســانية، بينما قــال النســاطرة: إن مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد به اللاهوت بعد الــولادة[3] -

---

1 (?) الفصل في الملل والنحل: (1/117) بتصرف يسير .

2 (?) يعتقد النصـــــارى أن للمســــيح طبيعــــتين: طبيعة إلهية (اللاهــــوت)، وطبيعة أنســــانية (الناســــوت)، وأن الكلمة الإلهية (اللاهــوت) اتحــدت بجسم المســيح واختلطت بناســوته (الجــزء الإنســاني منــه)، وصــار طبيعة واحــدة، وأقنومــاً واحــداً هو الأقنـوم الثاني من الثالوث الأقدس عندهم.

انظــر: الموســوعة الميســرة في الأديــان والمــذاهب والأحــزاب المعاصرة: (2/1157) .

3 (?) انظر: د/ أحمد شلبي: المسيحية: ص(203) .

كما مرّ معنا - .

وقد تقرر هذا لمذهب بصـورة قاطعة في مجمع خلقيدونية سنة (451)م الذي عقد للـرد على القـائلين بالطبيعة الواحـدة في مجمع أفسس الثاني، وتقرر فيه (أي في مجمع خلقيدونية) طرد نسطور القائل بولادة مريم لجسد المسيح فقط .

ومختص قرار مجمع خلقيدونية أنهم:

« قالوا: إن مريم العذراء ولـدت الهنا ربنا يسـوع المسـيح الـذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهيـة، ومع النـاس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن للمسيح طبيعتين، وأقنوم واحد .. ولعنـوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس »[1]

وقد انتصر لهـذا المـذهب الإمـبراطور الرومـاني آنـذاك، وحضر مجمع خلقيدونية هو وزوجته الملكـة؛ لـذلك سـمي هـذا المذهب بالمذهب الملكاني . [2]

يقول الشهرستاني في بيان آراء هذه الفرقة:

« قــالوا: إن الكلمة اتحــدت بجسد المســيح، وتــدرعت بناســــوته، ويعنــــون بالكلمة أقنــــوم العلم، ويعنون بـروح القـدس أقنـوم الحيـاة، ولا يسـمون العلم قبل تدرعه ابنـــــاً، بل المســــيح مع ما تدرع به ابـن.

فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمـازج الخمر اللبن، أو الماء اللبن. وصـرحت الملكانيـة: بـأن الجـوهر

---

[1] (?) د/ علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: ص(133) .

[2] (?) المرجع السـابق: ص(133)، وقد نسب الشهرسـتاني في الملل والنحل: (2/348) هـذا المـذهب إلى شـخص اسـمه (ملكـا) وقد أخطأ في ذلـــك، وراجعه في هـــذا الخطأ الـــدكتور علي عبد الواحد وافي: ص(133) .

غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة ... وقالت: إن المسـيح ناسـوت كلي لا جـزئي، وهو قـديم أزلي من قـديم أزلي، وقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليـاً، والقتل والصـلب وقع على الناسـوت واللاهـوت وأطلقـوا لفظ الأبـوة والبنـوة على الله ، وعلى المسيح .. » [1].

ويقول ابن حزم في بيان رأى الملكانية:

« إنهم قـالوا: إن الله تعـالى عبـارة عن ثلاثة أشـياء: أب، وابن، وروح القـدس. كلها لم تـزل، وإن عيسى إله تـام كله وإنسان تام كله، لم ينله شيء من ذلك، وإن مريم ولـدت الإله والإنسان، وانهما معاً شيء واحد »[2]

وينقل عنهم ابن حزم أيضاً قولهم:

« إن الإله اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً، كاتحـاد النـار في الصـفيحة المحمـاة » [3].

إذن فالمذهب الملكاني يقول بطبيعتين ومشيئتين للمسيح . إلا أنه -وكعادة النصارى في مخالفة بعضهم بعضـاً ولعن بعضـهم بعضاً- قد ظهر في القرن السابع الميلادي (667م) شخص يدعى (يوحنا مارون) [4]. فخالف هـذا الاتجـاه، وذهب إلى أن المسـيح

---

1 (?) الملل والنحل: (2/348-349) .

2 (?) الفصل في الملل والنحل: (1/111) .

3 (?) المرجع السابق: (1/117). بتصرف يسير .

4 (?) يوحنا مارون: رجل ظهر في مدينة حماة سنة (667م)، وإليه تنسب المارونية من النصارى وأحدث رأياً يخالف من تقدمه، وتبعه خلق كثير بالشـام، دعا إلى أن للمسـيح طبيعـتين ولكن له مشـيئة واحـدة، لالتقـاء الطبيعـتين في أقنـوم واحـد، فعقد مجمع بالقسطنطينية سنة (680م) وقرر أن للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وكان ذلك تأكيداً لمذهب الكاثوليـك، وقد لعن هـذا المجمع كل من

مع أنه ذو طبيعتين، إلا أن له مشيئة واحدة، وإرادة واحــدة هي المشيئة الإلهية، والإرادة الإلهيـة، لالتقـاء الطبيعـتين في أقنـوم واحد.

لكن بطارقة الكنيسة الغربية في روما لم يــرق لهم هــذا الرأي ولم يقبلـوه، وأشـاروا على الإمـبراطور أن يعقد مجمعـاً ليقــرر أن للمســيح طبيعــتين، ومشــيئتين، بعد أن عرفــوا أنه يشـاركهم الـرأي، فعقد مجمع القسـطنطينية السـادس سـنة (680م) وقــرر أن للمســيح طبيعــتين ومشــيئتين، ولعن وطــرد (يوحنا مارون) ومن تبعه، وكفر من يقـول بالمشـيئة الواحـدة . [1]

فـالقول بـالطبيعتين والمشـيئتين، هو قـول الكنيسة الغربية منذ بداية الأمر، وحتى بعد أن تميزت عن غيرها من الكنائس في أواخر القــــرن التاسع باسم الكنيسة الكاثوليكية[2]، أي العامة أو العالمية.

وبهــذا يكــون المــذهب الكــاثوليكي المعاصــر، هو امتــداد للمـــذهب الملكـــاني، على نحو ما يعـــبر عنه المؤرخـــون الإسلاميون .

ولقد سرد الشيخ رحمه الله أقوال بعض المـؤرخين حـول اختلاف طوائف النصارى في كيفية حلول اللاهوت بالناسـوت، واتحـاده به. ثم قال:

يقول بغير ذلك .

انظــر: أحمد شــلبي: المســيحية: ص(204)، الموســوعة العربية الميسرة في الأديان والمذاهب: (2/626) .

1 (?) انظــر: د/ علي عبد الواحد وافي: الأسـفار المقدسـة: ص(134)، وأحمد شلبي: المسيحية: ص(204) .

2 (?) انظر: أحمد شلبي: المسيحية: ص(249) .

« فظهر لك أن آراءهم في بيـان علاقة الاتحـاد بين أقنـوم الابن وجسم المسيح كانت مختلفة في غاية الاختلاف، ...

وفرقة البروتستانت لما رأوا أن بيان علاقة الاتحاد لا يخلو عن الفساد البين تركـوا آراء الأسـلاف، وعجّـزوا أنفسـهم، واختـاروا السكوت عن بيانها وعن بيان العلاقة بين الأقانيم الثلاثة »[1].

وســوف نعمل على إبطــال عقيــدة الحلــول والاتحــاد بما أبطله الشيخ رحمه الله لهـــذا المعتقد عقلاً ونقلاً من نصوصـــهم كما سيأتي -بمشيئة الله تعالى- .

---

1 (?) إظهار الحق: (3/718) .

المطلب الثالث: إبطال الشيخ رحمت الله لألوهية المسيح :

أبطل ﷺ عقيدة النصارى في بنوة المسيح لله تعالى وألوهيته، وأدلتهم عليها من جهات متعددة .

فهو يبطلها بإبطال أدلتهم عليها من الكتاب المقدس عندهم، وكذلك بإبطال استدلالهم عليها - في زعمهم - بالقرآن الكريم .

وهو يبطلها كذلك بما يكشف عنه من تناقضها مع عقيدتهم في الله، فضلاً عن تناقضها مع العقائد الصحيحة في النبوات الصادقة، سواء قبل المسيح أوبعده .

وهو يبطلها كذلك ببيانه لما تستلزمه تلك العقيدة من تناقضات ومخالفات عقلية وحسية ضرورية .

وهو يبطلها أيضاً ببطلان استناد النصارى في بنوة المسيح وألوهيته إلى ما يصدر عنه من معجزات وأحوال، يفضل بها عن غيره من الأنبياء، وتدل على ألوهيته كما يزعمون .

ولقد عمد ﷺ إلى تنسيق ردوده في باب إبطال عقيدة التثليث في نقاط ومقدمات وقد قمت بإعادة تنسيقها لاستيفاء جميع أوجه ردوده على هذه العقيدة التي يوجد بعضها في هذا الباب .

1- إبطال ألوهية المسيح نقلاً :

أبطل ﷺ ألوهية المسيح نقلاً بأمور خمسة:

- الأمر الأول: خلو كتب العهدين من ذكر عقيدة ألوهية المسيح:

أكد الشيخ رحمه الله أن الشريعة الموسوية - التي كانت واجبة الطاعة لجميع الأنبياء إلى عهد عيسى خالية عن بيان هذه العقيدة. فلم يبين موسى ، ولا من بعده من الأنبياء إلى بني إسرائيل هذه العقيدة ببيان واضح بحيث تفهم منه هذه العقيدة صراحة[1]، شأنها شأن عقيدة التثليث -كما مر- .

والأعجب منه أن عيسى ما بين هذه العقيدة إلى عروجه ببيان واضح[2]

واعترض الشيخ رحمه الله على صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى (مفتاح الأسرار)، على شبهة: أنه ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة والوحدانية قبل قيامه [يعني من الأموات] وعروجه، فلو قال صراحة لفهموا أنه إله بحسب الجسم الإنساني، وهذا الأمر كان باطلاً جزماً، فدرك هذا المطلب أيضاً من المطالب التي قال في حقها لتلاميذه: « إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تتحملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية »[3]...

وقال: « إن كبار ملة اليهود أرادوا مراراً أن يأخذوه ويرجموه، والحال أنه ما كان بين ألوهيته بين أيديهم إلا على

---

1 (?) إظهار الحق: (3/720) .

2 (?) إظهار الحق: (3/721) .

3 (?) انظر: إنجيل يوحنا: (12/16-13) .

طريق الألغاز »[1]

عارضه الشيخ رحمت الله بقوله:

« علم من كلامه عذران:

الأول: عدم قدرة فهم أحد قبل العروج .

الثاني: خوف اليهود .

وكلاهما ضعيفان في غاية الضعف .

أما الأول: فإنه كان هذا القدر يكفي لدفع الشــبهة حيث: أن علاقة الاتحــاد الــتي بين جســمي وبين أقنــوم الابن، فهمها خارج عن وسعكم، فاتركوا تفتيشها، واعتقـدوا بـأني لست إلها باعتبار الجسم، بل بعلاقة الاتحاد المذكورة .

وأما نفس عـدم القـدرة على فهمهـا؛ فباقية بعد العـروج أيضاً حتى لم يعلم عالم من علمائهم إلى هذا الحين كيفية هذه العلاقة والوحدانية !

ومن قال ما قال؛ فقوله رجم بـالغيب لا يخلو عن مفسـدة عظيمة، ولذا ترك علماء فرقة البروتستانت بيانها رأسـاً، وهـذا القس (فنـدر) يعـترف في مواضع من تصـانيفه بـأن هـذا الأمر من الأسرار خارج عن درك العقل .

وأما الثاني: فلأن المسـيح ما جـاء عنـدهم إلا لأجل أن يكون كفارة لذنوب الخلق[2]، ويصلبه اليهـود، وكـان يعلم يقينـاً

---

[1] (?) نقلاً عن: الشــيخ رحمت الله الهنــدي: إظهــار الحــق: (722-3/721) .

[2] (?) هذا من بـاب الالـزام، والجـدل، كما ذكر في مقدمة إظهـار الحق: (1/9) وإلا فالشيخ ~ تعالى مؤمن بأن المسيح لم يصـلب فداءاً للبشرية كما زعموا، بل عرج إلى السـماء وأن من صـلب هو الشبيه.

أنهم يصلبونه، ومتى يصلبونه فأي محل للخوف من اليهـود في بيان العقيدة .

والعجب أن خالق الأرض والسماء، والقـادر على ما يشـاء يخاف من عباده الذين هم من أذل أقوام الدنيا، ولا يـبين لأجل خوفهم العقيدة التي هي مدار النجاة، وعباده من الأنبياء مثـل: إرميا وإشـعيا ويحي عليهم السـلام لا يخـافون منهم في بيـان الحق، ويؤذون إيذاء شديداً، ويقتل بعضهم .

وأعجب منه أن المسـيح يخـاف منهم في بيـان هـذه المسألة العظيمـة، ويشـدد عليهم في الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر غاية التشدد حتى يصل النوبة إلى السب، ويخاطب الكتبة[1] والفريسيين[2] المرائين - ويل لكم أيها القادة العميـان.

انظر: إظهار الحق: (3/721-767) و(747) .

1 (?) الكتبة: عرفهم الشيخ رحمت الله بقوله: « لم يكونـوا قبيلة مخصوصة، ولكنهم كـانوا ينسـخون الكتب المقدسـة، ويميلـون إلى مطالعة العلـوم، ويفسـرون التـوراة » أ.هـ ولما كـانت التـوراة تسـمى: النـاموس، لـذلك أطلق العهد الجديد على الكتبة اسم (ناموسيين) و(معلموا الشريعة) لأنهم قد خصصوا أنفسـهم لدراسة الناموس وتفسيره وتعليمه، وكان شرحهم للناموس مدنياً - ودينيـاً محاولين تطبيقه على تفاصيل الحياة اليومية، وقد أصبحت قرارات عظمـاء الكتبة شـريعة شـفاهية تـدعي التقاليـد، وهـؤلاء الكتبة هم الذين سماهم القرآن بالأحبار والربانيين، و الواحد اسمه حبر وربي .

انظر هامش إظهار الحق: (3/723)، وقاموس الكتـاب المقـدس: ص(759) .

2 (?) الفريسـيون: أهم فـرق اليهـود، وأكثرها عـدداً في ماضي تاريخهم وحاضره، وهي تعترف بجميع أسفار العهد القديم، وأسفار التلمود، كما أنها تـؤمن بـالبعث، فتعتقد أن الصـالحين من الأمـوات

وأيها الجهــال العميــان، وأيها الفريسي الأعمى، وأيها الحيــات والأفاعي. كيف تهربون من دينونة جهنم؟ ويظهر قبائحهم على رؤوس الأشهاد ...

فكيف يظن بالمسـيح أن يـترك بيـان العقيـدة الـتي هي مــدار النجــاة لأجل خــوفهم؟! حاشا ثم حاشا أن يكــون جنابه هكذا .

وعلم من كلامه (أي فنـــدر) أن المســـيح ما بيّن هـــذه المســـــــــــــــألة عند اليهـــــــــــــــود قط إلا بطريق الألغاز، وأنهم كانوا ينكـرون هـذه العقيـدة أشد الإنكـار حـــــــــــــتى أرادوا رجمه مـــــــــــــــراراً على البيان الإلغازي »[1].

- الأمر الثاني: أن أقوال المسيح تنفي ألوهيته:

في مقابل تأكيد رحمه الله خلو عبارات المسيح من بيـان ألوهيته صـــــراحة؛ أكد بنصــــوص العهد الجديد ما ينفي ألوهية المسيح من وصفه لنفسه بالنبي والرسول، وأنه عبدالله، وبما يعتريه من أعراض الإنسانية كالحزن والاكتئاب.

من تلك النصوص الـتي اسـتدل بها رحمه الله لنفي ألوهية المسيح :

1- ما ورد في إنجيل مـــــرقس: « وأما ذلك اليـــــوم وتلك

سينتشرون في هـذه الأرض ليشـتركوا في ملك المسـيح المنتظـر، الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ النـاس ويـدخلهم في ديانة موسى - بزعمهم- .

انظـــــر: علي عبد الواحد وافي: الأســـفار المقدســـة، ص(63)، وقاموس الكتاب المقدس: ص(674) .

[1] (?) إظهار الحق:(3/722-724).

الســـاعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الـــذين في الســـماء ولا الابن إلا الآب »[1]

يقول الشيخ رحمه الله:

وهــذا القــول ينــادي على بطلان التثليث، لأن المســيح خصص علم القيامة باللــه، ونفى عن نفسه كما نفى عن عبــاد الله الآخــرين، وســوى بينه وبينهم في هــذا، ولا يمكن هــذا في صــورة كونه إلها ولا ســيما إذا لاحظنا أن الكلمة وأقنــوم الابن عبارتان عن علم الله[2] .

2- ورد في إنجيل متى « (20) حينئذ تقدمت إليه أم ابــني زبــدي[3] مع ابنيها وســجدت وطلبت منه شــيئاً (21) فقــال لها مــاذا تريــدين؟ قــالت لــه: قل أن يجلس ابنــاي هــذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك (22) فأجاب يســوع ... (23) ... وأما الجلــوس عن يميــني وعن يســاري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي »[4] .

فلو كان المسيح إلهــاً لما صح منه نفي القــدرة عن نفسه وتخصيصها بالله[5] .

---

1 (?) (13/32) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/740) .

3 (?) أم ابني زبدي: يظن أن اسمها سالومة، وزبدي اسم زوجها، آمنت بالمســيح هي وابناها الحواريــان: يعقــوب ويوحنا ابنا زبــدي، ويظن كتّاب قاموس الكتاب المقدس أنها أخت مــريم أم عيسى أو ابنة عمهــا .

قــاموس الكتــاب المقــدس: ص(423-447-1075-1108)، محمد شفيق غربال وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة: ص(947) .

4 (?) (20/ 20-23) .

5 (?) انظر: إظهار الحق: (3/740) .

فهذا دليل على مغايرة صفاته البشرية لصـفات الله العلية الكاملة، وإلا لزم اتصاف الإله بـالنقص لعجـزه عن تنفيذ إرادته ومشيئته .

3- وورد في إنجيل متى « (16) وإذا واحد تقدم وقال لـه: أيها المعلم الصالح أي صـلاح أعمل لتكـون لي الحيـاة الأبدية (17) فقال له: لماذا تدعوني صـالحاً، ليس أحد صـالحا إلا واحد وهو الله »[1] .

يـــبين ﷺ أن هـــذه الفقـــرة تقلع أصل التثليث، لأن عيسى ما رضي تواضعاً أن يطلق عليه لفظ الصلاح، ولو كان إلهاً لما كان لقوله معـنى ولو وجب عليه أن يـبين أنه لا صـالح إلا الأب، والابن، وروح القـدس، وأن لا يـؤخر البيـان عن وقت الحاجة، فإذا لم يـرض بنسـبة الصـلاح إليه فهل يرضى بـأقوال أهل التثليث ؟[2]

4- ورد في إنجيل مـــتى « (46) ونحو الســـاعة التاســـعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لِمَ شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني ... (50) فصرخ يسـوع أيضـاً بصـوت عظيم وأسلم الروح »[3].

وفي إنجيل لوقا: « ونـادى يسـوع بصـوت عظيم وقـال: يا أبتاه في يديك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح »[4] .

وقد علق ﷺ على هذا الأمر بأن هـذا الصـراخ ينفي ألوهية المســيح لاســيما على مـــذهب القـــائلين بـــالحلول أو

---

1 (?) (19/16-17) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/741) .

3 (?) (27/46-50) .

4 (?) (23/46) .

الانقلاب لأن الإله لا يستغيث بإله آخر ولا يستودع روحـه، والإله الحقيقي يمتنع عليه الضعف والتعب والصراخ والاستغاثة فضلاً عن العجز والموت وهو حي قدوس لا إله غيره[1].

واستدل الشيخ رحمه الله بما ورد في سفر أشـعياء « أما عـرفت أم لم تسمع إله الـدهر الـرب خـالق أطـراف الأرض لا يكل ولا يعيا »[2] .

وبما في سـفر أرميـا: « أما الـرب الإله فحق هو إلـهٌ حيٌّ وملكٌ ابديٌّ »[3] .

وبما في سفر حبقوق: « يارب إلهي قدوسي لا تموت »[4] .

وبما في الرسـالة الأولى إلى تيموتـاوس: « وملك الـدهور الذي لا يفنى »[5]

فالعاجز المستغيث بغيره لا يكون إلهـاً، والإله الحقيقي هو الذي استغاث به المسيح وقت الصلب بزعمهم .[6]

5- وورد في إنجيل يوحنا قـــول المســـيح لمـــريم المجدلية[7]: « ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصــعد

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/741) .

2 (?) (40/28) .

3 (?) (10/10) .

4 (?) (1/12) .

5 (?) (1/17) .

6 (?) انظر: إظهار الحق: (3/742) .

7 (?) مــريم المجدليــة: يعتقد النصــارى أنها احــدى تلميــذات المسيح، وأنه أخرج منها سبعة شياطين، وأنها كـانت معه إلى وقت الصــلب والــدفن، وأنها كــانت من جملة اللــواتي أتين إلى القــبر لتحنيط الميت، وأنها هي التي حدثها المسـيح بعد قيامه من القــبر، ويظن أنها من مجدلة (المجــدل) الواقعة على الشــاطئ الغــربي

إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم »[1]

يقول الشيخ رحمه الله:

« فسـوى بينه وبين النـاس في هـذا القـول: (أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم)، لكيلا يتقولـوا عليه الباطل فيقولـوا: أنه إله أو ابن إله، فكما أن تلاميذه عباد الله ليسوا بأبناء الله حقيقـة، بل بالمعنى المجازي - فكذلك هو عبدالله وليس بابن الله حقيقة - ولما كـان هـذا القـول بعد ما قـام عيسى من الأمـوات على زعمهم قبل العروج بقليل؛ ثبت أنه كان يصرح بأنه عبدالله إلى زمان العروج، وهذا القول يطابق ما حكى الله عنه في القـرآن المجيد: [المائدة: 117] »[2].

6- ورد في إنجيل يوحنا قـول المسـيح : « لأن أبي أعظم مني »[3].

يقول الشيخ رحمه الله: « فيه نفي لألوهيتـه، لأن الله ليس كمثله شيء فضلاً عن أن يكون أعظم منه » [4].

وفيه أيضـاً نفي للتثليث كـذلك، لأن المسـيح لو كـان أحد الأقانيم الثلاثة المزعومة؛ لم يكن الآب أعظم منه، ولسوى في العظمة بين أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، لكن لما اعترف أن الآب أعظم منه دل على فساد التثليث، وفسـاد

لبحيرة طبرية على بعد 5كم شمال مدينة طبرية .

انظـر: قـاموس الكتـاب المقـدس: ص(842)، (858)، ومحمد غربال: الموسوعة الميسرة: ص(1690) .

1 (?) (20/17) .

2 (?) إظهار الحق: (3/748) .

3 (?) (14/28) .

4 (?) إظهار الحق: (3/748) .

ادعاء الألوهية .

7- ورد في إنجيل يوحنـا: « والكلام الـذي تسـمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني »[1].

يستدل الشيخ رحمه الله بهذا الـدليل على كـون عيسى رسـولاً، لتصريحه بذلك، وأن كلامه وحي من جانب الله تعالى[2].

8- ورد في إنجيل مــتى « (9) ولا تــدعوا لكم أبــاً على الأرض لأن أبـاكم واحد الـذي في السـماوات (10) ولا تـدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح » [3].

بيّن الشيخ رحمه الله: أن فيه تصريح بوحدانية اللـه، وأن المسـيح معلم لتلاميذه . [4]

ولا شك أن لفظ المعلم من الألفــاظ الــتي تطلق على الإنســان، وإذا كــان كــذلك فكيف يظن به أنه أهمل تلاميــذه وتركهم يتخبطون في عمياء، ثم لا يرشدهم إلى الاعتقـاد الحق .

9- ورد في إنجيل متى « (36) حينئذ جاء معهم يسوع إلى ضـيعة يقـال لها جثسـيماني فقـال للتلاميـذ: اجلسـوا هنا حـتى أمضي وأصـلي هنـاك. (37) ثم أخذ معه بطـرس وابـني زبـدي وابتدأ يحزن ويكـتئب (38) فقـال لهم نفسي حزينة جـداً حـتى المـوت. امكثـوا ههنا واسـهروا معي (39) ثم تقـدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هـذه الكــأس. ولكن لا كما أريد أنا بل كما تريد أنت (40) ثم جــاء

---

1 (?) (14/24) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/749) .

3 (?) (23/9-10) .

4 (?) انظر: إظهار الحق: (3/749) .

إلى التلاميذ .. (42) فمضى أيضاً ثانية وصلى قـائلاً يا أبتـاه إن لم يمكن أن تعــبر عــني هــذه الكــأس إلا أن أشــربها فلتكن مشيئتك » [1].

يقول ﵀:

« فأقواله وأحواله المندرجة في هــذه العبــارة تــدل على عبوديته ونفي ألوهيتــه. وإلا فهل الإله يحــزن ويكــتئب ويــدعو بغاية التضرع ثم يموت »[2]

10- استدل ﵀ أيضاً بما كـان المسـيح يعـبر به عن نفسه أنه ابن الإنسـان، ثم قـال: « وظـاهر أن ابن الإنسـان لا يكون إلا إنساناً »[3]

بهــــذه الأدلة يبطل ﵀ اعتقــــاد النصــــارى بألوهية المسيح بأقواله هو والتي فصل فيها بين مقام الألوهية ومقام العبودية؛ وهـذه الأدلة وغيرها تسـقط معتقـدهم في عيسى أنه إله وابن إله وبالتالي تسقط معتقدهم في التثليث .

- الأمر الثالث: إبطال استدلالهم بنصوص العهد الجديد على ألوهية المسيح :

ســــبق أن ذكرنا[4] أن ﵀ أبطل معتقد النصــــارى والتثليث وألوهية عيسى معــاً بإبطــال ما عــدوه دليلاً، لأنه من المجمل الذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لا يـــــــدل بحسب معانيها الحقيقية على

---

1 (?) (26/36-40-42) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/749). بتصرف يسير .

3 (?) المرجع السابق: (3/750) .

4 (?) انظر: ص(138) .

مقصـودهم، فاسـتنباط الألوهية منها مجـرد زعم لا يعتد به في مقابل البراهين العقلية القطعية والنصوص العيسوية .

القسم الثـــاني: أقـــوال يفهم تفســـيرها من الأقـــوال النصرانية الأخرى، أو من بعض مواضع الإنجيل، لا اعتبار لرأيهم فيها أيضاً .

القسم الثـالث: أقـوال يجب تأويلها عنـدهم أيضـاً وعند التأويل نقول: يجب أن يكون هذا التأويل غير مخالف للـبراهين والنصوص .

وســـبق أن أشـــرنا إلى أن الشيخ رحمه الله قد خلص إلى نتيجة تحتم التأويل الموافق للبراهين والنصوص لما وجد في نصوص العهدين من المجاز والإجمال[1].

ولقد أبطل الشيخ رحمه الله بعد ســـرده لتلك المقدمـــة، دلالة النصوص التي استدل بها النصارى على ألوهية المسيح والتي هي في المجمل من المتشابه: كـإطلاق لفظ ابن الله عليـه، أو أنه من فوق وليس من هذا العالم، أو ما ورد أن المسيح والأب واحد، أو رؤية المسـيح هي رؤية الله لأنه في الأب والأب فيـه، وبالقياس على هذه الأدلة تبطل غيرها من الـدلائل على ألوهية المسيح.

من تلك الأدلة الـــتي أبطلها الشيخ رحمه الله -والـــتي هي عند النصارى مستند في ألوهية المسيح-:

1- إطلاق الأناجيل على المسيح لفظ: ابن الله:

حيث يســـتدل النصـــارى على ألوهية المســـيح بـــإطلاق الأناجيل عليه لفظ (ابن اللـه) [2]. في عـدة مواضـع، وقد أبطل

---

1 (?) انظر: ص(138-140) .

2 (?) انظر من هذه الاطلاقـات في إنجيل مـتى: (21/37)، وفي

ﭬ هذا الاستدلال من وجهين:

أولهما: أن هـــذا الإطلاق معـــارض بـــإطلاق لفظ (ابن الإنسان) [1] ولفظ (ابن داود) على المسيح، فلا بد من التطبيق للبراهين بحيث لا يلزم منها محال .

وثانيهما: أنه لا يصح أن يكون لفظ الابن بمعنـاه الحقيقي الـذي هو باتفـاق لغـات العـالم: أنه المتولد من نطفة الأبـوين، وهو محـــال هنـــا، فلا بد من الحمل على المعـــنى المجـــازي المناسب لشأن المسيح، فيكون بمعنى: الصالح . [2]

واسـتدل ﭬ على وجـوب تفسـير لفظ (ابن اللـه) بمعـنى الصـالح بما في إنجيل مـرقس « ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: حقاً كان هـذا الإنســان ابن الله »[3] وهو في إنجيل لوقـــا: « فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قـائلاً: بالحقيقة كـان هـذا الإنسـان بـاراً »[4]

فـــورد لفظ (البـــار) عند لوقا بـــدل لفظ (ابن اللـــه) عند مرقس . [5]

وقد استعمل لفظ (ابن الله) في حق الصالح لغير المسيح كما اسـتعمل لفظ (ابن إبليس) في حق الفاسـق، ففي إنجيل

إنجيل لوقـا: (1/32)، (35)، وفي إنجيل يوحنـا: (3/17)، وغيرها كثير .

1 (?) انظر: ص(147)

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/752) .

3 (?) (15/39) .

4 (?) (23/47) .

5 (?) انظر: إظهار الحق: (1/753) .

متى: « (9) طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يــدعون .. (44) وأما أنا فــأقول لكم أحبــوا أعــداءكم. بــاركوا لأعينكم، أحســنوا إلى مبغضــيكم وصــلّوا لأجل الــذين يســيئون إليكم ويطردونكم (45) لكي تكونوا أبنـاء أبيكم الـذي في السـموات »[1] .

فأطلق عيسى على صانعي السـلام والصـالحين العـاملين بما ذكر لفظ (أبنـــاء اللـــه)، وعلى الله لفظ الأب بالنســـبة إليهم[2].

واستشهد الشيخ رحمه الله كـذلك بـالحوار الـذي وقع بين اليهـود والمسيح، ففي إنجيل يوحنـا: « (4) أنتم تعملـون أعمـال أبيكم فقــالوا لـــه: إننا لم نولد من زنـــا، لنا أب واحد وهو الله (42) فقـال لهم يسـوع: لو كـان الله أبـاكم لكنتم تحبونـني ... (44) أنتم من أب وهو إبليس وشـهوات أبيكم تريـدون أن تعملـوا ... لأنه كذاب وأبو الكذاب »[3] .

فلما كذبوا المسيح وأبغضـوه كـان الشـيطان أبـاهم، لأنهم عملــوا بطاعتــه، ويؤيد المعــنى المجــازي لأبــوة الله وأبــوة الشـيطان ما في الرسـالة الأولى ليوحنـا: « كل من هو مولـود من الله لا يفعل خطيـّة »[4] .

ثم اســتدل الشيخ رحمه الله بــإطلاق لفظ (ابن اللــه) على غــير المسيح في مواضع كثيرة من كتب العهدين منها:

---

1 (?) (5/9-44-45) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/753) .

3 (?) (8/41-42-44) .

4 (?) (3/9) .

ما في إنجيل لوقا: « آدم ابن الله »[5] .

وما في سفر الخروج: « فتقول لفرعون هكذا يقول الـرب: إسرائيل ابني البكر »[2].

وما في سفر صموئيل الثاني قـول الله في حق سـليمان « أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً »[3].

وما في سفر التثنية عن بـني إسـرائيل « أنتم أولاد للـرب إلهكم »[4] .

وما في رسالة يوحنا الأولى: « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله »[5] .

2- اسـتدلالهم بما ورد في أنـاجيلهم أن المسـيح من فوق وليس من هذا العالم:

ورد في إنجيل يوحنا قول المسـيح: « فقـال لهم: أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العــالم أما أنا فلست من هذا العالم »[6] .

والمعنى بزعمهم: أن المسيح إله أنزل من عند الأب الذي هو ليس من هذا العالم .

وقد ردّ الشيخ رحمه الله على هذا الدليل من وجهين:

" الأول: أنه مخـــالف للـــبراهين العقلية والنصـــوص، لأن

---

5 (?) (3/38) .

2 (?) (4/22) .

3 (?) (7/14) .

4 (?) (14/1) .

5 (?) (5/1) .

6 (?) (8/23) .

الظاهر أن المسيح كان من هذا العالم، الثاني: أن عيسى
قال مثل هذا القول في حق تلاميذه، ففي إنجيل يوحنا « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضك العالم »[1] .

وفيه أيضاً « (14) والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما إني أنا لست من العالم ...(16) ليسوا من العالم كما أني أنا لست من العالم »[2] .

فقد سوى المسيح بينه وبين تلاميذه في عدم كونهم من هذا العالم، فيلزم على تأويلهم كون التلاميذ آلهة، ولابد من التأويل هنا بأن المسيح ليس من طلاب الدنيا الدنية، بل من طلاب الآخرة ورضوان الله، وكذلك تلاميذه، كما يقال للزهاد مجازاً: إنهم ليسوا من الدنيا »[3] .

3- استدلالهم بما ورد أن المسيح والآب واحد:

ورد في إنجيل يوحنا قول المسيح: « أنا والأب واحد »[4] وهذا بزعمهم يدل على اتحاد المسيح بالله فهو إله مثله .

وقد أبطل الشيخ رحمه الله هذا الاستدلال من وجهين:

« الأول: أن المسيح عندهم أيضاً إنسان ذو نفس ناطقة، وليس بمتحدٍ بهذا الاعتبار، فيحتاجون إلى التأويل فيقولون: كما أنه إنسان كامل فكذلك إله كامل، فبالاعتبار الأول مغاير، وبالاعتبار الثاني متحد، وهذا التأويل باطل[5] .

---

1 (?) (15/19) .

2 (?) (17/14-16) .

3 (?) إظهار الحق: (3/759) بتصرف .

4 (?) (10/30) .

5 (?) يقصد الشيخ: أن النصارى يقولون باتحاد المسيح بالله

الثـاني: أنه ورد مثل هـذا القـول في حق الحـواريين، ففي إنجيل يوحنا قول المسـيح: « (21) « ليكـون الجميع واحـداً ... ليكونوا هم أيضاً واحـداً فينا (22) ليكونـوا واحـداً كما أننا نحن واحد »[1].

فهذه دلالة على اتحادهم بالمسيح، فقد سوى المسيح بينه وبينهم في اتحـادهم باللــه، فـإن قيل اتحــادهم به وبالله ليس حقيقياً، يقال: كذلك اتحاد المسيح بالله ليس حقيقياً .

ولا معـنى للاتحـاد غـير الطاعة والعمل بأحكـام اللـه، لكن اتحاد المسـيح بهـذا المعـنى أقـوى وأشد لكمـال عبوديته لله "[2] .

4- استدلالهم بما ورد في أنــاجيلهم من أن رؤية المسيح رؤية الله لأنه الآب والآب فيه:

ورد في إنجيل يوحنـــا: « (9) الـــذي رآني فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الرب (10) ألست تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ والكلام الـــذي أكلمكم به لست أتكلم به من تلقـــاء نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال »[3] .

فهذا بـزعمهم يـدل على أن المسـيح متحد بالله وأنه إلـه، أليست رؤيته رؤية اللـه؟ أليس هو في الآب والآب فيـه؟ أليس الأب حالاً فيه؟

وقد أبطل الشيخ رحمه الله هذا الاستدلال من وجهين:

باعتبـار لاهوته لا باعتبـار ناسـوته، ولما كـان اسم المسـيح عنـدهم يطلق على اللاهوت والناسوت معاً بطل تأويلهم السابق .

1 (?) (17/21-22) .

2 (?) إظهار الحق: (3/760) بتصرف .

3 (?) (14/9-10) .

))

الأول: لأن رؤية الله ممتنعة عنــــــدهم ويؤولونها بالمعرفـة، ومعرفة المسـيح باعتبـار الجسـمية لا تفيد الاتحـاد، فيقولون: إن المراد المعرفة باعتبار الألوهية .

الثاني: لأنه ورد مثل هـذا القـول في حق التلاميـذ، ففي إنجيل يوحنــا: « في ذلك اليــوم تعلمــون أني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم » [1].

وفيه: « وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » [2].

وفي رسالة بوس إلى أهل أفسس: « إله وأب واحد لكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم »[3].

فلو كان مثل هذا الكلام مشـعراً بـالحلول ومثبتـاً للألوهية للزم كـون الحـواريين وأهل أفسس آلهـة، لكن الأدنى إذا كـان تابعاً للأعلى، كأن يكـون رسـوله أو عبـده أو تلميـذه أو قريبـه، فـــالأمر المنســـوب إلى الأدنى كـــالتعظيم والتحقـــير والمحبة وغيرها ينسب للأعلى مجــــازاً، ألا تــــرى أن المســــيح قــــال للحــــواريين كما في إنجيل مـــتى: « من يقبلكم يقبلـــني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني »[4] .

وقال للتلاميذ السبعين كما في إنجيل لوقا « الـذي يســمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلـني، والـذي يرذلـني يـرذل الذي أرسلني »[5] .

فمعرفة المسـيح بهـذا الاعتبـار بمنزلة معرفة اللــه، وأما

---

1 (?) (14/20) .

2 (?) (17/21) .

3 (?) (4/6) .

4 (?) (10/40) .

5 (?) (10/16) .

حلول الغير في الله أو حلول الله فيـه، وكـذا حلـول الغـير في المسيح أو حلول المسـيح فيـه، فعبـارة عن إطاعة أمرهما كما في الرسالة الأولى ليوحنا « ومن يحفظ وصـاياه يَثبُت فيه وهو فيـه، وبهـذا نعرف أنه يَثبُت فينا من الروح الذي أعطانا »[1]))[2] .

- الأمر الرابع: إبطال استدلالهم على ألوهية المسيح من القرآن الكريم:

يزعم النصارى أنهم يستنبطون من القـرآن ما يـدلهم على ألوهية المسيح، فتارة يستدلون بما ورد في القرآن بأن عيسى (روح من الله) أو أنه (كلمة الله) .

يصور هـذا الاسـتنباط الشيخ رحمه الله في سـرد لمقولة (فنـدر) في كتابه (مفتاح الأسرار) القديم المطبوع سـنة 1843م حيث ذكر قوله تعـالى: [illegible] [التحريم: 12] وقوله تعالى: [illegible] [النساء: 171] .

ثم قال فندر:

« إذا كان المسيح روح الله بحكم هاتين الآيـتين، فلا بد أن يكون في مرتبة الألوهيـة، لأن روح الله لا يكـون أقل من اللـه، لكن بعض المحمـديين يقولـون: إن لفظ الـروح الـذي جـاء في هاتين الآيتين المراد به جبريل الملك، إلا أن هذا القـول منشـأة العـداوة فقـط، لأن ضـمير لفظ (منـه) الـذي في الآية الثانيـة،

---

1 (?) (3/24) .

2 (?) إظهار الحق: (3/761-764) باختصار .

والضمير المتصل في لفظ (روحنا) الــذي في الآية الأولى على حكم قاعدة الصرف[1] لا يرجعان إلى الملك بل إلى الله »[2]

ثم أبطل الشيخ رحمه الله هــذا الاســتدلال من عــدة وجــوه أذكر منها ما يهمنا في هذا الصدد حيث قال:

« -أنه ما قال أحد من علماء الإسلام المعتبرين أن المــراد بلفظ الروح في قوله تعالى (وروح منه) جبريل .

-وأن الآية في ســـورة النســـاء هكـــذا [illegible] [النســاء: 171] ففي هــذه الآية وقع قبل لفظ (روح منــه) هــذا القــول: (يا أهل الكتــاب لا تغلــوا في دينكم ولا تقولــوا على الله إلا الحــق) وهــذا القــول يشــنع على النصـــــارى في غلو اعتقـــــادهم في حق المســـــيح ، ووقع بعد اللفظ المــذكور هــذا القــول: (ولا تقولــوا ثلاثة انتهــوا خــيراً لكم إنما الله إله واحد ســبحانه أن يكــون له ولــد) وهــذا القول يلــومهم في اعتقــاد التثليث، واعتقــاد كــون المســيح ابن الله، ويلوم القرآن على هذه العقيدة في مواضع كثيرة ...

---

[1] (?) رد الشيخ على زعم فندر عدم وجود مثل هذه القاعــدة في علم الصــرف بقوله « ما رأينا قاعــدة من قواعد هــذا العلم يكــون حكمها ما ذكــر، فظهر أنه لا يعــرف أن علم الصــرف أي علم، بل ســمع اسم هــذا العلم فكتب ههنا ليعتقد الجاهل أنه يعــرف العلــوم العربية .

انظر: إظهار الحق: (1/89). باختصار .

[2] (?) نقلاً عن: إظهار الحق: (1/88) .

-أن قوله: (إن روح الله لا يكون أقل من الله) مردود، لأن الله تعالى قال في سورة السجدة في حق آدم :
   [السجدة: 9] وقال في سورة الحجر وسورة ص في حقه أيضاً:
  [الحجر:29] و[ص:72]. فأطلق الله على النفس الناطقة التي كانت لآدم أنها: روحه وروحي . وقـال في سـورة مـريم في حق جبريل:
  [مريم: 17] والمراد بروحنا ههنا: جبريل » [1].

ثم استدل الشيخ رحمه الله من نصوص العهد العـتيق على إطلاق لفظ الروح على النفس الناطقة حيث قال:

« ووقع في الفقــرة الرابعة عشــرة من البــاب الســابع والثلاثين من كتاب حزقيـال، القـول المنسـوب إلى الله تعـالى في خطاب ألـوف من النـاس الـذين أحيـاهم بمعجـزة حزقيـال هكـذا: (وأعطيت روحي فيكم) فـأطلق ههنا أيضـاً على النفس الناطقة الإنسانية أنها روحي، فيلزم أن تكون هؤلاء الآلاف آلهة على تحقيق القســيس[2] بحكم كتــاب حزقيــال، ويكــون آدم وجبريل عليهما السلام إلهين بحكم القرآن .

فالحق أن المراد بـالروح في قوله تعـالى: النفس الناطقة الإنسانية، والمضاف محـذوف، أي: ذو روح منه » [3].

وفي هذه الإضافة يقول ابن القيم:

« أن المضـاف إلى الله سـبحانه نوعـان، صـفات لا تقـوم بأنفسها كالعلم، والقدرة والكلام والسمع والبصر فهـذه إضـافة

---

1 (?) إظهار الحق: (1/89-91). بتصرف يسير .

2 (?) يقصد فندر .

3 (?) إظهار الحق: (1/89-91) .

صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وإرادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه .

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً وتشريفاً يتميز به المضاف عن غيره كبيت الله، وإن كانت البيوت كلها ملكاً له، وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه، لكن هذه إضافة إلى الهيئة تقتضي محبته لها وتكريمه وتشريفه .. وإضافة الروح إليه من هذه الإضافة » [1].

ثم قال في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ : « فأضاف النفخ إلى نفسه وهذا يقتضي المباشرة منه تعالى كما في قوله: ﴿ [illegible] ﴾ » [2].

- الأمر الخامس: إبطال استدلالهم على ألوهية المسيح [illegible] ببعض حالاته، ومعجزاته:

يستدل النصارى على ألوهية المسيح [illegible] ببعض حالاته كأن يكون ولد من غير أب أو أنهم يستدلون ببعض معجزاته على ألوهيته .

يقول الشيخ رحمه الله: « وقد يتمسكون على ألوهيته ببعض حالاته، فيستدلون تارة أنه ولد بلا أب، وهذا الاستدلال ضعيف جداً، لأن العالم حادث بأمره، وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة على زعمهم، وكل مخلوق من السماء

---

[1] (?) ابن القيم: الروح: ص(196)، تحقيق: كمال علي الجمل، مكتبة الإيمان -المنصورة. وانظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح: (3/249) .

[2] (?) ابن القيم: الروح: ص(196) .

والأرض والجمـــاد والنبـــات والحيـــوان وآدم خلق عنـــدهم في أسـبوع واحـد، فجميع الحيوانـات مخلوقة بلا أب وأم، فكل من هذه يشارك المسيح في كونه مخلوقـاً بلا أب ويفـوق عليه في كونه بلا أم، وتتولد أصـــناف من الحشـــرات في كل ســـنة في موسم نزول المطر بلا أب وأم فكيف يكون هذا ســبباً للألوهية .

فلو نظرنا إلى نـوع الإنسـان فـآدم يفـوق عليـه، وكـذلك ملكي صادوق[1] الكاهن الذي هو معاصر إبراهيم : في الفقرة الثالثة من البـاب السـابع من الرسـالة العبرانية حاله هكـذا (بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام ولا نهاية حياة)

فيفـــوق المســـيح في كونه بلا أم، وفي كونه لا بداية له » [2].

أما استدلالهم بمعجزاته فقال:

« وهـــذا ضـــعيف أيضـــاً، لأن من أعظم معجزاته إحيـــاء المــوتى، فمع قطع النظر عن ثبوتــه، وعن أنه يفهم من هــذه الأناجيل المتعارف تكذيبه[3]؛ أقول:

أن عيسى بحسب هذا الإنجيل ما أحيا إلى زمان الصــلب

---

1 (?) ملكي صادوق (ملكي صادق): هو ملك أورشــليم، يظهر أنه كان مؤمناً بين شعب وثني، وكان معاصراً لإبراهيم ، وله الأفضلية على الكهنة الذين تسلسلوا من إبراهيم .

انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(922) .

2 (?) إظهار الحق: (3/765) .

3 (?) لا يفهم من كلام الشـــيخ انكـــاره لهـــذه المعجـــزة الثابتة بالكتاب والسـنه، ولكنه من قبيل الإلـزام وبيـان مغالطـات الأناجيل وحسب.

إلا ثلاثة أشخاص[1] ... وأحيا حزقيال ألوفاً كما هو مصرح في الباب السابع والثلاثين من كتابه، فهو أولى بأن يكون إلهاً.

وأحيا إليا[2] أيضاً ميتاً كما هو مصرح في الباب السابع عشر من سفر الملوك الأول، وأحيا اليسع ميتاً كما هو مصرح في الباب الرابع من سفر الملوك الثاني، وصدرت هذه المعجزة عن اليسع بعد موته: أن ميتاً ألقي في مقبره فحيي بإذن الله كما هو مصرح في الباب الثالث عشر من السفر المذكور، وأبرأ الأبرص من برصه كما هو مصرح في الباب الخامس من السفر المذكور » [3].

فغير عيسى ثبت قيامهم بمعجزات، ولم ينسب إليهم الألوهية .

2- إبطال ألوهية عيسى عقلاً:

سبق أن أشرنا إلى إبطال عقيدة التثليث عقلاً، وفي إبطال ألوهية المسيح عقلاً عند الشيخ رحمه الله ذكر ما يستلزمه القول بألوهيته من المحالات العقلية سواء في معتقدهم بالحلول والاتحاد، أو مخالفته للحس، أو اعتقادهم ألوهيته مع قولهم بصلبه وموته بل ولعنه ودخوله جهنم.

---

1 (?) انظر: إنجيل متى: (9/25)، إنجيل مرقس: (5/42)، إنجيل لوقا: (8/55) و(7/11-17) .

2 (?) يزعم النصارى أنه نبي عظيم عاش في المملكة الشمالية، ومعنى إليا (إلهي يهوه)، تنبأ إيليا بأن الله سيمنع المطر عن بني إسرائيل، وانعزل عن الناس .

قاموس الكتاب المقدس: ص(144) .

3 (?) إظهار الحق: (3/765-766) .

- أولاً: إبطال عقيدة الحلول والاتحاد عند الفرق النصرانية عقلاً:

يبطل الشيخ رحمه الله اعتقـــــاد طوائف النصـــــارى في طبيعة المسيح، فيقول:

« مــذهب اليعقوبية[1] باطل صــريح، لأنه يســتلزم انقلاب القديم بالحادث، والمجرد بالمادي. وأما مذهب غيرهم[2] فيقال في إبطالــه: إن هـذا الاتحـاد إما بـالحلول أو بغـيره، فـإن كـان الأول فهو باطل من وجوه ثلاثة على وفق عدد التثليث:

أما أولاً: فلأن ذلك الحلـول لا يخلـو: إما أن يكـون كحلـول ماء الورد في الورد، والدهن في السمســم، والنــار في الفحم، وهــذا باطــل، لأنه إنما يصح لو كــان أقنــوم الابن جســماً، وهم وافقونا على أنه ليس بجسم، وإما أن يكون كحلـول اللـون في الجسم، وهذا أيضاً باطل، لأن المعقول من هذه التبعية حصول اللون في الحيز لحصول محله في هذا الحــيز، وهـذا أيضــاً مما يتصور في الأجسام، وإما أن يكـون كحلـول الصـفات الإضـافية للــذوات، وهــذا أيضـــاً باطل لأن المعقـــول من هـــذه التبعية الاحتياج، فلو ثبت حلول أقنوم الابن بهذا المعنى في شيء كان محتاجاً، فكان ممكناً، فكـان مفتقـراً إلى المـؤثر وذلك محـال، وإذا ثبت بطلان جميع التقادير امتنع إثباته .

وأما ثانياً: فلأنا لو قطعنا النظر عن معـنى الحلـول نقـول: إن أقنوم الابن لو حل في الجسم، فذلك الحلـول إما أن يكـون على سبيل الوجوب، أو على سبيل الجواز، فلا سبيل للأول لأن ذاته إما أن تكون كافية في اقتضاء هذا الحلول، أو لا تكون.

---

1 (?) راجع ص(212) .

2 (?) من النسطورية والملكانية .

فإن كان الأول؛ استحال توقف ذلك الاقتضاء على حصـول شرط، فيلزم إما حدوث الله، أو قدم المحل، وكلاهما باطل .

وإن كـان الثـاني [أن ذاته لا تكـون كافية في اقتضـاء الحلول]: كان كونه مقتضياً لذلك الحلول أمراً زائداً على ذاتـه، حادثاً فيه، فيلزم من حدوث الحلول حدوث شيء فيه، فيكـون قابلاً للحوادث، وذلك محال لأنه لو كان كذلك [قابلاً للحوادث]؛ لكـانت تلك القابلية من لـوازم ذاته، وكانت حاصلة أزلاً، وذلك محال، لأن وجـود الحـوادث في الأزل محـال، ولا سـبيل إلى الثـاني؛ لأنه على هـذا التقـدير يكـون ذلك الحلـول زائـداً على ذات الأقنوم، فـإذا حل في الجسم وجب أن يحل فيه صـفة محدثـة، وحلولها يستلزم كونه قابلاً للحوادث، وهذا باطل[1].

وأما ثالثاً: فلأن أقنـوم الابن إذا حل في جسم عيسى فلا يخلو أن يكـون باقيـاً في ذات الله أيضـاً أو لا: فـإن كـان الأول لزم أن يوجد الحال الشخصي في محلين، وإن كان الثاني لـزم أن تكون ذات الله خالية عنه فينتفي؛ لأن انتفاء الجزء يسـتلزم انتفـاء الكـل، وإن كـان ذلك الاتحـاد بـدون الحلـول، نقـول: إن أقنـوم الابن إذا اتحد بالمسـيح فهما في حالة اتحـاد: إن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فلا اتحـاد، وإن عـدما حصل ثـالث فهو أيضاً لا يكون اتحاد بل عدم الشيئين وحصول شيء ثـالث، وإن بقي أحـدهما وعـدم الآخر فالمعـدوم يسـتحيل أن يتحد بالموجود؛ لأنه يستحيل أن يقـال: المعـدوم بعينه هو الموجـود، فظهر أن الاتحاد محال »[2]

---

[1] (?) مسألة حلول الحوادث بذات الله سبق تفصـيلها في مبحث الأسماء والصفات: ص(152) .

[2] (?) إظهار الحق: (3/727-29) .

ثم قال:

« ومن قـال: إن الاتحـاد على جهة الظهـور، كظهـور كتابة الخاتم إذا وقع على طين أو شـمع، أو كظهـور صـورة الإنسـان في المرآة[1]، فقوله لا يثبت الاتحـاد الحقيقي بل يثبت التغـاير، لأنه كما أن كتابة الخــاتم الظــاهرة على طين أو شــمع غــير الخاتم وصورة الإنسان في المرآة غير الإنسان؛ فكـذلك يكـون أقنوم الابن غير المسيح ، بل غاية ما يلزم أن يكون ظهـور أثر صفة الأقنوم فيه أكثر من ظهوره في غيره ... »[2]

- ثانياً: إبطال ألوهية المسيح لمخالفته الضرورة الحسية:

لما كـانت فرقة البرتسـتانت تنكر على الكاثوليك اسـتحالة الخـبز إلى المسـيح في العشـاء الربـاني[3] بدلاله الحس، أرجع الشيخ رحمت الله هذا الرد إليهم في دعوى ألوهيته المسيح فقال :

« لأن الــذي رأى المســيح ما رأى منه إلا شخصــاً واحــداً إنسـانياً، وتكـذيب أصـدق الحـواس الـذي هو البصر يفتح بـاب

---

1 (?) وهذا قول اليعقوبية انظر: ص(212) .

2 (?) إظهار الحق: (3/730)

3 (?) العشـاء الربـاني: هو أحد عقائد النصـارى الأساسـية، فهم يعتقـدون أن المسـيح أكله مع تلاميـذه ليله القبض عليه قبيل ذهابه الى بستان جثسيماني، فإنه بعد أن تناول عشـاء الفصح أخذ الخـبز وباركه وقـدم الشـكر لأجله ثم كسـره وأعطـاه للتلاميذ مع الخمـر، ويعتقـدون أن من يأكل هـذا العشـاء في موعد من كل سـنة فإنه الخبز يتحول إلى لحم المسيح في لحومهم، والخمر يتحـول إلى دم المسيح في دمائهم، فيحصل الاشتراك بين النصراني والمسيح .

انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص(100)، (509)، انظر: أبطال الشيخ رحمت الله لهذا المعتقد: إظهار الحق: (3/702-708) .

السفسطة في الضروريات فيكون القول به باطلاً كالقول بالاستحالة .

والجهلاء من النصارى من أية فرقة من فرق أهل التثليث، كانوا قد ضلوا في هذه العقيدة ضلالاً بيناً، ولا يميزون بين الجوهر اللاهوتي، والناسوتي كما يميز بحسب الظاهر علماؤهم، بل يعتقدون ألوهية المسيح باعتبار الجوهر الناسوتي »[1]

وبهذا يكون الشيخ رحمه الله قد أبطل التثليث وألوهية المسيح بدلالة نصوصهم، والعقل، والحس .

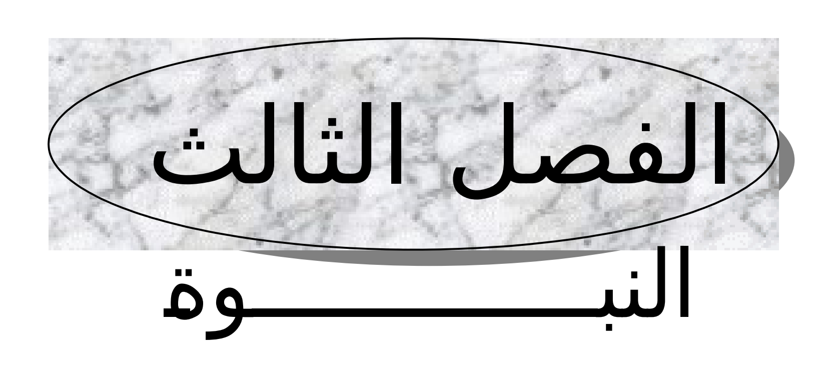
وبذلك يمكننا القول أن العقل بداهة لا يقبل القول بأن المسيح جزء من الذات الإلهية، ولا يسعه إلا التصديق بأنه بشر والدلائل والبراهين التي تثبت هذا الأمر كثيرة، وما قام به الشيخ رحمه الله من إيراد الأدلة والبراهين، لا يزيد العقل إلا يقيناً بأن عيسى بشر، وهو عبدالله ورسوله.

لقد قام الشيخ باستخدام كافة العمليات العقلية؛ من وصف وتحليل وتفسير للبيانات، لإثبات الغاية من دراسته هذه، وهي إبطال ألوهية المسيح وإثبات بشريته.



---

1 (?) إظهار الحق: (3/730) .



النبـــــــــوة

وفيه خمســة مباحــث **: -**

- المبحث الأول : **إثبات بعثــة الرسـل**.
- المبحث الثاني : **الرد على مطاعن أهل الكتاب في الأنبياء السابقين**.
- المبحث الثالث : **إثبات نبوة محمد ﷺ**.
- المبحث الرابع : **الرد على شبهات المنكرين نبوة محمد ﷺ**.
- المبحث الخامس : **إثبــات المعجــزات**.

تمهيــد

أولاً: تعريف النبوة والرسالة:

النبي على وزن فعيل، مأخوذ إما: من النبـأ، أو من النبـوة، فــإن أخذ من النبأ وهو الخــبر[1]. وفعيل يــأتي بمعــنى فاعــل، وبمعنى مفعول.

فمن حيث أنه ينبئ غيره المرسَـل إليهم بوحيه تعـالى فهو منـبئ بمعـنى فاعـل، ومن حيث أنه ينبأ من الله تعـالى بمعـنى مفعول، لقوله تعالى:

[illegible]

[التحريم: 3].

وإن أخذ من النبــوة وهي كل ما علا و ارتفع في الأرض[2]؛ فــذاك لعلو مكانته وســمو مرتبته وشــرف مقامه على ســائر الخلق، فمكانته في القمة تشبه النبوة فيما حولها.

أما الرَّسْــل: التتــابع[3]، لقــولهم جــاءت الإبل رســلاً، أي: متتابعة فيكون الرسول المبعـوث الـذي يتـابع أخبـار الـذي بعثه بالحق لإبلاغها للناس، ومفهوم الرسالة: « هي مخاطبة النــاس باسم الله الخالق الحكيم القادر، والتبليغ عنه وأخبـارهم بكلامه وتعاليمه بلســان شــخص يختــاره الله تعــالى ســبحانه من بين عبـاده يعيه صـدره بواسـطة أمر غـير عـادي ويتلقـاه بواسـطة

---

1 (?) ابن منظور: لسان العرب: (11/284) .

2 (?) المرجع السابق: (1/162) .

3 (?) ابن منظور: لسان العرب: (11/284) .

الوحي »[1].

وتعرف أيضاً بأنها: « سـفارة بين الله وبين ذوي العقــول، لإراحة عللهم في أمر معـادهم ومعاشهم » [2].

وهنـاك اختلاف حـول الفـارق بين مفهـوم النبـوة ومفهـوم الرسالة، أقربها إلى التحديد والوضوح هو: « الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله » [3].

لــذا فــإن « النــبي من أمــره الله أن يــدعو إلى شــريعة سابقة، دون أن ينزل عليه كتاباً أو يوحى إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ.

وأما الرســـول فهو من بعثه الله إلى قـــوم وأنـــزل عليه كتاب، أو لم ينزل عليه كتاباً، لكن أوحي إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله. وعلى هذا فكل رسول نبي ولا عكس »[4].

ثانياً: التعريف بركن الإيمان بالأنبياء والرسل:

الإيمــان بالأنبيــاء والرسل من أركــان الإيمــان، ومعنــاه:

---

1 (?) عبدالله نعمـه: عقيـدتنا في الخـالق والنبـوة واليـوم الآخـر، ص(263)، بدون .

2 (?) مجد الـدين محمد بن يعقـوب الفـيروز ابـادي: بصـائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (5/5)، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان .

3 (?) أبو الفضل شهاب الـدين الألوسـي: تفسـير روح المعـاني (7/157)، طبع بمطبعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي- بيروت - لبنان.

4 (?) عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعـة: علم التوحيـد. ص(95).ط1، 1409هـ، 1989م، نشر المؤلف.

الإيمان بأن الله أرسل رسلاً من البشر يمتلكون من طبائع البشر وخصائصهم غاية الكمال البشري في أرقى صوره، طهارة في القلب وزكاة في الأخلاق، يأكلون ويشربون، ويمشون في الأسواق ويجلسون وينامون، ويتعرضون للأذى والاضطهاد ويتعرضون للمرض والموت، إما قتلاً وإما غير ذلك، وقد جعل الله تعالى جميع الرسل صلوات الله تعالى عليهم، من الرجال، فلم تكلف أي أنثى بالتبليغ.

قال تعالى: [الأنبياء: 7].

ولا يمتلك الأنبياء والرسل من خصائص الله شيئاً، فلا يملكون النفع والضر، أو التصرف في الكون، ولا الاطلاع على الغيب إلا لمن أذن له الله بذلك، لقوله تعالى: [الأعراف: 188].

وقال تعالى: [الجن:27].

كما أنهم لا يملكون من خصائص الملائكة شيئاً، ويتميزون بالوحي بالرسالة إليهم، دون البشر فيهيئهم الله بذلك تهيئة خاصة بمزايا وفضائل، وقدرات، تؤهل بعضهم لسماع كلام الله تعالى، وبعضهم للاتصال بالملائكة ورؤيتهم والأخذ عنهم، كما خصهم بفضائل وأخلاق تؤهلهم لحمل أعباء الرسالة كي يكونوا قدوة للناس الذين يقتدي بهم في أمور الدين والدنيا لذا يجب علينا الإيمان بعصمتهم عن أي نقيصة تقدح في طاعتهم لله تعالى أو قدراتهم على تبليغ دعوة الله .

قال تعالى:

[الأنعام: 90].

كما يجب الإيمان بـأن الله كملهم بصـفات خلقية عظيمة وجليلة من الأمانة، والصـدق والفطانـة، وغـير ذلك من الأخلاق اللازمة التي تستوجبها الشرع والعقل للقيام بمسؤولياتهم التي أناطها الله تعالى بهم.

وقد بعث الله جميع الرسل والأنبيـــاء لغاية واحــــدة هي توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصـفاته والـدعوة إلى عبادته وإقامة دينه، قال تعالى: [الأنبياء: 25].

وقال تعالى: [النحل: 36].

كما بعثهم مبشـرين ومنـذرين للخلـق، مبشـرين بجنة الله ورضوانه إن آمنوا به وأطاعوه، ومنذرين بالنار وغضب الله، إن كفروا به وعصوه.

وقد قص الله علينا أســـماء البعض من الرسل والبعض الآخر لم يقصهم علينا.

قال تعالى: [غافر: 78].

فيجب علينا الإيمـــان بهم جملة وتفصـــيلاً، لا يجـــوز لنا أن نطلق القول برسـالة أو نبـوة أحد من البشر ما دام القـرآن لم يذكره في عداد الأنبياء الرسل ولم يخبرنا به رسول الله .

كما نـؤمن أن الله فضل بعض هـؤلاء الرسل على بعض، لقوله تعالى: [البقرة: 253].

وأفضـلهم أولـوا العـزم من الرسل وهم: نـوح، إبـراهيم، موسـى، عيسـى، محمد عليهم صـلوات الله وسـلامه أجمعين، وأفضل الخلق على الإطلاق محمد .

ويجب الإيمـان بـأن رسـول الله خـاتم الأنبيـاء والرسل لقوله تعالى: [الأحزاب: 40].

فلا نبوة بعده ، وكل من ادعى ذلك فهو كاذب، فإن خاتم النبـــيين محمد بعثه الله إلى كافة الخلق أنســـهم وجنهم بالحق والهـدى قـال تعـالى: [سبأ: 28].

وقد حكى سبحانه قول الجن: [الأحقاف: 31].

وقد أيـده الله بـالمعجزات الدالة على صـدقه في كل ما أخبر عنه، وأعظمها معجزة القرآن الكريم الذي تحدى به جميع العالمين عن الإتيـان بمثله أو بعشر سـور منه أو بسـورة منـه، قال تعالى: [البقرة: 23].

فيجب علينا طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.



المبحث الأول :
إثبات بعثــة الرسـل

المطلب الأول: منهج الشـــيخ في إثبـــات إرسال الرسل:

يعد الشيخ رحمه الله إرســـال الرسل من الأمـــور الثابتة عقلاً، والتي يتوقف ثبوت النقل عليها يقول:

« إن ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصـانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلاً للرسل، وثبوتها بالدلائل العقلية »[1].

وهو في ذلك مواقف للأشاعرة والماتريدية؛ الذين قسـموا العقائد إلى إلهيات ونبوات يستقل العقل بإثباتها وإلى سمعيات لا يستقل العقل بإثباتها ولا تدرك إلا بالسمع[2].

والصحيح في إثباتها إنها شرعية عقلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلــك: « اعلم أن عامة مســائل أصــول الــدين الكبــار مثل الإقــرار بوجــود الله وبوحدانيتــه، وعلمه وقدرتــه، ومشيئته وعظمته والإقرار بالثواب وبرسالة محمد ﷺ وغــير ذلك مما يعلم بالعقل، قد دل الشارع على أدلته العقلية.

وهذه الأصـول الـتي يسـميها أهل الكلام عقليـات، وهي ما تعلم بالعقل فإنها تعلم بالشـرع، لا أعـني بمجـرد إخبـاره، فـإن

---

1 (?) إظهار الحق: (3/ 733).

2 (?) انظـر: الحواشي البهية على العقائد النسـفية: (1/23)، ط عـام (1328هــ) مطبعة كردسـتان العلميـة، القـاهرة، والجويـني: الإرشــاد: (301-302)، الغــزالي: الاقتصــاد في الاعتقــاد (132-137)، والجرجاني: شرح المواقف: (1/51-58).

ذلك لا يفيد العلم إلا بعد العلم بصـدق المخـبر، فـالعلم بها من هـذا الوجه موقـوف على ما يعلم بالعقل من الإقـرار بالربوبية والرسالة، وإنما أعني بدلالته وهدايته.

... وما دل الشـارع عليه ينتظم جميع ما يحتـاج إلى علمه بالعقل، وجميع الأدلة والبراهين وأصول الدين ومسائل العقائد.

بل قد تدبرت عامة ما يـذكره المتفلسـفة والمتكلمين من الـدلائل العقلية فوجـدت دلائل الكتـاب والسـنة تـأتي بخلاصـته صافية من الكدر.وتأتي بأشياء لم يهتدوا إليهـا، وتحـذف ما وقع منهم من الشبهات والأباطيل مع كثرتها واضطرابها »[1].



1 (?) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: (19/230-232).

المطلب الثـــاني: منهج الشـــيخ رحمت الله في إثبات الوحي:

أولاً: تعريف الوحي:

يدور المعنى اللغوي للـوحي على ثلاثة أصـول هي: الإعلام والسـرعة والخفـاء. قـال ابن منظـور[1]: « الـوحي: الإشـارة، والرســـــالة، والإلهـــــام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك»[2].

ونقل عن الكسائي[3] قوله: « وحيت إليه بالكلام أحي إليه، وأوحيت إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه عن غيره »[4].

---

1 (?) محمد بن مكـرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حقبة بن منظور الأفريقي الأنصاري المصـري، جمـال الـدين أبو الفضـل، أديب لغـوي نـاظم نـاثر مشـارك في العلـوم، ولد في مصر وقيـل: بطرابلس العربي سنة (630هــ)، وتـوفي بمصر سـنة 711هــ، من آثاره: مختار الأغاني في الأخبار والتهـاني، ولسـان العـرب، وأخبـار أبي نواس.

انظــر: عمر رضا كحالــة: معجم المــؤلفين: (3/731)، الــزركلي: الأعلام: (7/108).

2 (?) ابن منظور: لسان العرب: (15/379-380).

3 (?) هو علي بن حمـزة بن عبدالله الأسـدي الكـوفي المعـروف بالكسائي (أبو الحسن) شيخ القراء والعربية، من تصانيفه: ''معاني القرآن'' وكتاب ''النوادر الكبير'' ''وقصص الأنبيـاء'' . تـوفي سـنة (189هـ) عن سبعين سنة.انظر: سـير أعلام النبلاء: (9/131-134)، عمر كحالة: معجم المؤلفين: (2/436).

4 (?) لسان العرب: (15/379).

وفي تهذيب اللغة « أصل الوحي في اللغة كلها: إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحياً »[1].

وفي الصحاح: « الـوحي على فعيـل: السـريع: ويقـال الوحى، الوحى، يعني: البدار البـدار، وتـوح يا هـذا: أي أسـرع ، وتوحاه توحية:، أي عجلة »[2].

أما الـــوحي في الشــــرع، فمن أجمع ما قيل في تعريف الوحي ما نقل عن الإمام الزهري[3] في تفسيره لقوله تعالى: [illegible] [الشورى: 51].

حيث قال: « نـزلت هـذه الآية تعم من أوحى الله إليه من البشـــر، فكلام الله الـــذي كلم به موسى من وراء حجـــاب، والوحي ما يوحي الله إلى نبي من أنبيائه عليهم السـلام، ليثبت الله [illegible]ما أراد من وحيه في قلب النـــبي وليكتبـــه،وهو كلام الله ووحيـه، ومنه ما يكـون بين الله وبين رسـله ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد، ولا يأمرون بكتابته، ولكنهم يحـدثون به النـاس حـديثاً ويبينونه لهم، لأن الله أمـرهم أن يـبينوه للنـاس ويبلغوهم إياه.

ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممن اصـطفاه من

---

1 (?) الأزهري: تهـذيب اللغـة، (5/296)ت: عبد السـلام هـارون، طبعه عام 1384هـ-1964م، المؤسسة المصرية العامة للتـأليف - مصر.

2 (?) الجوهري: (6/2520).

3 (?) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب الزهري، الإمام الحجة الحافظ الفقيه ولد سنة (50هـ) وتوفي سنة (125هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء: (5/326)، والزركلي: الأعلام: (7/97).

ملائكته فيكلمون به أنبياءه من النـاس، ومن الـوحي ما يرسل الله به من يشاء من الملائكة فيوحيه وحيـاً في قلب من يشـاء من رسله» [1].

ثانياً: المنكرون للوحي وشبهاتهم:

الـوحي حقيقة غيبية لا يطلع عليها مع العصـمة واليقين أنه من عند الله تعالى إلا الأنبياء. وذلك لا يعني عـدم إمكـان إثباته بطريق الاســتدلال العقلي. بل يمكننا إثباته بطريق الاســتدلال العقلي.

وأساس ذلك أن نمـيز بين النـبي الصـادق ومـدعي النبـوة الكاذب بالدلائل العقلية القاطعة، وإذا ثبتت نبوة النبي الصـادق ثبت تبعاً لذلك أنه يوحى إليه، إذ لا تكـون النبـوة إلا بـوحي من الله تعالى بخلاف المتنبي الكاذب الذي لا يمكن الاستدلال على صدق دعواه بدليل عقلي أصلاً.

وشــبهات المنكــرين للــوحي تختلف بحسب مســتندهم وعلتهم في الإنكار.

1-فهناك الماديون اللذين لا يؤمنون إلا بالواقع الحســوس، فلا يمكن وجود فكرة -عندهم-ليس لها أصل حسي. والــوحي -عندهم- ليس له أصل حسي فهو ادعاء زائف لا حقيقة له[2].

والرد على هؤلاء إنما يكون بإثبات إمكـان الـوحي. وطريق ذلك إثبات وقوع الوحي من جهة الدلائل العقلية القاطعـة، وإذا صح وقوعه انتفى القول بعدم إمكانه.

2-وهناك من ينكر الوحي من باب تكـذيب النـبي ابتـداءً،

---

1 (?) مجموع فتاوى ابن تيمية: (12/397).

2 (?) انظر: عادل ظـاهر: الأسس الفلسـفية للعلمانية ص(294) وما بعدها ط3، 1401هـ-1981م، دار الساقي- بيروت

والزعم بأن ما جاء به ليس وحيـاً من عند الله تعـالى، وإنما هو إفـتراء من عنـده، أو أنه تعلمه من غـيره[1] ، ونـرد على هـؤلاء بإثبات نبوة محمد بالدلائل العقلية القطعية، فإذا ثبت أنه نـبي فلا بد أن يكـون خـبره عن وحي الله إليه حقـاً وصـدقاً، لأنه لا يمكن أن يفترى الوحي على الله تعالى مع ثبوت نبوته.

3-وهناك أيضاً من ينكر الـوحي بـدعوى عـدم التميـيز بين الــوحي الحق من الله تعــالى إلى أنبيائه وبين بعض الظــواهر البشـرية الـتي تحصل لغـير الأنبيـاء، فيـدعون أن الـوحي ليس إلهياً بل هو مجرد وحي نفسي لا حقيقة له[2]. ونرد على هـؤلاء ببيان البون الشاسع بين الوحي وتلك الظواهر بالـدلائل العقلية على نبوة الأنبياء، واختلاف مضـمون الـوحي عن مضـمون تلك الظواهر. وإذا تميز الوحي الإلهي عن غيره انتفى القـول بعـدم إمكانه أيضاً.

4-وهنـاك من ينكر حقيقة الـوحي وذلك بتفسـيره تفسـيراً إشـــراقياً بحيث لا تثبت له الحقيقة المعلومة بالضـــرورة من نصوص الكتاب والسنة.

وهــذا التصــور الأخــير للــوحي هو ما يهمنا في دراســتنا، لارتباطه بطريقة الشيخ رحمه الله في الــرد على الملاحــدة والبراهمة الذين ينكرون النبوة، فقال:

« نزول الوحي بواسطة الملك المصور بصورة المحسوس وســـــــــــماع الكلام منه لا يســـــــــــتنكر عقلاً

---

[1] (?) انظر: د/ أكرم العمري: السيرة النبوية الصـحيحة (1/165) ط5، 1413هـ 1993م، مكتبة العلـوم والحكم- المدينة المنـورة، ومحمد رشـــيد رضـــا: الـــوحي المحمـــدي ص(95)، ط9، 1399،1979م المكتب الإسلامي- بيروت.

[2] (?) انظر: محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي: (107-109).

[وأما نقلاً، فلا مجال لإنكاره، ولا استبعاده بحسبه، لأن الملائكة باعتبارها أجساماً لطيفةً تظهر في صورة مختلفة وتقــوى على أفعــال شــاقة] [1]؛ لأن رؤية الملائكة والســماع منهم، وإن لم يكونا متصورين على ظاهر كلام الفلاسفة، لأنهم عندهم عبـارة عن ذوات مجــردة دون الأجســام، ولكن معــنى كــون الملك مصوراً بصورة المحسوس، وسماع الكلام منه عندهم؛ على ما هو مشـــروح في كتبهم، أن القـــوة المتخيلة تكسو المعقـــول المرتسم لباس المحسوس وتنقشه في الحس المشـترك على نحو انتقاش المحسوسات فيه من خارج، ولذلك يرى النائم في بعض الأوقات أن شخصـاً يكلمه بكلام منظـوم دال على معـان صادقة .

والنــبي تكــون نفسه متجــردة عن الشــواغل البدنية لقلة التفافها إلى عالم الحس، وتنجذب بالسهولة إلى عالم القــدس لشدة اتصالها به، وتكـون قوته المتخيلة في غاية الشـدة، قوية التلقي من عالم الغيب، قليلة الانغماس في جانب الظـاهر، ولا تعصيها المصورة، ولا تشغلها المحسوسات عن أفعالها الخاصة .

فــإذا انجــذبت نفسه إلى عــالم القــدس واتصــلت به في يقظتــه، شــاهدت المعقــول كمشــاهدة المحسوســات، فتمثل العقول المجردة، سيما العقل العاشر الذي له زيادة اختصــاص بعـالم العناصر في حسه المشـترك صـوراً وأشـباحاً يخاطبونه ويســمعونه كلامــاً منظومــاً دالاً على معــانٍ مطابقة للواقــع، يحفظ ويتلى، ويكــون ذلك من قبل الله وملائكتــه، ففيه تخيل صــورة الموجــود لا تخيل ما لا وجــود له أصــلاً كما للمرضى

---

[1] (?) ما بين القوســين من كلام الشــيخ رحمت الله الهنــدي في هامش التنبيهات ص(49).

والمجانين، ففي الصورتين فرق ما، وربما صار ذلك الانجذاب والاتصال صفة راسخة له، فيحصل ذلك الانجذاب وما يترتب عليه من المشاهدة بأدنى توجه منه »[1].

فيتضح لنا من كلام الشيخ رحمه الله بيان لطريقة الفلاسفة في إثبات الوحي، ولا شك أن هذه الطريقة لا تثبت الحقيقة المعلومة بالضرورة للوحي من نصوص الكتاب والسنة.

بالإضافة إلى استلزامها أن يكون الوحي معرفة مكتسبة تحصل لمن طلبها بشروطها.

وفيما يلي تفصيل هذه الدعوى ومن قال بها مع الرد عليها:

أشهر من ادعى هذه الدعوى من الفلاسفة الفارابي[2]
وابن سينا[3]، وتابعهم على ذلك فلاسفة التصوف[4] الإشراقي.

---

[1] (?) المرجع السابق: (49-51).

[2] (?) الفارابي : محمد بن أحمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي أبو النصر ويلقب بالمعلم الثاني، حكيم ، رياضي، طبيب، موسيقي، عارف باللغات ولد في فاراب سنة (260هـ) - وتوفي في دمشق سنة (339هـ) من مؤلفاته: آراء أهل المدينة الفاضلة، المدخل إلى علم المنطق، تحصيل السعادة ، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: (15/416)، وكحالة: معجم المؤلفين: (3/628).

[3] (?) ابن سينا: الحسن بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا: البلخي، يلقب بالشيخ الرئيس، فيلسوف ، طبيب، شاعر، مشارك في أنواع العلوم، من تصانيفه الكثيرة: القانون في الطب، الموجز الكبير في المنطق، كتاب الشفا، وكتاب النجاة. توفي بمهدان سنة (428هـ) ، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: (17/531)، كحالة: معجم المؤلفين: (1/618).

ويرتبط موقف الفـــارابي وابن ســـينا من النبـــوة وكونها مكتســبة، بنظرية الفيض والصــدور الــتي يفســرون بها العلاقة بين الله تعالى والعالم، حيث ينفون أن يكون وجود الموجودات متعلقاً بإرادة الله تعـالى، ويفسـرون وجودها تفسـيراً طبيعيـاً، وأنها تصـــدر عن الله بطريق الفيض والضـــروري والإيجـــاب الذاتي. فالعلاقة بين الله تعالى والعـالم هي عنـدهم علاقة علة بمعلولها، لا علاقة بخلقه وفاعل بفعله.

وقد ظنوا أن القول بإثبات الإرادة لله ينـافي كمالـه، حيث قاسوا فعل الله على فعل العبد، وقـالوا إن العبد لا يفعل إلا ما يكمل به نقصه، فليزم عنـدهم إذا كـان وجـود الموجـودات عن الله تعـــالى بطريق الخلق أن يكـــون ذلك من الكمـــال الـــذي يستلزم انتفاؤه النقص ، لأن كماله تعالى تحقيق بغيره[1].

وإذا انتفى أن يكـــون وجـــود الموجـــودات عن الله بطريق الخلق، فلم يبق إلا القول بالوجود اللازم للذات، وهذا هو معنى صــدور الموجــودات عن الله بطريق الفيض. فالله عنــدهم هو (فاعل الكل بمعـنى: أنه الموجـود الـذي يفيض عنه كل وجـود فيضاً تاماً مبايناً لذاته) [2].

وحتى يتجاوزوا إشكالية صدور ما هو مادي وهو العالم عن نقيضه الـــذي هو العقل المحض -الله تعـــالى- مع قـــولهم أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد؛ اخترعوا فكـرة العقـول العشـرة، وهي الوســائط الطبيعية بين الله والعــالم، وآخر تلك العقــول

---

1 (?) انظـر: الفـارابي آراء المدينة الفاضـلة ص(77) وما بعـدها، المكتبة الأزهرية للتراث -مصر.، ابن سينا: الإشارات والتنبيهــات: (151-3/150).تحقيق دسليمان دنيا، ط3، دار المعارف- مصر.

2 (?) ابن ســينا: النجـاة (2/134) ط1، 1412هــ- 1992م، دار الجيل - بيروت.

العشرة هو الذي يسمونه العقل الفعال؛ الذي يعدونه الواسطة بين العقليات والماديات[1].

المهم هنا هو بيان العلاقة بين العقل الفعـال الـذي هو آخر العقول العشرة عندهم وبين العقل الإنساني، وكيف يمكن عند من يقـــول بنظرية الفيض أن يتصل الإنســـان بالعقل الفعـــال ويتلقى عنه وهذا هو المقصود في هذه المسألة.

الفـــارابي وابن ســـينا يجعلـــون للعقل ثلاث مـــراتب هي: العقل الهيولاني أو العقل بالقوة، وهو الاستعداد لانتزاع ماهيات الأشـــياء دون موادهـــا، وبعـــده العقل بالفعل وهو نفس العقل الهيـــولاني وقد حصـــلت فيه الماهيـــات المعقولـــة، ثم العقل المســتفاد، وهو العقل بالفعل لكن في حــال تلقيه للمعقــولات عن العقل الفعال[2].

والمرتبة الثالثة هي أعلى المراتب التي يمكن الإنســان أن يصل إليها، وهي عندهم مرتبة الـوحي، ولا تكـون إلا لفيلسـوف أو نبي، فإذا تحققت لإنسان (كان هذا الإنسان هو الـذي يـوحى إليه، فيكون الله يوحي إليه بتوسط العقل الفعال، فيكــون ما يفيض من الله تبـارك وتعـالى إلى العقل الفعـال يفيض العقل الفعـــال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المســـتفاد، ثم إلى قوته المخيلة فيكــون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيمــاً فيلســـــوفاً متعقلاً على التمـــــام، وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلــة، نبيــاً منــذراً بما ســيكون، ومخــبراً بما هو الآن من

---

1 (?) انظر: الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة: (77)، وفـاروق الدسوقي: القضاء والقدر في الإسلام (3/345-362).دار الدعوة - مصر.

2 (?) انظر: الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضـلة ص(192-193)، وابن سينا: النجاة: (2/132).

الجزئيات بوجود يعقل فيه الإلهي، وهـذا الإنسـان هو في أكمل مـراتب الإنسـانية، وفي أعلى درجـات السـعادة، وتكـون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال على الوجه الذي قلنا) [1].

ويتفق ابن سينا مع الفـارابي في جـوهر نظريته في كلامه السابق عن كيفية التلقي عن العقل الفعال، وإن كان ابن سينا لا يمـيز بين الفيلسـوف والنـبي كما فعل الفـارابي الـذي جعل مرتبة الفيلسوف أعلى من مرتبة النبي، أما ابن سينا فيرى أن الاتصال بالعقل الفعال مرتبة واحدة، تحصل بواسطة ما يسميه القوة القدسية، التي هي عنده قوة الحدس.

يقول ابن سـينا في ذلـك: « أن يكـون شـخص من النـاس مؤيد النفس لشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية إلى أن يشتغل حدساً، أعني قبـولاً لها من العقل الفعـال، إما دفعة وإما قريباً من دفعة ارتساماً لا تقليداً، بل بترتيب يشـتمل على الحـدود الوسـطى... وهـذا ضـرب من النبـوة، بل أعلى قـوى النبوة والأولى أن تسمى هذه القوة قدسية، وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية»[2].

وإذا كـانت عند الفـارابي وابن سـينا هي الاتصـال بالعقل الفعال، كان ذلك بطريق الفيض الضروري اللازم له لذاته، فإنه لا يمكن أن ينقطع ذلك الفيض بل هو مسـتمر، لتوقف حصـوله على مجرد وجود العقل الفعال، فيكون الوحي الـذي هو مجـرد الاتصال بالعقل الفعـال متوقفـاً على مجـرد اسـتعداد الإنسـان وبلوغه مرتبة العقل المســــــتفاد، لا على أمر يتعلق بالعقل

---

1 (?) الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة: ص(193).

2 (?) ابن سينا: الشفاء (الطبيعيات- النفس) : ص(219)، ت: د/ جــورج قنــواتي وســعيد زايــد.ط عــام 1395هـــ 1975م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الفعال لأنه كما يقـول ابن سـينا « ليس مما يغيب ويحضـر، بل هو حاضر بنفســه، إنما نغيب نحن عنه بالإقبــال على الأمــور الأخرى، فمتى شئنا حضرناه »[1].

ومقتضى ذلك أن النبــوة مكتســبة، لأن الاتصــال بالعقل الفعال ليس مقصوراً على شخص بعينه اختـاره الله واصـطفاه ليكـون نبيـاً، وإنما يتوقف ذلك على اسـتعداد الإنسـان وبلوغه مرتبة العقل المســـتفاد؛ والعقل الفعـــال دائم الفيض يمكن الاتصال به لكل من طلبه، فلا يكون من العقل الفعال اصطفاء لبعض الناس دون بعض، مع اسـتوائهم في الاسـتعداد والتهيـوء للاتصال به، لأن ذلك يتناقض مع مبدأ الفيض الثـابت لـه، وعلى هذا تكون النبـوة مرتبة يمكن بلوغها بالكسب والاسـتعداد ومن لم يصل إلى تلك المرتبة فإما لعدم تحقيقه لشـروطها فحسب . وهــذا صــريح في كلامهم بل إنهم يســتدلون على إمكــان اكتساب الوحي بأدلة خاصة عندهم[2].

ولا شك أن مجرد تصـور ما قـالوه كافيـاً في العلم ببطلان دعــواهم بلإضــافة إلى بطلانها لمناقضــتها للقواطع الشــرعية والعقلية، ولكن مع هـذا لابد من بيـان بطلان الـتزامهم بـالقول باكتساب النبوة لقيامه على أساسين باطلين:

أحــدهما: يتعلق بالجــانب الوجــودي وهو القــول بنظرية الفيض.

والآخر: بتعلق بالجانب النفسي وهو القول بإمكان تصفية

---

1 (?) ابن سينا: التعليقـات على حواشي كتـاب النفس لأرسـطو، نقلاً عن ارسـطوا عند العـرب لعبد الـرحمن بـدوي، ص(95).ط2، 1978م، وكالة المطبوعات، الكويت.

2 (?) انظــر: الفــارابي: آراء أهل المدينة الفاضــلة (169-179)، وابن سينا: الإشارات والتبيهات (4/121-144).

النفس حتى يفيض عليها الوحي.

فأما الأساس الأول وهو تفسيرهم لوجود الموجودات وفق نظرية الفيض، فإنما يستند إلى ظنهم أن نسبة الأفعال الاختيارية إلى الله تعالى يتنافى مع كماله، فنفوا أن يكون وجود الموجودات متحققاً بطريق الخلق، والتزموا نتيجة لذلك القول بالإيجاب الذاتي الذي هو حقيقة الفيض، ثم التزموا بعد ذلك القول بالعقول العشرة، بناء على أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد.

ويرتبط قولهم بأن اتصاف الله بالأفعال الاختيارية يتنافى مع كماله بمسألة تعليل أفعال الله تعالى، وهي مسألة عظيمة حارت فيها أفهام كثير من الناس، ولأجلها التزم الفارابي وابن سينا القول بنظرية الفيض والصدور الطبيعي، كما التزم الأشاعرة لأصل هذه الشبهة القول بأن الله يفعل لمحض المشيئة لا لحكمة ولا لعلة[1]، وذهب المعتزلة والماتريدية إلى القول بتعليل أفعال الله تعالى، لكن لأمر يعود إلى المخلوق وحده لا إلى الخالق، لزعمهم أن ذلك يتنافى مع كماله تعالى، فاتفقوا مع الفلاسفة والأشاعرة في القول بأصل الشبهة[2].

وأما أهل السنة فأثبتوا التعليل في أفعال الله تعالى وقالوا: إن الله لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، وأن ذلك كما يكون لأمر يعود إلى المخلوق فإنه كذلك لأمر يعود إلى الخالق وأن ذلك لا يتنافى مع كماله تعالى[3].

---

1 (?) انظر: الباقلاني: التمهيد: (50-53)، والجرجاني: شرح المواقف: (8/266-267).

2 (?) انظر: القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد، (11/91)، والماتريدي: التوحيد، (217).

3 (?) انظر: ابن القيم شفاء العليل (336-231).

وقول هؤلاء: إنه يلزم من إضافة الفعل إلى الله أن يكــون مستكملاً بذلك؛ معلـوم البطلان بالضـرورة، لأن فعله تعـالى « إنما حصل بقدرته ومشيئته لا شريك له في ذلـك، فلم يكن في ذلك محتاجاً إلى غيره، وإذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتــاج فيه إلى غيره، كان كما لو قيل كمل بصفاته أو كمال بذاته »[1].

وأما ما رتبـوه على ذلك من القـول بنظرية الفيض فقـول متنـــاقض في نفســـه، إذ إنهم إذا قـــالوا إن الله عقل محض. بمعـنى: أنه ليس له وجـود محسـوس، ثم قـالوا بعد ذلـك: إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحـد، وأن الموجـودات وجـدت بطريق الإيجاب الذاتي، لم يمكنهم مع ذلك إثبـات الوجـود المحسـوس للموجـودات إذا كـانت صـادرة عنه حقيقة إذ إنها حينئذ لا بد أن تكون متفقة معه بحيث تكون طبيعته وطبيعتها واحــدة، وإذا لم يمكن أن يكــون هو محسوســاً لم يمكن أيضــاً أن تكــون هي محسوسة أيضاً.

وأما قـــولهم: إن الإنســـان يمكن أن يبلغ مرتبة النبـــوة بنفســـه، وأن يتلقى الــوحي لمجــرد اكتســـابه، فمما ينـــاقض المعلوم من الـدين بالضـرورة وإن الله يختص بـالوحي والنبـوة من يشـــاء من عبـــاده، وأنه ليس لأحد ســـبيل إلى بلـــوغ تلك المرتبة باكتسابه، بل هي محض فضل من الله تعـالى، لكن إذا علم أن قـولهم بنظرية الفيض الـتي هي أسـاس هـذا القـول باطلة لزم أن يكون هذا القول باطلاً.

وبهـــذا يتـــبين لنا خطأ من فسر النبـــوة أو أثبتها بطريق الإشــراق أو الفيض الأمر الــذي نقله الشــيخ كطريقة لإثبــات النبوة، وتبين لنا كذلك ما يترتب على هـذا المسـلك من لـوازم باطلة.

---

[1] (?) مجموع فتاوى ابن تيمية: (8/146).



المطلب الثالث: المنكـرون للنبـوة والرسـالة والرد عليهم:

يـزعم النـاس في عـالم اليـوم أنه يمكنهم الاسـتغناء عن الرسل والرسـالات بـالعقول الـتي وهبهم الله إياهـا، ولـذلك نـراهم يسـنون القـوانين ويحلـون ويحرمـون، ويخططـون ويوجهون، ومسـتندهم في ذلك كله أن عقـولهم تستحسن ذلك أو تقبحه، وترضى به أو ترفضه.

وهـؤلاء هو الـذين عـبر عنهم الشيخ رحمه الله بقولـه: « إن أكـثر أبناء هذا الزمـان مـالوا في إنكـار الاحتيـاج إلى البعثة إلى رأي جمهور البراهمة والصابئة والتناسخية »[1].

ولما كانت شبهتهم في إنكار النبـوة واحـدة سـنكتفي على توضيح شبه البراهمة مع الرد على تلك الشبه.

يصـور الشهرسـتاني حجج البراهمة في إنكـار النبـوة عقلاً بوجوه:

« منها: إن قال إن الذي يأتي به الرسـول لم يخل من أحد أمرين إما أن يكون معقولاً، وإما أن لا يكون معقولاً، فـإن كـان معقــولاً فقد كفانا العقل التـام بإدراكه والوصـول إليــه، فـأي حاجة لنا إلى الرسول، وإن لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً إذ قبـول ما ليس بمعقـول خـروج عن حد الإنسـانية، ودخـول في حريم البهيمية.

ومنهــا: إن قــال قد دل العقل على أن الله تعــالى حكيم والحكيم لا يتعبد الخلق إلا بما تـــدل عليه عقـــولهم، وقد دلت

---

1 (?) التنبيهات: ص(25-26).

الدلائل العقلية على أن للعالم صانعاً عالماً قـادراً حكيمـاً وأنه أنعم على عبـاده نعمـاً تـوجب الشـكر، فننظر في آيـات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا.

وإذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه، وإذا أنكرناه وكفرنا به اسـتوجبنا عقابـه، فما بالنا نتبع بشـراً مثلنـا، فإنه إن كـان يأمرنا بما ذكرنــاه من المعرفة والشــكر فقد اســتغنينا عنه بعقولنا، وإن كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلاً ظـاهراً على كذبه.

ومنها: إن قال قد دل العقل على أن للعالم صانعاً حكيمـاً، والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقــــــولهم، وقد وردت أصحاب الشرائع مسـتقبحات من حيث العقـل؛ من التوجه إلى بيت مخصـوص في العبـادة، والطـواف حوله والسـعي ورمي الجمــار والإحــرام والتلبية وتقبيل الحجر الأصــم، وكــذلك ذبح الحيوان، وتحريم ما يمكن أن يكـون غـذاء للإنسـان، وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك، كل هذه مخالفة لقضايا العقول.

ومنها: إن قال إن أكبر الكبائر في الرسـالة اتبـاع رجل هو مثلــك؛ في الصــورة والنفس والعقــل، يأكل ويشــرب، مما تشـرب، حـتى تكـون بالنسـبة إليه كجمـاد يتصـرف فيك رفعـاً ووضعاً، أو كحيوان يصـرفك أمامـاً وخلفـاً، أو كعبد يتقـدم إليك أمراً ونهياً، فبأي تميز له عليك وأية فضيلة أوجبت اسـتخدامك، وما دليله على صـدق دعـواه؟ فـإن اغـتررتم بمجـرد قولـه؛ فلا تمييز لقـول على قـول، وإن انحسـرتم بحجته ومعجزته فعنـدنا من خصــائص الجــواهر والأجســام مــالا يحص كــثره، ومن المخبرين عن مغيبات الأمور من لا يساويه خبره » [1].

ونقول في الـرد على هـؤلاء أن هنـاك أمـوراً لا ينـازع فيها

---

1 (?) الملل والنحل: (3/709).

هي:

الأول: أن هناك أموراً هي مصلحة للإنسان لا يستطيع الإنسان إدراكها بمجرد عقله، لأنها غير داخلة في مجال العقل ودائرته، فمن أين للعقل معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده؟ ومن أين له معرفة تفاصيل محبته، ورضاه، وسخطه، وكراهيته؟ ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه، وما أعد لأوليائه، وما أعد لأعدائه ومقادير الثواب والعقاب، وكيفيتهما، ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضاه من رسله، إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته[1].

الثاني: أن الذي يدرك العقل حسنة أو قبحه يدرك على سبيل الإجمال، ولا يستطيع أن يدرك تفاصيل ما جاء به الشرع، وإن أدركت التفاصيل فهو إدراك لبعض الجزئيات وليس إدراكا كلياً شاملاً: « فالعقل يدرك حسن العدل، وأما كون هذا الفعل المعين عدلاً أو ظلماً فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كل فعل وعقد » [2].

الثالث: أن العقول قد تحار في الفعل الواحد، فقد « يكون الفعل مشتملاً على مصلحة ومفسدة، ولا تعلم العقول مفسدته أرجح أم مصلحته، فيتوقف العقل في ذلك، فتأتي الشرائع ببيان ذلك وتأمر براجح المصلحة، وتنهى عن راجح المفسدة، وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره

---

1 (?) ابن القيم: مفتاح دار السعادة: (2/118)، دار الكتب العلمية- بيروت.

2 (?) المرجع السابق: (2/117).

والعقل لا يدرك ذلك، وتأتي الشرائع ببيانه، فتأمر به من هو مصلحة له، وتنهى عنه من حيث هو مفسدة في حقه، وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر، وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي إليها العقل، فتجيء الشرائع ببيان ما في ضمنه من المصلحة، والمفسدة الراجحة » [1].

وفي هذا يقول ابن تيمية: « الأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول »[2].

الرابع: ما يتوصل إليه العقل وإن كان صحيحاً فإنه ليس إلا فرضيات، قد تجرفها الآراء المتناقضة، والمذاهب الملحدة، ولو استطاعت البقاء في غيبة الوحي ستكون تخمينات شتى يلتبس فيها الحق بالباطل.

وفي إبطال شبهة البراهمة من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل، وأن الحكيم لا يبعث الرسل إلى من يدري أنه يعصيه، يقول ابن حزم:

« إنكم اضطركم هذا الأصل الفاسد الحاكم بذلك إلى موافقة المانية[3] على أصولها في أن الحكيم لا يخلق من يعصيه، ولا من يكفر به ويقتل أولياءه وهم يقولون إن الله

---

1 (?) مفتاح دار السعادة: (2/117).

2 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: (2/112).

3 (?) المانية: أو المانوية إحدى فرق الثنوية، أصحاب ماني الذي ظهر عام (216-274م) في زمان سابور بن اردشير فقتله بهرام بن هرمز بن سابور، قال بنبوة عيسى وأنكر نبوة موسى، وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وقال بالأصلين القديمين للعالم هما النور والظلمة .

(الملل والنحل: (2/68).

تعالى خلق الخلق ليدلهم به على نفسه.

ويقال لهم: قد علمنا وعلمتم أن في الناس كثيراً يجحدون الربوبية والوحدانية فقولــوا: إنه ليس حكيمــاً من خلق دلائل لمن يدري أنه لا يستدل بها.

فــإن قــالوا: إنه اســتدل بها كثــير، قيل لهم: وقد صــدّق الرسل أيضاً كثـير.

فإن قالوا: إنه خلق الخلق كما شاء، قيل لهم: وكذلك بعث الرسل أيضــاً كما شــاء، فبعثته تعـالى الرسل هي: بعض دلائله الــتي خلقها تعــالى ليــدل بها على المعرفة به تعــالى وعلى توحيده »[1].

وقــال أيضــاً: إبطــال حجتهم من أن الأولى به تعــالى أن يضطر العقول إلى الإيمان به: « أن هـذا قـول مـرذول مـردود عليكم في قــــولكم: إن الله خلق الخلق ليــــدلهم بهم على نفسه ووحدانيتــه؛ فيلــزمكم على ذلك الأصل الفاسد أنه كــان الأولى إذ خلقهم أن لا يــدعهم والاســتدلال، وقد علم أن فيهم من لا يســتدل، وأن فيهم من يغمض عليه الاســتدلال، فكــان الأولى في الحكمة أن يضــطر عقــولهم إلى الإيمــان بــه، ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال، وأن يلطف بهم ألطافـاً يختـار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة »[2].

وبهــذا تبطل دعــوى عــدم الحاجة إلى النبــوة، بــالردود الســابقة الــتي هي في مجملها ردود الشيخ رحمه الله لإبطــال هــذه الدعوى على نحو ما سيفصل -بمشيئة الله تعالى- .

---

1 (?) الفصل في الملل والنحل: (1/138).

2 (?) المرجع السابق: (1/138).

المطلب الرابع: منهج الشـــيخ رحمت الله في إثبات الحاجة إلى بعثة الرسل:

في إثبات الحاجة إلى النبوة، قسّم رحمت الله مسـالكه في ذلك إلى ثلاثة أقسام:

المسـلك الأول: إثبـات الاحتيـاج إلى البعثة والنبـوة على رأي المحققين من الفلاسفة .

المسلك الثاني: بيان الحاجة إلى النبوة عقلاً .

المسلك الثالث: إثبات البعثة منطقياً .

ولما كـان المسـلكان الأخـيران يـدوران حـول العقـل، وما العمليات المنطقية إلا عمليات عقلية قمت بإدراجهما معاً .

أما المسـلك الأول: **إثبـات الاحتيـاج إلى البعثة والنبـوة على رأي المحققين من الفلاسفة:** [1]

يقـول الشـيخ ~ : « قد ثبت بالضـرورة أن نـوع الإنسـان يحتاج إلى المصالح الضرورية الكثـيرة الـتي لا بقـاء له بـدونها، مثل الغذاء واللبـاس والمسـكن والآلات وغيرهـا، وأن الإنسـان الواحد لا يقدر أن يقوم بجميع هذه المصالح الضـرورية، بل لابد أن يكـون معه آخـرون من بـني نوعه حـتى يطحن هـذا لـذلك، ويخبز ذاك لهـذا، ويـزرع لهما ثـالث، وهكـذا الحـال في الخياطة والبنـــاء وغيرهما من الصـــناعات، فهو محتـــاج في تعيشه إلى اجتماعه مع بـــني نوعه للتعـــاون والتشـــارك في تحصـــيل تلك المصالح الضرورية، ولـذلك قيـل: الإنسـان مـدني الطبـع، فـإن

---

1 (?) كابن سينا الـذي نقل الشـيخ عن كتابه (الشـفا) أقـوالاً في هذه المسألة وغيرها .

التمـدن هو هـذا الاجتمـاع، وذلك التعـاون والتشـارك لا يتمـان بدون المعاملات والمعاوضات التي تجري بينهم.

ويقع فيها غالبـــاً التنـــازع المـــؤدي إلى الاختلاف والقتل واختلال أمور الـدين والـدنيا، فلا بد لهم، من قـانون متفق عليه مبنِّي على العـــدل والإنصـــاف، بعيد عن الجـــور والاعتســـاف، مشتمل على نظام أمـور معاشـهم ومعـادهم، والعناية الأزليـة، وإن عمت جميع الحيوانات، بحيث أعطت كل حيوان ما يليق به من الآلات وهدته إلى ما فيه بقـــــاؤه وبه قوامـــــه، لكنها في الإنسان أشد، لأنه أشرف الأنواع الحيوانيـة، وما عـداه من تلك الأنواع مسخر له.

فكيف يتصـور أن الله مع تلك العناية الأزلية الشـديدة في حقه لا يهديه إلى قـانون من قِبَله ينقـاد له العـوام والخـواص، ويحصل به انتظـام أمـور المعـاش والمعـاد؛ وذلك القـانون هو الشرع.

ولما كـــانت ذات الله في غاية التقـــدس، وذواتنا في غاية التـدنس؛ فلا يمكن وصـول هـذا الشـرع بلا واسـطة، ولا بد أن تكـون هـذه الواسـطة ذات جهـتين، تكـون لهما مناسـبة بالله بجهة، وبنا بجهة أخرى، فلابد أن يكون إنساناً مقدساً[1] متمـيزاً عن الآخرين بخصوصية فيه من الله، واستحقاق طاعة وانقيـاد، مختصاً بأمر يدل على تصديقه.

فتلك الخصوصـــية هي البعثة والنبـــوة، وذلك الإنســـان هو النـــــبي، وذلك الأمر هو المعجـــــزة، فثبت أن المحققين من الفلاسفة أيضاً يقرون بالاحتياج إلى البعثة والنبوة.

وكيف لا يقرون وأن الإنسان مع كونه مخلوقاً ضـعيفاً يضع

---

[1] (?) ربما يقصد الشـيخ بالإنسـان المقـدس، المعصـوم الطـاهر، وإلا فإنه لا قدوس إلا الله .

قانونــاً لأهل بيته لأجل ما ينفعهم ويقيهم عما يضــرهم، فكيف يظن بــأرحم الــراحمين، والحكيم العــادل أن يهمل أشــرف مخلوقاته بدون شريعة، بها نظام أمور معادهم ومعاشهم » [1].

فهذا المسلك الذي اعتمده الشيخ رحمه الله لإثبـات النبـوة يـدور حـــــــول المجتمع وبنائه الـــــــذي لا يتم بدون النبوة، فحتى يتم انتظام أمـور المعـاش والمعـاد لا بد من النبوة التي تسن الشرع من عند الله تعالى .

---

1 (?) التنبيهات: (29-32).

المسـلك الثـاني: **بيـان الحاجة إلى النبـوة عقلاً ومنطقياً:**

يقـول ~: « إن العقل لا يسـتقل في معرفة كثـير من الأمور، مثل: المعـاد الجسـماني، وأكـثر أحـوال الآخـرة، وبعض صفات الله، ووظائف العبادات وغيرها.

ولا شك أن أمر المعـاد أهم من أمر المعـاش، وأن حكم العقل فيما يستقل بمعرفته أيضاً لا يكون موثوقـاً به في جميع الأوقـات، لأن العقـول متفاوتـة، سـيما إذ لاحظنا أن للأمزجة والعادات أيضاً دخلاً في الاعتقادات، وأن لكل قـوم مشـهورات مخصوصة بهم مسـلمة عنـدهم، بل هي بمنزلة البـديهيات عندهم، وغيرهم لا يسلمونها، بل يردونها وجوباً.

وكـذا إذا لاحظنا أن النفس مسـخرة للـوهم وله اسـتيلاء عظيم عليها، ولـذا تـرى أن أكـثر النـاس يكونـون منهمكين في أوهـام باطلة مـدة عمـرهم، فتشـتبه على العقل غالبـاً المشهورات والوهميات بالأوليات.

وكذا ترى أن بعض الناس يحسـنون اسـتعمال المسـكرات لاجتلابها السـرور، ويشـتبه عليهم ما يلحقها من المفاسد والشـرور من زوال الصـحة الجسـمانية وجلب الفقر والعـار المهين بين الناس.

فـالتفويض في مثل هـذا الأمر إلى العقل مظنة التنـازع والتقاتل واختلال النظـام، وإن ما لا يـدرك حسـنة في الواقع يجب فعلـه، وقد يكـون قبيحـاً فيه يجب تركـه، وإن ما يخـالف العقل قد لا يكـون مع الجـزم، فالعقل غـير كـاف، ولابد من الاحتيـاج إلى نـبي ، وهـذا النـبي يعاضد العقـل، ويؤكد حكمـه،

ويجعله موثوقــاً به فيما يســتقل ذلك العقل بمعرفتــه، مثــل: وجــود البــاري وعلمه وقدرتــه، فيكونــان بمنزلة دليلين على مـدلول واحـد، ويرشد العقل ويهديه فيما لا يسـتقل بمعرفتـه، مثـل: المعـاد الجسـماني، ويجعل الحكم مأمونـاً عن اشـتباه المشهورات والوهميات بالأوليات.

ويكشف عن وجـوه الأشـياء الـتي لا يـدرك العقل حسـنها وقبحها، أو يكون مخالفة العقل إياها على سبيل الجزم.

فثبت أن البعثة ضــــرورية ورحمة للعــــالمين لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى، وأن منكرها سفيه مغرور .» [1]

ثم قـال: « ولو فرضـنا إمكـان معرفة التكـاليف وأحـوال الأفعال بالعقـل، فـالنبي ليس بمسـتغنى عنه في تلك الصـورة أيضاً؛ ألا تـرى أنه يمكن للعامة بمجـرد الفكر والتجربة التوصل إلى جميع ما يعلمه الطـــــبيب الحـــــاذق من الأدوية وطبائعها وخواصها، لكنهم يكونون محتـاجين إلى التجربة الـتي لا تحصل إلا في دهر طويل.

ولا جـرم أنهم يكونـون في ذلك الـدهر الطويل محـرومين من فوائد الأدوية المفيدة، ويقعون غالباً في المهالك باستعمال الأدوية المضرة بعدم حصول العلم بها بعد، ويوقعـون أنفسـهم في التعب، ويتعطلـون من الصـنائع الضـرورية، ويشـتغلون عن المصـالح المعاشـية، وإذا أخـذوا عن الطـبيب الحـاذق خفت المؤنة، وسلموا من المضار وانتفعوا.

فكما لا يقال: إن العامة لهم غنى عن الطبيب لأجل إمكان المعرفة لهم؛ فكذا لا يقـال: إنهم مسـتغنون عن النـبي بسـبب إمكـان معرفة التكـاليف وأحـوال الأفعـال بعقـولهم، بل النـبي

---

1 (?) التنبيهات: (33-35).

أولى بعدم الاستغناء، لأنه لا يعلم ما يعلم إلا من جهة الله التي بها امتاز عن غيره، بخلاف الطبيب »[1].

ثم قـــال: « الحق أن القائل بـــأن في العقل مندوحة عن النبوة؛ الساعي في رفع الصلاح والسـلامة من العـالم وشـحنه بالفتن والمظالم أحق أن يسمى جـاهلاً وظالمـاً من أن يـدعى حكيماً أو عالماً » [2].

فكلام الشيخ رحمه الله هنا عن عـــــدم كفاية العقل وحاجته لمن يهديه ويرشـــده صـــحيح في الجملـــة، إلا أن اعتقـــاد أن هنـــاك مســـائل يمكن للعقل يســـتقل بمعرفتها غـــير صـــحيح، وهو ما ناقشناه عند الحديث عن منهجه في الاستدلال العقلي.

يقـــول الشيخ رحمه الله: « البعثة ليست بمســـتحيلة لـــذاتها، ولا لامتناع لازمها الذي هو التكليف » [3] ثم يفصل ذلك ببيان:

الأمر الأول: أن البعثة ليست بمســتحيلة لــذاتها: لأنه قد ثبت الاحتيــاج إلى البعثة والنبــوة[4]، وثبت أيضــاً أنه لا مندوحة في العقل عن النبوة[5].

« ولأن الله ملك مطــــاع، والملك المطــــاع من له الأمر والنهي على عبيده، ولا بد من مبلغ، وهذا المبلغ هو النبي.

ويحصل له العلم اليقيني بـأن الله أرسـلني دون الجن، إما بخلق الله فيه علمـاً ضـرورياً بـذلك المعـنى، أو ظهـور الآيـات

---

1 (?) التنبيهات: (35-36).

2 (?) المرجع السابق:ص(36) بتصرف يسير.

3 (?) المرجع السابق: ص(27).

4 (?) المرجع السـابق: ص(27)، وانظر المسـلك الأول: ص(260) من البحث .

5 (?) التنبيهات: ص(27) .

والمعجزات التي يتقاصر عنها المخلوقات على يده.

وكذا إذا كان المبعوث إليه عاقلاً متمكناً من النظـر، ورأى معجزة خارقة للعادة، مقترنـةً بـدعوى النبـوة، يحصل له عـادة أيضاً العلم اليقيني بأنه نبي يجب تصديقه عليه بلا مهلة » [1].

الأمر الثـــاني: أن البعثة ليست مســـتحيلة لـــذاتها، ولا لامتناع لازمها وهو التكليف:

يقول الشيخ رحمه الله في عدم استحالة التكاليف:

« فلأن الله خـالق العبـاد كلهم، وإذا كـان خالقـاً لهم كـان مالكاً لهم، وإذا كان مالكاً لهم حسن منه أن يأمرهم وينهـاهم، لأن ذلك تصـــرف من المالك في ملك نفســـه، ولأن التكليف يوجد فيه من المنـــافع الدنيوية والأخروية أكـــثر من المضـــرة، وترك الخير الكثير لأجل الشر القليل مما لا يجوز.

وهـــذا التكليف لغـــرض يعـــود إلى العبـــد، وهو المنـــافع المـــذكورة، وعقـــاب العاصي ليس إلا لأجل عـــدم امتثاله أمر مولاه وسيده المستلزم لإهانتـه، وكـذا مضـرة الكفـار مسـتندة إلى سوء اختياره.

وهـــذا التكليف لا يمنع القلب عن الاســـتغراق في معرفة الله والفنـاء في عظمتـه، لأن التفكر في معرفة الله وصـفاته وأفعاله العمـدة الكـبرى من أغـراض ذلك التكليـف، وسـائر التكاليف داعية إليه، ووسـيلة إلى صـلاح المعـاش المعين على صفاء الأوقات عن المشوشات الـتي يفضل شـغلها على شـغل التكاليف » [2].

---

1 (?) المرجع السابق: ص(27) .

2 (?) المرجع السابق: ص(38) .

ولنا في هذا المسلك الوقفات التاليـة:

*-في تقرير ما بينه الشيخ رحمه الله من الحاجة إلى النبوة؛ نـرى أن النبوة ضرورة من ضرورات حياة البشر، لا غنى عنها بحــال من الأحوال، ذلك أن حاجة البشر إلى النبوة كحاجة الحياة إلى الروح، فكما أن الحيـاة لا تصـلح ولا تقـوم بـدون الـروح كـذلك البشرية لا تصلح إلا باتباع هدي النبوة.

وتظهر ضــرورة النبــوة وحاجة البشــرية إليها بوضــوح إذا عرفنا أن الإنسان مكون من روح وجسـد، وأن العـالم عالمـان علوي وسفلي، وأن الحياة حياتـان: أولى تنقضـي، وثانية تـدوم ولا تنتهي، وأن بين الحياتين برزخـاً تقضي فيه الأرواح فـترة ما بين موت الإنسان وبعثه للحياة الثانية.

وبيان ذلك أن كون الإنسان روحاً يقتضي وحياً إلهياً يخبره عن الــروح، وصــفاتها، وأحوالهــا، وأســباب كمالها ونقصــانها، وسـعادتها وشـقائها، وأن كـون الإنسـان جسـماً يقتضي كـذلك وحياً إلهياً يبين له فيه طـرق المحافظة على جسـمه، ويضع له القوانين التي تساعده على بقائه صالحاً في المدة المحددة له من هذه الحياة.

وأن كون العالم عالمين علوياً وسفلياً يقتضي وحيـاً إلهيـاً يعرف الإنسان بواسطته الحياة الثانية، ماذا فيها، وما الـذي يتم للإنسان يوم ينقل إليها؟ وما إلى ذلك.

إذ مثل هـذا لا يدركه الإنسـان بواسـطة عقله مجـرداً عن الوحي الإلهي بحال من الأحوال[1].

فعقل الإنســـان مهما بلغ في كماله فإنه لا يكفي وحـــده

---

1 (?) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المسلم ص(207-208)، ط عام 1405هـ، دار الكتب السلفية، القاهرة.

لهداية البشر، لأن دوره في الحياة محدود بالتفكير في الوجــود حوله، فلا بد له من نعمة الله سبحانه، وهذه النعمة هي إرسال الرسل والأنبياء، لإخراج النـاس من الظلمـات إلى النـور، ومن الظلال إلى الهدى.

يقول ابن القيم ~ مبنياً حاجة العبـاد إلى الأنبيـاء والرسل وتعاليمهم: « ومن هنا تعلم اضـطرار العبـاد فـوق كل ضـرورة إلى معرفة الرســول وما جــاء بــه، وتصــديقه فيما أخــبر بــه، وطاعته فيما أمر به، فإنه لا سبيل إلى السـعادة والفلاح، لا في الــدنيا ولا في الآخــرة إلا على أيــدي الرســل، ولا ســبيل إلى معرفة الطيب والخـبيث على التفصـيل إلا من جهتهم، ولا ينـال رضى الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقــوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به.

فهم المــيزان الــراجح الــذي على أقــوالهم وأعمــالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمـال، وبمتـابعتهم، يتمـيز أهل الهـــدى من أهل الضـــلال، فالضـــرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضنا، فضـرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير » [1].

أما شيخ الإسـلام ابن تيمية فقد جلى هـذه المسـألة وبينها بقوله: « الرسالة ضرورة للعباد، لابد لهم منهـا، وحـاجتهم إليها فــوق حــاجتهم إلى كل شــيء، والرســالة روح العــالم ونــوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم النور والحياة والنور؟ والــدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شـــمس الرســالة، وكــذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شـمس الرسـالة، ويناله من حياتها

---

[1] (?) زاد المعاد (1/69)ت: شعيب وعبد القـادر الأرنـاؤوط، ط7، (1405هـ-1985م)، مؤسسة الرسالة- بيروت .

وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات.

... وهنـاك أصـول هي مـدار الخلق والأمـر، والسـعادة والفلاح، الأصل الأول يضمن إثبـات الصـفات والتوحيد والقـدر، وذكر أيـام الله في أوليائه وأعدائـه، وهي القصص الـتي قصـها الله على عباده بالأمثال التي ضربها لهم.

والأصل الثـاني يتضـمن تفصـيل الشـرائع والأمر والنهي والإباحة، وبيان ما يحبه الله وما يكرهه، والأصل الثالث يتضـمن الإيمان باليوم الآخر، والجنة والنار والثواب والعقاب.

فهـذه الأصـول الثلاثة لا سـبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسـل، فـإن العقل لا يهتـدي إلى تفاصـيلها ومعرفة حقائقهـا، وإن كـان قد يـدرك وجه الضـرورة إليها من حيث الجملـة، كالمريض الذي يـدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويـه، ولا يهتدي إلى تفاصيل المرض، وتنزيل الدواء عليه » [1].

---

1 (?) مجمـوع فتـاوى شـيخ الإسـلام (19/93-96) بتصـرف واختصار.

المطلب الخامس: الحكمة من جعل الأنبياء من البشر:

شاءت حكمة العليم الخبير أن يكون الرسل الذين يرسلهم إلى البشر من البشر أنفسهم ﴿ [illegible] ﴾ [الكهف: 110].

فاستعظم أعداء الرسل على ذلك واعترضوا عليه، وكان ذلك من أعظم ما صد الناس عن الإيمان، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الإسراء: 94].

ولقد وجه الشيخ رحمه الله كون الأنبياء من البشر بتوجيهات أربع، حيث قال:

1- « لماكانت ذات الله في غاية التقديس، وذواتنا في غاية التدنيس، فلا يمكن وصول هذا الشرع بلا واسطة، ولا بد أن تكون هذه الواسطة ذات جهتين، تكون لهما مناسبة بالله بجهة، وبنا بجهة أخرى، فلا بد أن يكون إنساناً مقدساً متميزاً عن الآخرين بخصوصية فيه من الله، واستحقاق طاعة وانقياد مختصاً بأمر يدل على تصديقه »[1].

2- « أن الجنس أميل إلى الجنس.

3- أن البشر لا يطيق رؤية الملك على ما هو في نفس الأمر ولو ظهر في صورة بشر فحاله كحال البشر عند المكلفين .

4- أن طاعات الملائكة قوية، فيستحقرون طاعة البشر،

---

1 (?) التنبيهات: ص(31).

وربما لا يقبلون عذرهم في الإقدام على المعاصـي »[1].

ثم قال: « والوجهان الأخيران على مذاق المتكلمين خاصة »[2].

قلت: جعل الأنبيــاء من البشر أعظم في الابتلاء والاختبــار ففي الحديث القدسي الـذي يرويه مسـلم في صـحيحه: ((إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك))[3].

« وأيضــاً فــإن جعل الرســول بشــراً ليمكنهم التلقي عنه والرجوع إليه، ولو جعله ملكــاً فإما أن يدعه على هيئة الملائكة أو يجعله على هيئة البشـــر، والأول يمنعهم من التلقي عنـــه، والثاني لا يحصل مقصودهم إذا كانوا يقولون: هو بشر لا ملك .

قال تعالى: [illegible]

[الإسراء: 94-95].

فـأخبر سـبحانه عن المـانع من إنـزال الملائكة وهو أنه لم يجعل الأرض مســكناً لهم، ولا يســتقرون فيها مطمئــنين. بل يكـون نـزولهم لينفـذوا أوامر الـرب سـبحانه ثم يعرجـون إليه »[4].

---

[1] (?) هامش التنبيهات: ص(31).

[2] (?) المرجع السابق: هامش ص(31) .

[3] (?) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب: صــفة يوم القيامة: (8/159) المجلد الرابع.

[4] (?) ابن القيم: شـفاء العليـل: ص(348)، وانظـر: ابن تيميـة: النبوات: ص(24) .

المبحث الثاني: الرد على مطاعن أهل الكتاب في الأنبياء السابقين

المطلب الأول: اعتقـاد أهل السـنة والجماعة في عصمة الأنبياء والرسل:

نقل ابن حزم أقوال الناس في عصمة الأنبيـاء عن الكبـائر و الصـغائر بقولـه: « اختلف النـاس في هل تعصي الأنبيـاء -عليهم السـلام- أم لا ...؟ فـذهبت طائفة إلى أن رسل الله يعصون الله في جميع الكبـائر والصـغائر عمـداً حاشا الكـذب في التبليـغ، وهـذا قـول الكرامية[1] من المرجئـة، وقـول أبي الطيب الباقلاني[2] من الأشـعرية ومن اتبعـه، وهو قـول اليهـود والنصارى.

---

1 (?) الكرامية: هي طائفة من المرجئة أصـحاب محمد بن كـرام (ت255هـ) من أهل سجسـتان، وهم يثبتـون صـفات الله تعـالى إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه، ومن عقيـدتهم أن الإيمـان هو الإقرار باللسان دون تصـديق القلب (انظـر: البغـدادي: الفـرق بين الفرق: (19،661)، والأشعري: مقالات الإسلاميين: (1/223).

2 (?) أبو الطيب البـــاقلاني: هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر، القاضي المعـروف بـابن البـاقلاني أو البـاقلاني، ولد في الربع الأخير من القرن الرابع، وعـاش في بغـداد وتـوفي سـنة (403هــ) وهو يعد أعظم الأشـاعرة بعد الأشـعري، له مؤلفـات كثـيرة منهـا: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، إعجاز القرآن، الإنصاف.

انظـر: الـذهبي سـير أعلام النبلاء: (17/190)، وكحالـة: معجم المؤلفين: (3/373).

وسمعت من يحكي عن بعض الكرامية أنهم يجــيزون على الرسل عليهم السلام الكذب في التبليغ أيضاً..

وهـذا كله كفر مجـرد، وشـرك محض، وردة عن الإسـلام، قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وماله، موجبة للـبراءة منه في الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

وذهبت طائفة إلى أن الرسل عليهم الصـــلاة والســـلام لا يجـوز عليهم كبـيرة من الكبـائر أصـلاً، وجـوزوا عليهم الصـغائر بالعمد، وهو قول ابن فورك الأشعري[1].

وذهب جميع أهل الإســـلام من أهل الســـنة والمعتزلـــة، والنجارية[2]، والخـوارج، والشـيعة إلى أنه لا يجـوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة » [3].

---

1 (?) ابن فـــورك: محمد بن الحسن بن فـــورك الأنصـــاري (ت 406هـــ) فقيه شـــافعي ومتكلم أشـــعري، من مؤلفاتـــه: دقـــائق التفسير، مشكل الآثار.

انظـــر: الـــذهبي: ســـير أعلام النبلاء: (17/214)، وكحالـــة: معجم المؤلفين: (3/229-230).

2 (?) النجاريـة: أتبـاع أبي عبدالله الحسـين بن محمد النجـار، لم أقف على تـاريخ مولـده ووفاتـه، ويـذكر ابن النـديم في الفهرست ص(223) أنه مات بسبب العلة التي أصـابته عنـدما أفحمه النظـام في جدال جرى بينهما، فيكون بـذلك معاصـراً للنظـام الـذي تـوفي حوالي سنة (231هـ) على الأرجح، وينقل الشهرستاني عن الكعبي قوله: إن النجار كان يقول: إن البـاري تعـالى بكل مكـان وجـوداً لا على معنى العلم والقـدرة. انظـر: الشهرسـتاني: الملل والنحـل: (1/57)، والبغـدادي: الفـرق بين الفـرق ص(18)، ابن النـديم: الفهرست ص(223)، ومقالات الإسلاميين: (1/216).

3 (?) الفصل في الملل والنحل: (4/5-6).

ولن اتطرق لذكر لاختلافات في العصمة قبل النبوة، وذلك لبعـدها عن موضـوع دراسـتنا وهو العصـمة بعد النبـوة، فقد اتفقت الأمة الإسـلامية على أن الرسل معصـومون في التبليغ وتحمل الرسـالة[1]، فلا ينسـون شـيئاً مما أوحـاه الله إليهم إلا شيئاً قد نسخ، أما الصغائر فقد ذهب أكـثر علمـاء الإسـلام إلى أن الأنبياء ليسوا معصومين عن الصغائر من غير عمد، وينبههم الله تعالى إلى خطئهم، ويوفقهم للتوبة والأوبة إليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الأصل: « أن الأنبيـاء صـــلوات الله عليهم معصـــومون فيما يخـــبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمـة، ولهـذا وجب الإيمـان بكل ما أوتوه، كما قال تعالى : [illegible] [البقرة:136-137] »[2].

ويقول في موضع آخر « القول بأن الأنبياء معصـومون عن الكبـائر دون الصـغائر: هو قـول أكـثر علمـاء الإسـلام، وجميع الطوائف، حتى أنه قـول أكـثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشـعرية، وهو أيضـاً قـول أكـثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعتهم إلا ما يوافق هذا القول ... »[3].

---

1 (?) نقل الإجماع على العصمة في هـذا أكـثر من واحد . انظـر: مجموع الفتاوى: (10/291).

2 (?) مجموع الفتاوى: (10/289-290).



المطلب الثاني: مجمل اعتقـاد أهل الكتـاب في عصمة الأنبياء والرسل:

لقد تطـاول النصـارى[1] واليهـود من قبلهم على أنبيـائهم، فلم يراعوا فيهم إلاً ولا ذمـة. وجـاوزوا سـوء الأدب مع الأنبيـاء والرسل ما لم يبلغه غيرهم في ذلك.

فطعنوا فيهم ونسبوا إليهم أفدح الجرائم وأقبحهـا، ليجـدوا لأنفسهم المبرر وراء انحرافاتهم وماديتهم.

فلم يكتفـــوا بقتل أنبيـــائهم، ومقـــاومتهم والكفر بهم، بل تجرءوا بحشو توراتهم بتحريفات نسـبوا فيها الرذائل والجـرائم والنقائض لأفضل خلق الله تعالى وصفوته وهم الرسل .

ثم إننا لنجد ذلك التنـــاقض الواضح في وصف الصـــورة الأخلاقية للأنبياء في الأسفار الإسرائيلية، فبعضـها تـبرز صـورة صحيحة للإيمان الثابت والفضائل الكاملة لأنبياء الله ورسل-مع بعض ما يشـــوبها من التحريفـــات- والبعض الآخر تعكس أبشع الصـــور لأحط الأخلاق والصـــفات المتدنيـــة؛ مما يزيد القناعة بوجود التحريفات التي طرأت على كتبهم.

« وليت شعري لقد حرفه اليهـود لا يرفعـوا مكانة أنبيـائهم وعقيدتهم، بل ليطعنوا الأنبياء وينحطوا بالعقيدة، وهذا هو الذي دعا كثـيرًا من البـاحثين إلى الأخذ بما ورد في التـوراة مطيعين لمبدأ العام الذي يرى أن التحريف يكـون لصـالح من حـرف ولا يكون لإدانته »[2].

---

1 (?) ذلك لأن النصـارى يؤمنـون بالعهد القـديم وبكل ما فيه مع العهد الجديد.

2 (?) أحمد شلبي: اليهودية، ص(160).

وقد صور الشيخ رحمه الله ذلك المعتقد بقوله:

« اعلم أرشدك الله في الدارين أن النصارى يدّعون أن الأنبياء إنما يكونون معصومين في تبليغ الوحي فقط تقريراً كان أو تحريراً، وأما في غير التبليغ فليسوا بمعصومين لا قبل النبوة ولا بعدها، فيصدر عنهم بعدها جميع الذنوب قصداً، فضلاً عن الخطأ والنسيان، فيصدر عنهم الزنا بالمحارم فضلاً عن الأجنبيات، ويصدر عنهم عبادة الأوثان وبناء المعابد لها، ولا يخرج عندهم نبي من إبراهيم إلى يحي عليهما السلام لا يكون زانياً أو من أولاد الزنا -أعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة في حق الأنبياء »[1].

وقد يطول بنا المقام في ذكر تلك المفتريات التي نسبها اليهود والنصارى إلى أنبيائهم والتي قد تعرض لنا في ثنايا المطالب التالية.



---

1 (?) إظهار الحق: (4/1214).

المطلب الثالث: منهج الشــيخ رحمت الله في إبطـــــال مطـــــاعن النصـــــارى في الأنبياء:

من اللافت للنظر أن الشيخ رحمت الله عنـدما سـرد مطـاعن أهل الكتاب في الأنبياء[1]، لم يقصد من ذلك الرد المباشر على تلك الافــتراءات، وإنما قصد الــرد على مطــاعن أهل الكتــاب في النــبي محمد ﷺ على ســبيل الإلــزام: يقــول: « وإني وإن كنت استكره أن أنقل ذنوب الأنبياء والكفريات المفتريات عن كتبهم ولو إلزامــاً، ولا اعتقد في حضــرات الأنبيــاء اتصــافهم بهــذه الــذنوب والكفريــات، حاشا وكلا!، لكــني لما رأيت أن علمــاء البروتســتانت أطــالوا ألســنتهم إطالة فاحشة في حق محمد ﷺ في الأمور الخفيفة[2]، وجعلوا الخردلة جبلاً لتغليط العوام غــير الواقفين على كتبهم، وكـان مظنة وقـوع السـذج في الاشـتباه بتمويهـاتهم الباطلة نقلت بعضـها إلزامهـا، وأتـبرأ عن اعتقادها بـألف لسـان، وليس نقلها إلا كنقل كلمـات الكفـر، ونقل الكفر ليس بكفر، وقدمت نقلها على نقل مطــاعنهم في حق محمد ﷺ والجواب عنها »[3].

لـــــــذلك قمت باســــــتقراء منهج الشيخ رحمت الله في دفع تلك الأباطيل في حق الأنبياء وخرجت بالنتيجة التالية:

---

[1] (?) وذلك في الفصل الثــاني من البــاب الســادس من كتــاب إظهار الحق.

[2] (?) يقصد بذلك شبهتهم في أمور منها الجهـاد -نسـاء النـبي ﷺ - وإنه كان مذنباً كما سيأتي.

[3] (?) إظهار الحق: (1214/4-1215).

أن الشيخ رحمه الله سلك مسلكين لإبطال تلك المطاعن هما:

أولاً: الرد الإجمالي.

ثانياً: الرد التفصيلي.

أولاً: منهجه في الرد الإجمالي:

حيث أن الشيخ رحمه الله اكتفى على مجرد تصور ما قالوه في الأنبياء من قبائح كدليل على بطلانه، إذ يقتضي أن يخالف ما يدعيه النصارى من العصمة في التبليغ تحريراً وتقريراً، وهو بالتالي برهان ساطع على تحريف الكتب المقدسة لديهم تحريفاً لفظياً.

يقول ~: « إني معذور في أن أقول إن هذه الكتب ليست كتباً إلهامية، وأن أنكر بعض القصص، مثل: أن لوطاً شرب الخمر وزنى بابنتيه وحملتا بالزنا منه، وأن داود زنى بامرأة أورياً[1] وحملت بالزنا منه، وأشار إلى أمير العسكر لأن يدبر أمراً يقتل به أوريا، فأهلكه بالحيلة وتصرف في زوجته، وأن هارون صنع عجلاً وبنى له مذبحاً فعبده هارون مع بني إسرائيل وسجدوا له وذبحوا الذبائح أمامه، وأن سليمان ارتد في آخر العمر وعبد الأصنام وبنى المعابد لها، ولا يثبت من كتبهم المقدسة أنه تاب بل الظاهر أنه مات مرتداً مشركاً.

فإن هذه القصص وأمثالهم يجب علينا أن ننكرها ونقول أنها غير صحيحة جزماً، ونعتقد اعتقاداً يقيناً أن ساحة النبوة

---

[1] (?) رجل من أصل حثي، كان قائداً في جيش داود، زعموا أن داود اتصل بزوجة أوريا، فأمر أن يوضع أوريا في مقدمة الجيش حتى يتعرض للموت، فقتل أوريا، ووبخ داود على هذه الخطايا .

(قاموس الكتاب المقدس: 136) .

بريَة من أمثال هذه الأمور القبيحة » [1].

وبالفعل هي غـير صـحيحة لكونها متعارضة مع ما ورد في القـرآن الكـريم عن سـيرة هـؤلاء الأنبيـاء، ولأنها تتنـافى مع العصمة المقررة لهم.

ثانياً: منهجه في الرد التفصيلي:

في هـذا المسـلك اسـتطاع ﷺ أن يلـزم من يـؤمن بتلك المطـاعن المفـتراة في الأنبيـاء بلـوازم لا يقبلونها وغـير ممكنة عقلاً.

ومن جهة أخرى فنّد تلك الأساطير المكذوبة ببيـان بطلانها في نقـــــاط كما ســـــيأتي -بمشيئة الله تعالـى- :

أ) اللوازم الباطلة المترتبة من قبول تلك القصص الكاذبة:

أولاً: عدم العصمة في التبليغ:

في حين أن النصـارى يعتقـدون أن الأنبيـاء يصـدر عنهم جميع الـذنوب قصـداً إلا أنهم معصـومون في التبليغ عن اللـه، لكنهم حين صـدقوا بتلك القصص الـتي تنفي عصـمتهم من الذنوب والكبائر ؛ لزمهم أن يصدقوا بالروايات الأخـرى للأنبيـاء والتي تنفي عصمتهم في التبليغ، وقد ذكر ﷺ:

-قصة النـبي الـذي كـان في بيت أيل فقد كـذب في تبليغ الوحي، وخدع رجل الله وألقاه في غضب الرب وأهلكه[2].

---

1 (?) إظهار الحق: (1/12-14) .

2 (?) انظر: سفر الملـوك الأول: (13/11-19)، إظهـار الحـق: (1/40-42)، (4/1251).

وأيضاً فقد أثبت الشيخ رحمه الله على سـبيل الإلـزام أن الأنبيـاء ما كتبوا كتبهم بالإلهام بدليل وقوع الأخطاء فيها فقال: « فثبت أن الأنبيـاء كما أنهم ليسـوا بمعصـومين عن الـذنوب عنـدهم فكذلك ليسوا بمعصومين عن الخطأ في التحرير » .[1]

ثانياً: يلـزم أن تكـون رتبة السـلطان والقساوسة أعلى من مرتبة النبوة:

في حين يعتقد النصـارى أن العصـمة من الـذنوب ليست شـــرطاً للنبـــوة، يـــرون ضـــرورتها كشـــرط في الســـلطان والقسيس.

يقـــول الشيخ رحمه الله: « وكـــان من مســـائل جـــانهس[2]: أن الســـلطان أو القســـيس إذا ارتكب كبـــيرة لا يبقى ســـلطاناً وقسيســـاً، فلما كـــانت جميع مســـائله مســـلمة عند رئيس المصلحين[3] كانت هـذه المسـألة أيضـاً مسـلمة، فعلى هـذا لا يخرج أحد من مقتديه أهلاً للسـلطنة والقسيسـية، لأنه لا يوجد أحد منهم بحيث لا تصـدر عنه كبـيرة من الكبـائر، والعجب كل العجب أن العصـــمة ليست شـــرطاً للأنبيـــاء -وهم ما كـــانوا معصـومين عند الـرئيس- وتشـترط عند السـلطان والقسـيس، لعل منصب النبوة أدون من منصب القسيسية عنده »[4].

ثم مثل لأمثـال تلك الكبـائر الـتي تـرتكب في الأديـرة من كتبهم وبـأقوال قساوسـتهم مما تبطل دعـوى عصـمة هـؤلاء

---

1 (?) إظهار الحق: (2/387).

2 (?) لم أجد ترجمته .

3 (?) يعني لوثر إمام البروتستانت.

4 (?) إظهار الحق: (1/18).

القسيسين بدلالة واقعهم وأقوالهم[1].

ب) مناقشة تلك المفتريات على أنبياء الله تعالى من حيث التفصيل:

أولاً: في آدم ونوح ^ :

يدعون أن آدم أذنب عمـداً ولم يتب، فكـأنهم جعلـوا هـذه الفرية مقدمة للقــول بعقيــدة الفــداء، وأن أبنــاءه من بعــده يحملون وزره وخطيئته حتى يعتقدون بالمسيح الـذي يخلصـهم من هذا الذنب، ولقد اكتفى الشيخ رحمه الله على تصور المعنى لبيان بطلانه.

وفي قصة نوح يقول الشيخ رحمه الله: « ففيه تصريح بـأن نوحـاً شرب الخمر، وسكر، وصار عرياناً.

والعجب أن المـذنب بـالنظر إلى عـورة أبيه هوحـام[2] أبو كنعـان[3]، والـذي عـوقب باللعنة ابنه كنعـان. وأخذ الابن بـذنب الأب خلاف العدل.

قال حزقيال في الفقرة العشرين من البـاب الثـامن عشر من كتابه: (النفس التي تخطئ فهي تمـوت والابن لا يحمل إثم

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (3/847-848).

2 (?) حام: الابن الأصغر لنوح وتناسلت ذريته في مصر والحبشة وسائر أفريقيا. قاموس الكتاب المقدس: (448).

3 (?) كنعـان: هو جد الكنعـانيين، وكـانت أرضـهم تمتد من حمـاة شمالاً إلى جنوب فلسطين، وقد ذكر ياقوت الحمـوي أن الأزهـري قال: كنعـان ابن سـام بن نـوح وليس هو ابن حـام وأن الكنعـانيين كانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية.

ياقوت الحموي: معجم البلـدان: (4/483)، ط عـام 1397هــ، دار الفكر -بيروت. قاموس الكتاب المقدس: ص(699،798،905).

الأب والأب لا يحمل إثم الابن وعدل العادل يكـون عليه ونفـاق المنافق يكون عليه.)

ولو فرضنا أنه حمل إثم الأب على الابن خلاف العــدل فما وجه تخصيص كنعان؟ لأن أبناء

حام كانوا أربعة ... » [1].

ثانياً: في إبراهيم :

يقــول ﷺ: « فظهر أن المظنــون عند النصــارى أن إبراهيم إلى سبعين سنة من عمـره كـان يعبد الأصـنام، أقـول: كونه عابد الأصنام إلى أن بلغ سبعين سنة قـريب اليقين نظـراً إلى أصــولهم؛ لأن أهل العــالم في هــذا الــوقت عنــدهم كــانوا وثنيين، وهو تربى فيهم، وأبواه أيضاً كانا منهم، ولم يظهر عليه الــرب إلى ذلك الــوقت، والعصــمة عن عبــادة الأوثــان ليست بشرط بعد النبوة فضلاً عن أن تكون شرطاً قبل النبوة »[2].

هــذا قبل النبــوة، أما بعد النبــوة فيقــول ﷺ تعليقــاً على افتراءهم قصة إبراهيم أنه كذب عمداً وسلم زوجته لملك مصر ليحصل له بها الخــير؛ « فســبب الكــذب ما كــان مجــرد الخوف، بل رجـاء حصـول الخـير أيضـاً، بل الأخـير كـان أقـوى، ولذلك قدمه وقال: (ليكون لي خـير بسـببك وتحـيي نفسي من أجلـك)، وحصل له الخـير أيضـاً كما هو مصــرح به في الفقــرة السادسة[3]، على أن خوفه من القتل مجـــرد وهم لاســـيما إذا كــان راضــياً بتركهــا، فإنه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصــلاً، وكيف

---

[1] (?) إظهار الحق: (4/1216).

[2] (?) إظهار الحق: (1217).

[3] (?) انظر: سفر التكوين (12/16).

يجوز العقل أن يرضى إبراهيم بترك حريمه وتسليمها ولا يدافع دونها، ولا يرضى بمثله من كان له غيرة مـا، فكيف يرضى مثل إبراهيم الغيور؟! .»[1]

-ثم علق أيضـاً على تكـرار مثل هـذه القصة مـرة أخـرى بقوله: « كذب هناك إبراهيم وسـارة مـرة ثانيـة، ولعل السـبب القـوي ههنا -ما عد الخـوف أيضـا- كـان حصـول المنفعـة، وقد حصلت كما هي مصرحة بها في الفقرة الرابعة عشـرة[2]، على أنه لا وجه للخوف إذا كان راضياً بتسليمها بدون المقاتلة »[3].

-وعنـدما خطأ البروتسـتانت إبـراهيم بزواجه من هـاجر وقالوا: « لا يمكن أن يكون إبراهيم غير مذنب في نكاح هـاجر؛ لأنه كـان يعلم جيـداً قـول المسـيح المكتـوب في الإنجيل[4]: أن الذي خلق من البدء خلقها ذكراً وأنثى، وقال: من أجل هـذا يـترك الرجل أبـاه وأمه ويلتصق بامرأته ويكـون الاثنـان جسـداً واحداً »[5] .

عند ذلك قابل الشيخ رحمه الله هذا الجرم بجرم أكبر وهو الزواج بالأخت، وهذا على سبيل الإلزام والتهكم.

يقول: « أقـول كما لا يمكن هـذا، فكـذا لا يمكن أن يكـون غير مذنب في نكـاح سـارة، لأنه كـان يعلم جيـداً قـول موسى المكتوب في التوراة: (ولا تجتلي عورة أختك من أبيك كانت أو

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1217).

2 (?) انظر: سفر التكوين: (20/14).

3 (?) إظهار الحق: (4/1218).

4 (?) انظر: نحيل متى (4/19-6)، والإنجيل مرقس: (6/10-8).

5 (?) طريق الأوليـــاء: ص(92-93) نقلاً عن إظهـــار الحـــق: (4/1218)، ويفهم النص عندهم على حرمة الزواج باثنتين.

من أمك التي ولدت في البيت أو خارجاً من البيت)[1]...

ومثل هـذا النكـاح مسـاو للزنا عند علمـاء البروتسـتانت، فيلزم أن يكون إبـراهيم زانيـاً -وحاشـاه- قبل النبـوة وبعـدها، ويكون أولاده كلهم من سارة أولاد زنا، ولو جوزوا نكـاح الأخت في شـريعته لـزم عليهم تجـويز تعـدد النكـاح أيضـاً في تلك الشريعة، فلا اعتراض باعتبار هاجر، ولا اعتراض باعتبار سـارة، وهو الحق عندنا، لكنه يلزم على أصـلهم الفاسد أن هـذا النـبي أبا الأنبياء، كما كان كاذبـاً فكـذا كـان زانيـاً من أول عمـره إلى آخره، ومع هذا كان خليل الله! أيكون خليل الله مثله ؟!»[2].

ثالثاً: في لوط :

يبطل الشيخ رحمه الله تلك القصة المفـتراة لاسـتلزامها أمـور باطلة عند البروتسـتانت بل وكل النصـارى وهي أن يكـون المسيح ابن الله الوحيد على زعمهم بل الله -تعـالى الله عما يقـترون- متولد من الزنـا، وبالتـالي يكـون خارجـاً عن جماعة الرب فلا يكون هو المسيح الموعود.

يقول الشيخ رحمه الله: « إن مؤاب وعمون[3] اللذين تولـدا بالزنا ما قتلهما اللـه، وقتل الولد الـذي تولد بزنـاء داود بـامرأة

---

[1] (?) انظر سفر الأويين ’’الأحبار‘‘: (18/9).

[2] (?) إظهار الحق: (1219/4-1220).

[3] (?) عمون وذريته العمونيـون، ومسـكنهم في وسط الأردن في منطقة جلعاد، وعاصمتهم ربة عمـون (عمـان الحاليـة). أما مـؤاب: ذريته الموآبيون ومسكنهم وأرضهم جنوب أرض العمونيين وشرقي البحر الميت في القسم الجنـوبي من الأردن. (قـاموس الكتـاب المقدس: 640، 787، 922،927،934) .

أوريا[1]. لعل الزنا بـامرأة الغـير أشد من الزنا بالبنـات عنـدهم، بل هما كانا من المقبولين عند الله .

أما مــؤاب: فلأن عوبيد جد داود أمه راعــوث مؤابية من أولاد مــؤاب، فهي من جــدات داود وســليمان وعيسى عليهم الســلام . وداود ابن الله البكر[2]، وســليمان أيضــاً ابن الله[3]، وعيسى ابن الله الوحيد[4] بل الله على زعم النصارى.

وأما عمون: فلأن رحبعام بن سليمان من أجداد عيسى ، كما هو مصرح في البـاب الأول من إنجيل مـتى[5]، وأمه كـانت عمونية من أولاد عمــون كما هو مصــرح به في البــاب الرابع عشر من سفر الملوك الأول[6]، فهي أيضاً من جــدات ابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم...

فأي شـرف لمـؤاب وعمـون ولـدي الزنا أزيد من هـذا: أن بعض بنات الأول صـارت جـدة معظمة لأنبـاء الله بل الله على زعمهم، وبعض بنـات الثـاني صـارت جـدة لابن الله الوحيد بل الله على زعمهم، وأن الله منع بني إسرائيل -الذين كانوا أبنــاء الله بنص التــوراة- عن تــوريث أرض أولاد عمــون، لكنه بقيت خدشة وهي أنه إذا وصل نسب عيسى باعتبار هاتين الجـدتين المعظمتين إلى مؤاب وعمون صـار مؤابيـاً وعمونيـاً، وما كـان

---

1 (?) انظر: سفر صموئيل الثاني: (1/12-23).

2 (?) إشارة لما في مزمور: (89/27).

3 (?) إشارة لما في سفر صموئيل الثاني: (7/14).

4 (?) إشـــــارة لما في إنجيل يوحنا (3/16-18) ورســـــالة يوحنا الأولى: (4/9).

5 (?) انظر: إنجيل متى (1/7-17).

6 (?) انظر: سفر الملوك الأول: (14/21-31).

للعمونيين والمؤابيين أن يدخلوا جماعة الرب أبداً[1].

فكيف دخل عيسى جماعة الـرب، بل صـار رئيسـهم، بل ابن الله على زعمهم؟ وإن قيــل: إن اعتبــار النسب بالآبــاء لا بالأمهات فلا يكون عيسى إسرائيلياً يهوداوياً داودياً سـليمانياً أيضاً .

إذ حصول هذه الأوصـاف له أيضـاً من جـانب الأم لا الأب، فلا يكون مسيحياً موعوداً بـه، واعتبـار هـذه الأوصـاف باعتبـار الأم، وعدم اعتبار كونه عمونياً وموابياً من جهة الجدات ترجيح بلا مرجح » [2].

وهنـــاك جـــانب آخر يتعلق بالقصة ذاتها مخـــالف للواقع والتجربة، وهي أن الشخص الـذي بلغ منه السـكر مبلغه بحيث سقط الامتياز عنه لا يكون قابلاً للجماع.

يقول الشيخ رحمه الله:

« إن لوطـاً لا شك أنه بحكم الإنجيل بـار قـديس لم يقع الـوهن عند القسـيس في قديسـيته بعد هـذه الواقعة الشـنيعة التي لم يسمع مثلها في الأراذل الذين يكونون مخمـورين أكـثر الأوقــات، لأنهم يمــيزون في حالة الخمــار أيضــاً بنــاتهم عن الأجنبيات، وإذا سقط الامتياز بين البنات وغيرها لشـدة الخمـار لا يبقى السـكران في هـذا الـوقت قـابلاً للجمـاع كما شـهد به المولعون بشرب الخمر...

والعجب أن هذا القـديس كما ابتلى في الليلة الأولى ابتلي في الليلة الثانية، إلا أن يقال: إن هـذا الأمر كـان أمـراً مقضـياً ليتولد أبناء الله بل الله من بعض بناته، ويدخل هو في سلسـلة

---

1 (?) انظر: سفر التثنية (23/3).

2 (?) إظهار الحق: (4/1222-1223)، بتصرف يسير.

نسب ابن الله الوحيد »[1].

رابعاً: في يعقوب :

في زعم أهل الكتاب أن يعقوب لم يطعم أخـاه عيسو[2]إلا إذا بـاع له بكوريتـه، يقـول ﷺ متهكمـاً: « فـانظروا إلى ديانة عيسو -الـذي هو الولد الأكـبر لإسـحاق - أنه بـاع بكوريته التي كان بها اسـتحقاق منصب النبـوة والبركة بـالخبز ومـأكول من العـدس! لعل النبـوة والبركة عنـده ما كانا في رتبة هـذا الخـبز والإدام من العـدس، وكـذا انظـروا إلى محبة يعقـوب وإلى جوده أنه ما أعطى للأخ الأكبر الجائع التعبان هذا المأكول إلا بالبيع، وما داعي المحبة الأخوية والإحسان بلا عوض »[3].

أما فرية خداع يعقوب لأبيه وكذبه عليه لانـتزاع البركة من أخيه عيسو له بالحيلة يقـول ﷺ : إن « يعقـوب كـذب ثلاث مرات وخادع أباه، وخداعه كما أثر عند إسـحاق أثر عند الله أيضـاً. لأن إسـحاق كـان بصـميم قلبه واعتقـاده داعيـاً لعيسـوا لا ليعقـوب ، فكما لم يمـيز إسـحاق بين الأخـوين في الدعاء، فكذا لم يميز بينهما عند إجابة الدعاء فـالعجب أن ولاية الله والنبوة والصلاح تحصل بالمحال.

... ولو كان حال ديانة أبي الأنبيـاء الإسـرائيليون هكـذا، أو حال علم الله هكـذا، فللمنكر أن يقـول: يجـوز أن يكـون مبـنى معاملات الأنبياء الإسرائيليين مع الله أيضاً على الخداع كـأبيهم

---

1 (?) المرجع السابق: (4/1223)، بتصرف يسير.

2 (?) عيسو هو الأخ التوأم ليعقوب بن إسحاق بن إبـراهيم عليهم السلام، ونسل عيسو سمي بالأدوميين. (قاموس الكتاب المقدس: 1073).

3 (?) إظهار الحق: (4/1225).

الأعلى، ويجـوز أن يكـون عيسى وعد الله إن تعطـني قـدرة الكرامات أدع الخلق إلى توحيـدك وربوبيتـك، لكن الله ما مـيز الصدق عن الكذب، فأعطـاه القـدرة، فـدعا إلى ربوبية نفسـه، وبغى على الله، أعوذ بالله من هذه الأمور الواهية » [1].

أما الفرية الأخـرى الـتي هي في خـداع لابن خـال يعقـوب وتزويجه الكـبرى دون الصـغرى وما تبع ذلك من أحـداث محض افـتراء، فقد اعـترض عليها الشيخ رحمه الله بثلاثة اعتراضـات على النحو التالي:

« **الأول**: أن يعقوب كـان يقيم في بيت لابـان[2]، وكـان يرى ابنتيه ويعرفهما معرفة جيدة باعتبار وجوههما وأجسـامهما وأصـواتهما، وكـان في ليا[3] علامة بينة هي اسـترخاء العيـنين، فالعجب كل العجب أن تكون ليا في فراشه جميع الليل ويراها يضاجعها ويلمسها ولا يعرفها إلا في الصـباح، إلا أن يقولـوا: إنه سكران كلوط فكما لم يميز لوط فكذا هو.

الثـاني: أنه أحب راحيل[4]، وخـدم لأجلها أباها لأجلها أولاً سبع سنين، وكانت عنـده مثل أيـام قليلة لأجل عشـقها وفـرط

---

1 (?) المرجع السابق: (4/1225-226).

2 (?) لابان: هو لابان بن يتوئيل بن ناحور بن تارح، فيكون إبراهيم أخاً لجده ناحور، وهو أخو رفقه زوجة إسـحاق، وهو خـال يعقـوب ووالد زوجيته ليا وراحيل، وكان لابان يسـكن في حـران ببلاد ما بين النهـرين على نهر بليخ في تركيـا، شـمال الحـدود السـورية بقليل.''قاموس الكتاب المقدس: ص(804).

3 (?) ليا: أو ليئة: ابنة لابان الكبرى وأقل جمالاً من أختها راحيل، وقد خـدم يعقـوب عند خاله لابـان سـبع سـنين ليزوجه راحيل لكنه زوجه ليا، وقد ولدت له ستة بنين، وابنه واحدة، ومـاتت في مصـر. (قاموس الكتاب المقدس: 826).

محبتها، ثم لما خادع لابان وزوجه ببنته الكبرى خاصمه يعقوب، وأخذ راحيل بخدمة سبع سنين أخـرى، وهـذه الأمـور على زعم النصارى لا تناسب رتبة النبوة، وكما خـادع يعقـوب أبـاه خـودع من صهره.

الثالث: أنه ما اكتفى على زوجة واحــدة، ولا يجــوز نكــاح امرأتين لاسيما أختين على زعمهم الفاسد .»[1]

ولقد برر هـذا الـزواج صـاحب ’’طريق الأوليـاء‘‘ بقولـه: « الظاهر أن يعقوب إن لم يخادعه لابـان لم يـتزوج غـير راحيـل، ولا يستدل بها على جواز تعدد الزوجات، لأنه ما كان بحكم الله ولا برضاء يعقوب »[2].

وكان رد الشيخ رحمه الله عليه بقوله: « هذا العذر بارد لا يســمن ولا يغني، ولا تحصل النجاة ليعقوب عن الحرمـة، لأنه ما كـان مكرهـــاً ومجبـــوراً على النكـــاح الثـــاني، وكـــان عليه أن يكتفي بزوجة واحدة، بالإضافة إلى أن هذا العـذر الأعـرج لا يمشي في زلفا وبلها[3] اللتين تزوجهما يعقـوب بإشـارة من ليا وراحيل » [4].

-وفي قصة زنا يهـــوذا بن يعقـــوب بثامـــار[5] كنتـــه، وقف

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1228) مع تصرف يسير.

2 (?) ص(189) نقلاً عن إظهار الحق: (4/1228).

3 (?) زلفا ’’زلفة‘‘: جارية لابان خال يعقوب وكان لابـان قد وهبها لابنته ليئة ’’ليا‘‘ وقت زواجها بيعقــوب، فطلبت منه أن يــدخل عليهــا، فتزوجها وانجبت منه ابــنين. أما بلها ’’بلهة‘‘: هي جارية راحيل وقد كـــان لابـان قد وهبها لهـا، وطلبت من يعقـوب الـدخول عليها فولـدت له ابنين (قاموس الكتاب المقدس: 430-189).

4 (?) إظهار الحق: (1229-4/1228) بتصرف يسير.

5 (?) ثامــار: هي البنت الوحيــدة لابشــالوم بن داود. (قــاموس

الشيخ رحمه الله على أمور فيها وهي:

« **الأول**: أن الرب قتل عير[1] لكونه رديئاً، ورداءته لم تبن أكانت هذه الرداءة أشد من رداءة عمه الكبير روبيل[2] حيث زنى بزوجة أبيه، ومن رداءة عميه الآخرين شمعون ولاوي[3] حيث قتلا ذكور أهل البلدة كلهم، ومن ردائة أبيه وجميع أعمامه حيث نهبوا أموال تلك البلدة، وسبوا نساءها وأطفالها، ومن ردائة أبيه حيث زنى بزوجته بعد موته؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرأفة وعدم القتل، وكان عير قابلاً للقتل فقتله الرب؟!.

الثاني: العجب أن أونان[4] قتل على خطأ عزل المني وما قتل أعمامه وأباه على الخطيئات المذكورة! أهذا العزل أشد ذنباً من هذه الخطيئات؟!.

الثالث: أن يعقوب لم يجر الحد ولا التعزير على هذا الولد العزيز، ولا على هذه المرأة الفاجرة بل لم يثبت من هذا الباب ولا من باب آخر أنه تنغص لأجل هذا الأمر من يهوذا بل سكت عما صدر عنه ومدحه مدحاً بليغاً ودعا له دعاءاً كاملاً ورجحه

الكتاب المقدس: 14-136).

[1] (?) عير: هو الابن الأكبر لأبيشالوم بن داود. (قاموس الكتاب المقدس: 649) .

[2] (?) روبيل: ''رأوبين'' بن يعقوب الذي ضاجع بلها بسرية أبيه يعقوب، وهو أكبر أبناء يعقوب من ليئة . انظر: سفر التكوين: (35/22)، قاموس الكتاب المقدس: (393).

[3] (?) شمعون ولاوي: هما ابني يعقوب من ليئة، اشتركا في قتل حمور وابنه شكيم ثأراً لأختهما دينه. (قاموس الكتاب المقدس: 521، 806) .

[4] (?) **أ**ونان: أحد أبناء يهوذا بن يعقوب وأمه كنعانية. (قاموس الكتاب المقدس: 139).

على أخوته.

الرابع: أن ثامار شهد في حقها يهوذا صهرها بشـدة الـبر. فسبحان اللـه،! كيف لا تكـون بـارة ولم تكشف عورتها إلا لأبي زوجهـا، وما زنت إلا بحميهـا، وحصـلت منه بهـذا الزنـاء الواحد ابنين كاملين!!.

الخامس: أن داود وسـليمان ^ كلهم في أولاد فـارص[1] الذي حصل بالزنا .

الســـادس: أن الله ما قتل فــــارص وزارح[2] مع كونهما ولدي الزنا، بل أبقاهما كابني لوط اللذين كانا ولـدي الزنـا، وما قتلها كما قتل ولد داود الـذي تولد بزنائه بـامرأة أوريـا، لعل الزنا بامرأة الغير أشد من الزناء بزوجة الابن »[3].

خامساً: داود :

علق الشيخ رحمه الله على قصة داود مع زوجة أوريـا، بصــدور ثماني خطيئات عن داود :

« **الأولى**: أنه نظر إلى امـرأة أجنبية بنظر الشـهوة، وقد قال عيسى : « إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه » .[4]

والثانية: أنه ما اكتفى على نظر الشــهوة بل طلبها وزنى

---

1 (?) فـارص: ابن يهـوذا تـوأم زارح من ثامـار، وهو أب لعشـيرة الفارصـيين، وهو سـلف لـداود، والنتيجة للمسـيح -بـزعم كتبهم- . (قاموس الكتاب المقدس: 669).

2 (?) زارح: أحد التوأمين اللذين ولدتهما ثامار ليهوذا حميهـا، وهو مؤسس عشيرة الزارحيين (قاموس الكتاب المقدس: 421) .

3 (?) إظهار الحق: (1235-4/1234) بتصرف يسير.

4 (?) إنجيل متى: (5/28).

بها، وحرمة الزنا قطعية ومن الأحكـام العشـرة [1] المشـهورة، كما جاء في التوراة (لا تزن) [2].

والثالثة: أن هذا الزنا كان بزوجة الجـار، وهـذا أشد أنـواع الزنـــا، وذنب آخر كما هو مصـــرح به في الأحكـــام العشـــرة المشهورة[3].

والرابعة: ما أجرى حد الزنا لا على نفســه، ولا على هــذه المرأة، والفقرة العاشرة من الباب العشرين من سفر الأحبـار هكــذا: « ومن زنى بـــامرأة صـــاحبه أو زنى بـــامرأة لها رجل فليقتل الزاني والزانية » ...

والخامسة: أن داود طلب أوريا من العكسر، وأمــره أن يذهب إلى بيتـه، وجل غـرض داود أن يلقي على عيبه سـتراً، ويكــون هــذا الحبل منســوباً إلى أوريــا، ولما لم يــذهب لأجل ديانتــه، وحلف أنه لا يـروح؛ أقامه داود اليــوم الثـاني، وجعله سكران بسقي الخمر الكثـير لـيروح إلى بيته في حالة الخمـار، لكنه لم يـرح في هـذه الليلة أيضـاً مراعيـاً لديانتـه، ولم يلتفت إلى زوجته الجميلة التي كانت جائزة له شرعاً وعقلاً.

فسبحان الله العزيز!! حـال ديانة العـوام عند أهل الكتـاب في تـرك الأمر الجـائز لأجل الديانة هكـذا، وحـال ديانة الأنبيـاء

---

1 (?) هذه الوصايا العشر هي:

1- أنا الله وبكم واحد . 2- لا يكن لكم معبود من دوني .
3- لا تحلف باسم ربك كاذباً . 4- اذكر يوم السبت واحفظه .
5- بر والديك وأكرمهما . 6- لا تقتل نفساً .
7- لا تزن . 8- لا تسرق .
9- لا تشهد بشهادة زور . 10- لا تحسد أخاك فيما رزقه .

انظر: سفر الخروج: (10/1-17)، والتثنية: (5/6-12) .

2 (?) سفر الخروج: (20/14)، وسفر التثنية: (5/18).

3 (?) سفر الخروج: (20/17)، وسفر التثنية: (5/21).

الإسرائيليين في ارتكاب الفواحش هكذا!!.

والسادسة: أنه لما لم تحصل ثمرة مقصودة على إسكار أوريا؛ عزم داود على قتله، فقتله بسيف بني عمون، وفي الفقرة السابقة من الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج « البار الزكي فلا تقتله » .

والسابعة: أنه لم ينتبه إلى خطئه، ولم يتب ما لم يعاتبه ناثان[1] النبي [2].

الثامنة: أن قد وصل إليه حكم الله بأن هذا الولد الذي تولد بالزنا يموت، ومع هذا دعا لأجل عافيته، وصام، وبات على الأرض »[3] .

أما قصة أبيشالوم[4] بن داود الذي زنا بسراري أبيه علناً، نجد أن الشيخ رحمه الله يرى تفوق هذا الابن على روبيل ابن يعقوب الذي زنا ببلها سرية أبيه من ثلاثة أوجه:

« الأول: أنه زنى بجميع سراري أبيه بخلاف روبيل فإنه زنى بسرية واحدة.

---

1 (?) ناثان: هو ثالث أبناء داود الذين ولدوا في القدس، ويظن أهل الكتاب أنه نبي يعتقدون أنه كان موظفاً عند داود وسليمان كمستشار. قاموس الكتاب المقدس: (943) .

2 (?) انظر: سفر صموئيل الثاني: (1/12-15). وناثان لم يثبت عندنا أنه نبي فنقف عند عبارة الشيخ السابقة.

3 (?) إظهار الحق: (4/1245-1246) بتصرف يسير .

4 (?) ابيشالوم: هو ثالث أبناء داود ، ولد في حبرون (الخليل)، ولما زنى أمنون بأخته ثامار بنت داود، قتله أبيشالوم وهرب خارج المملكة، وبعد صدور عفو داود عنه رجع وكون جيشاً قاتل به جيش أبيه داود فقتل ابيشالوم. ’’قاموس الكتاب المقدس: (13-119).

والثاني: أنه زنى تجـاه جميع إسـرائيل علانية بخلاف روبيل فإنه زنى خفية.

والثالث: أنه حارب أباه حـتى قتل عشـرون ألفـاً من بـني إسرائيل، وداود ؛ مع صدور هذه الأمور عن هذا الخلف السـوء كان وصى رؤساء العسـكر أن لا يقتله أحـد، لكن يـوآب خـالف أمـره، وقتل هـذا الخلف السـوء، ولما سـمع داود بكى بكـاءً شديداً وحزن عليه » [1].

ويتعجب الشيخ رحمه الله من هذه القصة لا لأنها صـدرت عن ولد نـبي، لأنها ليست عجيبة في حكم كتبهم، بل لأمر آخر يقـول: « بل أتعجب أن زناءه بسرارى أبيه كان بعدل الرب وهو كـان هيج هذا الزاني، لأنه كان وعـده على لسـان ناثـان النـبي لما زنى داود بامرأة أوريا.

في البـاب الثـاني عشر من سـفر صـموئيل الثـاني هكـذا: (فهـذا ما يقـول الـرب هـوذا أنا مثير عليك شراً من بيتك وآخذ نساءك عيانك فـأعطي صـاحبك فينضـجع مع نسـائك عيـان هذه الشمس فإنك أنت فعلت هـذا خفيـاً وأنا أجعل هـذا الكلام أمـام جميع إسـرائيل وفي مقابل الشمـس) » [2].

سادساً: في سليمان :

يــرد الشيخ رحمه الله على القصة المفـتراة في سـليمان ، بما احتوته هذه القصة من خمس خطيئات هي في حكم المحالات، يقول:

---

[1] (?) إظهار الحق: (4/1247).

[2] (?) المرجع السابق: (4/1248).

« **الأولى**: وهي أعظمها؛ أنه ارتد في آخر عمره الذي هو حين التوجه إلى اللـه، وجـزاء المرتد في الشـريعة الموسـوية الرجم ولو كان نبيـاً ذا معجـزات[1]، ولا يعلم موضع من مواضع التوراة أنه يقبل توبة المرتد، ولو كـانت توبة المرتد مقبولة لما أمر موسى بقتل عبـدة العجل حـتى قتل ثلاثة وعشـرين ألف رجل على خطأ عبادته[2].

والثانية: أنه بنى المعابد العالية للأصـنام في الجبل قـدّام أورشليم، وهـذه المعابد كـانت باقية مـئين سـنة، حـتى نجسـها وكسر الأصنام يوشيا بن آمون ملك يهوذا في عهـده بعد مـوت سليمان بأزيد من ثلاثمائة وثلاثين سنة.

والثالثة: أنه تزوج نساء من الشـعوب الـتي كـان الله منع من الالتصاق بهم.

والرابعة: تـزوج بـألف امـرأة، وقد كـانت كـثرة الأزواج محرمة على من يكون سلطان بني إسرائيل.

والخامسة: أن نسـاءه كن يبخـرن ويـذبحن للأوثـان، وفي الشريعة الموسوعة من يذبح للأوثـان يقتـل، وما اجـرى عليهن الحدود »[3].

فجميع هـذه الأمـور عـدها الشيخ رحمه الله من المحـالات الـتي يستحيل صدورها عن الأنبياء

ومن هنا نخلص إلى أن الشيخ رحمه الله أبطل مطـــــاعن أهل الكتاب في أنبيائهم من باب رد شـبهاتهم في محمد ، فهو من باب قياس ما استدل به علمـاء البروتسـتانت من أمـور عـدوها

---

1 (?) انظر: سفر التثنية: (13/1-11)، (17/2-7).

2 (?) انظر: سفر الخروج: (32/28).

3 (?) إظهار الحق: (4/251) .

ذنوباً تقـدح في نبـوة سـيدنا محمد ﷺ ، بـذنوب أنبيـائهم والـتي وردت في كتبهم، فـأثبت من خلال هـذا القيـاس أنه من بــاب أولى أن يقدح هؤلاء المعترضون بنبوة أنبيائهم لاقترافهم ذنوبـاً ر يقترفها العوام من الناس.

ومن خلال هـذا المقصد الـذي كـان يـرمي إليه الشـيخ أبطل تلك القصص لاستلزامها المحالات، ولثبوت الكذب فيها.

ولقد اعتمد الشيخ رحمه الله في نقل هــذه الصــور من ذنــوب الأنبياء على المنهج النقلي من كتب العهـدين موثقـاً ذلك بـذكر رقم الفقرة والسفر، ثم يعلق على مدى كذب هـذه النصـوص، وأحوالها العارية عن الصـحة في حق أنبيـاء اللـه، ويكـون هـذا التعليق أحيانــاً بصـيغة الاسـتفهام الإنكـاري وقد يكـون بما هو مستغرب ومستنكر عقلاً - كما مرّ معنا-.

المبحث الثالث: إثبات نبوة محمد ﷺ

اقتضت حكمة [illegible] أن لا يرسل رسله إلا بالدلائل والحجج والبراهين المبينة للدلالة على صدقهم في دعواهم أنهم رسل الله كي تقوم الحجة على الناس: [illegible] [الحديد: 25]. وقال تعالى: [illegible] [النساء: 165].

والنبي محمد ﷺ أمده الله تعالى بالمعجزات البينات الباهرات، والتي أعظمها معجزة القرآن الكريم.

ولقد اعتاد العلماء المتعرضون لإثبات نبوة محمد ﷺ أن يستدلوا على نبوته بطريقة توافق المؤمنين المصدقين بنبوته ﷺ، سالكين في ذلك عدة مسالك أشهرها إظهار معجزة القرآن الكريم، وهي معجزة عقلية خالدة تدل دلالة قاطعة على صدق نبوته ﷺ .

ومن هذه المسالك إظهار المعجزات الحسية الكثيرة التي أجراها الله تعالى على يديه: كنبع الماء بين أصابعه، وتكثير الطعام، وشفاء المرضى، وانشقاق القمر، وحنين الجذع، وحديث العجماوات، وغيرها من المعجزات الوقتية.

ومنها: إظهار ما ذكره من الغيبات الماضية والحاضرة والمستقبلة، والتي حصلت كما أخبر عنها ﷺ .

ومنها: ذكر أنواع من الحالات التي صاحبت بعض المشركين -أفراداً وجماعات- عندما أرادوه بسوء والتي أظهرت نصر الله وتأييده له.

ثم تعرض العلماء بطريقتهم هذه إلى ذكر أحوال الرسـول قبل البعثة وبعـدها، مثل ذكر نسـبته وولادته ونشـأته وأخلاقه وصفاته ومعاملته للمسلمين والمشركين وأهل الكتاب بما يؤيد كونه نبياً صادقاً.

وقد اسـتدل كثـير من مفكـري الغـرب بـأخلاق محمد وصفاته على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام، وألفوا في ذلك مؤلفات كثيرة[1].

وبعد استدلال العلماء على نبوة محمد بالطريقة السابقة كـانوا ينقلـون ما يؤيـدون به كلامهم من أقـوال علمـاء اليهـود والنصـارى وملـوكهم- من أسـلم منهم ومن لم يسـلم- في الشهادة لمحمد بالنبوة.

ولم يخرج الشيخ رحمه الله في المسالك الخمسة الأولى من فصله الأول من البـاب السـادس عن مثل هـذه الأمـور، فـذكر من معجزات محمد الدالة على نبوته سبعين معجـزة، واسـتدل على صدق نبوته أيضاً بأخلاقه وصـفاته، وما اشـتملت عليه شـريعته الغراء وظهور دينه على سائر الأديان.

ولم يكتف الشيخ رحمه الله بهـذه الطريقة النقلية في الاسـتدلال بل سار أيضاً على نهج علمـاء المسـلمين الـذين اسـتدلوا على الخصم بما يعترف به من نصوص كتبه.

ولا يعـني الاسـتدلال على الخصم من كتبه أن دلائل صـدق محمد محصـورة في كتب أهل الكتـاب فحسـب، بل النـبي الصـادق له من دلائل الصـدق ما يكفي لإقنـاع جميع النـاس، بحيث لا يكفر من يكفر إلا عناداً واستكباراً.

---

[1] (?) انظـر: الشـيخ رحمت الله الهنـدي: إظهـار الحـق: (4/1073).

والبشارات الواردة في كتب أهل الكتاب هي إحدى دلائل الصدق على نبوة محمد ﷺ لا كلها، وفائدة هذه البشارات هي لفت نظر أهل الكتاب، وحثهم على المسارعة إلى الإيمان بهذا النبي أكثر من فائدتها للمسلمين المصدقين بنبوته، وأهل الكتاب هم أولى وأحق بفهم هذه البشارات من غيرهم، فيكون الاستدلال عليهم بما في كتبهم من قبيل الإلزام.

وقد حدد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الفصل المذكور مسالك إثبات النبوة فيما يلي:

المسلك الأول: استدل فيه على نبوته ﷺ بالمعجزات التي أخبر بها أو جرت على يديه.

المسلك الثاني: استدل فيه بنبوته ﷺ بأخلاقه وصفاته.

المسلك الثالث: استدل فيه على نبوته ﷺ بما تشتمل عليه شريعته الغراء.

المسلك الرابع: استدل فيه على نبوته ﷺ بظهوره بين قوم لا كتاب لهم.

المسلك الخامس: استدل فيه على نبوته ﷺ بظهوره في وقت كان الناس في حاجة إليه.

المسلك السادس: استدل فيه على نبوته ﷺ بإخبار المتقدمين عليه عن نبوته.

وقد أجملت هذه المسالك في المطالب التالية:

المطلب الأول: استدلال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على نبوة محمد ﷺ بالمغيبات التي أخبر بها فوقعت، وبالمعجزات الحسية التي جرت على يديه ﷺ .

المطلب الثاني: استدلال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على نبوة محمد ﷺ من غير المعجزات.

المطلب الثالث: اســتدلال الشيخ رحمه الله على نبــوة محمد ﷺ ببشارات الأمم السابقة.



المطلب الأول: استدلال الشيـخ رحمت الله على نبوة محمد ﷺ بالمغيبات التي أخبر بها فوقعت، وبالمعجزات الحسية التي جرت على يديه ﷺ:

رسـولنا محمد ﷺ باعتبـاره خـاتم الأنبيـاء وسـيد المرسـلين أمـــده الله تعـــالى بالعديد من الآيـــات والمعجـــزات والـــدلائل والبينات ما فاق بها جميع الأنبياء قبله.

ولقد قسم الشيخ رحمت الله هذه المعجزات إلى نوعين:

النوع الأول: إخباره ﷺ عن الغيبات الماضية والمستقبلة.

النـوع الثـاني: الأفعـال الـتي ظهـرت منه ﷺ على خلاف العادة.

أما النوع الأول: إخبـاره ﷺ عن الغيبيـات الماضـية والمسـتقبلة فقد بين الشيخ أن الماضية:

« قصص الأنبيـــاء عليهم الســـلام وقصص الأمم البالية من غير سماع من أحد ولا تلقين من كتـاب» [1] لأنه ﷺ « كـان أميـاً ما قرأ ولا كتب ولا اشتغل بمدارسة مع العلماء ولا مجالسة مع الفضـلاء، بل تـربى بين قـوم يعبـدون الأصـنام، ولا يعرفـون الكتاب، وكانوا عـارين عن العلـوم العقلية أيضـاً، ولم يغب عن قومه غيبـةً يمكن له التعلم فيها من غـيرهم »[2]. وهـذا ما بينه تعـالى بقولـه:

[illegible] [هود: 49].

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1001).

2 (?) المرجع السابق: (3/816).

أما المواضع الــتي خــالف فيها القــرآن الكــريم القصص المذكورة في كتب أهل الكتاب كقصة صلب المسيح وغيرها؛ فقد بين الشــيخ أن هــذه « المخالفة قصــدية: إما لعــدم كــون بعض هــذه الكتب أصــلية كــالتوراة والإنجيل المشــهورين، وإما لعــدم كونها إلهامية ويــدل على ذلك قوله تعــالى:

[النمل: 76] » [1].

أما المغيبات المســتقبلة فقد ذكر الشيخ رحمه الله أمثلة ونمــاذج متعــــــــــددة لــــــــــذلك ســــــــــواء الــــــــــواردة في القرآن الكريم أو الأحاديث الشــريفة، ومن هــذه المغيبــات المســــــــــــتقبلة ما حــــــــــــدثت وتحققت في عهد النبي أو الصحابة، ومنها ما تحققت بعد ذلك بقــرون، ومنها ما لم يتحقق كأشراط الساعة[2].

ثم قال الشيخ رحمه الله بعد سرده لتلك الأحاديث والآيات موجهاً كلامه لمن شـــكك في صـــحة تلك الأحـــاديث من علمـــاء البروتستانت: « فإن أراد أحد منهم أن يعــترض على أخبــار من الأخبارات المستقبلة المندرجة في القــرآن والحــديث فعليه أن يــبين أولاً صــحة هــذه الأخبــار المندرجة في كتبهم ثم يعــترض »[3].

النوع الثاني: الأفعال التي ظهرت منه على خلاف العادة.

لقد أجـــرى الله تعـــالى على يد نبينا محمد معجـــزات

---

1 (?) لمرجع السابق: (3/1021).

2 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1001-1019).

3 (?) المرجع السابق: (4/1021).

باهرات، وآيـات مبصـرات، إذا نظر فيها مريد الحق ، دلته على أنها شهادة صادقة من الله لرسوله .

وقد عدها بعض العلماء فنافت على ألف معجزة، وقد ألف فيها مؤلفــات ، وتناولها علمــاء التوحيد والتفســير والحــديث والتاريخ بالشرح والبيان.

يقول الشيخ رحمه الله: إن « هـذه المعجـزات وإن لم يتـواتر كل واحد منها، فالقدر المشـترك بينها متـواتر بلا شـبهة؛ كشـجاعة علي وسـخاوة حـاتم وهـذا القـدر يكفي. بخلاف الحـالات الـتي ذكرها مرقس ولوقـا، والـتي كلها آحـاد وليس لها اعتبارها مثل الأحـاديث الصـحيحة المروية بروايـات الآحـاد الثابتة أسـانيدها المتصلة »[1].

ولقد ذكر الشيخ رحمه الله أربعين رواية تدل على تلك المعجزات الحســية الــتي أجراها الله تعــالى على يد نبيه وســأكتفي بمعجــزتي الإســراء والمعــراج وانشــقاق القمر لما فيها من مناقشات مع النصارى.

أولاً: الإسراء والمعراج:

من الآيـات البينـات على صـدق رسـول الله إسـراء الله تعالى بنبيه محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصـى، حيث جمع الله له الأنبياء، فصلى بهم إماماً.

قال تعالى: [illegible] [الإسراء: 1].

ومن هنا عــرج به إلى الســموات العلا، وهنــاك رأى من آيات ربه الكبرى، رأى جبريل على صورته الحقيقية الـتي خلقه

---

1 (?) المرجع السابق: (4/1072-1073) بتصرف يسير.

الله عليها، وصعد به إلى سدرة المنتهى، وجاوز السبع الطباق وكلمه الرحمن وقربه.

يقول الله تعالى: [illegible] [النجم: 12-18].

يقول الشيخ رحمه الله في تقرير هذه الآية: « فهذه الآية[1] والأحاديث الصحيحة[2] تدل على أن المعراج كان في اليقظة بالجسد، أما دلالة الأحاديث ففي غاية الوضوح، وأما دلالة الآية؛ فلأن العبد يطلق على مجموع الجسد والروح، قال تعالى: [illegible] [الجن: 19].

ولا شك أن المراد في الموضعين من العبد مجموع الروح والجسد، فكذا المراد بالعبد ههنا، ولأن الكفار استبعدوا هذا المعراج وأنكروه، وارتد بسماعه ضعفاء المسلمين وافتتنوا به.

فلو لم يكن المعراج بالجسد وفي اليقظة لما كان سبباً لاستبعاد الكفار وإنكارهم وارتداد ضعفاء المسلمين وافتتانهم، إذ مثل هذا في المنامات لا يعد من المحال ولا يستبعد ولا ينكر. ألا ترى أن أحداً لو ادعى أنه سار في نومه مرة في الشرق ومرة في الغرب وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل

---

1 (?) يقصد آية: [illegible] [الإسراء: 1].

2 (?) انظر: صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الإسراء في (3886)، وباب المعراج ح: (3887)، ص(652)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله [illegible] إلى السماء وفرض الصلوات: (1/99-101).

حالة الأولى لم ينكره أحد ولم يستبعد »[1].

ثم أضـــاف الشيخ رحمه الله إلى ذلك أدلة على عـــدم اســـتحالة المعـراج بالجسد والـروح عقلاً ونقلاً، وموجهـاً كلامه عن أنكر هذه المعجزة من النصارى قائلاً:

« ولا استحالة فيه عقلاً ونقلاً:

أما عقلاً: فلأن خـالق العـالم قـادر على كل الممكنـات، وحصـول الحركة البالغة في السـرعة إلى هـذا الحد في جسد محمد ﷺ ممكن، فـوجب كونه تعـالى قـادراً عليـه، وغاية ما في الباب أنه خلاف العادة، والمعجزات كلها تكون كذلك »[2].

وأما عدم استحالتها نقلاً عن كتب أهل الكتاب فإن صـعود الجسم العنصـري إلى الأفلاك ليس بممتنع عند أهل الكتاب.

1-فهذا أخنوخ النبي[3] [عندهم] نقله الله حيـاً إلى السـماء حتى لا يرى الموت[4].

2-أن إيليا أصعده الرب بالعجاج إلى السماء[5].

3-أن يسوع الرب -بزعمهم- صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله[6].

---

1 (?) إظهار الحق: (1022/4-1023).باختصار.

2 (?) إظهار الحق: (1023/4).

3 (?) اخنوخ ابن يارد، من نسل شيث، وفي الكتـاب المقـدس أن أخنوخ سار مع الله أي أنه عاش في طاعة الله، وفيه أن الله أخذه لكي لا يرى الموت. (قاموس الكتاب المقدس: 32).

4 (?) طريق الأوليـــاء: نقلاً عن الشـــيخ رحمت الله الهنـــدي: إظهار الحق: (1023/4)، وانظر: سفر التكوين: (24/5).

5 (?) انظر: سفر الملوك الثاني: (1/2-11).

6 (?) انظر: إنجيل مرقس: (19/16).

4-أن بولس عرج إلى السماء الثالثة وإلى الفردوس[1].

5-وأن يوحنا قال في المكاشفات: (بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته كبوق يتكلم معي قائلاً: اصعد إلى هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا، وللوقت صرت في الروح وإذا عرش موضوع في السماء وعلى العرش جالس)[2].

ثم قال الشيخ رحمه الله: « فهذه الأمور مسلمة عند النصارى، فلا مجال للقسيسين أن يعترضوا على معراج النبي عقلاً ونقلاً »[3].

ثانياً: انشقاق القمـــــــر:

من معجزاته انشقاق القمر، فقد سأل أهل مكة الرسول آية فانشق القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما، وقد كان القمر عند انشقاقه بدراً[4].

وقد سجل ذكر هذه الآية في كتابه، فقال: [illegible] [القمر: 1-2].

وينقل ابن كثير إجماع المسلمين على وقوع هذه الآية، كما يذكر أنه قد وردت الأحاديث بذكر انشقاق القمر متواترة

---

1 (?) انظر: رسالة بولس الثانية إلى أهل كونثوس: (2/12-4).

2 (?) انظر: رؤيا يوحنا اللاهوتي (سفر المشاهدات): (1/4-2).

3 (?) إظهار الحق: (4/1025).

4 (?) انظر: صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي آية فأراهم انشقاق القمر، ص(10)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر: (8/132).

من طرق متعددة تفيد القطع[1].

ولقد بين الشيخ رحمه الله أن هـذه المعجـزة قد وقعت وتحققت لمجيء الفعل بلفظ الماضي وأن حمله على معـنى ''سينشق'' بعيد لأوجه أربعة:

« الأول: أن قـــراءة حذيفة (وقد انشق القمـــر) وهي صحيحة في الزمان الماضي، والأصل توافق القراءتين.

الثـاني: أن الله أخـبر بإعراضـهم عن آياتـه، والإعـراض الحقيقي عنها لا يتصور قبل وقوعها.

والثـالث: أن المفسـرين المشـهورين صـرحوا بـأن انشق بمعناه، وردوا قول من قال بمعنى: ''سينشق'' .

والرابـع: أن الأحـاديث الصـحيحة تـدل على وقوعه قطعـاً »[2].

ورد الشيخ رحمه الله على شبهة المنكرين من النصارى القائلين:

« أن الأجـرام العلوية لا يتـأتى فيها الخـرق والالتئـام، وأن هـذا الانشـقاق لو وقع لم يخف على أهل الأرض كلهم ولنقله مؤرخو العالم »[3].

رد عليها عقلاً ونقلاً على النحو التالـي:

أولاً: إبطال هذه الشبهة نقلاً:

1-أن حادثة طوفان نوح حادثة عظيمة جداً، وكـانت على الأرض كلها، وهي مذكورة في الإصحاحين السـابع والثـامن من

---

1 (?) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: (3/129)، (6/450-456، 671).

2 (?) إظهار الحق: (4/1027).

3 (?) المرجع السابق: (4/1028).

ســـفر التكـــوين، مع ذلك فـــإن مشـــركي الهند والفـــرس، والكلدانيين وأهل الصين ينكرون هذه الحادثة إنكاراً بليغـاً، وأما ملاحدة نصارى العرب فيستهزئون بها وينكونها، ويتجاوزن الحد في إساءة الأدب على الله تعالى وعلى نبيه نوح ، فهل يرضى القسيسون بإنكار الأمم المشرقية لحادثة الطوفـان وباسـتهزاء الملاحدة من قومهم؟!.[1]

2-أن حادثة وقوف الشمس يوماً كاملاً ليوشع ’’يشـوع بن نــون‘‘ مــذكورة في ســفر يوشــع، وذكر مؤرخو أهل الكتــاب ومفسروهم بأنها دامت إلى أربع وعشرين ساعة، فهذه الحادثة العظيمة التي وقعت سـنة (1450ق.م)، يجب أن يراها سـكان الأرض جميعـــــاً، لأن الســـــحاب الغليظ لا يمنع العلم بها في المناطق التي كان عليها النهار، وأما سكان المناطق التي كـان عليها الليل فلابد أن يعلموا بهـذه الحادثة لامتـداد ليلهم بمقـدار أربع وعشرين ساعة.

ومع ذلك فـــإن مشـــركي الهند والفـــرس وأهل الصـــين ينكرونها ولم تذكر في تواريخهم وملاحدة أوروبا يسـتهزئون بها ويوردون عليها اعتراضات، فهل يقبل القسيسـون بإنكـار الأمم المشرقية لهذه الحادثة وباعتراضات أبنائهم الملاحدة[2].وكذلك الحال بالنسبة لمعجزة رجوع الشمس عشر درجات لأشعيا[3].

3-أن مـتى روى في إنجيله[4] عـدة حـوادث عظيمة وقعت بعد حادثة الصـلب مباشـرة، وهي انشـقاق حجـاب الهيكل من فــوق إلى أســفل، وتزلــزل الأرض، وتشــقق الصــخور، وتفتح

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1029-1032)

2 (?) انظر المرجع السابق: (4/1032-1035).

3 (?) انظر: المرجع السابق: (4/1035).

4 (?) (27/51-53).

القبـور، وخـروج القديسـين -بـزعمهم- من قبـورهم، ودخـولهم المقدس، وظهورهم للكثيرين.

ويبين الشيخ أن هذه الحـوادث كاذبة يقينـاً لكن نقـول: إن هذه الحوادث العظيمة غير مـذكورة في كتب الرومـان ولا في كتب اليهـود، بل لم يـذكرها إنجيل يوحنـا، وأما إنجيل مـرقس وإنجيل لوقا فذكر انشقاق حجاب الهيكل فقط ولم يذكر بـاقي الأمـــور العظيمـــة، علمـــاً بـــأن ذكرها أولى من ذكر صـــراخ المصلوب وأمور أخرى لا قيمة لها اتفقا على ذكرها.

وعلمـاً أن بعض الأمـور يبقى أثرها بعد الوقـوع كتشـقق الصـخور وتفتح القبـور، والعجب أن مـتى لم يـذكر أين ذهب القديسون بعد خروجهم من قبورهم، هل بقوا على قيد الحياة، أم رجعوا إلى قبورهم؟!.

ولهذا استهزأ بعضهم بهذه المبالغات الشـنيعة فقـال: لعل متى رآها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسـعة[1]، وهـذه الحادثة لما كانت في النهار على الأرض كلها وممتـدة إلى أربع ساعات فلابد أن لا تخفى على أكثر أهل العالم، مع عدم ذكرها في تواريخ أهل الهند والصين والفرس[2].

4-قصة قتل هيرودس[3] لأطفال بيت لحم وتخومها من هم

---

1 (?) انظـــر: إنجيل مـــتى: (27/45)، إنجيل وقس: (15/33)، إنجيل لوقا: (23/44).

2 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1035-1036).

3 (?) هـيردوس: اسم لعـدد من الحكـام ينتمـون لأسـرة يهودية حكمت فلسطين أو بعض أجزائها من قبل الرومان، ومؤسس هـذه الأسرة هو أنتيبا تروس سنة (43ق.م) .

انظر: قاموس الكتاب المقدس: (1008).

دون ســنتين[1]، انفــرد بها مــتى دون غــيره من الإنجيلــيين والمؤرخين[2].

5-أنه ورد في إنجيل مـــتى[3] وإنجيل مــــرقس[4] وإنجيل لوقا[5] أن يحي عمد عيسى في نهر الأردن، وفي وقت صعود عيسى من الماء، انشقت السـموات وانفتحت ونـزل عليه روح القــدس بهيئة جســمية في شــكل حمامــة، وقــال صــوت من السموات: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

فانشقاق السموات لما كان في النهار فلابد أن يـراه أكـثر العالم، وكذا رؤية الحمامة المجسمة وسماع الصــوت لا يختص بواحد دون غــيره من الحاضــرين، ومع ذلك لم يكتب أحد من مؤرخي ذلك الزمان هذه الحادثة غير الإنجيليين الثلاثـة، ولـذلك صارت سبباً لاستهزاء ملاحـدة أوروبا فقـالوا: لمـاذا أبقانا مـتى محــرومين من معرفة الأبــواب الــتي انفتحت هل هي أبوابها الكبيرة أم المتوسطة أم الصغيرة؟! وفي أي جانب منها كـانت هذه الأبواب؟! وقسوسنا يضربون رؤوسهم متحيرين في تعيين ذلـــك، ولمـــاذا لم يخبرنا مـــتى عن الحمامة هل أخـــذها أحد وحبســـها في القفص، أم رأوها راجعة إلى الســـموات؟! وإذا رجعت إلى السموات هل بقيت أبوابها مفتوحة كل هذه المدة؟ وهل رأوا باطن السموات بوجه حسن؟![6].

إذن فـــالاعتراض على معجـــزة انشـــقاق القمر لمحمد

[1] (?) انظر: إنجيل متى: (2/16).

[2] (?) انظر: إظهار الحق: (4/1037).

[3] (?) انظر: إنجيل متى: (3/16-17).

[4] (?) انظر: إنجيل متى: (1/10-11).

[5] (?) انظر: إنجيل لوقا: (3/21-22).

[6] (?) انظر: إظهار الحق: (4/1037).

اعـتراض باطل ولا قيمة لـه؛ لاقتضـائه إنكـار ما احتـوت عليه كتبهم المقدسة من حوادث مشابهة.

ثانياً: بطلانها عقلاً:

أبطل الشيخ رحمه الله شـبهة المنصـرين السـابقة عقلاً بوجـوه ثمانية:

1-أن انشــقاق القمر كــان في الليــل، وهو وقت الغفلة والنوم والسـكون عن المشي والـتردد في الطـرق لاسـيما في موسم الـبرد، فلا يكـاد يعـرف من أمـور السـماء شـيئاً إلا من انتظره واعتنى به.

2-أن فترة امتداد هذه الحادثة قصير، فما كـان للنـاظر أن يذهب إلى الغير الذي هو بعيد وينبهه أو يوقظ النائم ويريه.

3-أنها لم تكن متوقعة الحصول لأهل العـالم لينظروها في وقتها، بخلاف أولئك الذين كانوا طالبين لهذه المعجزة.

4-أنه قد يحــول في بعض الأمكنة في بعض الأوقــات بين الرائي والقمر سحاب غليظ أو جبل، ويوجد التفـاوت في بعض الأوقات في الديار التي ينزل فيها المطر كثيراً.

5-أن القمر لاختلاف مطالعه ليس في حد واحد لجميع أهل الأرض، فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين.

6-أنه قلما يقع أن يبلغ عدد نـاظري أمثـال هـذه الحـوادث النــادرة الوقــوع إلى حد يفيد اليقين، وإخبــار بعض العــوام لا تكون معتبراً عند المؤرخين في الوقائع العظيمة.

7-أن المـؤرخين كثـيراً ما يكتبـون الحـوادث الأرضـية ولا يتعرضون للحوادث السماوية إلا قليلاً لاسيما مؤرخي السلف.

8-أن المنكر إذا علم أن الأمر الفلاني معجـــــزة أو كرامة

للشخص الذي ينكره تصدى لإخفائها، ولا يرضى بذكرها وكتابتها غالباً[1].

فظهر أنه لا اعـــتراض عقلاً ولا نقلاً على معجـــزة شق القمر.

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح البـاري؛ إنكـار « جمهور الفلاسفة انشقاق القمر متمسكين بأن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الانخــراق والالتئــام، وكــذا قــالوا في فتح أبــواب السماء ليلة الإسراء، إلى غير ذلك من إنكـارهم ما يكـون يـوم القيامة من تكوير الشـمس... ولا سـبيل إلى إنكـار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيامة، فيستلزم جواز وقوع ذلك معجزة النـبي ، وقد أجـاب القـدماء عن ذلـك، فقـال أبو إســحاق الزجــاج[2] في معــاني القــرآن: أنكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة انشقاق القمر ولا إنكـار للعقل فيــه، لأن القمر مخلــوق الله يفعل فيه ما يشــاء، كما يكــوره يـــوم البعث ويفنيه.

وأما قــول بعضــهم: لو وقع لجــاء متــواتراً، واشــترك أهل الأرض في معرفته، ولما اختص به أهل مكـة. فجوابـه: أن ذلك وقع ليلاً، وأكـثر النـاس نيـام والأبـواب مغلقـة، وقل من يراصد السـماء إلا النـادر، وقد يقع بالمشـاهدة في العـادة أن ينكسف القمر وتبــدو الكــواكب وغــير ذلك في الليل ولا يشــاهدها إلا الآحاد...

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1038-1041).

2 (?) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البغدادي، من شيوخه المبرد، له تصانيف منها: معاني القرآن، توفي سنة 311هـ. (انظـر: الإمـام الذهبي: سير أعلام النبلاء: (14/360).

وقال الخطابي[1]: إنشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعـدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك ظهر في ملكوت السماء ...

وقد أنكر ذلك بعضهم، فقال:

لو وقع ذلك لم يجز أن يخفى أمره على عوام الناس، لأنه أمر صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء...

والجــواب على ذلــك: أن هــذه القصة خــرجت عن بقية الأمور الـتي ذكروهـا، لأنه شـيء طلبه خاصة من النـاس فوقع ليلاً لأن القمر لا سلطان له بالنهار...

فقد يجوز أنه وقع ولم يشعر به أكثر النـاس، وإنما رآه من تصدى لرؤيته ممن اقترح وقوعه، ولعل ذلك إنما كان في قــدر اللحظة التي هي مدرك البصر » [2].

وقد نقل الإمـام النـووي[3] قـولاً مقاربـاً لهـذا في المنهـاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج[4].

فهكذا رأينا أن منهج الشيخ رحمه الله مقـارب لمنهج كبـار علمـاء

---

[1] (?) هو حمد بن محمد البستي الخطابي، أبو سـليمان، شـافعي المذهب، له تصانيف منها: الغنية عن الكلام، توفي سـنة (388هـ). (انظر: الإمام الذهبي: سير أعلام النبلاء: 17/23).

[2] (?) (7/185) .

[3] (?) الإمـام النـووي: هو يحـيى بن شـرف بن مـري بن حسن النـووي، الدمشـقي، الشـافعي (محي الـدين، أبو زكريـا)، فقيـه، محدث، حافظ، لغوي، ولد بنوى سـنة (631هـ) وتـوفي بها سـنة (677هـ)، من تصـانيفه: الأربعـون النووية في الحـديث، التبيـان في آداب حملة القرآن، وريـاض الصـالحين (انظـر: عمر كحالـة: معجم المؤلفين: 4/98) .

[4] (?) انظر: محي الدين النووي: المنهاج شرح صـحيح مسـلم بن الحجاج، (17/144)، ط4، (1997م) دار المعرفة-بيروت .

الإسـلام في إثبـات هـذه المعجـزة عقلاً، بل إنه اسـتعمل نفس المنطق العقلي، وبنفس الحجة والبرهـــان الـــتي رد بها كبـــار العلمـاء المسـلمين على الفلاسـفة وغـيرهم في زمـانهم، لكن الشيخ تميز عنهم بنقل الحوادث والأخبار الـتي وقعت في كتب العهـدين، لأنه يــرد على القسيسـين الـذين لا يعـترفون بكتب علماء الإسلام لا سيما "فندر".

المطلب الثاني: استدلال الشيخ رحمت الله على نبوة محمد ﷺ من غير المعجزات:

أثبت الشيخ رحمه الله نبوة سيدنا محمد ﷺ بالمعجزة وغير المعجزة، وهذا المسلك موافق لمنهج أهل السنة والجماعة في إثبات نبوة محمد ﷺ إذ عدوا المعجزة إحدى دلائل النبوة وغير منحصرة فيها فقط.

وفي المسالك التي سلكها الشيخ رحمه الله لإثبات نبوة محمد ﷺ من المسلك الثاني إلى المسلك الخامس استدل على نبوة محمد ﷺ بأخلاقه وصفاته، وبما اشتملت عليه شريعته الغراء، وأنه ظهر بين قوم وثنيين، ثم ظهر دينه على سائر الأديان في مدة قليلة، بالإضافة إلى ظهوره في وقت كان الناس بحاجة إليه.

وفيما يلي منهجه في إثبات نبوة محمد ﷺ بالمسالك السابقة:

أولاً: الاستدلال بأخلاقه ﷺ وصفاته على نبوته:

يقول الشيخ رحمه الله موضحاً هذا المسلك:

« قد اجتمع فيه ﷺ من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجزيلة والكمالات العملية والعلمية والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنسب والوطن ما يجزم العقل بأنه لا يجتمع في غير نبي.

فإن كل واحد منها وإن كان يوجد في غير النبي أيضاً، لكن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء، فاجتماعها في ذاته ﷺ من

دلائل النبــوة، وقد أقر المخــالفون أيضــاً بوجــود أكــثر هــذه المحاسن في ذاته »[1] .

قلت: هــذا الاســتدلال من أقــوى الأدلة وأجلاهــا، ذلك أن قــريش كـانت تسـمي رسـول الله قبل بعثته بـالأمين، وذلك لصدقه وأمانته، لذلك نجد أن بعض الصحابة كأبى بكر الصـديق لم يحتج إلى دليل ليسـتدل به على صـدق رسـول الله ، لأن شخصيته وسيرته أعظم دليل.

وكذلك عبدالله بن سلام الذي كـان يهوديـاً فاسـلم، الـذي قــال: ⁽ فلما رأيت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كــذاب ⁾ .[2]

وهذا هرقل استدل على صدق النبي بسؤال أبي ســفيان عن حاله وصفاته[3].

ثانياً: الاستدلال على نبوته بما اشتملت عليه شريعته الغراء:

يقول الشيخ رحمه الله موضحاً هذا الدليل:

« من نظر إلى ما اشــتملت شــريعته الغــراء عليه ؛ مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعـاملات والسياسـات والآداب والحكم علم قطعا أنها ليست إلا من الوضع إلهي والـــــــوحي

---

1 (?) إظهار الحق: (1/1073).

2 (?) رواه أحمد في مسـنده: (5/451)، والترمـذي: (4/652)، وابن ماجه: (1/423).

3 (?) انظر: صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كـان بـدء الوحي إلى رسوله الله وقوله تعالى: ... ، ح 7، ص(2).

السماوي.وأن المبعوث بها ليس إلا نبياً »[1].

قلت: رغم أنه كان أمياً إلا أنه جاء بمنهج متكامل لإصلاح الإنسان ولإصلاح المجتمع، خالياً من النقائض والعيوب، غير متعارض مع فطرة الإنسان، ولا تناقض فيها ولا اختلاف بل وحدة متكاملة يصدق بعضه بعضاً.

وقد وجهنا القرآن الكريم إلى هذا النوع من الاستدلال حيث قال: [النساء: 82].

ثالثاً: الاستدلال على نبوته بظهوره بين قوم وثنيين، وظهور دينه على سائر الأديان في مدة قليلة:

يقول الشيخ رحمه الله في هذا:

« أنه ادعى بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم، أني بعثت من عند الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لأنور العالم بالإيمان والعمل الصالح.

وانتصب مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره مخالفاً لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وسلاطينهم وجبابرهم، فضلل آراءهم، وسفه أحلامهم، وأبطل مللهم، وهدم دولهم، وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة شرقاً وغرباً.

وزاد على مر الأعصار والأزمان، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عددهم وعُددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم، وفرط تعصبهم وحميتهم وبذل غاية جهدهم في إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبه.

فهل يكون ذلك إلا لعون إلهي وتأييد سماوي...

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1074).

فلو لم يكن محمد من الصديقين ؛ لأهلك الـرب طريقـه، ورذله وأباد ذكره من الأرض، وكسر سواعده، وأفنـاه كالـدخان -كما هو مصرح في نصوص كتب العهدين- لكنه لم يفعل شــيئاً منها، فكان محمد من الصديقيين »[1].

وفي هذا يقـول ابن الجـوزي:[2] « قـال ابن عقيل[3]: ومن أكـبر الـدلائل على صـدق نبينا ، أن البـاري سـبحانه إنما يمهل الكـذاب يسـيراً ثم يستأصـله بالعـذاب، أفيجـوز أن يمهل من يكذب عليه سنين ثم يثبت شريعته من بعـده؟! وقد أقـدم على نسخ شريعتين قبله، وحلل السـبت، ثم ينصر أتباعه على الأمم ويؤيد حكمته بالإعجاز؟!.

حاشـاه أن يفعل ذلـك، إذ لو فعله لم يتـبين الصـدق من المحـال، ألم تسـمعه تعـالى يقـول: [illegible] [الحاقة: 44-45].

فمن طعن في صدقه، طعن في عدل الباري وحكمته؛ لأن الطعن يتوجه إلى المعين »[4].

وقد أشار القـرآن إلى هـذا الاسـتدلال حيث قـال تعـالى: [illegible] [النحل: 116].

---

[1] (?) إظهار الحق: (4/1073-1706) بتصرف يسير.

[2] (?) ابن الجـــوزي: هو عبد الـــرحمن بن علي بن عبدالله ابن الجوزي القرشي الحنبلي ابو الفـرج، صـاحب زاد المسـير في علم التفسير: وتيسير البيان في علم القرآن،: توفي سنة597هـ (انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء:(21/365-384).

[3] (?) ابن عقيل: هو أبو الوفـاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغـدادي الحنبلي، ولد سـنة 431هــ (انظـر: الـذهبي: سـير أعلام النبلاء:19/443وما بعدها).

[4] (?) الوفا بأحوال المصطفى (1/524).

رابعاً: الاستدلال على نبوة محمد ﷺ بظهوره في وقت كان الناس بحاجة إليه:

يقـول الشيخ رحمه الله في هـذا الاسـتدلال عن نبوته ﷺ: « أنه ظهر في وقت كـــان النـــاس محتـــاجين إلى من يهـــديهم إلى الطريق المسـتقيم، ويـدعوهم إلى الـدين القـويم، لأن العـرب كـانوا على عبـادة الأوثـان ووأد البنـات، والفـرس على اعتقـاد الإلهين، ووطء الأمهـات والبنـات، والـترك على تخـريب البلاد وتعـذيب العبـاد، والهند على عبـادة البقر والسـجود للشـجر والحجر، واليهود على الجحـود ودين التشـبيه وتـرويج الأكـاذيب المفتريـات، والنصـارى على القـول بـالتثليث وعبـادة الصـليب وصور القديسين والقديسات [عندهم]، وهكذا سائر الفـرق في أودية الضلال والانحراف عن الحق والاشتغال بالمحال.

ولا يليق بحكمة الله الملك المـــبين أن لا يرسل في هـــذا الوقت أحـداً يكـون رحمة للعـالمين، وما ظهر أحد يصـلح لهـذا الشـأن العظيم، ويؤسس هـذا البيـان القـويم غـير محمد بن عبدالله ﷺ. فـأزال الرسـوم الزائفـة، والمقـالات الفاسـدة، وأشرقت شموس التوحيد وأقمار التنزيه، وزالت ظلمة الشرك والثنوية والتثليث والتشـبيه -عليه من الصـلاة أفضـلها ومن التحيات أكملها-.

وإليه أشار الله تعالى بقوله: [illegible] [المائدة: 19] »[1].

وفي هذه المسـائل نجد أن الشيخ رحمه الله لم يطل فيها البيـان

---

[1] إظهار الحق: (4/1077).

والتحليل لوضوحها، فقد ألف في كل مسـلك منها كتب كثـيرة، من علماء المسلمين وأهل الكتـاب، كلها يشـهد بأخلاقه وحاجة الزمان إليه .

وبهـذا يكـون الشيخ رحمه الله قد أثبت نبـوة محمد بـالمعجزات وغـــير المعجـــزات من دلالة حاله وصـــفاته ، ولم يبق ســـوى الاســـتدلال على نبوته بإخبـــار الأنبيـــاء المتقـــدمين عنه وهو المطلب التالي.



المطلب الثالث: الاستدلال الشيخ رحمت الله على نبوته ﷺ ببشارات الأمم السابقة:

إن مما يدل على ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ ؛ تبشير الكتب السابقة، كالتوراة والإنجيل والزبور بالنبي ﷺ .

وهذا المسلك السادس عند الشيخ رحمت الله لإثبات نبوة محمد ﷺ والذي هو (إخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته ﷺ)[1].

وهو حقاً دليل مستقل على إثبات نبوته ﷺ ، وعلم عظيم من أعلام رسالته، فقد صرح القرآن الكريم على وجود ذكر محمد ﷺ وأمته في الكتب السماوية السابقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الشعراء: 197].

وقال سبحانه: ﴿ [illegible] ﴾ [يونس:94].

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الرعد:43].

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: 146].

ولقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى وجود ما يزيد عن مائة موضع في كتب أهل الكتاب مما يستدل بها على أنه مذكور بينها، وقد تواتر عن الكثير ممن أسلم وممن لم يسلم أن العلم بوجوده في الكتب المتقدمة من أعظم أسباب

---

[1] (?) إظهار الحق: (4/1078).

إسلامهم[1].

وينبغي أن يعلم أن لاستشهاد بهـذه النصـوص ليس معنـاه الإقرار بصحتها أو الاعـتراف بأنها الـوحي الصـحيح الـذي أنـزل الله على أنبيائه عليهم الصـلاة والسـلام، خاصة وأن ﵀ قد أثبت بما لا يدع مجالاً للشك وباعتراف أهل الكتاب أنفسهم بتحريف تلك الكتب تحريفـاً لفظيـاً قصـدياً، وفيها من الأغلاط والاختلافات ما يبدد دعوى إلهاميتها.

ولكن ﵀ يسـتطرد في جمع الـبراهين والـدلائل ويفنـدها لإفحـام الخصم وإقامة الحجة عليه من الأقـوال الـتي يؤمن بها، كما هو معروف في طريقة المناظرة التي يتبعها في كتبه، وحتى يزداد الذين آمنوا إيماناً، ولتكمل الفائـدة لمن كـان في قلبه ريب وفي صدره حرج.

وقبل أن يسرد ﵀ تلك البشارات يلفت أنظارنا إلى أمـور تـدل على تلازم تلك البشـارات في حق محمد ، وتـدل على تحريف أهل الكتاب لتلك البشارات بل وإخفاء الكثير منها بحذفها يقول ﵀:

1-أن أنبياء بنو إسرائيل أخبروا عن الحـوادث الآتية كحادثة بخت نصر[2] وغيرها من الحـوادث الحقـيرة أمـام حادثة بعثة النبي وما جرى بعد بعثته من إزالة ممالك ودول.

2-أنه لا يشترط في تلك البشارات أن تكـون تفصـيلية، بل

---

[1] (?) انظر: الجواب الصـحيح لمن بـدل دين المسـيح: (5/197)، وما بعدها.

[2] (?) بخت نصـر: هو بختنصر الثـاني ابن نبوبلاسـر، وهما من أعظم ملـوك الكلـدانيين، غـزا بختنصر فلسـطين والقـدس عـدة مرات، أهمها الحدث الذي يعرف بالسبي البابلي عـام (588 ق.م). ’’قاموس الكتاب المقدس‘‘: (917-954).

يكفي فيها الإجمال.

3-ادعاء أن المسيح خـاتم النبـيين ادعـاء باطل لمخالفته نصوص كتب العهـدين من كـونهم ينتظـرون نبيـاً غـير المسـيح وغير إيليا، وبدليل اعترافهم بنبوة الحواريين وبولس وغيرهم.

4-بطلان ادعاء النصارى عدم انتظارهم نبيـاً غـير المسـيح وإيليا.

5-أن أهل الكتاب سلفاً وخلفاً عادتهم جارية في تراجمهم بأنهم غالباً يترجمون الأسماء ويوردون بدلها معانيهـا، ويزيـدون شيئاً بطريق التفسـير في متن الكلام -الـذي هو بـزعمهم كلام الله- وفي ذلك تلبيس على المطلعين على حقيقة كتبهم[1].

وسوف أكتفي من البشارات الثماني عشرة الـتي سـردها الشيخ رحمه الله بالبشــــارة بالفارقليط على اعتبــــار أنها أدل تلك البشارات وأقواها في حقه .

وهي كالتــالي نقلاً عن النص المــذكور في كتــاب إظهــار الحق:

جاء في إنجيل يوحنا[2]: (14/15-30):

15-إن كنتم تحبونــني فـاحفظوا وصــاياي (16)وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلا الأبد (17)روح الحق الذي لن يطيق العـالم أن يقبله لأنه ليس يـراه ولا يعرفه لأنه مقيم عنـــــدكم وهو ثـــــابت فيكم (26) والفارقليط روح القـــدس يرســـله الآب باســـمي وهو يعلمكم كل شـــيء.وهو يــذكركم كلما قلته لكم (30)والآن قد قلت لكم قبل أن يكــون حتى إذا كان تؤمنوا » .

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1078-1112) باختصار.

2 (?) (14/15-30) .

-وفيه[1]: « (26) فأما إذا جـاء الفارقليط الـذي أرسـله أنا إليكم من الآب وروح الحق الـــذي من الآب ينبثق هو يشــــهد لأجلي (27) وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء ».

-وفيه[2]: (7) لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأني إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته إليكم (8) فإذا جـاء ذاك فهو يـوبخ العـالم على خطية وعلى بر وعلى حكم (9) أما على الخطية فلأنهم لو يؤمنـــــوا بي (10) وأما على البر فلأني منطلق إلى الآب ولستم تروننى بعد (11) وأما على الحكم فإن أركون هذا العـالم فقد دين (12) وإن لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنكم لسـتم تطيقـون حمله الآن (13) وإذا جــــــاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخـبركم بما سـيأتي (14) وهو يجحدني لأنه يأخذ مما هو لي ويخبركم (15) جميع ما هو للآب فهو لي فمن أجل هـــــــذا قلت إن مما هو لي يأخذ ويخبركم » [3].

هذه البشارة تعد من أعظم البشارات وأوضـحها وأطولهـا، وهي من البشارات الـواردة في العهد الجديد وفي إنجيل يوحنا فقـط، وهو الإنجيل الـذي ألف بعد رفع المسـيح بـزمن طويـل، وكان هدف واضعه الـرد على منكـري ألوهية المسـيح، ومعـنى هذا أنه وضع في ظروف زمنية كان الصراع فيها مســتحكماً بين الموحدين الذين يؤمنـون برسـالة المسـيح وتبشـيره بمحمد ، وبين الـذين يؤلهـون عيسى ويعتقـدون أنه لم يبشر بأحد من بعده، فتلاعبوا بفقرات الكتاب كما تهوى أنفسهم.

---

1 (?) (15/26-27) .

2 (?) (16/7-15) .

3 (?) نقلاً عن إظهار الحق: (4/1185-1186).

ومع هـذا التلاعب بفقـرات كتبهم عامـة، وبهـذه البشـارة خاصة نجد أنها حافظت على شخصيتها المستقلة التي تنفي أن يكون المراد بها التبشير بنبي غير محمد ﷺ .

وقد اعتنى ﷬ بهذه البشارة عناية فائقة، فقــدم لها بمقدمة بيّن فيها معنى (الفارقليط) وتحليل أصلها، فقال:

« إن من عادة أهل الكتاب أن يترجموا الأسـماء ولا يبقوها على لفظها، وعيسى ﷺ كان يتكلم بالعبرانية لا باليونانية، فإذاً لا يبقى شك في أن الإنجيلي الرابع (أي يوحنـــــا) تـــــرجم اسم المبشر به باليونانية بحسب عادتهم، ثم مترجمو العربية عربــوا اللفظ اليوناني بـ (فارقليط) » [1].

ثم يـــذكر ﷬ أنه قد وجد رســـالة صـــغيرة باللغة الأوردية لبعض القسس عــــام (1268م) طبعت في كلكتـــــا، وكـانت في تحقيق لفظ (فارقليـط)، وملخص كلامـه: أن هـذا اللفظ معــرب من اللفظ اليونــاني، فــإن قلنا إذاً هــذا اللفظ اليونـاني الأصـلي: (بـاركلي طـوس)، فيكـون بمعـنى المعـزي والمعين الوكيـل، وإن قلنا إن اللفظ الأصـلي: (بـيركلوطوس)، يكون قريباً من معنى محمد أو أحمد، ويدعي صـاحب الرسـالة أن علمـــاء ألتبس عليهم الأمـــر، ففهمـــوا أن اللفظ الأصـــلي (بيركلوطوس) وقالوا إن عيسى بشر بمحمد ﷺ [2].

ويـــرد ﷬ على ذلك فيقـــول: « إن التفـــاوت بين اللفظين يسـير جـداً، وإن الحـروف اليونانية كـانت متشـابهة، فتبـديل (بـيركلوطوس) بــ(بـاركليطوس) في بعض النسخ من الكتاب قريب من القياس، ثم رجح أهل التثليث المنكرون هذه النسـخة على النسخ الأخـرى، ومثل هـذا الأمر من أهل الديانة

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1187).

2 (?) انظر: المرجع السابق: (4/1187) .

من أهل التثليث ليس ببعيد بل لا يبعد أن يكـــــــــــــون من المستحسنات »[1].

فترجمة الاســـم، وانتظـــار نـــبي بعد عيسى منذ القـــرون الأولى للنصرانية، تؤكد مصداق هـذه البشـارة في حق محمد [2].

وبعد تلك المقدمة بحث الشيخ رحمه الله هـــــذه البشـــــارة من محورين:

الأول: الاســتدلال على أن المــراد بالفارقليط هو النــبي المبشر به محمد لا الـروح النـازل على عيسى يـوم الـدار، بثلاثة عشر أمراً.

الثاني: الرد على الشبه الواردة على بشارة الفارقليط.

وفيما يلي بيان هذين المحورين:

- المحور الأول: استدلال الشيخ رحمه الله على أن المراد بالفارقليط هو النبي المبشر به محمد لا الروح النازل على عيسى يوم الدار:

وهي ثلاثة عشر أمــراً تنفي أن يكــون المــراد بالفارقليط الـــــــــــــروح النـــــــــــــازل على عيسى يوم الـدار:

1- تأكيد المسيح على مجيء الفارقليط بقوله: «إن كنتم تحبونــني فــاحفظوا وصــاياي» يــدل على أنه ليس هو الــروح القدس، لأن نزول الروح كان معروفاً لهم من قبـل، وكـانوا قد امتلئوا منه من قبل، فلا مجـال للاسـتبعاد والاسـتنكار، وبخاصة أن نزوله يصـاحبه آثـار غـير طبيعية على الإنسـان، ولما كـان

[1] (?) المرجع السابق: (4/1187-1188) بتصرف يسير.

[2] (?) انظر: المرجع السابق: (4/ 1188-1189).

الفارقليط بشــراً مخلوقــاً كــان الإنكــار في حقه وارداً، وكــان عيسى يعلم أن كثيراً من أمته ســينكرون الفارقليط المبشر به وهو محمد ، لـذلك أكد على حفظ وصـيته قبل الحـديث عنـه، ثم اخبر عن مجيئه.

2- أن هذا الروح القدس عند النصارى متحد بـالآب والابن، وهو ثالث الأقانيم الإلهية، فلا يصدق في حقه أنه فارقليط آخر، بخلاف النــبي المبشر بــه، وهو محمد ، فإنه يصــدق في حقه هذا القول بلا تكلف.

3- أن الوكالة والشفاعة من خواص النبـوة، لا من خـواص هذا الروح المتحد بالله، فلا تصدقان عليه، وتصدقان على النبي المبشر به بلا تكلف.

4- أن عيسى قال: « هو يذكركم كل ما قلته لكم » ولم يثبت من رســالة من رســائل العهد الجديد أن الحــواريين قد نسوا ما قاله عيسى لهم.

5- أن عيسى قال: « والآن قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كــان تؤمنــوا)، وهــذا يــدل على أن المــراد به ليس الــروح القدس، لأن عدم الإيمان به لم يكن مظنوناً منهم وقت نزوله، فلا حاجة لهـذا القـول، وليس من شـأن الحكيم العاقل -فضـلاً عن نبي كريم- أن يتكلم بكلام فضول، فلا محل لهـذا الكلام إذا كان المراد به النبي المبشر به وهو محمد .

6- أن عيسى قال: « هو يشهد لأجلي » وتلاميذ المســيح في غــنى عن هــذه الشــهادة لمعــرفتهم إيــاه معرفة تامــة، والشهادة يحتاجها المنكرون، ولم يثبت أن الروح القدس شــهد لأجل المسيح بين يـدي أحـد، بخلاف محمد ؛ فإنه شـهد لأجل المسيح وصدقه، وشـهد ببراءته وبـراءة أمه مما نسب إليهما

من الألوهية أو الفاحشة، كما هو مصرح به في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة في مواضع عديدة.

7- أن عيسى قال: « وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء » ولفظ (أيضاً) فيه دلالة واضحة على مغايرة شهادة الحواريين لشهادة الفارقليط، وتفسير الفارقليط بالروح النازل عليهم في الدار ينفي المغايرة، لأن شهادة الروح والحواريين واحدة في الزمان والمكان، وذلك لأنه نزل عليهم مثل الريح وظهر في أشكال ألسنة نارية منقسمة، استقرت على كل واحد منهم حتى صاروا يتكلمون بألسنة مختلفة فشهادتهم عين شهادة الروح القدس.

فلا معنى لقوله (أيضاً) إلا إذا كان المراد بالفارقليط النبي المبشر به، لحصول المغايرة عندئذ بين الشهادتين.

8- أن عيسى قال: « إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط فأما إن انطلقت أرسلته إليكم » فعلق مجيء المبشر به على ذهاب عيسى ، والروح القدس نزل على الحواريين في حضور عيسى عندما أرسلهم إلى البلدان للدعوة، أي أن نزوله ليس مشروطاً بذهاب عيسى ، فليس هو المراد بالفارقليط ؛ وإنما المراد نبي، ولما لم يكن مجيء نبي موقوفاً على ذهاب عيسى غير محمد ، ثبت أنه المبشر به وأنه المراد بالفارقليط .

9- أن عيسى قال: (يوبخ العالم) وهو نص جلي في محمد ، لأنه وبخ العالم لاسيما اليهود على كفرهم بعيسى توبيخاً لا يشك فيه أحد، بخلاف الروح النازل يوم الدار، لأنه ما وبخ أحداً، ولم يكن التوبيخ منصب الحواريين، لأنهم كانوا يدعون إلى الملة بالترغيب والوعظ.

10- أن عيسى قال: « أما على الخطيئة فلأنهم لم

يؤمنــوا بي »، فيه دلالة على أن فارقليط يكــون ظــاهراً على منكري عيسى موبخاً على عـدم الإيمـان، والـروح النـازل يـوم الدار لم يكن ظاهراً للناس ولا موبخاً لهم.

11- أن عيسى قـال: « وإن لي كلامـاً كثـيراً أقوله لكم ولكنكم لستم تطيقـون حمله الآن » وهـذا يعـني أن الفارقليط نبي تزداد في شريعته أحكام بالنسبة إلى ما كان عليه عيسـى، ويثقل حملها على المكلفين الضـــعفاء وهو محمد لا الـــروح النازل يوم الـدار،؛ لأنه ما زاد حكمـاً واحـداً على ما كـان عليه عيسى ، بل إن النصــارى بعد نــزول الــروح اســقطوا جميع أحكام التوراة غير الأحكـام العشـرة، وحللـوا جميع المحرمـات وهـذا لا يجـوز أن يقـال فيه أنهم ما كـانوا يسـتطيعون حملـه، لأنهم استطاعوا حمل سـقوط أعظم الأحكـام في التـوراة وهو توحيد الله وتعظيم السبت.

12- أن المســـيح عيسى قـــال: « لأنه ليس ينطق من عنــده بل يتكلم بكل ما يســمع » وفيه دلالة على وجــود مظنة التكـذيب في حق الفارقليـط، والـروح القـدس لا وجـود لمظنة التكذيب في حقه، ثم بما أنه عند النصارى إله فلا معنى لقوله: (بل يتكلم بكل ما يسمع).

لكن مظنة تكـذيب بـني إسـرائيل واردة في حق محمد ، فاحتاج عيسى إلى تقرير صـدقه، وأنه ينطق من عند نفســه، فثبت أن المراد بالفارقليط هو محمد ، فقد كذبه المشركون، وفســقة أهل الكتــاب، وهو لم يكن يتكلم من عند نفسه [النجم: 3-4].

13- أن عيسى قــال: « لأنه يأخذ مما هو لي » وهــذا لا يصدق على الروح لأنه بزعم أهل التثليث قـديم وغـير مخلـوق، وهو مطلق القدرة والكمال، والفارقليط له كمال منتظر بحيث

أنه يلتقي مع المسيح في الأخذ عن الله، وهـذا لا يصح في حق الروح القدس ويصح فقط في حق محمد حيث أن ما جـاء به عيسى ومحمد يخـرج من مشـكاة واحـدة، إلا أن دين محمد أكمل، وشرعه أتم، ورسالته عالمية[1].

- المحور الثاني: الرد على الشبه الواردة على بشارة الفارقليط:

لأهمية هـذه البشـارة عند المسـلمين والنصـارى على حـدٍ سواء؛ حـاول بعض المنصـرون إثـارة الشـبهات حولها لصـرفها عن دلالتها على محمد .

وقد أورد الشيخ رحمه الله خمساً من هذه الشـبه ؛ ألخصـها فيما يلي:

الشبهة الأولى: جـاء في البشـارة تفسـير الفارقليط بـروح القدس وروح الحق، وهما عبارتان تصدقان على الأقنوم الثالث جبريل، فكيف يصح أن يراد بالفارقليط محمد ؟!.

ردّ الشيخ رحمه الله على هذه الشـبهة بـأن النصـارى يسـتعملون ألفـاظ: روح اللـه، وروح القـدس، وروح الحـق، وروح فم الله بمعـنى واحد[2]، ويسـتعملون هـذه الألفـاظ في غـير الأقنـوم الثالث، فقد جاء في رسالة يوحنا الأولى ما نصه:

« (1)-لا تصدقوا كل روح بل امتحنـوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبيـاء، كذبه كثـيرين قد خرجـوا إلى العـالم (2) بهـذا

---

[1] (?) انظر: إظهار الحق: (4/1191-1198) باختصار.

[2] (?) ذكر ذلك القسيس فندر في كتابه مفتـاح الأسـرار ص(53) من النسـخة الفارسـية المطبوعة سـنة (1850م) انظـر: إظهـار الحق: (4/1198).

تعرفون روح الله » [1].

وجـاء في الترجمة الأردية المطبوعة سـنة (1845م) بـدل كلمة روح كلمة: (واعـظ)، وبـدل كلمة روح اللـه: (الواعظ من جانب الله)، وبـدل كلمة روح الحـق: (الواعظ الصـادق)، وبـدل كلمة كلمة روح الضـلال: (الواعظ المضـلل)، وليس المقصـود بروح الله، وروح الحق الأقنـوم الثـالث الـذي هو عين الله على زعمهم، بل هو ظاهر قطعاً أن المقصود بروح الله وروح الحق النبي المبعوث من جانب الله، لأن مبعثه حـق، وصـدق وهـذا لا يصــدق إلا على محمد ، ولا يضــرنا تفســير الفارقليط بــروح القدس وروح الحق، لأنهما بمعنى واحد، وهو الواعظ الحق[2].

الشبهة الثانية:

أن المخــاطبين هم الحــواريين وكــانوا مع عيسى ، فلابد من ظهـــــور الفارقليط في عهـــــدهم، ومحمد لم يظهر في عهدهم، وإنما بعدهم بأكثر من خمسة قرون.

أجاب الشيخ رحمه الله: أنه لا يشترط أن يكون الحاضــرون وقت الخطــاب هم المــرادين بضــمير الخطــاب، ففي إنجيل مــتى خاطب عيسى رؤساء الكهنة بقوله: « وأيضاً أقــول لكم: من الآن تبصـرون ابن الإنسـان جالسـاً عن يمين القـوة وآتيـاً على سحاب السماء »[3] .

ومعلوم أن المخاطبين قد ماتوا منذ أكـثر من تسـعة عشر قرناً وما رأوه ولا من بعـدهم آتيـاً على سـحاب السـماء، فكما ظهر أن المـــراد من خطابه لهم: من يوجد من قـــومهم وقت

---

1 (?) (4/1-2) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1198-1200).

3 (?) (26/64) .

نزوله من السـماء، فكـذلك ظهر هنا أن المـراد بالمخـاطبين النصارى الموجودين زمن محمد [1].

الشبهة الثالثة:

أنه وقع في حق فارقليط أن العـالم .لا يـراه ولا يعرفـه، وأنتم تعرفون محمـداً ، والنـاس في زمانه رأوه وعرفـوه، فلا يصدق عليه أنه المراد بالفارقليط.

أجاب الشيخ رحمه الله: أن المراد بالرؤية والمعرفة هنا: المعرفة الكاملة الحقيقيـة، ومثل ما ورد في حق الفارقليـط، ورد في حق عيسى ، حيث جاء في إنجيل متى: « وليس أحد يعـرف الابن إلا الآب ولا أحد يعـرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له »[2] .

وفي إنجيل يوحنـا: « الـذي أرسـلني هو حق الـذي أنتم لستم تعرفونه »[3] .

وفيه: « أيها الأب البار إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك »[4].

ولما كـانت رؤية الله البصـرية ممتنعة في الـدنيا عنـدنا وعندهم، فالمراد بالرؤية في هذه البشـارة: المعرفـة، والمـراد بالمعرفـة: المعرفة الحقيقية الكاملة وإلا لا تصح هـذه الأقـوال يقيناً؛ لأن العوام رأوا عيسى وعرفوه فضلاً عن رؤساء الكهنة، وعيسى عرف الله معرفة حقيقية كاملة, ولكن اليهود ورؤسـاء الكهنة ما عرفـوا الله ولا عرفـوا عيسى معرفة حقيقية كاملة

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1200).

2 (?) (11/27) .

3 (?) (7/28) .

4 (?) (17/28) .

فعصوا الله ورسوله.

إذاً فالمراد بكون العالم لا يرى الفارقليط ولا يعرفه: أي معرفة حقيقية كاملة، وإلا يلزم الطعن في الفقرات السابقة الواردة في حق عيسى [1].

الشبهة الرابعة:

أنه وقع في حق الفارقليط: « أنه مقيم عنكم وثابت فيكم » وهذا يعني أنه وقت الخطاب كان مقيماً عند الحواريين وثابتاً فيهم فكيف يصدق على محمد ؟!.

أجاب الشيخ رحمه الله: أنه في الترجمة العربية المطبوعة سنة (1816م) سنة (1825م) وقع بلفظ الاستقبال (وسيكون فيكم)، ومثلها في التراجم الفارسية والأوردية ما بين سنة (1814م-1841م).

فظهر أن المقصود به الثبوت الاستقبالي يقيناً، ولا يصح حمل قوله (ماكث معكم) و(مقيم عندكم) على الزمن الحاضر؛ لمنافاته لقوله: « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليطاً آخر » ولقوله: « لقد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون »، ولقوله: « إن لم أنطلق لا يأتيكم » .

وللتوفيق بين النصوص لا بد من حمل الإقامة والمكث على الاستقبال كما أن القول الآخر بمعنى الاستقبال أي (وسيكون فيكم)، والتعبير بالحاضر أو بالماضي عن الاستقبال في الأمور المتيقنة وارد كثيراً في كتب العهدين[2].

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1201-1202).

2 (?) انظر: إظهار الحق: (1202-1204).

الشبهة الخامسة:

وقع في سفر الأعمال: « وفيما هو مجتمع معهم أوصــاهم أن لا يـــبرحوا من أورشـــليم بل ينتظـــرون موعد الآب الـــذي سمعتموه مني (5) لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستعتمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير »[1].

فموعد الآب: هو مجيء الفارقليط وهو الـــروح القـــدس النازل يوم الدار.

وقد رد الشيخ رحمه الله بــأن هــذا غلط محض، لأن الإخبــار عن فارقليط شيء والوعد بإنزال الروح القدس شــيء آخــر، ونقل الأناجيل الأمرين دون الآخر جعلهم يظنون كونهما واحداً.

وغاية ما في الأمر أن يوحنا انفـــــــرد بنقل البشـــــــارة بالفارقليــط، وانفــرد لوقا في فقــرتي ســفر أعمــال الرسل السابقين بنقل الوعد بإنزال الروح المقدس.

وهــذا الانفــراد لا يــوجب كــون الفارقليط المبشر به عند يوحنا هو الــروح القــدس الموعــود عند لوقــا،وقد اتفق كتــاب الأناجيل على ذكر بعض الأمــور العظيمــة، بل انفــرد كل منهم بذكر بعضها دون الثلاثة الآخرين .

وهذا يدل على أن انفـراد يوحنا بـذكر بشـارة الفارقليط لا يوجب كونه هو الروح النازل يوم الـدار. [2]

وبهــذا يظهر أن النصــارى ليس لــديهم حجة في تفســير الفارقليط بالروح القـدس النـازل على التلاميذ يـوم اجتمـاعهم في الــدار، وأن المتأمل في ألفــاظ البشــارة وسـياقها يــوجب علماً جازماً ببطلان تفسيرهم هذا، وتفسيرات أخرى باطلة.

---

1 (?) (1/4-5) .

2 (?) انظر إظهار الحق (1/1204-1205).

فإن الروح لم يسمه أحد فارقليط والصـفات المنعـوت بها الفارقليط أنه يُـرى ويُسـمع ويُعِّلم ويـذكر ويـوبخ ويرشد للحق ويتكلم بما يسمع، وهذه الصـفات لا يكـون المنعـوت بها ملكـاً، ولا أمراً معنوياً في قلـوب النـاس، بل هو إنسـان عظيم يقـدر على ما لا يقـدر عليه المسـيح ولا يشك عاقل في اتصـاف نبينا محمد بهذه الصفات.[1]

وبهذا استطاع الشيخ رحمه الله أن يثبت مصـداقية هـذه البشـارة في حق النـــــبي محمد ، وأكد بطلان تلك الشـبهات الـتي أثارها المنصـرون لإثبـات أن المـــــراد بالفارقليط ليس محمد ، ذلك باتباعه ~ المنهج التحليلي الــذي كــان يقــارن خلاله بين الألفاظ الـواردة في البشـارة وتلك الـواردة في كتبهم، فتمكن أن يصل إلى نتيجة وهي: خطأ استدلالهم بهـذه الألفـاظ، وأنهم حملوها على غير معناها الحقيقي، وبعد هذا استطاع الشـيخ أن يثبت مدى التصاق هذه الألفاظ وبالأخص لفظ الفارقليط بحـال سيدنا محمد .

---

1 (?) انظر شيخ الاسلام ابن تيميه: الجـواب الصـحيح: (1975)، ابن القيم: هداية الحيـارى:(80-81) تحقيق وتعليـق: سـيد عمـران، ط عام 1424هـ، 2003م، دار الحديث-القاهرة .

المبحث الرابع: الرد على شبهات المنكرين نبوة محمد

أثار المنصـرون شـبهات تعكس حقـداً أصـيلاً على محمد وشريعته، ثم اتخـذوا هـذه الاعتراضـات الواهية ذريعة ليكفـروا بربهم العظيم ونبيه الكريم ، وحقيقة الأمرما قاله الله تعالى:

[illegible] [البقرة:120].

ولقد تصدى الشيخ رحمه الله لتلك الشبهات فأبطلها من جانبين:

الجانب الأول: مقابلة تلك الشبهات بما ورد في كتبهم عن سـيرة أنبيـائهم، مع إقــراره وتأكيـده في أكـثر من موضع بأنها مفــتراة وأن ســاحة النبــوة بريئة منهــا، ومع تلك المطــاعن والقبائح التي ينسبونها إلى أنبيائهم فهي باعتقادهم غــير قادحة للنبوة، بخلاف الشبهات الحقيرة المنسوبة إلى محمد .

الجانب الثاني:مناقشة تلك الشبهات والرد عليها وإبطالها.

ورغم كـــثرة الشـــبهات حوله ، فقد حـــاول الشيخ رحمه الله استقصاءها فأجملها فيما يلي:

الشبهة الأولى: دعوى انتشار الإسلام بحد السيف.

الشبهة الثانية: دعوى عدم ظهور المعجزات الحسية منه .

الشبهة الثالثة: شبهات تتعلق بنسائه .

الشبهة الرابعة: دعـوى أنه كـان مـذنباً فلا يكـون شـفيعاً

للمذنبين.

ثم أضـفت لها شـبهة المنصـرين حـول الأحـاديث النبوية لتعلقها بهذا الباب.

وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال.



المطلب الأول: شـــبهات المنصـــرين حـــول الجهاد:

من الأكـاذيب الـتي يرددها أعـداء الإسـلام والمسـلمين أن الإسلام قام على السـيف، وأنه لم يـدخل فيه معتنقـوه بطريق الطواعية والاختيـــار، وإنما دخلـــوا فيه بـــالقهر والإكـــراه، وقد اتخـذوا من تشـريع الجهـاد في الإسـلام وسـيلة لهـذا التجـني الكـاذب الآثم، وشـتان ما بين تشـريع الجهـاد، وما بين إكـراه الناس على الإسلام، فإن تشريع الجهاد لم يكن لهذا، وإنما كان لحكم سامية، وأغراض شريفة.

وقد رد ﭬ هذه الشبهة عقلاً ونقلاً.

أما نقـلاً:

فقد ذكر ﭬ عن طريق النقل أموراً:

1-أن الله تعـالى يبغض الكفـر، ويجـازي عليه في الآخـرة يقيناً، وكـذا يبغض العصـيان، وقد يعـاتب الكفـار، والعصـاة في الدنيا أيضاً، فتـارة يعـاتب الكفـار بـالإغراق عمـداً كما في عهد نـوح، وتـارة بـالإغراق خصوصـاً كما في عهد موسى ، وتـارة بالخسـف، أو الأمـراض، أو إرسـال الحيـات، أو قلب المـدن، وإمطار الكبريت، وغيرها من صنوف العذاب.

وقد لا يعاتب الكفار العصاة في الدنيا كأولئك الـذين قتلـوا الحواريين، لم يعاقبوا في الدنيا.

2-ثبت بنصوص كتب العهدين[1] أن الأنبياء السابقين قتلـوا

---

[1] (?) ذكر الشيخ رحمت الله واحداً وعشرين شاهداً من نصـوص كتاب العهدين على ذلك.

الكفـار، وسـبوا نسـاءهم وذراريهم ونهبـوا أمـوالهم، فلا تختص هذه الأمور بشريعة محمد .

3-أنه لا يشترط أن تكون هذه الأحكـام العملية الموجـودة في الشريعة السـابقة باقية بعينها في الشـريعة اللاحقة بعينهـا، بل لا يشـترط أن تكـون هـذه الأحكـام العملية باقية في شـريعة واحدة من أولها إلى آخرهـا، بل يجـوز أن تختلف هـذه الأحكـام بحسب اختلاف المصالح والأزمنة والمكلفين.

فكان الجهـاد مشـروعاً في الشـريعة الموسـوية، ولم يبق كذلك في الشريعة العيسوية.

4-أن ادعـاء علمـاء البروتسـتانت أن دين الإسـلام شـاع بالسيف غير صحيح لما عهد عنهم من اجـتزاز النصـوص وعـدم نقل الأقوال صحيحة كاملة، بالإضافة إلى ما عهد عن أسـلافهم من قتل المخالفين كما هو وارد في رسائلهم وكتبهم.

5-أن حكم الجهـاد في الشـريعة المحمدية هكـذا: يُـدعى الكفار أولاً بالموعظة الحسنة إلى الإسلام فإن قبولها يكونـون أمثالنا وإن لم يقبلـوا: فـإن كـانوا من غـير مشـركي العـرب يدعون إلى الصلح بقبول الجزية والإطاعـة، فـإن قبلـوا صـارت دمـاؤهم كـدمائنا وأمـوالهم كأموالنـا، وإن لم يقبلـوا يحـاربوا بشروط مصرح بها في كتب الفقه[1].

أما عقــلاً:

يقـول الشيخ رحمه الله: « قد ثبت بالبرهـان الصـحيح أن إصـلاح القوة النظرية مقدم على إصلاح القوة العملية، فإصلاح العقائد مقـدم على إصـلاح الأعمـال، وهـذه مقدمة مسـلمة عند كافة المليين، ولذلك لا تفيد الأعمال الصالحة بدون الإيمـان عنـدهم،

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1156-1301) باختصار.

والنصارى يوافقوننا في ذلك.

وقد ثبت بالتجربة الصـــحيحة أن الإنســـان قد يتنبه على خطئه وقبحه بتنبيه الغـير، وكـذا قد ثبت بالتجربة الصـحيحة أن الإنسان لا يطيع غالباً لأجل وجاهة قومهم وشوكتهم، ولا يُصغي إلى رجل من صنف آخر، بل يأنف من سـماع كلامه لاسـيما إذا كان هذا القول مخالف لطبـائع صـنفه وأصـولهم، وكـذا قد ثبت بالتجربة أن العـدو إذا رأى مخالفه مـائلاً إلى الدعة والسـكون يطمع في التسلط على مملكته..

لذلك ثبت استحسان الجهـاد عقلاً بشـروطه في الشـريعة المحمدية »[1].

قلت: ليس أدل على افـــــترائهم من أن تـــــاريخ الأمم النصرانية في القديم والحـديث شـاهد عـدل على رد دعـواهم، فمنذ فجر النصـــرانية إلى يومنا هـــذا، حظيت أقطـــار الأرض جميعها بالدمار باسم السيد المسيح.

ولقد فطن لسـخف هـذا الادعـاء كـاتب غـربي كبـير هـو: (توماس كارليل) [2] صاحب كتـاب (الأبطـال وعبـادة البطولـة)، فإنه اتخذ نبينا محمد عليه الصلاة والسـلام مثلاً لبطولة النبـوة، وقـال ما معنـاه: « إن اتهامه -أي سـيدنا محمـد- بالتعويل على

---

1 (?) المرجع السابق: (1304-4/1301) بتصرف يسير.

2 (?) تومـاس كارلايل (1795-1881م): كـاتب مقـالات ومـؤرخ اسكتلندي، كـان يعد في بعض الأوقـات أشـهر فيلسـوف اجتمـاعي في بريطانيا الفكتوريـة، وقد انحسـرت شـهرة كارلايل في القـرن العشرين، ولكن أعماله ما زالت تقرأ نظـراً لأفكـاره المتمـيزة عن الديموقراطية والثـورة والبطولـة، من مؤلفاتـه: الثـورة الفرنسـية الأبطـال، وتقـديس البطـل، والبطولة عـبر التـاريخ. (الموسـوعة العربية العالمية: 19/40) .

السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا لدعوته، فإذا آمن به من لا يقدرون على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها »[1].

فالحقيقة أن الإسلام غزا القلوب وأسر النفوس بسماحة تعاليميه: في العقيدة والعبادات، والأخلاق، والمعاملات، وآدابه في السلم والحرب، وسياسته الممثلة في عدل الحاكم، وإنصاف المحكومين، والرحمة الفائقة والإنسانية المهذبة في الغزوات والفتوح.

إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا عجب أن أسرعت إلى اعتناقه النفوس، واستجابت إليه الفطرة السليمة، وضحت بكل عزيز وغال في سبيله.

فكان رد الشيخ على هذه الشبهة معتمداً على الهجوم ماهو عند الخصم، فقد ألزمهم بأمور هي أساس التاريخ اليهودي والنصراني، فأثبت أن التاريخ اليهودي مليء بالقتل والسلب والدمار والنهب لكل من خالفهم في المعتقد.

وكذلك حال النصرانية وتاريخها التي أحرقت بالنار آلافاً من أتباعهم، لمخالفتهم لها في بعض العقائد، وكذلك المجامع التي أباحت إبادة وقتل وحرق كل المخالفين للكاثوليكية .

وإذا كان هذا هو حال التاريخ اليهودي والنصراني، فكيف يطعنون بالدين الإسلامي الذي أشاع الأمن والرحمة على الناس جميعاً .

---

[1] (?) عباس العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: ص(227)، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.



المطلب الثـــاني: شـــبهة عـــدم ظهـــور المعجزات الحسية منه [illegible] :

أصل هـــذه الشـــبهة قـــول المنصـــرين كما ينقل عنهم الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ: « من شروط النبـوة ظهـور المعجـزات على يد من يدعيها، وما ظهـرت معجـزة على يد محمد [illegible]، كما يـدل عليه ما وقع في سورة الأنعام: [illegible] [الأنعام: 57].

وكذا ما وقع في تلك السورة: [illegible] [الأنعام: 109].

وكذا ما وقع في سورة بني إسرائيل: [illegible] [الإسراء: 90-93]. وكذا بعض الآيات الأخر »[1].

ثم أبطل الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ هـــذه الشـــبهة وبين أن اســـتدلالهم محمـول على الاعتسـاف، خاصة وأنهم قد اغمضـوا أعينهم عن الآيات الكثيرة في القرآن الكريم التي تصرح بمعجزات النبي [illegible] [2].

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1306).

2 (?) انظر: المرجع السابق: (4/1315-319).

ثم إن هذه الشبهة تقوم على ثلاثة تغليطات:

1-أن المعجزة شرط النبوة.

2-أن محمداً ليس نبياً لعدم ظهـور المعجـزات الحسـية منه.

3-أن القرآن الكريم يصرح بعـدم ظهـور معجـزات حسـية منه .

أما الأمر الأول:

فقد بين أن صـدور المعجـزات ليس شـرطاً من شـروط النبوة كما هو متعارف في أناجيلهم خاصة وأن يوحنا لم تصـدر منه معجـزة واحـدة، ومع ذلك فهو نـبي عند جميع النصـارى، بدلالة نصوصهـم[1].

والأمر الثاني:

فإن النبي صدرت منه المعجزات الكثيرة، وهذا ما أطـال الشيخ رحمه الله الحـديث عنه في مسـلك إثبـات نبـوة محمد بدلالة الأفعال التي ظهرت منه على خلاف العادة[2] .

أما الأمر الثالث:

فالآيــات الــتي اسـتدلوا بهــا، لا تــدل على نفي صــدور المعجزات منه ، بل كل آية تدل على معنى غير المعجزة.

ففي قوله تعالى: ... [الأنعام: 57].

يقول الشيخ رحمه الله: « المراد بـ (ما) في قوله: ما تسـتعجلون به: العذاب الذي استعجلوه بقولهم:

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1307).

2 (?) انظر: ص(295) من البحث، وإظهار الحق: (4/1307) .

           [الأنفال: 32].

ومعنى الآيـة: (ما عنـدي ما تسـتعجلون بـه): أي العـذاب الـذي تسـتعجلون بـه، (إن الحكم إلا للـه) في تعجيل العـذاب وتـأخيره، (يقص الحـق) أي يقضي القضـاء الحق من تعجيل وتأخير، (وهو خير الفاصلين) أي القاضين.

فحاصل الآيـة: أن العـذاب يـنزل عليكم في الـوقت الـذي أراد الله إنزاله، ولا قدرة لي على تقديمه أو تـأخيره، وقد نـزل عليهم يوم بدر وما بعدها، فلا تدل هذه الآية على أن محمداً لم تصدر عنه معجزة » [1].

وفي معـنى الآية الثانية وبطلان الاسـتدلال بها على نفي ظهور المعجزات الحسية منه يقـول:

« (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) مصـدر في موضع الحـال، (لئن جاءتهم آيـة) من مقترحـاتهم (ليـؤمنن بها قل إنما الآيـات عند الله) هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء، (وما يشعركم) أي لا تدرون إذا جاءت لا يؤمنـون » [2].

أما الآية الثالثة فقد بين الشيخ رحمه الله أن حالها كحال سابقتها، فقد أكـثروا من طلب المعجـزات من مقترحـاتهم لقصد العنـاد واللجاج، ومع هذا لو جاءت تلك الآيات لقالوا: هذا سحـر[3].

ثم قـال: « وكـذا حـال بعض آيـات أخـرى يفهم منه في الظـاهر نفي إظهـار الآيـة، ولكن المقصـود به نفي المعجـزة المقترحة، ولا يلزم من هـذا النفي نفي المعجـزات مطلقـاً، ولا يلزم على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكـرون، بل

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1307-1308).

2 (?) إظهار الحق: (4/1308).

3 (?) انظر: المرجع السابق: (4/1309).

هم لا يظهـــرون إذا طلب المنكـــرون عنـــاداً أو امتحانـــاً أو استهزاءاً »[1].

قلت: إن الله تعـالى أعطى نبيه محمـداً ﷺ معجـزة القـرآن الخالـدة الكـبرى، بالإضـافة إلى المعجـزات الحسـية الأخـرى، بالإضـــافة إلى انه ﷺ كـــان مخـــبراً عنه في التـــوراة والإنجيـــل، والناس جميعاً يرقبون مجيئه ويعرفـون اسـمه وأوصـافه، فلما بعث آمن به الكثيرون وأسـلمت له بلاد فـارس والشـام ومصر والبلاد العريقة بسهولة لتحققهم نبوته بناءاً على ما عندهم من العلم.

يقول تعالى: [illegible]

[illegible] [البقرة: 89].

فحـــتى وإن لم تكن له معجـــزات حســـية حسب طلب المعانــدين، فقد كــان النــاس يعرفونه بغيرهــا، فكيف وقد ثبت ظهور المعجزات الحسية على يديه ﷺ .



1 (?) المرجع السابق: (4/1309).

المطلب الثالث: الشبهات حول نسائه :

هذه الشبهة تأخذ خمسة أوجه كما فصلها الشيخ رحمه الله:

« **الأول**: أن المسـلمين لا يجـوز لهم أزيد من أربع زوجات، ومحمد لم يكتف بهـا، بل أخذ تسـعاً لنفسـه، وأظهر حكم الله في حقه: أن الله أجازني لأن أتزوج بأزيد من أربع.

والثاني: أن المسـلمين يجب العـدل عليهم بين نسـائهم، وأظهر حكم الله في حقه أن هذا العدل ليس بواجب عليه.

والثـالث: أنه دخل بيت زيد بن حارثة فلما رفع السـتر وقع نظـره على زينب بنت جحش زوجة زيد رضي الله عنهما فوقعت في نفسه،وقال: سبحان الله، فلما اطلع زيد على هـذا الأمر طلقها فتزوج بها وأظهر أن الله أجازني للتزوج.

والرابع: أنه خلا بمارية القبطية <، في بيت حفصة < في يـوم نوبتهـا، فغضـبت حفصة < فقال محمد حرمت مارية على نفسي، ثم لم يقدر أن يبقى على التحـريم، فـأظهر أن الله أجازه لإبطال اليمين بأداء الكفارة.

والخـامس: أنه يجـوز في حق متبعيه إن مـات أحد منهم أن يتزوج الآخر زوجته بعد انقضاء عـدتها، وأظهر حكم الله في حقه، أنه لا يجوز لأحد أن يـتزوج زوجة من زوجاته بعد مماته » [1].

---

[1] (?) إظهار الحق: (1321-4/1319) وهـذه الشبه ذكر الشيخ أنها موجـودة في كتب ورسـائل المنصـرين مثل (مـيزان الحـق) لفندر، وتحقيق الدين الحق، لاسميت، وكتب أخرى لقسيسين مثل: دافع البهتـان، ودلائل رسـالة المسـيح، ودلائل النبـوة، ورد اللغو

وكما سبق فإن منهج الشيخ رحمه الله في إبطال شبه المنصرين أن يعارضـــها بما ورد في كتبهم مما نسب إلى أنبيـــائهم، ثم يناقشـها من أصـلها مبطلاً اسـتدلال المنصـرين بها على عـدم عصمة محمد ﷺ.

وكان رده هنا بثمانية أمور جعلها تمهيداً يظهر منها جــواب هذه الشبهات اكتفي بذكر بعضـها خشـية الإطالة مع دمج بعض النقاط ذات المحور الواحد.

أولاً: مســألة زواج النــبي ﷺ بأزيد من أربع نســاء، يقــول الشيخ رحمه الله:

« إن الــزواج بــأكثر من امــرأة واحــدة كــان جــائزاً في الشرائع السابقة:

أ - فإبراهيم ﷺ تزوج بسارا ثم بهاجر في حياة سارا.

ب- يعقوب ﷺ تزوج بأربعة نسوة: ليا وراحيل وبلها وزلفا.

ج- جدعون بن يواش[1] تزوج نساء كثيرة وهو نبي عندهم.

د- داود وسليمان عليهما السلام تزوجا بنسـاء كثـيرة جـداً، فثبت أن كثرة الزوجات ما كـانت محرمة في شـريعة موسى ﷺ ».[2]

ثانياً: في مسألة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش:

في جـواب هـذه المسـألة نقل الشيخ رحمه الله عبـارة التفسـير

وغيرها.

[1] (?) جــدعون بن يــواش: هو جــدعون بن يــواش الأبيعــزري من سـكان عفـره، قضى لبـني إسـرائيل نحو خمسـين سـنة، وكـان له زوجــات كثــيرة، وانجب منهن ســبعين ولــداً. قــاموس الكتــاب المقدس: (252).

[2] (?) إظهار الحق: (1321/4-1327) باختصار وتصرف.

الكبير للرازي، في تفسير آية الأحزاب وهي قوله تعـالى:

[الأحزاب: 37].

والتي أكد فيها على أن سبب طلاق زينب من زيد هو تكبر زينب على زيد لعــدم الكفــاءة[1]، ثم علق ﷺ على ذلك بقوله:

« فظهر أن زينب < كانت تتكـبر على زيد بسـبب النسب وعدم الكفاءة وهذا الأمر سبب عدم المحبة بينهما، فأراد زيد أن يطلقها، فمنعه النـبي ولكنه طلقها آخر الأمـر، فلما انقضت عــدتها تزوجها رســول الله لبيــان الشــريعة لا لأجل قضــاء الشهوة، وكان قبل نزول الحكم مخفيـاً لهـذا الأمر لأجل عـادة العرب » [2].

ثم إن « هذه الأمور الشرعية لا يجب أن تكون متحدة في جميع الشرائع، أو مطابقة لعادات الأقوام وآرائهم ...

ونكاح زوجة المتبنى بعد الطلاق كـان قبيحـاً عند مشـركي العرب، ولما كان زيد بن حارثة متبني عند محمد كان محمد أيضاً يخـاف أولاً من طعن عـوام المشـركين في نكـاح زينب <، فلما أمـره الله تـزوج بها لبيـان الشـريعة ولم يبـال بعـادة المشركين » [3].

ثالثاً: وهو رد من قبيل الإلزام وإلا فلا يعتقد صحته.

وهو أن ﷺ اعترض عليهم بأمور:

---

1 (?) انظـر: الفخر الـرازي: التفسـير الكبـير: (25/170)، ط4، 1422هـ-2001م، دار إحياء التراث العربي-بيروت .

2 (?) المرجع السابق: (4/1329).

3 (?) إظهار الحق: (4/1329).

1-ما ثبت في بضاعات كتبهم من الاختلافات الأغلاط.

2-ما نسبوه إلى أنبيائهم من قبائح الأمور وأفظعها.

3-ما نسبوه إلى الحواريين وعيسى من شرب للخمر، واختلاط بالنساء اللاتي كن يخدمنهم[1].

رابعاً: في مسألة تحريم النبي مارية على نفسه ثم أباحها بالكفارة، نقل الشيخ رحمه الله عبارة من تفسير الجلالين: (ومن الأيمان تحريم الأمة)[2]، ثم قال: « فيكون تحريم مارية على نفسه يمين تكفر عند الحنث »[3].

خامساً: يقول الشيخ رحمه الله: « إذا قال النبي: لا أفعل هذا الأمر، ثم فعل لأجل أنه كان جائزاً في الأصل أو جاء إليه حكم الله، لا يقال أنه أذنب، بل في الصورة الثانية، لو لم يفعل يكون عاصياً ألبتة »[4].

ثم ذكر على ذلك شواهداً تدل على وجود مثل هذا الأمر في حق الله تعالى فضلاً عن الأنبياء في كتبهم المقدسة[5].

سادساً: يبين الشيخ رحمه الله أنه « لا بأس بأن يخصص أولياء الله بخصائص، ألا ترى أن هارون وأولاده كانوا مخصصين بأمور كثيرة من خدمة قبة الشهادة وما يتعلق بها، وما كانت هذه الأمور جائزه لبني لاوي

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (4/1332-1338) بتصرف يسير.

2 (?) تفسير الجلالين: ص(751)، تقديم: محمد كريم بن سعيد راجح، دار القلم- بيروت.

3 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1348).

4 (?) انظر: المرجع السابق: (4/1348).

5 (?) انظر: المرجع السابق: (3/667،888)و (4/1349).

الآخرين فضلاً عن غيرهم من بني إسرائيل »[1].

فدل ذلك على جواز تخصيص الرسول محمد بخصائص عن غيره من الناس .

قلت: لما كثرت شبه المنصرين حول حياة النبي الخاصة، حاول ﷺ استقصائها في الشبه المذكورة، وإن كانت أكثر من ذلك بكثير.

وقد أجاد ~ في ذكر أهم مطاعن المنصرين حول نساء النبي وأجاد أيضاً في رده الإجمالي عليها، وكان لي هذا التعقيب:

-**مسألة زواج النبي بزينب بنت جحش**: إن أصل شبهة المنصرين هي قوله تعالى:

  [الأحزاب:37].

بالإضافة إلى مافسرت به هذه الأية من قبل المفسرين والمؤرخين من تعلق قلبه بزينب بعد أن رآها، فطلقها زيد بعد ذلك حتى يتزوجها الرسول .

والصحيح الذي عليه أكثر المفسرين أن المراد بالآية: ماروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: ما أوصى الله تعالى به إليه أن زينب سيطلقها زيد ويتزوجها بعد -عليه الصلاة والسلام- .[2]

لذلك ضعّف ﷺ تفسير من قال: تخفي في نفسك من محبتك لزينب، ووقوعها بقلبه بعد أن رآها، معتمداً على

---

1 (?) إظهار الحق: (4/1349).

2 (?) انظر: تفسير ابن كثير: (3/492)، السيوطي: الدر المنثور: (6/615) ط عام (1997م)، دار الفكر - بيروت.

النقل عن المحققين من أهل الحديث وغيرهم[1].

ثم إن هــذه الروايــات ضــعيفة الإســناد والمتن، فيها من الاضـطراب والنكـارة مما يبـدد دعـوى صـحتها، وهي متناقضة فيما بينها، وقد ضعفها الكثير من العلماء والمفسرين.

فهذا الإمـام القرطـبي بعد أن بين أن الـذي يخفيه هو ما أعلمه ربه أنها ستصــبح زوجة لــه، والــذي يخشــاه هو مقولة الناس أنه تزوج حليلة من كان يـدعى إليـه، قـال: وهـذا القـول أحسن ما قيل في تأويل هـــذه الآيـــة، وهو الـــذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين ....

فأما ما روى أن النبي هوى زينب امــرأة زيد وربما أطلق بعض المجّــان لفظ عشق فهـذا إنما صــدر عن جاهل بعصــمة النبي عن مثل هذا أو مستخف بحرمته»[2].

وقال ابن حجر بعد أن ذكر الروايـات الصـحيحة: « ووردت آثار أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفســرين لا ينبغي التشاغل بها » [3].

-في مسألة زواج النبي بأزيد من أربع نساء:

لقد كانت الفترة الـتي عـدد فيها رسـول الله زوجاته هي أكـثر فـترات عمـره عملاً وتضـحية وجهـاداً وتعليمـاً وجهـاداً وتعليماً وأعباءً، كما أنه كان أزهد النـاس وأبعـدهم عن الـدنيا وزينتهـا، وكـان الله تعـالى يريد لزوجاته أيضـاً أن يكن بعيـدات عن الدنيا وزينتها، ومع ذلك كان يعدل في أيامه بينهن ويعـدل في القسـم، فلا مجـال لإثـارة شـبهات باطلة حـول أطهر خلق

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1329).

2 (?) الجامع لأحكام القرآن: (14/190-191).

3 (?) فتح الباري: (8/524).

الله تعالى وهم الأنبياء وخاصة خاتمهم ﷺ .



المطلب الرابع: شبهة كونه مذنباً:

نقل الشيخ رحمه الله أصل شبهة هؤلاء المنصرين وهي قولهم:

« أن محمداً كان مذنباً، وكل مذنب لا يصح أن يكون شافعاً للمذنبين الآخرين.

أما الصغرى: فلما وقع في سورة المؤمن: ﴿ [illegible] ﴾ [غافر: 55].

وفي سورة محمد: ﴿ [illegible] ﴾ [محمد: 19].

وفي سورة الفتح: ﴿ [illegible] ﴾ [الفتح: 1-2].

وفي الحديث: ((فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا الله))[1]، ونحو ذلك مما وقع في الأحاديث الأخرى »[2].

حلّل الشيخ رحمه الله هذه الشبهة إلى مقدمتين صغرى وكبرى.

---

[1] أخرجه البخاري: كتاب التهجد باب التهجد بالليل: ح(1120)، ص(179)، ومسلم: في التراويح، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: (2/178).

[2] إظهار الحق: (4/1352).

المقدمة الصغرى: أن محمداً كان مذنباً.

المقدمة الكــبرى: كل مــذنب لا يصح أن يكــون شــافعاً للمذنبين.

يقــول: « أن الصــغرى والكــبرى كلتاهما غــير صــحيحتين، فالنتيجة كاذبة يقيناً » [1].

ثم ســرد أمــوراً مجملة تمهيدية تــبين بطلان المقــدمتين إجمالاً وهي:

1- أن الله رب وخالق، والخلق مربــوب ومخلــوق، فكل ما صدر عن حضرة الرب الخالق في حق العبد المربوب المخلوق من الخطـــاب والعقـــاب والاســـتعلاء، فهو في محله ومقتضى المالكية والخالقيــة، وكــذا كل ما يصــدر عن العبــاد من الأدعية والتضـــــرعات إليه فهو في موقعه أيضـــــاً ومقتضى المخلوقية والعبودية، والأنبياء عباد الله المخلصــون فهم أحق من غــيرهم. والحمل على المعــنى الحقيقي في كل موضع من أمثــال هــذه المواضع في كلام الله وفي أدعية الأنبيـــاء، وتضـــرعاتهم خطأ وضلال.

2- أن أفعــال الأنبيــاء كثــيراً ما تكــون لتعليم الأمة لتســتن بهم، ولا يكونون محتاجين إلى هذه الأفعال لأجل أنفسهم.

3- أن الألفــاظ المســتعملة في الكتب الشــرعية، مثــل: الصلاة والزكاة والصوم والحج والنكــاح والطلاق وغيرها يجب أن تحمل على معانيها الشـــــرعية ما لم يمنع عنها مـــــانع، ولفظ

---

[1] (?) المرجع السابق: (4/1353).

الـذنب في الاصـطلاح الشـرعي إذا اسـتعمل في حق الأنبيـاء يكون بمعنى الزلة، وهي عبارة عن أن يقصد معصوم عبـادة أو أمــراً مباحــاً ويقع بلا قصد وشــعور في ذنب لمجــاورة هــذه العبادة أو الأمر المباح بهذا الذنب، كما أن السالك يكون قصده قطع الطريق لكنه قد يـزل قدمه أو يعـثر بسـبب طين أو حجر واقع في ذلك الطريـــق، وإنما يؤاخذ النـــبي على الزلة لأنها لا تخلو عن نوع تقصير يمكن للمكلف الاحـتراز عنه عند التثـبيت، أو يكون بمعنى ترك الأولى.

4- أن وقـــوع المجـــاز في كلام الله وكلام أنبيائه كثـــير، وكذلك حذف المضاف.

5- أن الدعاء قد يكـون المقصـود به محض التعبد كما في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران: 194]، فـإن إيتـاء ذلك الشـيء واجب، ومع ذلك أمرنا بطلبـه، وكقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأنبياء: 112].

مع أننا نعلم أنه لا يحكم إلا بالحق[1].

ثم شرع ~ في تفنيد بطلان المقدمتين كل على حدة، أما المقدمة الصـــغرى فقد أبطلها بقولـه:

1- أن الاسـتغفار طلب الغفـران، والغفـران السـتر على القـــبيح، وهـــذا الســـتر يتصـــور

---

[1] (?) انظر: إظهار الحق: (1353/4-1359) باختصار.

على وجهـين:

الأول: بالعصمة منه؛ لأن من عصم فقد سـتر عليه قبـائح الهوى.

الثاني: الستر بعد الوجود.

فــالغفران في الآيــتين الأولــيين[1] بالوجه الأول في حق النــــبي ﷺ، وفي الثانية[2] بالوجه الثــــاني في حق المؤمـــــنين والمؤمنات.

2- أو أن المقصود من الأمر بالاستغفار محض التعبد.

3- أو أن المقصــود من هــذا الأمــرأن يكــون الاســتغفار مسنوناً في أمته، فاستغفاره ﷺ لتعليم الأمة.

4- أو أن المضاف في الآيتين محـذوف، والتقـدير في الآية الأولى: [illegible] لذنب امتك الآية، وفي الآية الثانية: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر) لذنب أهل بيتك ولذنب المؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من أهل بيتك.

5- أو أن المـــراد بالـــذنب في الآيـــتين الزلة أو تـــرك الأفضل[3].

---

[1] (?) أي اللفظ المشـترك في آية (55) من سـورة غـافر وآية (19) من سورة محمد وفيها (واستغفر لذنبك).

[2] (?) أي الآية (19) من ســـــورة محمد وفيها أمر بالاســـــتغفار (وللمؤمنين والمؤمنات).

[3] (?) انظر: إظهار الحق: (4/1353-1359).

أما الدعاء المذكور في الحـديث فقد وجهه ﴿الشيخ رحمه الله﴾ على النحو التالي:

1- أن رسـول الله ﷺ لما كـان أرفع الخلق عند الله درجـة، وأتمهم به معرفة وكان حاله عند خلوص قلبه عن ملاحظة غـير ربه وإقباله بكليته عليه، أرفع حالية بالنسبة إلى غـير ذلك كـان يرى شغله بما سـواه وإن كـان ضـرورياً نقصـاً وانحطاطـاً عن رفيع كماله، فكان يسـتغفر الله من ذلك طلبـاً للمقـام الأعلى، فكان هذا الشغل الضروري أيضاً عنده بمنزلة الذنب الـذي لابد من أن يستغفر عنه بالنسبة إلى أعلى حاله.

2- أو كان صدور مثل هـذا الـدعاء بمقتضى العبوديـة، كما أن عيسى ﷺ أيضـاً بمقتضى العبودية نفي الصـلاح عن نفســه، واعترف بالخطايا عند الاعتماد[1]، ودعا مراراً باغفر لنا ذنوبنا.

3- أو كان هذا الدعاء لأجل التعبد المحض.

4- أو كان لأجل تعليم الأمة .

5- أو أن الذنب المذكور فيها بمعنى الزلة وترك الأولى[2].

أما المقدمة الكـبرى وهي قـول المعـترض: كل من كـان مـذنباً لا يصح أن يكـون شـفيعاً للمـذنبين الآخـرين. فقد أكد ﴿الشيخ رحمه الله﴾ كذبها وعلل ذلك بقوله:

« لأن كليتها ممنوعة:

أ - لأنها إما يثبتها المعترض المعترض بعندية أهل التثليث.

---

1 (?) الاعتمـــاد: أو التعميـــد، ويســـمى كـــذلك الاصـــطباغ وهو التغطيس بالمــاء بقصد التوبــة، انظــر: الموســوعة الميســرة في الأديان والمذاهب: (2/1013).

2 (?) انظر: إظهار الحق: (4/1362-1363).

ب- أو بالبرهان العقلي.

ج- أو بالبرهان النقلي.

فـإن كـان الأول: فعنـديتهم هـذه لا تتم علينـا، كما لا تتم أكـثر عندياتهم حول القرآن وغيره.

وإن كان الثـاني: فعليهم بيـان ذلك البرهـان، وعلينا النظر في مقدماته، وأنى لهم ذلك !! ولا استبعاد أن يغفر الله ذنــوب واحد بلا واسـطة، ثم يقبل شـفاعته في حق الآخـرين، على أن قبح الذنب عقلاً ما لم يغفـر، فـإن غفر لا يبقى قبحه لوجه مـا، وقد وجد التصــريح بغفــران ذنب محمد في الآية الثالثة الــتي نقلوها بزعمهم الفاسد لإثبات الذنب، أن الله قال: [الفتح: 2]. فإن صارت ذنوب محمد -متقدمة كانت أو متأخرة- مغفورة في هذه الدار الــدنيا فما بقي شـيء مـانع في أن يكـون شـفيعاً للآخـرين في الـدار الأخرى.

وإن كان الثالث: فغلط يقيناً، ألا ترى أن بني إســرائيل لما عبدوا العجل أراد الله أن يهلك الكل فشفع موسى لهم فقبل الله شـفاعته وما أهلكهم. فلا اسـتحالة عقلاً ولا نقلاً في كـون محمد شفيع المؤمنين » [1].

فنلاحظ هنا استعمال الشيخ للمنهج الجـدلي المسـتند إلى التنــاظر والتحــاور، فقد نــاقش كل الطــرق الــتي حــاول بها المعترضون إثبات هذه الشبهة، مسـتنداً إلى التنـاظر والتحـاور وعلى الافتراض والتمثيل للوصول إلى القيمة الحقيقية للحــوار والتنــاظر، وهي معرفة الحق والصــواب، مما رد هـذه الشــبهة وغيرها من الشبهات في حق النبي .

---

1 (?) المرجع السابق: (1364-4/1363) بتصرف يسير.

المطلب الخامس: شـبهات حـول الأحـاديث النبوية الشريفة:

لما كــانت الأحــاديث النبوية ذات علاقة بصــدق محمد ، استحســنت إضـافة هـذا المطلب في مبحث إبطـال مطـاعن المنصــرين حـول محمد ، وذلك لأن شـبههم حـول الأحـاديث النبوية يراد بها التشكيك والعناد شـأنها شـأن بقية الشـبه الـتي أثاروها حوله .

أما شـبههم حـول الأحـاديث النبوية فقد لخصـها الشيخ رحمه الله في الأمور التالية:

1-أن رواة الأحاديث هم أزواج محمد وأقرباؤه وأصـحابه، ولا اعتبار لشهادتهم في حقه.

2-أن مؤلفي كتب الحـديث ما رأوا الرسـول ولا شـاهدوا معجزاته بـأعينهم، ولا سـمعوا أقواله منه مباشـرة بلا واسـطة، بل سـمعوها بـالتواتر بعد مائة أو مـائتي سـنة من وفاتـه، ثم جمعوها واسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار.

3-أن كل عاقل إذا ترك التعصب علم أن أكثر الأحـاديث لا يمكن أن تكون معانيها صادقة مطابقة لما في نفس الأمر.

4-أن الأحـــاديث الكثـــيرة مخالفة للقـــرآن، لأنه وقع في القــرآن أن محمــداً ما ظهر منه معجــزة، وفي الأحـاديث أنه صدرت منه معجزات كثيرة، وأنه وقع في القــرآن أن محمــداً مــذنباً، وفي أكــثر الأحــاديث أن كــان معصــوماً، وأنه وقع في

القرآن أن محمداً كان في الابتداء في الجهل والضـلالة، وفي الأحـاديث أنه تولد في الإيمـان ولـذلك ظهـرت منه معجـزات كثيرة.

5-أن الأحاديث مختلفة[1].

وفيما يلي بيـــان إبطـــال الشيخ رحمه الله لتلك الشـــبه حـــول الأحاديث النبوية، ومع مراعاة الاختصار خشية الإطالة.

الشـبهة الأولى: شـبهة أن رواة الأحـاديث هم أزواج محمد وأقرباؤه وأصحابه ولا اعتبار لشهادتهم في حقه:

أجاب الشيخ رحمه الله بأن هذه الشبهة: « تورد على القسيسين بأن يقـال إن رواة حـالات المسـيح وأقواله المندرجة في هـذه الأناجيل المعروفة الآن هم أصحابه وتلاميذه وأمه عليها السلام ولا اعتبار لشهادتهم في حقه ....

وليس للقسيســـين حجة فيما تتفـــوه به فرقة الشـــيعة الإمامية الأنثى عشـرية في حق الصـحابة ؛ لأنه وجـدت بعض فرق النصارى تقول أقوالاً وتعتقد اعتقادات جعلت القسيسـين يحكمون على هـذه الفـرق بـالكفر والابتـداع، كقـولهم إن الإله إلهان أحدهما خالق الخير، وأن عيسى نزل إلى الجحيم وأخرج منها كل الأرواح الشـريرة، وأبقى فيها أرواح الصـالحين، وغـير هـذه الأقـوال الـتي ينكرها النصـارى ويعـدونها أقـوالاً كفريـة، ويقولون: إن أقوال هـذه الفـرق لا تقـوم بها الحجة على سـائر النصـارى، فنقـول لهم أيضـاً: إذا لم تتم أقـوال هـذه الفـرق عليكم، فلا تتم أقوال بعض الفرق الإسـلامية على جمهـور أهل الإسـلام ولا تقـوم بها الحجة لاسـيما إذا كـانت هـذه الأقـوال مخالفة لنصـوص القـرآن الكـريم ولأقـوال بعض الأئمة من آل

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/922-954).

البيت » [1].

الشبهة الثانية: أن مؤلفي كتب الحديث ما رأو الرسول ، ولا شاهدوا معجزاته بأعينهم، ولا سمعوا أقواله منه مباشرة بلا واسطة، بل سمعوها بالتواتر بعد مائة أو مائتي سنة من وفاته، ثم جمعوها وأسقطوا مقدار نصفها لعدم الاعتبار.

وكان جواب الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة في نقاط:

أولاً: أن جمهور أهل الكتاب سلفاً وخلفاً كانوا يعتبرون الروايات اللسانية الشفوية كالمكتوب، بل جمهور اليهود يعتبرونها اعتباراً أزيد من المكتوب، أما فرقة الكاثوليك فتعتبر الروايات الشفوية مساوية للمكتوب، وتعتقد أن كليهما واجب التسليم وأصل للإيمان.

أما فرقة البروتستانت فقد شهد أحد أساقفتهم بأن ستمائة أمر مقررة في الدين وتأمر الكنيسة بها لم يبينها الكتاب المقدس في موضع من المواضع، وإنما تقبل من الرواية اللسانية.

وأن خمسة أبواب من سفر الأمثال جمعت من الروايات اللسانية في عهد حزقيا بعد مدة مائتين وسبعين سنة من موت سليمان ، وأن إنجيل مرقس ولوقا وتسعة عشر باباً من كتاب الأعمال كتبت بالرواية اللسانية[2].

ثانياً: أن الأمر العجيب المهتم بشأنه يكون محفوظاً لأكثر الناس، وخلافه لا يكون محفوظاً لعدم الاهتمام، لذلك كان

---

1 (?) إظهار الحق: (3/922-941) باختصار.

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/891-913).

اهتمام المسملين في حفظ القــرآن الكــريم والأحـاديث النبوية منذ القـــرن الأول أشد من اهتمـــام النصـــارى في حفظ كتبهم المقدسة.

لكن الصــحابة لم يــدونوها في الكتب في عهــدهم لبعض الأعذار، منها الاحتياط التـام لأجل أن لا يختلط كلام الرسـول بكلام الله تعالى.

ولكن أتباع الصحابة شرعوا في تدوينها بـدون تـرتيب على أبواب الفقه، ولما كان هذا الترتيب حسناً ضبطها تابعو التابعين على هذا الترتيب، وكـان اجتهـادهم في أمر الحـديث والتحـري اجتهاداً عظيماً، حـتى أنه صـنف من عظيم الشـأن في أسـماء الرجـــال لمعرفة حـــال كل راوٍ من رواة الأحـــاديث من حيث الديانة والحفــظ، وروى كل من أصــحاب الصــحاح الأحــاديث بالإســناد منهم إلى رســول الله ، وبعض الأحــاديث ثلاثية أي تصل إلى الرسول بثلاث وسائط، وقسمت الأحاديث إلى ثلاثة أقسام: متواتر، ومشهور، وآحاد[1].

أما قولهم « سمعوها بـالتواتر... وأسـقطوا مقـدار نصـفها لعدم الاعتبار » .

أجاب بقوله إنه: « غلط؛ لأنهم ما أسـقطوا لعـدم الاعتبـار حــديثاً من الأحــاديث الــتي ســمعوها بــالتواتر، لأن الأحــاديث المتواترة عندهم واجب الاعتبـار، نعم تركـوا الضـعاف الـتي لم تكن أسانيدها كاملة وتركها لا يضر.. »[2].

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/914-919).

2 (?) المرجع السابق: (3/942).

الشبهة الثالثة:

أن كل عاقل إذا تــرك التعصب علم أن أكــثر الأحــاديث لا يمكن أن تكون معانيها صادقة مطابقة لما في نفس الأمر.

يقول الشيخ رحمه الله في جواب هذه الشبهة:

« لا يوجد في الأحـاديث الصـحيحة شـيء يكـون مضـمونه ممتنعــاً عند العقــل، وأما بعض المعجــزات الــتي هي خلاف العادة، وبعض أحوال الجنة والجحيم والملائكة الـتي لا يوجد لها نظــائر في هــذه الــدنيا؟ فــإن كــان اســتبعادهم لها لأجل أنها ممتنعة بالبرهــان فعليهم ذكر هــذا البرهــان وعلينا جوابــه، وإن كــان لأجل أنها خلاف العــادة، أو لا يوجد لها نظــائر في هــذا العالم فلا يضرنا، لأن المعجزة إذا كـانت على مجـرى العـادة لا تكون معجزة »[1].

ثم نقَل الشيخ رحمه الله عن كتبهم أموراً غــير مقبولة عقلاً وهي أغلاط صريحة[2] .

الشبهة الرابعة:

الأحاديث الكثيرة مخالفة للقـرآن؛ لأنه وقع في القـرآن أن محمداً ما ظهرت منه معجزة، وفي الأحاديث أنه صـدرت منه معجزات كثيرة، وأنه وقع قي القـرآن أن محمـداً كـان مـذنباً وفي أكثر الأحاديث أنه كـان معصـوماً وأنه وقع في القـرآن أن محمــداً كــان في الابتــداء في الجهل والضــلالة، كقوله في سورة الضحى: [illegible] [الضحى: 7]، وكقوله في سـورة الشـورى: [illegible]

[illegible]

---

1 (?) إظهار الحق: (3/943).

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/943-947) .

[illegible] [الشــورى: 52]. وفي الأحــاديث أنه تولد في الإيمان ولذلك ظهرت منه معجزات كثيرة.

أما مسالة عدم ظهور المعجزات منه ، وأنه كان مــذنباً فقد سبق أن أبطل الشيخ رحمه الله هذه الشـبهة وبالتـالي لا يوجد تعـارض بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

أما دعـوى أنه كـان ضـالاً كما في الآيـات، فـرد الشيخ رحمه الله على ذلك بقولـه: « أن الضـال في الآية الأولى ليس المــراد به الضال عن الإيمان ليكون بمعنى الكافر؛ فيرد اعتراضهم ».

ثم استقرأ الشيخ كل المعاني الـتي يمكن أن يصـرف إليها لفظ الضال، فذكر اثني عشر وجها لمعنى: الضال، معتمداً في إثبات هـذه الوجـوه على ما روي عن الرسـول وأقـوال بعض المفســرين، وكــذلك على الاســتعمالات اللغوية لهــذا اللفــظ، وعلى استعمالات العرب لكلمة ضال، واستشـهد في كثـير من هذه الاستعمالات بالآيات القرآنية التي شملت اللفظ .[1]

أما الآية الثانية: [illegible] [الشورى:52].

فقد بيّن الشيخ رحمه الله أن المــــراد « بالكتـــــاب: القــــرآن، وبالإيمان: تفاصيل شرائع الإسلام، ومعـنى الآية ما كنت تـدري، قبل الوحي أن تقرأ القـرآن ولا الفـرائض الأحكـام، وهـذا حـق، لأن النبي كـان قبل الـوحي مؤمنـاً بتوحيد الـرب إجمـالاً، وما كـان عارفـاً بتفاصـيل الشـرائع الإسـلام، بل صـار عارفـاً بعد الوحي.

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (3/948) .

أو المراد بالإيمان: الصلاة، كما في قوله تعـالى: □ □□□□□ □□□□□ □ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□ [البقـرة:143]، أي وما كان رسـول الله □ عالماً بكيفية هذه الصلاة المشروعة في ملته قبل النبوة.

أو المراد بالإيمان أهل الإيمـان على حـذف المضـاف، أي: ما كنت تـدري ما الكتـاب ومن أهل الإيمـان، يعـني: من الـذي يؤمن بك »[1].

وبهذا تبطل شبهة مخالفة الأحاديث للقرآن الكريم .

الشبهة الخامسة: (الأحاديث مختلفة)

يقـول الشيخ رحمه الله مجيبيـاً عن هـذه الشـبهة: « أن الاعتبـار عنـــدنا للأحـــاديث الصـــحيحة المروية في الكتب الصـــحاح، والأحاديث الـتي هي مروية في كتب غـير معتـبرة لا اعتبـار لها عندنا، ولا تعارض الصحيحة.

كما أن الأناجيل الكثيرة الزائدة على السبعين في القـرون الأولى لا تعارض عند النصارى هذه الأناجيل الأربعـة، والاختلاف الــذي يوجد في الأحــاديث الصـحيحة يرتفع غالبـاً بــدون أدنى تأويـــل، وليس ذلك الاختلاف الـــذي يوجد في روايـــات كتبهم المقدسة إلى الآن..

ولو نقلنا عن كتبهم المقبولة الـــتي تكـــون مثل اختلاف يثبتونه في بعض الأحــاديث الصـحيحة قلما يخـرج بـاب يكـون خالياً عن مثل هذا الاختلاف » [2].

وبهذا استطاع الشيخ رحمه الله بإبطاله لتلك الشبه المثارة حـول

---

1 (?) إظهار الحق: (3/952) باختصار.

2 (?) المرجع السابق: (3/954-955) بتصرف يسير.

الأحاديث النبوية أن يثبت في المقابل صحة نسبة السنة إلى النبي ﷺ، معتمداً في ذلك على المنهج الجدلي المستند على التناظر والحوار، بإلزام الخصم بما يسلم به لإثبات القضايا التي تتعلق بالشبهات التي يثيرها الخصوم؛ مما يؤكد أن شبههم ما هي إلا من قبيل التعصب والهوى؛ لإثارة الشكوك لدى أبناء المسلمين، ولصد أبناء جنسهم عن دين الإسلام .

وشبهات المنصرين حول الأحاديث النبوية قديمة، وحاولوا إثارتها بين صفوف المسلمين حتى وجدت لها مأوى عند العقلانيين وغيرهم، وقد كانت محدودة التأثير، حتى أتى الانجليز إلى واحدة من مراكز الامبراطوريات الإسلامية وهي القارة الهندية منذ قرن ونصف القرن، فسعوا لإسقاط العقيدة الإسلامية أولاً حتى يسهل تحقيق بقية الأهداف .

واستطاعوا من خلال أصحاب الشهوات والمطالع أن يخترقوا جدران الدعوة، وأن يصنعوا شرخاً بين صفوف الدعاة، مستغلين ساحة الجهل والأمية التي اتسعت رقعتها هناك، فبدأ التشكيك في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وهي السنة النبوية المطهرة، ثم التشكيك في صدق ما ورد بها من أحكام وتشريعات، ولتحقيق هذين الهدفين

المتلازمين، اتُخــذت ســبل عديــدة، تعتمد التشــكيك في متن الأحاديث، وطرق روايتهـا، والـرواة، وبالتـالي إسـقاط الأحكـام التي وردت بها.

ومن الهند انتشرت هذه البدعة بين المسلمين إلى العراق ومصر وليبيا واندونيسـيا وماليزيا وغيرها من بلاد المسـلمين[1]، وهي في الأصل بذرة المنصرين في الهند.

---

[1] (?) انظـر: خـادم حسـين إلهي: القرآنيـون وشـبهاتهم، ص(22، 99-111)، ط2، 1421هـ-2000م، مكتبة الصديق-الطائف .

المبحث الخامس: إثبات المعجزات

تعريف المعجزة:

المعجـزة اسم فاعل مـأخوذ من العجز المقابل للقـدرة[1]، وهي أمر خــارق للعــادة داع إلى الخــير والســعادة، مقــرون بــدعوى النبــوة، قصد به إظهــار صــدق من ادعى أنه رســول الله[2].

ويعرفها بعض أهل العلم بأنها: « فعلاً لله سبحانه وتعالى، خارقــاً للعــادة ظـاهراً على حسب ســؤال مــدعي النبــوة، مع تحقيق امتنـــاع وقوعه في الاعتيـــاد من غـــيره، إذ كـــان يبغي المعارضة »[3].

فتبين مما سبق أن المعجزة لكي تكون دليلاً صحيحاً على إثبات النبوة، لابد فيها من ثلاثة شروط: خرق العادة، والتحدي، وعدم المعارضة.

وهذا غير منضبط وبيانه من وجوه:

1- « ليس في الكتاب والسنة تعليق الحكم بهذا الوصف، بل ولا ذكر خــرق العــادة ولا لفظ المعجــزة، وإنما فيه آيــات

---

1 (?) انظر: التفتازاني: شرح المقاصد: (4/11).

2 (?) الجرجاني: التعريفات: ص(176).

3 (?) الجويــني: البرهــان في أصــول الفقــه: (1/148) ت: عبد العظيم الديب: ط2، (1400هـ)، دار الأنصار- القاهرة، انظــر: نحو هــذا التعريف في كتب المتكلمين، التفتــاراني، شــرح المقاصــد: (4/11)، الإيجي: شرح المواقف: (8/246-248) .

وبراهين، وذلك يوجب اختصاصها بالأنبياء » [1].

2- « كون الآية خارقة للعادة وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير، فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم.

... والكهانة والسحر هو معتاد للسحرة والكهان، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم، كما أن ما يعرفه أهل الطب والنجوم والفقه والنحو هو معتاد لنظرائهم، وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم.

ولهذا إذا أخبر الحاسب بوقت الكسوف والخسوف تعجب الناس إذ كانوا لا يعرفون طريقه، فليس في هذا ما يختص بالنبي..

فكونه خارقاً للعادة ليس أمراً مضبوطاً، فإنه إن أريد به أنه لم يوجد له نظير في العالم فهذا باطل، فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض، بل النوع منه كإحياء الموتى هو آية لغير واحد من الأنبياء، وإن قيل إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها كالقرآن والعصا والناقة، لم يلزم ذلك في سائر الآيات.

ثم هب أنه لا نظير لها في نوعها لكن وجد خوارق العادات للأنبياء غير هذا فنفس خوارق العادات معتاد جميعه للأنبياء، بل هو من لوازم نبوتهم مع كون الأنبياء كثيرين، ...

وإن عني بكون المعجزة هي الخارق لعادة، أنها خارقة لعادة أولئك المخاطبين بالنبوة بحيث ليس فيهم من بقدر على

---

1 (?) شيخ الإسلام ابن تيمية: النبوات: ص(44).

ذلك، فهذا ليس بحجة، فإن أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة والسحر ونحو ذلك...

وأيضاً فكـون الشـيء معتـاداً هو مـأخوذ من العـود، وهـذا يختلف بحسب الأمــور، فالحــائض المعتــادة، من الفقهــاء من يقول تثبيت عادتها بمرة، ومنهم من يقـول بمـرتين، ومنهم من يقول لا تثبت إلا بثلاث .

وأهل كل بلد لهم عـادات في طعـامهم ولباسـهم وأبـنيتهم لم يعتدها غيرهم، فما خرج عن ذلك فهو خارق لعادتهم لا عادة من اعتـاده من غـيرهم، فلهـذا لم يكن في كلام الله ورسـوله وسـلف الأمة وأئمتها وصف آيـات الأنبيـاء بمجـرد كونها خارقة لعادة، ولا يجوز أن يجعل مجـرد خـرق العـادة هو الـدليل، فـإن هذا لا ضابط لـه، وهو مشـترك بين الأنبيـاء وغـيرهم، ولكن إذا قيل من شـرطها أن تكـون خارقة للعـادة بمعـنى أنها لا تكـون معتادة للناس فهـذا ظـاهر يعرفه كل أحـد، ويعرفـون أن الأمر المعتاد مثل الأكل والشرب.. ليس دليلاً ولا يـدعى أحد أن مثل هذا دليل له، فإن فساد هذا ظاهر لكل أحد، ولكن ليس مجــرد كونه خارقاً للعـادة كافيـاً لـوجهين: أحـدهما: أن كـون الشـيء معتاداً وغـير معتـاد أمر نسـبي إضـافي، ليس بوصف مضـبوط تتمـيز به الآيــة.. الثــاني: أن مجــرد ذلك مشــترك بين الأنبيــاء وغيرهم ... » [1].

3- « أن آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النـبي بها ولا تحديه بالإتيــان بمثلهــا، بل هي دليل على نبوتــه، وإن خلت عن هذين القيـدين وهـذا كإخبـار من تقـدم بنبـوة محمد ، فإنه دليل على صــدقه، وإن كــان هو لم يعلم بما أخــبروا بــه، ولا يستدل بـه، وأيضـاً فما كـان يظهـره الله على يديه من الآيـات

---

[1] (?) شيخ الإسلام ابن تيمية: النبوات: ص(19-23).

مثل تكثـــير الطعــام أو الشــراب مــرات، كنبع المــاء من بين أصابعه غير مـرة...، وغـير ذلك كله من دلائل النبـوة، ولم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا يتحدى بمثلها لحاجة المسلمين إليهـا، وكذلك إلقاء الخليل في النـار، وإنما كـان بعد نبوته ودعائه لهم إلى التوحيد » [1].

ومما يلـزم من عـرف المعجـزة بـذلك التعريـف: « أن ما كان يظهر على يد النبي في كل وقت من الأوقات ليس دليلاً على نبوتـــه، لأنه لم يكن كلما ظهر شـــيء من ذلك احتج به وتحدى النـاس بالإتيـان بمثلـه، بل لم ينقل عنه التحـدي إلا في القــرآن خاصــة، ولا نقل التحــدي عن غــيره من الأنبيــاء مثل موسى والمسـيح وصـالح، ولكن السـحرة لما عارضـوا موسى أبطل معارضتهم،وهذا الذي قالوه يـوجب أن لا تكـون كرامـات الأولياء من جملة المعجزات.. » [2].

4-« أن المعارضه بالمثل، أن يأتي بحجة مثل حجة النبي، وحجتة عندهم مجموع دعوى النبـوة والإثبـات بالخـارق، فيلـزم على أن تكون المعارضة بأن يدعي غيره النبوة، ويأتي بالخارق وعلى هذا فليست معارضة الرسول بأن يأتوا بــالقرآن. أوعشر سور أوسورة، مثل أن يدعي أحدهم النبوة، ويفعل ذلـك، وهـذا خلاف العقل والنقل.

ولو قــال الرســول لقــريش لا يقــدر أحد منكم أن يــدعي النبـوة ويـأتي بمثل القـرآن، وهـذا هو الآيـة. وإلا فمجـرد تلاوة القرآن ليس آية، بل قد يقرأه المتعلم له، فلا تكون آية، لأنه لم يـدع النبـوة ولو ادعاها لكـان الله ينسـيه إيـاه، أو يقيض له من يعارضه كما ذكرتم، لكانت قـريش وسـائر العلمـاء يعلمـون أن

---

1 (?) شيخ الإسلام ابن تيمية: النبوات: ص(153).

2 (?) المرجع السابق: ص(173)، وانظر: ص(204،290).

هذا باطل » [1].

ثم إنه قد « يـــأتي الرجل بما لا يقـــدر الحاضـــرون على معارضته ويكـون معتـاداً لغـيرهم كالكهانة والسـحر.. » [2]، و« قد ادعى جماعة من الكـذابين النبـوة وأتـوا بخـوارق من جنس خوارق الكهان والسـحرة، ولم يعارضـهم أحد في ذلك المكـان والزمان وكانوا كذابين ... » [3].

5- « أن آيــات الأنبيــاء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم ليست مما تكون لغيرهم، فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء، وسواء في آياتهم التي كانت في حيـاة قـومهم وآيـاتهم الــتي فــرق الله بها بين أتبــاعهم وبين مكــذبيهم بنجــاة هــؤلاء وهلاك هـؤلاء، ليست من جنس ما يوجد في العـادات المختلفة لغيرهم ...

فآيــات الأنبيــاء هي أدلة وبــراهين على صــدقهم، والــدليل يجب أن يكــون مختصــاً بالمــدلول عليه لا يوجد مع عدمــه، لا يتحقق الـدليل إلا مع تحقق المـدلول، كما أن الحـادث لابد من محـدث، فيمتنع وجـود حـادث بلا محـدث...فكـذلك ما دل على صدق النبي يمتنع وجوده إلا مع كون النبي صادقاً....

المقصـود أن جنس الأنبيـاء متمـيزون عن غـيرهم بالآيـات والــدلائل الدالة على صــدقهم الــتي يعلم العقلاء أنها لم توجد لغيرهم، فيعلمون أنها ليست لغيرهم لا عادة ولا خــرق عـادة » [4].

---

1 (?) المرجع السابق: ص(150).

2 (?) المرجع السابق: ص(23).

3 (?) المرجع السابق: ص(153).

4 (?) النبوات: ص(156-161).

إذن فحد المعجـزة السـابق ذكـره غـير مسـتقيم، بل هو مضطرب وغير منضبط، ومما يؤسف له أن يكون هذا التعريف هو السائد والمنتشر في كثير من كتب العقائد.

والـذي يظهر أن المعجـزة هي عبـارة عن: ما يؤيد الله به أنبيـاءه ورسـله من الأمـور الخارقة للسـنن الكونيـة، والـتي لا قـدرة للخلق على الاتيـان بمثلهـا: فتكـون دليلاً على صـدقهم وتأييد الله لهم.

وفي هـذا البحث سـوف نتـاول المطـالب التالية والـتي ناقشها الشيخ رحمت الله وهي:

أولاً: مسالة إمكانية اطلاع النبي على الغيبات.

ثانياً: مسألة إمكان المعجزات من النبي.

ثالثاً: مسألة المعجزة وصدق النبي.

رابعاً: مسألة التثبيت من حصول المعجزة.

وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال.

المطلب الأول: مسـألة إمكانية اطلاع النـبي على الغيب:

ينقل الشيخ رحمه الله في هذه المسألة طريقة الفلاسفة فيقول: « حصــول الإطلاع على المغيبــات الماضــية والآتية للنــبي لا تستنكره الفلاسفة أيضاً، لأن النفـوس الإنسـانية على مـذهبهم مجردة في ذاتها عن المادة، غـير حالة فيهـا، بل هي لامكانيـة، ولها نسـبة في التجــرد إلى المبـادي العاليـة، أعـني العقـول والنفوس السماوية النتقشة بصـورة ما يحـدث في هـذا العـالم العنصـري الكـائن الفاسـد، لما تقـرر أنها عالمة بـذواتها، فقد تتصل النفس الإنسـانية بتلك المبـادئ العالية أتصـالاً معنويـاً بواسطة الجنسية، وتشاهد ما فيها من صور الحوادث، فيرتسم فيها من تلك الصـور ما تسـتعد هي لارتسـامه كمـرآة مجلـوة تحاذي شطر مرآة أخرى فيها نقوش، فينعكس منها إلى الأولى ما يقابلها.

ولا يلـــزم أن ينتقش في النفس جميع ما في المبـــادئ العالية من صـور الحـوادث، لأن لقبـول كل صـورة اسـتعداداً يخصها ، وقد شهد التسامع والتجربة بأن هذا الاتصـال قد يوجد في نفس قلت شــواغلها، أما الرياضة بــأنواع المجاهــدات أو

مرض صارف لها عن الاشتغال بالبدن واستعمال الآلـة، أو نـوم تنقطع به احساساته الظاهرة.

وإذا ثبت ذلك في المرتـاض أو المـريض أو النـائم، فكيف يستنكر في حق النبي الذي نفسه في غاية التقدس.

ويمتاز النبي عن غيره بكون ذلك الاتصال بلا مـرض ونـوم ورياضة، فالحق أنه لااسـتبعاد في أن يحصل للنـبي اطلاع على المغيبات »[1]

قلت: يشترط الفلاسفة في النبي توفر ثلاثة خواص فيه:

أحدها: أن يكون له اطلاع على المغيبات.

وثانيها: أن يظهر منه الأفعال الخارقة للعادة.

وثالثها: أن يرى الملائكة مصورة ويسمع كلامهم وحياً

ثم يفسـرون أطلاع الأنبيـاء مع المغيبـات: بـأن النفـوس الإنسانية مجردة ولها نسبة إلى المجردات المنتقشة بصورة ما يحدث في هذا العـالم لكونها مبـادئ له فقد تتصل بها وتشـاهد ما فيها فتحكيها، ويؤيده ما ترى النفوس وما عليها من التفاوت في طرفي الزيادة والنقصان متصـاعداً إلى النفـوس القدسـية ومتنـازلاً إلى البليد الـذي لا يكـاد يفقه قـولاً، وكيف وقد يوجد فيمن قلت شواغله لرياضة أو مرض أو نوم. [2]

هــذا قــول مــردود بالاتفــاق: « إذ الإطلاع على جميع المغيبـات لا يجب للنـبي إتفاقـاً والبعض لا يختص بـه- كما أقر بـذلك الفلاسـفة- ثم إحالة ذلك على اختلاف النفـوس وضـعفها

---

1 (?) التنبيهات: ص(41).

2 (?) انظـر: الإيجي: شـرح المواقف (8/242-243) بتصـرف يسير.

مع اتحادها بالنوع مشكل،....»[1]

والنـــــــبي [illegible] نفى عن نفسه علم الغيب، إلاما أطلعه الله تعالى عليه، يقول تعالى: [illegible] [الأنعام: 50].

وقال تعالى: [illegible] [الأعراف:188].

ثم إنه لا يبعد في نظر العقل ولا يســـــتحيل في تقـــــدير الفكر، أن يختص واهب النعم ومفيض الخير بعض عبادة بسـعة في الفكر ورحابة في الصدر وكمال صبر وحسن قيادة وسلامة في الأخلاق، ليعدهم بذلك لتحمل أعبـاء الرسـالة، ويكشف لهم عما أخفــاه عن غــيرهم، ويــوحي إليهم بما فيه ســعادة الخلق وصلاح الكون، رحمة للعالمين، واعـذاراً إلى الكـافرين، وإقامة للحجة على النــاس أجمعين، فإنه ســبحانه بيــده ملكــوت كل شـيء وهو الفاعل المختـار، لا مـانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وهو على كل شيء قدير.

وآية ذلك أنا نشاهد أن [illegible] خلق عباده على طرائق شتى في أفكارهم، ومذاهب متباينة في مداركهم.

فمنهم من سما عقله، واتسعت مداركه، واطلع من الكون على أســراره، حــتى وصل به ثــاقب فكــره، وانتهت به كــثرة

---

1 (?) المرجع السابق: (8/243).

تجاربه إلى أن اخــترع للنــاس ما رفع أولــوا الألبــاب من أجله رؤوسـهم إليه إعجابـاً بـه، وشـهادة له بالمهـارة، وانكـره عليه صغار العقول، حتى عدوه شعوذة وكهانة أو ضـرباً من ضـروب السحر...

ومنهم من ضــعف عقله وضــاقت مداركــه، فعميت عليه الحقــائق واشــتبه عليه الواضح فــانكر البــديهات، ورد الآيــات البينات...[1]

والقول يتجـرد الأرواح من الأمـور الباطلـة، والـتي سـيأتي مناقشتها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

---

[1] (?) انظــر: عبد العزيز بن عبد الــرحمن بن علي الربيعــة: علم التوحيد، ص(65-96).

المطلب الثـاني: مسـألة إمكـان المعجـزات من النبي:

يـبين الشيخ رحمه الله إمكـان المعجـزة وعـدم اسـتحالتها، وذلك على طريقة الفلاسفة كذلك، يقـول: « ظهـور الأفعـال الخارقة للعادة من النبي ليس بمستنكر أيضاً عند الفلاسـفة، لأن علاقة النفس بالبـدن عنـدهم إنما هي بالتـدبير والتصـرف لا بـالحلول والانطباع.

وقد ظهر تأثيرها في المواد البدنية كما نشاهد أن الإنسان يحمر عند الخجل، ويصفر عند الوجـل، ويتسـخن عند الغضـب، وأنه يسـقط من الموضع العـالي إذا كـان قليل العـرض، ولا يسقط من الموضع السافل، وإن كان الممشى فيه أقل عرضاً من الموضع العـالي؛ فـإذا كـانت أرادات كل نفس وتصـوراتها مؤثرة في بدنها مع عدم حلول الانطباع فيه، فكيف يسـتبعد أن يكـون بعض النفـوس القدسـية قوية تتصـرف بمجـرد الإرادة والتصوير بلا استعمال آلة في أجسام أخرى غـير بـدنها، بل في كلية العناصر، سيما العنصر الذي يكون أشد مناسبة لمزاجه .

ويكـون هـذا العـالم بمنزلة بـدن منقـاد له في حركاته وسكناته، فتحدث بإرادته في الأرض رياح وزلازل وحرق وغرق وهلاك أشخاص ظالمة وخراب مدن فاسدة وانفجار الميـاه من الأحجـار وغيرها من الخـوارق؛ وقد شـوهد مثلها في كل عصر من الصـلحاء والأوليـاء وأهل الرياضـة، فكيف مثلها من النبي؟!»[1].

---

[1] (?) التنبيهات: (43-44).

قلت: هـــذه الطريقة وهي تـــأثير تصـــورات النفس على الأبدان والأجسام وأحوالها طريقة باطلة باتفاق أهل العلم فإنه لا مؤثر في الوجود إلا الله وما تلك الأمور إلا مؤثرات بطريق العادة لا يختص به النبي عن غيره.

كما أن اعتقـــاد أن علاقة النفس بالبـــدن علاقة تـــدبير وتصرف، اعتقاد مجانب للصـواب، لأن الـروح « جسم مخـالف بالماهية لهـذا الجسم المحسـوس، وهو جسم نـوراني علـوي خفيف حي متحـرك، وينفذ في جـوهر الأعضـاء، ويسـري فيها سريان الماء، وسريان الـدهن في الزيتـون، والنـار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبـول الآثـار الفائضة عليها من الجسم اللطيـــف، بقي ذلك الجسم اللطيف مشـــابكاً لهـــذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادية.

وإذا فسدت هذه الأعضاء بسـبب اسـتيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البـدن وانفصل إلى عالم الأرواح » [1].

فتفسـير صـدور المعجـزة عن النـبي ما هو إلا سـير وفق سـنة الله تعـالى في خلقـه، من غـير تبـديل ولا انحـراف، قـال تعالى: [الأحزاب: 62].

أضف إلى ذلك أن خرق العادة مشاهد في حياتنا اليوميـة، وذلك في حال المرض إذ يمتنع من أصيب به عن الأكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات، مع وجود السـقم الـذي أنهكـه، إذن ليس من المحـال على واضع الخـواص تغييرهـا، إذ يـترك الخـارق سـنة ويتبع سـنة أخـرى، وغاية ما في الأمر أنا لا نعـرف

---

1 (?) ابن القيم: الروح: ص(225).

ذلـــك، بل نـــرى أثر التغيـــير على يد من اختصه الله بفضل من عنده[1].

فـإذا علمنا أن المعجـزة مما يختص الله بالقـدرة عليـه، علم بالضـــرورة أن الله أراد أن يؤيد بها نبيـــه، وأن يقيم بها الحجة على مخالفيه .

---

1 (?) انظر: محمد عبده: رسالة التوحيد، ص67، ط2، 1326هـ، مطابع المنار .

المطلب الثالث: مسألة المعجزة وصدق النبي:

سبق أن مرّ معنا إثبات الشيخ رحمه الله لنبوة محمد ﷺ بمسالك متعددة منها المعجزات الحسية التي أجراها الله تعالى على يديه ﷺ وغير المعجزات.

فدل ذلك على أن الشيخ رحمه الله يثبت النبوة بالمعجزة وغيرها موافقاً بذلك منهج أهل السنة في إثبات النبوة، إلا أنه ركز على جانب المعجزة على اعتبارها دليل قطعي على صدق مدعي النبوة.

يقول ~:

« إذا ظهرت المعجزة على يد مدعى النبوة، خلق الله العلم الضروري بصدقه قطعاً على ما جرت به العادة.

ولا تنافيه الاحتمالات الصرفة والتجويزات العقلية المحضة، لأنها لا تنافي العلوم العادية الضرورية القطعية.

مثلاً: إذا ادعى الرجل في مجلس ملك بمشهد الجم الغفير، إني رسول هذا الملك إليكم؛ وطالبوه بالحجة، فقال

حجتي أن الملك يخالف عادته لتصديقي إذا طلبت منـه، وطلب منه أن خالف عادتك، وقم عن سريرك، ثم اقعـد، وافعل هكـذا ثلاث مـرات، ليـذعن الحاضـرون بـأني رسـولك فقبل الملـك، وفعل كما طلب هــذا المــدعي، فكــان ذلك الفعل من الملك نازلاً منزلة تصديقه، ويحصل للحاضرين عـادة العلم الضـروري بصدقه بلا ارتياب.

وإلا كــان الملك ظلومــاً كــذوباً لا يبــالي بــإغواء رعيتــه، والاستهزاء برسله، ولا يلتفت إلى الاحتمـالات العقلية الصـرفية »[1].

فتـبين أن دلالة المعجـزة على صـدق النبـوة ضـرورية، ولا يمكن الشك في دلالتها على ذلك، ولا يمكن حصر دلائل صــدق النبي على المعجزة فقـط، بل تثبت النبـوة بـالمعجزة وغيرهـا، وإتماماً لهذه المسألة، نبين الوجوه التالية:

1- « أن المقصود إنما هو معرفة صـدق مـدعي النبـوة أو كذبه، فإنه إذا قال، إني رسول اللـه، فهـذا الكلام إما أن يكـون صدقاً وإما أن يكون كذباً...

فإذا كان مدعي الرسالة إذا لم يكن صادقاً فلا بد أن يكون كاذباً، عمداً أو ضلالاً، فالتمييز بين الصـادق والكـاذب له طـرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة»[2].

2- « معلوم أن مدعي الرسـالة إما أن يكـون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكــــــــــــــــــــــــون من أنقص الخلق وأرذلهم.. فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم

---

1 (?) التنبيهات: (45-46).

2 (?) ابن تيميــة: الأصــفهانية: ص(156)، تحقيــق: ســعيد نصر محمد، ط1، 1422هـ، مكتبة الرشد - الرياض. انظـر: النبـوات: (163-164).

بأنقص الخلق أرذلهم » [1].

3- « ما من أحد ادعى النبـوة من الكـذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشـياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تميـــــــيز، وما من أحد ادعى النبـــــــوة من الصـــادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصـــدق والـــبر وأنـــــــــــواع الخــــــــــــيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييـز » [2].

4- « هذا المقام يشبه من بعض الوجوه تنازع النـاس في أن خـــبر الواحـــد: هل يجـــوز له أن يقـــترن به من القـــرائن والضـــــمائم ما يفيد معه العلم؟ ولا ريب أن المحققين من كل طائفة على أن خـبر الواحد والإثـنين والثلاثة قد يقـترن به من القـــرائن ما يحصل معه العلم الضـــروري بخـــبر المخـــبر، بل القرائن وحدها قد تفيد العلم الضروري كما يعـرف الرجل رضا الرجل وغضبه وحبه وبغضه وفرحه وحزنـه، وغـير ذلك مما في نفسه، بأمور تظهر على وجهه قد لا يمكنه التعبير عنها..

وإذا كـان صـدق المخـبر أو كذبه يعلم بما يقـترن به من القرائن، بل في لحن قوله وصفحات وجهـه، يحصل بـذلك علم ضـروري لا يمكن المـرء أن يدفعه عن نفســه، فكيف بـدعوى المـدعي أنه رسـول الله كيف يخفى صـدقه وكذبـه، أم كيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكـاذب بوجـوه من الأدلة لا تعد ولا تحصى! » [3].

5- « إذا كان الكاذب إنما يـؤتى من وجهين: إما أن يتعمد الكـــذب، وإما أن يلبس عليـــه، كمن يأتيه الشـــيطان، فمن

---

[1] (?) الأصفهانية: ص(156-157).

[2] (?) المرجع السابق: ص(157).

[3] (?) المرجع السابق: ص(159-160).

المعلــوم الــذي لا ريب فيه أن من النــاس من يعلم منه أنه لا يتعمد الكـــذب.. ونحن لا ننكر أن الرجل قد يتغـــير، ويصـــير معتمداً الكـذب بعد أن لم يكن كـذلك، لكن إذا اسـتحال وتغـير ظهر ذلك لمن يخبره ويطلع على أموره.

ولهذا علمت خديجة < أن النبي صادق وبار » [1].

6- « طريق معرفة الأنبيـــاء كطريق معرفة نـــوع من الآدمـــيين خصـــهم الله بخصـــائص يعـــرف ذلك من أخبـــارهم واستقراء أحوالهم كما يعرف الأطباء والفقهاء.

ولهذا إنما يقرر الرب تعالى في القرآن أمر النبـوة وإثبـات جنسها بما وقع في العالم من قصة نـوح وقومـه، وهـود وقومه وصـالح وقومه ... وغـيرهم، فيـذكر وجـود هـؤلاء وإن قومـاً صدقوهم وقوماً كذبوهم، ويـبين حـال من صـدقهم، وحـال من كذبهم، فيعلم بالاضطرار حينئذ ثبوت هؤلاء.

ويتبّن وجود آثارهم في الأرض، فمن لم يكن رأى في بلدة آثـارهم فليسر في الأرض ولينظر آثـارهم وليســمع أخبـارهم المتواترة ... » [2].

7- « إذا علمنا بالتواتر أحوال الأنبياء وأولياءهم وأعدائهم، علمنا علمــاً يقينــاً أنهم كـانوا صـادقين على الحق من وجــوه متعددة.

---

1 (?) الأصفهانية: ص(160-161).

2 (?) شيخ الإسلام ابن تيمية: النبوات: ص(35-36).

منها أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم، وخـذلان أؤلئك وبقاء العافية لهم، أخباراًكثيرة في أمور كثيرة، وهي كلها صادقة. لم يقع في شيء منها تخلف ولا غلط، بخلاف من يخبر به من ليس متبعاً لهم ممن تـنزل عليه الشـياطين، أو يسـتدل على ذلك بـالأحوال الفلكية وغيرهـا. وهـؤلاء لا بد أن يكونـوا كثيراً، بل الغالب من أخبارهم الكذب، وإن صدقة أحياناً.

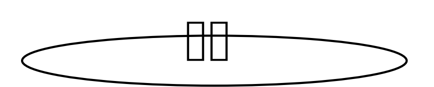
ومن ذلك أن ما أحدثه الله تعـالى من نصـرهم وإهلاك عـدوهم، إذا عـرف الوجه الـذي حصل عليـه، كحصـول الغـرق لفرعـون وقومه بعد أن دخل البحر خلف موسى وقومـه، كـان هذا مما يورث علماً ضـرورياً أن الله تعـالى أحـدث هـذا نصـراً لموسى وقومه، ونجـاة لهم، وعقوبة لفرعـون وقومه ونكـالاً لهم. وكذلك أمر نوح والخليل ^، وكذا قصة الفيل وغيره.

ومن الطرق أيضاً، أن من تأمل ما جاءت به الرسل عليهم السلام فيما أخـبرت به وما أمـرت بـه، عَلِم بالضـرورة أن مثل هذا لا يصـدر إلا عن أعلم النـاس وأصـدقهم وأبـرهم، وأن مثل هذا يمتنع صدوره عن كاذب متعمد للكذب، مفتر عن الله يخبر عنه بالكـذب الصـريح، أو مخطيء جاهل ضـال أن الله تعـالى أرسله ولم يرسله.

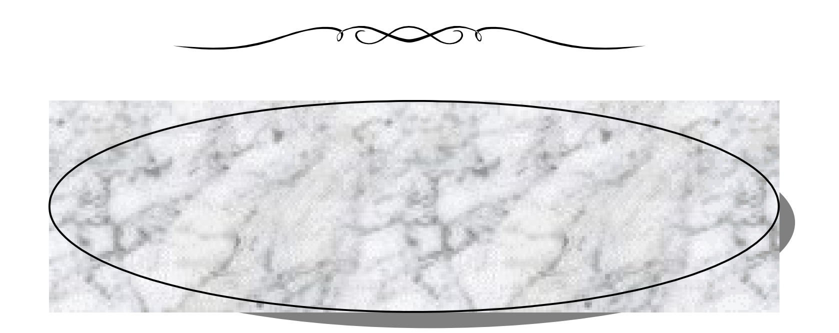
وذلك لأن فيما أخـبروا به وما أمـروا به من الإحكـام والإتقـان، وكشف الحقـائق وهدى الخلائـق، وبيـان ما يعلم العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصـيلاً ـ ما يـبين أنهم من العلم والمعرفة والخـبرة في الغاية الـتي بـاينوا بها أعلم الخلق ممن سـواهم، فيمتنع أن يصـدر مثل ذلك من جاهل ضـال » [1].

---

[1] (?) شـيخ الإسـلام ابن تيميـة: الإصـفهانية: ص(179-180)،



وجميع هــذه المســالك والطــرق اعتمــدها الشيخ رحمت الله في إثبات نبوة محمد ﷺ وأجاد فيها.



وانظر: النبوات: (31-33).

المطلب الرابع: مسـالة التثـبيت من حصـول لمعجزة:

يقول الشيخ رحمه الله في هذه المسألة: « التواتر إذا كان جامعاً للشــروط المفصــلة في علم الأصــول فلا شك أنه يفيد العلم الضروري بما تواتر الإخبـار عنـه، إذا لا سـبيل إلى العلم بـالبلاد البعيدة والأشخاص الماضية سوى التواتر.

فمن شاهد معجزة نبي يحصل له العلم بصـدق ذلك النـبي بالمشـاهدة، ومن لم يشـاهدها ووصل إليه خـبر تلك المعجـزة بالتواتر الجامع لشروطه، يحصل له العلم أيضـاً فحصـول العلم لمن لم يشاهد المعجزة ممكن ألبتة » [1].

وقد بيّن الشيخ رحمه الله ما يشترط في ثبوت المعجزة، فقال:

« ولا يشــترط في حصــول العلم به عــدد معين لجماعة المخــبرين، بل يختلف هــذا بــاختلاف الوقــائع والمخــبرين والسـامعين؛ لأنه قد يحصل العلم في واقعة بعـدد مخصص ولا يحصل بــذلك العــدد في واقعة أخــرى وكــذا قد يحصل العلم بإخبار جماعة مخصوصة ولا يحصل بإخبار جماعة أخرى تساوي الأولى في العدد، وكذا قد يحصل لبعض السامعين من عدد ولا يحصل لبعض آخر من ذلك العدد » [2].

---

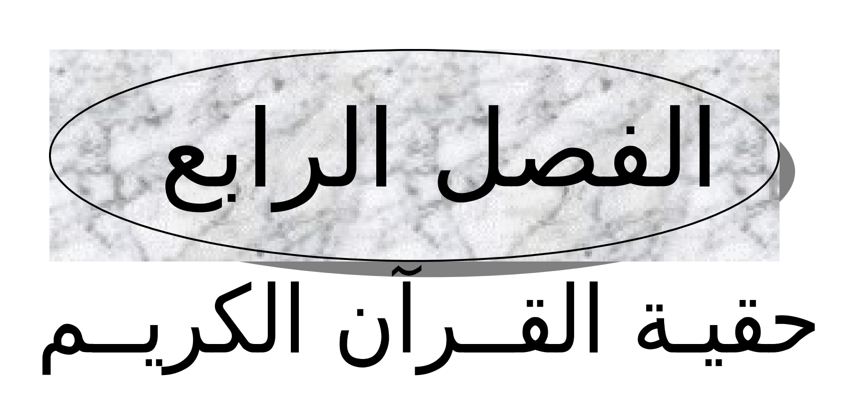
1 (?) التنبيهات: ص(47).

2 (?) هامش التنبيهات: ص(47).

يقتضي العلم كما تقتضيه المشاهدة، والعلم بثبـوت المعجـزات في الجملة، وأن الله قد أيّد أنبيـاءه بها مما طريقه التـواتر، إما بما ورد في كتـاب الله تعـالى أو السـنة المتـواترة من الدلالة على ذلك، فلزم أن تكون المعجزات حجة ضرورية على صـدق الأنبياء، وأنه يستوي في ذلك من شاهدها ومن لم يشاهدها.

وبهـذا يتـبيّن لنا من هـذا المبحث الطريقة الـتي سـلكها الشيخ رحمه الله في إثبـات المعجـزات، فقد اعتمد على النقل طـرق الفلاسـفة في تفسـير كيفية إطلاع النـبي على الغيب، وتفسـير صدور المعجزات عن النبي ﷺ، وتـبيّن لنا خطأ هـذه الطريقة لما يترتب عليها من لوازم باطلة، كما تـبين لنا منهج الشيخ رحمه الله في إثبـات صـدق النـبي ﷺ، فقد وافق أهل السـنة في إثبـات صـدق النبي ﷺ بالقرائن المتعددة بالمعجزة وغير المعجزة.





حقيـة القــرآن الكريــم

<u>وفيه ثلاثــة مباحــث</u> **: -**

- المبحث الأول : **إثبات التحريف والنسخ في كتب العهدين** .

- المبحث الثاني : **نفـي التحريـف عن القـرآن الكريـم** .

- المبحث الثالث **: إعجـــاز القــرآن الكريــــم** .



تمهيـــد:

القــرآن الكــريم هو معجــزة الإســلام الخالــدة، أنزله الله تعـالى على رسـولنا محمد ليخـرج النـاس من الظلمـات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

ولقد اتفقت الأمة على أن القـــرآن الكـــريم أعظم الكتب الســماوية كلها فقد تضــمن من العلــوم، والحكم، والمواعــظ، والقصص، والترغيب، والترهيب، وذكر أخبار من سـبق، وأخبـار مايأتي من البعث والنشـور، والجنة والنـار، مـالم يشـتمل عليه كتاب غيره .

وهو مع ذلك مصـــدق لما قبله من كتب اللـــه، كـــالتوراة والإنجيل والزبـــــور، وموافق لها في الـــــدعوة إلى الله وإلى توحيــده ونفي الشــرك بجميع أقســامه، وإن خالفها في بعض الأحكام .

قال تعالى: [illegible] [الأنعام:92].

والقرآن أيضاً ناسخ لكل الكتب السماوية السابقة، كما أن شــريعة الإســلام نسـخت كل الشــرائع، وقد تكفل الله بحفظه عن التحريف والتبديل، قـال تعـالى: [illegible] [الحجر: 9] .

وقال تعالى: [illegible] [المائدة: 48].

وهو آخر الكتب، فلا كتاب بعده، لــذا فهو يتمــيز على جميع الكتب بصلاحيته لكل زمان ومكـان، فقد جـاءت شــريعته عامة للبشر أجمعين .

قال تعالى: [illegible] [القلم: 52]
والتصديق به يلزم الأخذ والعمل بما أمر به وترك مـانهى عنـه، فهو العصمة من الضلال لمن تمسك به .

وتعد مسـألة إثبـات حقية القـرآن الكـريم من المسـائل العظمى الـتي اهتم بها الشيخ رحمه الله، فقد مهّد لها بإثبـات عـدم حقية كتب العهـدين لما فيها من التحريفـات والأغلاط والاختلافـات، حـتى إذا أثبت ذلك بـإقرار علمـائهم شـرع في الحديث عن القرآن الكريم من زاويتين:

الأولى: إثبات كون القرآن الكريم كلام الله .

الثانية: نفي المطاعن والشبهات المثارة حوله .

وسوف يكون حديثنا في هذا -بمشـيئة الله تعـالى- الفصل حول المباحث التالية:

أولاً: إثبات التحريف والنسخ في كتب العهدين .

ثانياً: نفي التحريف عن القرآن الكريم .

ثالثاً: إثبات إعجاز القرآن الكريم .



المبحث الأول :
إثبات التحريف والنسخ في كتب العهدين

المطلب الأول: إثبات التحريف:

1- مفهوم التحريف:

المعنى اللغوي للتحريف هو: « حرّف عن الشيء يحرّف حرفاً، وانحرف، وتحرف، واحرورف: عدل.

وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف وانحرف واحرورف .

وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره .

والتحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه، والكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم، فقال تعالى:

﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: 46].

وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة: " آمنت بمحرف القلوب " [1].

هو المزيل أي مميلها، ومزيلها، ومصرفها، وهو الله تعالى » [2].

---

1 (?) أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن أبي هريرة: (2/156) .

2 (?) انظر: ابن منظور: لسان العرب: (9/43)، السيد مرتضى الزبيدي: تاج العروس: (6/69)، والفيرز أبادي: القاموس المحيط: (3/127) .

وجاء في القاموس المحيط:

« التحريف: التغيير، وقط القلم محرفاً واحرورف: مال وعدل كانحرف وتحرف... »[1].

والمراد هنا: اخراج الوحي والشريعة عما جاءت به بالتغيير والتبديل في الألفاظ أو بالكتمان، والتأويل الفاسد، والتفسير الباطل[2].

تعريف الشيخ رحمت الله للتحريف:

يعرّف الشيخ رحمت الله التحريف بقوله: « معنى التحريف عندنا وفي اصطلاحنا: التغير الواقع في كلام الله، سواء كان بسبب الزيادة أو النقصان، أو تبديل بعض الألفاظ ببعض آخر .

وسواء كان منشأ هذا التغيير الشرارة والخبث، أو الاصلاح باعتبار غلبة الوهم » [3] .

وأكد الشيخ رحمت الله اختلاف مفهوم التحريف عن مفهوم سهو الكاتب في معارضته لادعاء فندر أن المعترف به من قبل النصارى هو مجرد سهو الكاتب فقال الشيخ رحمت الله نافياً ذلك:

« إن سهو الكاتب عندنا: مثلاً أن يريد شخص كتابة اللام فيكتب سهواً بدلها الميم، أو أن يريد أن يكتب الميم فيكتب سهواً بدلها النون » [4] .

فخرج الشيخ رحمت الله بنتيجة أن الخلاف بيننا وبين النصارى لفظي، لأنهم يطلقون على التحريف سهو الكاتب مع إقرارهم

---

1 (?) الفيروز أبادي: فصل الحاء باب الفاء: (3/127) .

2 (?) انظر: محمد سيد طنطاوي: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة: (2/99-100)، ط1، 1388هـ-1969م، دار حراء.

3 (?) المناظرة الكبرى: ص(260) .

4 (?) المرجع السابق: ص(260) .

بوقوعه في كتبهم[1].

2- أقسام التحريف الواقعة في الكتاب المقدس عند النصارى:

التحريف الذي يتحدث عنه الشيخ رحمه الله قسمان:

القسم الأول: التحريف اللفظي .

القسم الثاني: التحريف المعنوي .

أما التحريف المعنوي فهو تأويل الألفاظ بمعان لا تدل عليها، ولا تحتملها تلك الألفاظ إلا بنوع من التعسف والإفتعال، وهذا النوع تقره وتعترف به النصارى .

يقول الشيخ رحمه الله: « ولا نزاع بيننا وبين النصارى في القسم الثاني؛ لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الفقرات التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود .

وأن علماء البروتستانت يعترفون بصدوره عن معتقدي البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رمياً شديداً فلا احتياج إلى إثباته »[2]

أما التحريف اللفظي فهو الذي تنكره النصارى، يقول الشيخ رحمه الله:

« وقد أنكره (أي التحريف اللفظي) علماء البروتستانت في الظاهر إنكاراً بليغاً لتغليط جهال المسلمين، وأوردوا أدلة مموهة مزورة في رسائلهم ليوقعوا الناظرين في الشك »[3].

---

1 (?) المرجع السابق: ص(262) .

2 (?) إظهار الحق: (2/427) .

3 (?) المرجع السابق: (2/427) .

وأقسام التحريف اللفظي هي:

1-تحريف لفظي بالتبديل .

2-تحريف لفظي بالزيادة .

3-تحريف لفظي بالنقصان .

وجميع أقسام التحريف اللفظي أثبته ﭬ في الكتب المقدسة عند النصارى، مع توضيح الأمثلة عليها.

3- أدلة الشيخ رحمت الله على وقوع التحريف في الكتاب المقدس عند أصحابه:

يورد ﭬ أدلة كثيرة على وقوع التحريف في الكتاب المقدس- عند النصارى- بعهديه (القديم والجديد)، سواء كانت نقلية أوعقليـــة، رغم تركـــيزه على الأدلة العقلية والنقلية من كتب العهدين والإسهاب في ذكرها.

أما الأدلة النقلية من الكتـاب والسـنة فلم أقف فيما تـوفر لــدي من مراجع مترجمة للعربية على اعتمـــاده على القـــرآن كــدليل نقلي على التحريــف، لإيمانه بعــدم حجية القــرآن عند النصــارى، وعلى هــذا سـأقدم الحـديث عن الأدلة العقلية عند ﭬ لإثبات التحريف بأنواعه في الكتاب المقدس.

فهو يستشـــهد على ذلك بمظـــاهر كثـــيرة من مظـــاهر التحريف الواقعية الموجــودة في صــفحات هذ الكتــاب، فليس اتهامه لهـذا الكتـاب مجـرد دعـوى بلا دليـل، وإنما يقـدم الأدلة والشواهد الكثيرة على ذلـك .

الدليل الأول: انقطــاع السنـــد:

كثــيراً ما يجــادل ﭬ النصــارى في مسـألة انقطـاع الســند، واعتمــادهم على الظن في ذلــك، يقــول: « لا نعتقد

بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نـبي أو حـواري أنه إلهـامي في أو واجب التسـليم، وكـذلك لا نعتقد بمجـرد ادعـائهم بل نحتـاج إلى دليـل، ولـذلك طلبنا مـراراً من علمـائهم الفحـول السند المتصل فما قـدروا عليـه، واعتـذر بعض القسيسـين في محفل المنـاظرة الـتي كـانت بيـني وبينهم فقـال: (إن سـبب فقدان السند عندنا وقوع المصـائب والفتن على النصـارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة)

وتفحصـنا في كتب الاسـناد لهم فما رأينا فيها شـيئاً غـير الظن والتخمين ... »[1] .

وكان الشيخ رحمه الله قد بين حـال كل كتـاب من حيث الاسـناد، فخرج بالنتيجة التالية:

أ) كتب العهد القديم:

1- التوراة منقطه التـواتر « قبل زمن يوشـيا بن آمـون[2]، والنسخة الـتي وجـدت بعد ثمـاني عشر سـنة من جلوسه على سرير السـلطنة لا اعتمـاد عليها يقينـاً، ومع كونها غـير معتمـدة ضـاعت هـذه النسـخة أيضـاً غالبـاً قبل حادثة بخت نصـر، وفي حادثته انعـدمت التـوراة وسـائر كتب العهد العـتيق عن صـفحة العالم رأساً، ولما كتب عـزرا هـذه الكتب على زعمهم ضـاعت نسختها وأكثر نقولها في حادثة انتيوكس »[3] .

---

1 (?) إظهـار الحـق: (1/141)، والمنـاظرة الكـبرى: ص(242-252) .

2 (?) يوشيا بن آمون: هو الملك يوشـيا بن آمنـون (آمـون)، خلف أبـاه على عـرش مملكة يهـوذا وكـان عمـره ثماني سنين، وحكم مابين عامي (638-608 ق.م) .

قاموس الكتاب المقدس: ص(917،1088،1119،1120) .

3 (?) إظهار الحق: (1/112) .

2- كتـــاب يوشع « لم يظهر لهم إلى الآن بـــالجزم اسم مصنفه ولا زمان تصنيفه وافترقوا في ذلك على عدة أقوال ... فوقوع هذا الاختلاف الفاحش دليل كامل على عدم إسـناد هـذا الكتاب عندهم » [1].

3- وكذا سفر القضاة وراعوث ونحميا وايوب وداود وأمثال سليمان وسـفر الجامعة ونشـيد الإنشـاد وسـفر أسـتير وسـفر أرميا وسفر أشعيا. [2]

ب) كتب العهد الجديد:

1-يذكر الشيخ رحمه الله عن حال إنجيل متى أنه: « كان باللسان العبراني، وفقد بسبب تحريف الفرق النصرانية، والموجود الآن ترجمتـه، ولا يوجد عنـدهم سـند هـذه الترجمـة، حـتى لم يعلم بـاليقين اسم المـترجم أيضـاً إلى هـذا الحين كما اعـترف به جيروم من أفاضل قـدمائهم، فضـلاً عن علم أحـوال المـترجم، نعم يقولون رجماً بالغيب: لعل فلاناً وفلاناً ترجمه، ولا يتم هـذا على المخالف، وكذا لا يثبت بمثل هذا الظن استناد الكتاب إلى المصنف »[3]

2-وأما إنجيل يوحنـــا: « فلم يثبت بالســـند الكامل أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا من تصنيفه »[4]

3-« والرســالة العبرانيــة، والرســالة الثانية لبطــرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ومشاهدات يوحنا، وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنـا،

---

1 (?) المرجع السابق: (1/129) بتصرف يسير .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (1/134-150) .

3 (?) المرجع السابق: (1/151) .

4 (?) المرجع السابق: (1/154) .

إسـنادها إلى الحـواريين بلا حجـة، وكـانت مشـكوكة إلى سـنة 363م، وبعض الفقرات المذكورة مـردودة وغلط إلى الآن عند جمهــور المحققين .. ولا توجد في الترجمة الســـريانية، وردت جميع كنــائس العــرب الرســالة الثانية لبطــرس والرســالتين ليوحنا، ورسالة يهـوذا ومشـاهدات يوحنـا، وكـذا تردها الكنيسة السريانية من الابتداء إلى الآن ولا تسلمها »[1]

ودعـوى عـدم اتصـال السـند لم يلقها الشيخ رحمه الله خالية عن الــدلائل والــبراهين بل وثقها بالأدلة على نحو ما ســوف يفصل في الشواهد التالية بمشيئة الله تعالى.

الدليل الثاني: كثرة الاختلافات في هذه الكتب:

يستدل الشيخ رحمه الله على التحريف باختلاف هذه الكتب لفظاً ومعنى فيما بينها، بحيث يقطع العقل باستحالة اعتبارها جميعــاً على أنها إلهامية حقـــــة، لأن الإختلاف إذا ثبت في الكتــــاب المقدس فلا اعتبار لكل الكتاب ولا اعتماد عليه.

يقول الشيخ رحمه الله، نافيـاً دعـوى الإلهـام للكتب المقدسـة: « أنه يوجد فيها الاختلافات المعنوية الكثيرة، واضـطر محققـوهم ومفسروهم في هذه الاختلافات فسلموا في بعضـها أن إحــدى العبارتين أو العبارات صـادقة وغـير كاذبـة، إما بسـبب التحريف القصدي أو بسبب سهو الكاتب، ووجهوا بعضها بتوجيهات ركيكة بشعة لا يقبلها الذهن السليم »[2].

وقد ذكر الشيخ رحمه الله مائة وخمسة وعشـرين اختلافـاً سـواء كــان هــذا الاختلاف بين ســفرين، أو بين إصــحاحين في ســفر واحــد، أو قد يكــون الاختلاف بين فقــرتين في نفس الإصــحاح

---

1 (?) المرجع السابق: (1/158) .

2 (?) إظهار الحق: (2/353) .

الواحـــد، أو في نفس الفقـــرة بين طبعـــتين أو بين ترجمـــتين بلســانين، وذلك عند مقابلتها أي الأســفار والإصــحاحات، وبين التراجم المختلفة وطبعهاتهـا، بغض النظر عن صـحة الفقـرات في ذاتها ومعانيها أو عدم صحتها .

الدليل الثالث: وقوع الأغلاط:

يستدل الشيخ رحمه الله على التحريف بوقوع الكثـير من الأغلاط الـتي تعـرف بعـدم مطابقتها للواقـع، أو للعقـل، أو للعـرف، أو للتــاريخ، أو لأي علم حسب أقـــوال المحققين، وهـــذه الأغلاط تنافي دعوى الإلهام في تلك الكتب مما يؤكد تحريفها.

وقد عدها الشيخ رحمه الله فبلغت مائة وعشرة أغلاط، مما يـــدل على أن كلام الأنبياء أرفع من أن يكون كذلك، يقول الشيخ رحمه الله: « أنه يوجد فيها أغلاط كثـــيرة، والكلام الإلهـــامي بعيد بمراحل عن وقوع الغلط والاختلاف المعنوي »[1].

الدليل الرابع:

يســـتدل الشيخ رحمه الله على التحريف بـــالنظر إلى حـــال تلك الكتب، حيث أن المصنِف لا يكتب حالات نفســه، أو المعـاملات التي رآها بعينـه، ويظهر ذلك بشـكل واضح في أسـفار التـوراة المنسـوبة إلى موسى من أسـفار العهد القـديم وإنجيل يوحنا ومتى من أسفار العهد الجديد. يقول الشيخ رحمه الله:

« من طـالع الزبـور، وكتـاب نحميا وكتـاب إرميـا، وكتـاب حزقيال؛ جزم يقيناً أن طريق التصنيف في سالف الزمان كـان مثل الطريق المـروح الآن في أهل الإسـلام، بـأن المصـنف لو كان يكتب حالات نفسه والمعاملات التي رآهابعينه، كـان يكتب بحيث يظهر لنـــاظر كتابه أنه كتب حـــالات نفسه والمعـــاملات

---

1 (?) المرجع السابق: (2/353) .

التي رآهـا، وهـذا الأمر لا يظهر من موضع من مواضع التـوراة، بل تشهد عبارتها أن كاتبها غـير موسـى، وهـذا الغـير جمع هـذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود، وميز بين هذه الأقوال بأن ماكان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجه تحت (قال الله) أو (قال موسى)، وعـبر عن موسى في جميع المواضع بصيغة الغائب، ولو كـانت التـوراة من تصـنيفاته لكان عـبر عن نفسه بصـيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعـبر في موضع من المواضـع، لأن التعبـير بصـيغة التكلم يقتضي زيـادة الاعتبار »[1] .

ومثل هذا ثابت في إنجيل يوحنا[2] أما إنجيل متى فإنه -أي متى-: « كان من الحواريين[3] ورأى أكثر أحوال المسيح بعينه وسمع البعض، فلو كان مؤلف هذا الإنجيل لظهر من كلامه في موضع من المواضع أنه يكتب الأحـوال الـتي رآهـا، ولعـبر عن نفسه بصيغة التكلم كما جرت به العادة سلفاً وخلفاً ...» [4] .

الدليل الخامس:

يسـتدل الشيخ رحمه الله على وقـوع التحريف في الكتب المقدسة عند النصارى بما ورد في تلك الكتب من عقائد باطلة كفرية؛ لم تسبق في النبوات السابقة كعقيدة التثليث، وألوهية المسيح[5]،

---

1 (?) إظهار الحق: (1/114-115) .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (1/154) .

3 (?) من باب الإلزام، وإلا لم يثبت أن متى أحد حـواري المسـيح .

4 (?) إظهار الحق: (2/537) .

5 (?) انظر: المرجع السابق: (3/712-713) .

واســتحالة الخــبز جسد المســيح ودمه[1]، وعقيــدة الصــلب والفداء[2]، وان المسيح لعن ودخل جهنم ثلاثة أيام[3]، وكـذلك مانسب إلى الأنبيــاء عليهم الســلام من مطــاعن ومفتريــات يستحيل صدورها عنهم[4] .

فكـــان الشيخ رحمت الله في هــذه المســائل يحيل إلى مســألة التحريف والأغلاط والاختلافـــــــــــــــــــــــــــــــــات التي سـبق الكلام عليها ليؤكد أنها عقائد محرفة يقينـاً لم تـأت من عند الله تعالى .

الدليل السادس:

يســـــــتدل الشيخ رحمت الله على وقـــــــوع التحريف في الكتب المقدسة عند النصــارى بــإقرار علمــائهم المعتــبرين لــديهم، وكـذلك العلمـاء الملحـدين في القـرون الأولى للنصـرانية ومن هذه الإقرارات:

يقول (هورن) [5]:

« الحالات التي وصلت إلينا في باب زمـان تـأليف الأناجيل من قدماء مـؤرخي الكنيسة بـتراء غـير معيّنـة، ولا توصـلنا إلى أمر معين، والمشـــايخ الأقـــدمون صـــدقوا الروايـــات الواهية وكتبوها، وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم .

وهـذه الروايـات الصـادقة والكاذبة وصـلت من كـاتب إلى

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/705-707) .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/747) .

3 (?) انظر: المرجع السابق: (3/734) .

4 (?) انظر: المرجع السابق: (4/1214) .

5 (?) أحد مفسري النصارى. انظر: الشيخ رحمت الله المناظرة الكبرى: ص(19).

كاتب آخر، وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة »[1] .

وهـذا (سلسـوس)[2] يؤكد « أن النصـارى بـدلوا أنـاجيلهم ثلاث مــرات، أو أربع مــرات، بل أزيد من هــذا، تبــديلاً كــأن مضامينها أيضاً بدلت »[3] .

أما (فاستس)[4] فيصيح في آخر القرن الرابع: بـأن « العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاســم، ونسب إلى الحــواريين، ورفقــاء الحــواريين، ليعتــبره الناس، وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً، بل ألف الكتب الــتي فيها الأغلاط والتناقضات »[5]

وقد نقل (هـــــنري واســـــكات)[6] في المجلد الأول من تفسـيرهما قـول (اكسـتاين)[7]: « أن اليهـود قد حرفـوا النسـخة

---

1 (?) تفســير هــورن / البــاب الثــاني / القسم الثــاني / المجلد الرابع، إظهار الحق: (1/157) بتصرف يسير .

2 (?) سلســوس هو من علمــاء المشــركين الوثنــيين في القــرن الثاني الميلادي، (انظر: الشيخ رحمت الله: إظهار الحـق: (1/155) .

3 (?) إظهار الحق: (1/70)، (1/155)، (2/383)، (2/543) .

4 (?) من أعظم علمــاء (مــاني كـيز) في القــرن الرابع الميلادي، (انظر: د/محمد ملكاوي: هامش المناظرة الكبرى: ص205) .

5 (?) إظهار الحق: (1/155)، وانظر: (2/538) .

6 (?) هنري واسكات: يقسم إلى اسمين، هنري، واســكات، وهما مفسران، وقد جمع آخرون تفسيرهما ونسبه لهما. (انظـر: د/محمد ملكاوي: هامش إظهار الحق: 1/11) .

7 (?) من علماء النصارى المشهورين في القــرن الرابع الميلادي، (وانظر: الشيخ رحمت الله: إظهار الحق: 2/426) .

العبرانية في بيــان زمــان الأكــابر[1] الــذين كــانوا قبل زمــان الطوفان وبعـده، إلى زمن موسى ، وفعلـوا هـذا الأمر لتصـير الترجمة اليونانية غير معتبرة، ولعناد الدين النصراني، ويعلم أن القدماء النصارى كانوا يقولون مثله، وكانوا يقولـون: أن اليهـود حرفوا التوراة في سنة مائة وثلاثين من الميلاد »[2]

ورغم إقرار علمائهم المعتبرين ؛ نجـدهم حين يلزمـون بها يطعنــون فيهم، ويســتنكرون لهم، كما فعل فنــدر ومرافقه في مناظرتها مع الشيخ رحمه الله . [3]

ومما يجــدر الإشــارة إليه أن الشيخ رحمه الله بين أن نقل هــذه الأقوال عن علمائهم هو من باب الإلزام، لا أنهم معتــبرون عند أهل الإسلام . [4]

يقول: « فانظـر أيها اللبيب أنهم كيف اعترفـوا بـالتحريف، وما وجدوا ملجأ غير الإقـرار »[5].

وبهذه الأدلة يلزم الشيخ رحمه الله النصارى بوقــوع التحريف في كتبهم سواء ما حرفوه بأنفسهم وهو العهد الجديد، أما ما وصل إليهم محرفــاً، وهو أســفار التــوراة الــتي اعتمـدوها جــزءاً من كتــابهم المقــدس، وأطلقــوا عليها اسم العهد القــديم، فكتب النصـــارى - قـــديمها وجديـــدها - قد نالها التحريف في نظر الشيخ رحمه الله بدلالة ما قدمه من الأدلة .

---

1 (?) يقصد أنهم حرفوا تاريخ القدماء .

2 (?) إظهار الحق: (1/73)، وانظر: (2/430) و (2/436-437) .

3 (?) انظر: المناظرة الكبرى: (153)، (232)، (335) .

4 (?) انظر: المرجع السابق: ص(266) .

5 (?) إظهار الحق: (3/437) .

4- عوامل وقوع التحريف عند الشيخ رحمت الله:

العامل الأول:

سجل الشيخ رحمت الله على الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ظاهرة انقطاع السند وذلك بفعل الحوادث التي مر بها هذا الكتاب، والاضطهادات التي تعرض لها النصارى مما أدى إلى التحريف وعدم الدقة في النقل .

يقول الشيخ رحمت الله بعد أن أرخ بما يطول المقام بنقله هنا للحوادث التي أدت إلى اندراس التوراة الصحيحة وإنجيل عيسى: « لأجل هذه الحوادث فقدت الأسانيد المتصلة بكتبهم، ولا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد، لا عند اليهود ولا عند النصارى »[1]

العامل الثاني:

طريقة الترجمة الخاطئة التي اعتاد عليها أهل الكتاب بأنهم كانوا: « يترجمون غالباً الأسماء في تراجمهم، ويوردون بدلها معانيها، وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد، وأنهم يزيدون تارة شيئاً بطريق التفسير في الكلام الذي هو كلام الله في زعمهم، ولا يشيرون إلى الامتياز »[2].

فالترجمة بتلك الطريقة مع الزيادة و التفسير من قبل المترجم عامل من عوامل التحريف في الكتاب المقدس .

العامل الثالث:

الكذب من أجل الترويج للدين أو من أجل العناد، فالأول من قبل النصارى، والثاني من عند اليهود .

---

1 (?) المرجع السابق: (2/616) .

2 (?) المرجع السابق: (4/1097) .

أما اليهــود فقد ثبت بــأقوال علمــاء النصــارى تحــريفهم لكتبهم قصــداً لأجل عنــاد الــدين النصــراني[1] أو لــتزيين كتبهم المقدسة باختراع الصلوات والغناء[2]، أو لأجل الترويج للدين[3].

والنصارى كذلك فهم يحرفون قصــداً إذا رأوا مصــلحة في التحريف. يقول الشيخ رحمه الله: « ثبت أن أهل الدين والديانة كــانوا يحرفون قصداً لتأييد مسألة مقبولة أو لدفع اعتراض »[4]

وكان الشيخ رحمه الله قد أثبت ذلك بــأقوال علمــائهم المعتــبرين ومنهم هورن، الذي قال:

« هــذا الأمر أيضــاً محقق أن بعض التحريفــات القصــدية صدرت عن الــذين كــانوا من أهل الديانة والــدين، وكــانت هــذه التحريفات ترجح بعدهم، لتؤيّد بها مســألة مقبولــة، أو يــدفع بها الاعتراض الوارد عليها »[5].

هــذا بالإضــافة إلى غــير أهل الديانة من اليهــود والنصــارى فقد حرف غيرهم من المبتدعة الكتب المقدسة .[6]

5- نماذج لتحريف الكتب المقدسة:

اعتــنى الشيخ رحمه الله بــذكر النمــاذج لأنــواع التحريف اللفظي الواقع في الكتب المقدسة، حيث ذكر من تلك النماذج الشــيء الكثير .

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (2/566-567) .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (2/490) .

3 (?) انظر: المرجع السابق: (2/557-567،558) .

4 (?) المرجع السابق: (3/712)، وانظر: (2/501) .

5 (?) المرجع السابق: (2/576)، وانظر: (4/1109) .

6 (?) انظر: المرجع السابق: (2/576) .

وكان الشيخ رحمت الله قد أورد مائة شاهد على التحريف، منها: خمسة وثلاثون شاهداً على التحريف بالتبديل اللفظي، وخمسة وأربعون شاهداً على التحريف بالزيادة، وعشرون شاهداً على التحريف بالنقصان .

وقد ذكر هذه النماذج مدعمة بالوثائق والاعترافات الصريحة من محققي النصارى ومؤرخيهم. وسنختار بعض النماذج لكل نوع من الأنواع الثلاثة للتحريف على النحو التالي:

النوع الأول: التحريف اللفظي بالتبديل.

ومن أمثلته:

أولاً: التبديل الواقع في السفر الثاني من أخبارالأيام: « وكان يهوياكين[1] ابن ثماني سنين حين صار سلطانا »[2]

حيث أن لفظ (ثماني سنين) غلط ومخالف لما وقع في سفر الملوك الثاني: « وكان يهوياكين ابن ثماني عشرة سنة حين ملك »[3] .

قال آدم كلارك[4] في المجلد الثاني من تفسيره ذيل عبارة سفر الملوك: « وقع في الفقرة التاسعة من الباب السادس والثلاثين من السفر الثاني من أخبار الأيام لفظ:

---

1 (?) يهوياكين: ابن يهوياقيم ملك يهوذا وخليفته، تبوأ العرش سنة 597 ق.م في فترة حكمه القصيرة حاصر نبوخذ نصر أورشليم وأخذه مع عائلته إلى بابل أسيراً. (قاموس الكتاب المقدس: 1099).

2 (?) (36/9) .

3 (?) (24/8) .

4 (?) أحد مفسري العهدين المعتبرين. (انظر: الشيخ رحمت الله: إظهار الحق: 1/11).

ثمانيه، وهو غلط البتـه؛ لأن سـلطنته إلى ثلاثة أشـهر، ثم ذهب إلى بابل أسـيراً، وكـان في المحبس وأزواجه معه والغـالب أنه لايكون لابن ثماني أو تسع سنين أزواجاً ويشكل أيضاً أن يقـال لمثل هذا الصغير، أنه فعل ماكان قبيحاً عند الله، فهذا الموضع من السفر محرف » [1].

ثانياً: التبديل الواقع في سفر صموئيل الثاني أن أبشالوم قال للسلطان (بعد أربعين سنة)[2]، ولفظ الأربعين غلط يقينـاً، والصحيح لفظ الأربع .

قال آدم كلارك: « لا شبهة أن هذه العبارة محرفة ».

ثم قـال: « أكـثر العلمـاء على أن (الأربعين) وقع موضع (الأربع) من غلط الكاتب »[3].

النوع الثاني: التحريف اللفظي بالزيادة:

أولاً: ما جـاء في إنجيل مـتى من قولـه: « ولما صـلبوه، اقتسـموا ثيابـه، مقـترعين عليهـا؛ لكي يتم ما قيل بـالنبي: اقتسموا ثيابي بينهم، وعلى لباسي ألقوا قرعة »[4].

فعبـارة: (لكي يتم ما قيل بـالنبي: اقتسـموا ثيـابي بينهم، وعلى لباسي ألقـوا قرعـة)، هـذه العبـارة إلحاقية « واجبة الحذف عند محققي النصارى، وقد حـذفها (كريسـباخ) [5]وأثبت (هـورن) بالأدلة القاطعة أنهـا: إلحاقية (مضـافة) ثم قـال: لقد

---

1 (?) إظهار الحق: (2/454-455) .

2 (?) (15/7) .

3 (?) إظهار الحق: (2/446).

4 (?) (27/35).

5 (?) كريسـباخ: من العلمـاء المعتـبرين عند فرقة البروتسـتانت. (الشيخ رحمت الله: إظهار الحق: 1/153) .

استحسن (كريسـباخ) في تركهـا، بعـدما ثبت عنـده أنها كاذبة قطعاً »[1].

وقال آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره في ذيل الفقرة المذكورة:

« لابد من ترك هذه العبـارة لأنها ليست جـزءاً من المتن، وتركتها النسخ الصحيحة، وكذا تركها التراجم إلا الشـواذ، وكـذا تركها غير المحصورين من القدماء وهي إلحاقية » [2].

ثانياً: وحين نأتي إلى إنجيل مـرقس، نجد أنه قد جـاء في الإصحاح الثـاني منه فقـرة (17) على لسـان المسـيح: (لم آت لأدعو أبراراً، بل خطاة إلى التوبة) [3].

ولقد ثبت لـدى المحققين والمفسـرين النصـارى أن: لفظ ''إلى التوبة'' إلحـاقي. وأن آدم كلارك بعـدما أثبت إلحاقيته في ذيل شرح هذه الفقرة، بيّن أن كريسباخ قد أسقطه من المتن، وتبعه عدد من العلماء المعتبرين[4] .

ثالثـاً:

وردت في الإصحاح السابع من إنجيل (لوقا) زيادة، اعترف بها مفسـرو النصـارى ومحققـوهم، والنص الـذي اتضح فيه التحريف بالزيادة هو:

« ثم قـال الـرب: فبمن أشـبه أنـاس هـذا الجيـل، ومـاذا يشبهون، يشبهون أولاداً جالسـين في السـوق ينـادون بعضـهم بعضاً ويقولون: زمرنا لكم فلم ترقصوا، نحنا لكم فلم تبكوا..»

---

1 (?) إظهار الحق: (2/497).

2 (?) المرجع السابق: (2/497).

3 (?) فقرة (17) .

4 (?) انظر: إظهار الحق: (2/510) .

(1)

يقــول الشيخ رحمه الله تعليقــاً على هــذه الزيــادة: « إن هــذه الجملة: (ثم قال الرب ...) زيدت تحريفاً »[2].

ويستشهد على ذلك بقول المفسر آدم كلارك في ذيل هذه الفقرة، حيث يقول:

« هذه الألفاظ ماكانت أجزاء لمتن (لوقا) قط؛ ولهذا الأمر شـهادة تامـة، ورد كل محقق هـذه الألفـاظ، وأخرجها بنجل[3] ، وكريسباخ من المتن »[4] .

ثم يستطرد الشيخ رحمه الله ويتساءل مقرراً:

« ... أليس إدخــال الألفــاظ الــتي تثبت زيادتها بالشــهادة التامــــة، وردها كل محقق في الكلام الــــذي هو كلام الله -في زعمهم- أليس ذلك من أقسام التحريف؟! »[5].

النوع الثالث: التحريف اللفظي بالنقصان:

هناك عشرون شـاهداً على التحريف بالنقصـان -كما قلنـا- أورده الشيخ رحمه الله في كتابه (إظهار الحـق) .

ولا شك أن ذلك النقص من نصوص كتـاب مقـدس يفقـده قداسته لو كان لفظـاً أو جملـة، فما بالك والنقص في الأناجيل واضح في سقوط إصحاحات بكاملها إن ذلك الأمر خطير جداً.

أولاً: من ذلك ما جــاء في إنجيل ’’مــتى‘‘ فيما يحكيه عن

---

1 (?) (7/31).

2 (?) إظهار الحق: (2/492).

3 (?) لم أجد له ترجمة .

4 (?) إظهار الحق: (2/493) .

5 (?) (2/23) .

سيرة المسيح من أنه:

« أتى وسكن في مدينة يقال لها ناصــرة، لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً » [1].

عبارة: (لكي يتم ما قيل بالأنبيـاء أنه سـيدعى ناصـريا) قد انفرد بها (متى) عن بقية الأناجيل، فلا توجد هـذه العبـارة فيهـا. يقول علماء الكاثوليك:

« إن هذا كـان في كتب الأنبيـاء، لكن اليهـود ضـيعوا هـذه الكتب قصداً لمعاندة الدين النصراني » [2].

يقول الشيخ رحمت الله تعليقاً على ذلك:

« أي تحريف بالنقصـــان يكـــون أزيد من أن تضـــيع فرقة الكتب الإلهامية قصداً؛ للأغراض النفسانية؛ ولعناد ملة أخرى » [3].

ثم يستشهد بما جاء في كتاب (سؤالات السؤال) [4] وفيــه: « الكتب التي كـان فيها هـذا -يعـني ما نقله مـتى- انمحت؛ لأن كتب الأنبيـــاء الموجـــودة الآن لا يوجد في أحد منها أن عيسى يدعى ناصرياً.

قال كرايزاستم[5] في تفسيره التاسع على متى:

---

1 (?) (2/23).

2 (?) إظهار الحق: (2/538).

3 (?) المرجع السابق: (2/538).

4 (?) كتـاب سـؤالات السـؤال: ألفه ممفـرد الكـاثوليكي: وطبع الكتاب في لندن سنة 1843م (الشـيخ رحمت الله الهنـدي: إظهـار الحق: 2/538) .

5 (?) كرايزاسـتم: أحد مفسـري العهـدين من القـدماء. (إظهـار الحق: 1/138).

(انمحى كثير من كتب الأنبياء؛ لأن اليهود ضيعوا كتبـاً لأجل غفلتهم، بل لأجل عدم ديانتهم، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضـها) ا. هـ

وهذا هو الأغلب أنهم مزقوا الكتب وحرقوها؟ لأنهم رأو أن الحــواريين يتمســكون بهــذه الكتب في إثبــات مســائل الملة النصرانية فعلوا هذا الأمر... » [1].

ثانياً: في إنجيل لوقا جاء على لسان هورن ما يعترف فيه صــراحة بســقوط فقــرة كاملة منــه، ويطــالب بإرجاعها فيه فيقول:

« ســقطت فقــرة تامة مــابين الفقــرة الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين من البــاب الحــادي والعشــرين من إنجيل (لوقــا)، فلــتزد بعد أخــذها من الفقــرة السادسة والثلاثين من الباب الرابع والعشرين من إنجيل (متى)، أو من الفقـرة الثانية والثلاثين من الباب الثـالث عشر من إنجيل (مـرقس) ؛ ليكـون (لوقا) موافقاً للإنجيلين الآخرين »[2].

والفقرة الساقطة من إنجيل (لوقا) والتي يطالب بإضافتها هي:

« وأما ذلك اليــــوم، وتلك الســــاعة، فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن ولا الآب »[3] .

هــذه هي بعض التحريفــات الواقعة في كتب النصــارى الحاليـة، وهي قليل من كثـير، وليس هنا مكـان حصـرها حـتى

---

[1] (?) إظهار الحق: (2/538-539). بتصرف

[2] (?) المرجع السابق: (2/530-531) .

[3] (?) انظــر: إنجيل وقس: (13/32)، وكــذلك إنجيل مــتى: (24/36) .

لانخرج بالبحث عن نطاقه ومضمونه.

ورغم كثرة النماذج والشواهد التي ذكرها ﰇ كدليل على التحريف فـــــــــــــــــــــــــــــــإن « كل هـــذه الـــبراهين، بل وأضـــعاف أضـــعافها، لا تملأ أعين النصارى، ولاتكفي لإقناعهم بزيف مايتداولونه من أناجيـل، لأنه لن يكون نصـرانياً بـالمعنى الصـحيح عنـدهم إلا من يلغي عقله ويتلقى تعاليم الكنيسة، وتخريفات دجاجلتها بفكر مغلق، وقلب أصم، وعين لاترى إلا بالمنظـار الـذي يصـنعه أولئك الـدجالون، بل إن مجرد التفكير في مناقشة هذه التعاليم عند بعضم يعتـبر هرطقة وتجديفاً » [1].

6- شبهات النصارى على عدم تحريف كتبهم وإبطال الشيخ رحمت الله لها:

الواقع أن النصـــارى لايســـلمون بـــالقول بوقـــوع التحريف اللفظي في كتبهم، بل هم ينكـــــرون ذلك تمامـــــاً، ويـــــوردون مغالطات تنفي وقوع التحريف في تلك الكتب، وذلك من خلال مناظرتهم أو مؤلفاتهم ورسائلهم، ومع ذلك اسـتطاع ﰇ إخـــراج إقـــرارهم بـــالاعتراف بـــالتحريف في عـــدة مواضع من الكتاب المقدس كما حدث في المناظرة الكبرى[2].

وفي تلك المناظرات والمؤلفات ﰈ ورد الكثـير من المغالطات من قبل النصـارى تنفي وقـوع التحريف دفاعـاً عن كتبهم والـــتي أبطلها ﰇ بالأدلة والـــبراهين وذلك على النحو التالي:

---

1 (?) انظر: ابراهيم سليمان الجبهان: معاول الهدم والتـدمير في النصرانية والتبشير: ص(46)، ط4، (1981م)، عالم الكتب .

2 (?) انظر: المناظرة الكبرى: ص(261) .

الشـــــبهة الأولى: **أن دعـــــوى التحريف مختص بأهل الإسلام ولم يسبقهم أحد .**

يوضح الشيخ رحمه الله قبل إبطال هذه الشبهة أنها من تغليطات البروتستانت للعوام، لذلك فهم يحتاطون في التحرير من هـذه المغالطة، فلا ترى في رسائلهم[1] .

ثم بين الشيخ رحمه الله معنى لفظي (أراته) و (ويريوس ريـدنك): وهما لفظين مستعملين في كتب إسناد النصارى .

فقـــال هـــورن: « الفـــرق الحسن بين (أراته) يعـــني غلط الكـاتب وبين (ويريـوس ريـدنك) يعـني اختلاف العبـارة، ماقـال ميكـــايلس[2]: إنه إذا وجد الاختلاف بين العبـــارتين أو أكـــثر فلا تكون الصادقة إلا واحدة، والباقية إما أن تكون تحريفـاً قصـدياً أو سهو الكاتب، لكن تميـيز الصـحيحة عن غيرها عسـير غالبـاً، فـإن بقي شك ما فيطلق على الكل اختلاف العبـارة، وإذا علم صـراحة أن الكـاتب كتب ههنا كـذباً فيقـال: إنه غلط الكـاتب »[3] .

ثم قال الشيخ رحمه الله: « اختلاف العبارة المصـطلح فيما بينهم هو التحريف المصطلح عندنا فمن أقر باختلاف العبارة بالمعنى المذكور يلزم عليه الاعتراف بالتحريف » [4].

وهذا التحريف كان بإقرار محققيهم المعتبرين لديهم .

فعلى هـذا فـالقول بـالتحريف ليس بمختص بأهل الإسـلام بل هو بإقرار كل من:

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (2/541) .

2 (?) لم أجد له ترجمة .

3 (?) إظهار الحق: (2/542) .

4 (?) إظهار الحق: (2/542) .

أ-المخالفين من العلماء الملحدين أو الوثنيين .

ب-الفــرق الــتي تعد أنفســهم من النصــارى لكن فرقة البروتستانت وفرقة الكاثوليك تعدانها من المبتدعين .

ج-المفسرين والمؤرخين الذين هم مقبولون عند الفرقتين المذكورتين أو إحداهما[1].

ثم استشــهد ﭬ بــأقوال هــؤلاء مما يعلم منه أن الإقرار بالتحريف كـان قبل الإسـلام و من علمـائهم المعتـبرين لديهم .

الشــبهة الثانية: **أن المسيح شـهد بحقية كتب العهد العتيق، ولو كانت محرفة لما شهد بها، بل كــان عليه أن يلزم اليهود على التحريف .**

يقول فندر في مناظرته مع ﭬ: « إن المسيح شهد في حق كتب العهد العـتيق، وشـهادته أزيد قبـولاً من شـهادة غـيره، وهي هـذه الفقـرة (46) من البـاب الخـامس من إنجيل يوحنا هكذا: « لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصـدقونني لأنه هو كتب عني »، والفقرة (27) من البـاب (24) من إنجيل لوقــا: « ثم ابتــدأ من موسى ومن جميع الأنبيــاء يفسر لهما الأمــور المختصـة به في جميع الكتب »، والفقــرة (31) من الباب (16) من إنجيل لوقا: « فقـال له إن كانــوا لا يسـمعون من موسى والأنبياء ولا إن قـام واحد من الأمـوات يصـدقون » [2].

أجاب ﭬ عن هذه الشبهة بأربع إجابات:

---

1 (?) انظر: تفصيل تلك الاعترافات في إظهـار الحـق: (2/543-578) .

2 (?) المناظرة الكبرى: ص(234) .

الجواب الأول:

« إنه لما لم يثبت التـــواتر اللفظي لكتب العهد العـــتيق والجديـــد، ولم يوجد ســـند متصل بها إلى مصـــنفيها، وقد ثبت جميع أنـــواع التحريف فيهـــا، وثبت التحريف من أهل الـــدين والديانة أيضاً لتأييد المسألة أو دفع الاعتراض، فصارت هذه الكتب مشكوكة عندنا، فلا يتم الاحتجاج علينا ببعض فقرات هذه الكتب، لأنها يجوز أن تكون إلحاقية زادها النصارى من أهل الديانة في آخر القرن الثاني أو في القرن الثالث في مقابلة الفرقة الأبيونية والفرقة المارســونية[1]، وفرقة مـــاني كيز[2].

ورجحت هذه التحريفات بعدهم لكونها مؤيدة لمسألتهم المقبولة ... وكانت هذه التحريفات ترجح بعدهم، لأن الفرق الثلاثة المذكورة كانت تنكر كتب العهد العتيق »[3] .

---

1 (?) المارسونية: أو المرقيونية وهم أتباع مرقيون أو مرسيون الكاتب النصراني الذي نشر كتاب (المناقضات) أظهر فيه الفرق بين العهدين القديم والجديد، ولم يعترف إلا بإله العهد الجديد .

أثبتوا أصلين قديمين متضادين هما النور والظلمة وأثبتوا أصلاً ثالثاً وهو المعدل، انظر الملل والنحل: (2/279)، والمنجد في اللغة والأعلام: ص(530) .

2 (?) ماني كيز: ظهرت في القرن الرابع الميلادي ورئيسها (فاستس) الذي نفى أن تكون الأناجيل الأربعة التي أقرتها الكنيسة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) من كتاب المسيح أو حواريه، وقال بأن الأجداد ألحقوا بالإنجيل أشياء وعيبوا صورته الحسنة .

انظر: عبد الرحمن الجزيري: أدلة اليقين: ص(187)، ملكاوي: هامش المناظرة الكبرى: ص(250) .

3 (?) إظهار الحق: (2/579) .

الجواب الثاني:

يقــول ~ :

« لو قطعنا النظر عن كونها إلحاقية أو غــير إلحاقيــة، فلا يثبت منها سـند هـذه الكتب كلهـا، لأنها مـابين فيها أعـداد هـذه الكتب كلها ولاأسماؤها »[1] .

ثم أنكر الشيخ رحمه الله تعداد كتب العهد العـتيق بتسـعة وثلاثين عند البروتستانت، وستة وأربعين عند الكاثوليك، وأثبت أن فيهاً كتبـاً لم يسـلمها اليهـود معاصـروا المسـيح والمتـأخرون منهم بالإضافة إلى تضييع اليهود للكتب وإحراقها لأجل عـدم ديـانتهم ومن هذه الكتب المفقودة سفر الحروب، وسفر اليسير، وثلاثة كتب لسـليمان (ألف وخمسة زبـورات، وتـاريخ المخلوقـات، وثلاثة آلاف مثـل) وكتـاب قـوانين السـلطة، وتـاريخ صـموئيل، وتــــاريخ ناثــــان النــــبي [بــــزعمهم]، وتـاريخ جـاد الـرائي[2] الغيب، وسـفر سـمعيا[3]، وسـفر عيـدو الرائي[4] الغيب وغيرها[5].

الجواب الثالث:

---

1 (?) المرجع السابق: (2/580) .

2 (?) جاد الرائي: يعتقد أهل الكتاب أنه رائي أو نبي كـان صـديقاً لداود ثم صار مشيراً له .

قاموس الكتاب المقدس: ص(241) .

3 (?) سمعيا (شمعيا): ويعتقد أهل الكتاب نبوتـه، وكـان معاصـراً لرحبعام بن سليمان ومؤرخاً للملكة .

قاموس الكتاب المقدس: (523) .

4 (?) عيدو (عدّو): رائي كتب عند الملوك رحبعام ويربعام .

قاموس الكتاب المقدس: ص(612) .

5 (?) انظر: إظهار الحق: (2/582-588) .

يقول ~: لو سلمنا أن هذه الكتب المتداولة كـانت في عهد المسـيح وشـهد هو والحـواريين لها قلنـا: إن مقتضى شـهادتهم بهـذا القـدر فقـط: أن هـذه الكتب كـانت عند اليهـود في ذلك الوقت، سواء كـانت تصـنيف الأشـخاص المنسـوبة إليهم أو لم تكن، وسـواء كـانت الحـالات المندرجة فيها صـادقة أو يكـون بعضـها صـادقاً وبعضـها كاذبـاً وليس مقتضـاها أن كل كتـاب تصنيف المنسوب إليه، وأن كل حال مندرج فيها صادق ألبتة .

بل لو نقل المسـيح والحواريـون شـيئاً عن هــذه الكتب، لايلــزم من مجــرد نقلهم صــدق المنقــول بحيث لايحتــاج إلى تحقيقه، نعم لو صرح المسيح في جزء من أجزائها أو حكم من أحكامها أنه من عند الله وثبت تصريحه أيضـاً بـالتواتر، فيكـون صادقاً ألبتة وماسواه مشكوك محتاج إلى تحقيق »[1].

ثم عزا الشيخ رحمه الله هـذا الـرأي لمحققي فرقة البروتسـتانت واستدل على ذلك بأقوالهم مما يطول المقام هنا بذكرها .

ثم قــال مؤكــداً رأيــه: « فلو كــانت شــهادة المســيح والحواريين مثبته لصـدق كل جـزء جـزء من كتب العهد العـتيق لما كـان لأمثـال هـذه الاختلافـات الفاحشة الواقعة بين علمـاء النصرانية سلفا وخلفا مساغ أصلاً »[2] .

الجواب الرابع:

يقول الشيخ رحمه الله: « لو سلمنا على فرض التقدير والمحال أن شهادة المسيح والحواريين تصدق لكل جزء جزء، وكل قول قـول من هـذه الكتب فلا يضـرنا أيضـاً، لأنه قد ثبت أن مـذهب جمهور علماء النصارى من القـدماء، ومـذهب كافة الكاثوليـك،

---

1 (?) المرجع السابق: (2/588) .

2 (?) المرجع السابق: (2/594) .

وبعض علمـــاء البروتســـتانت: أن اليهـــود حرفـــوا الكتب بعد المسيح والحواريين، فـالآن نسـألهم: أن المواضع الـتي يقـرون بالتحريف فيها أكانت محرفة في زمـان المسـيح والحـواريين ومع ذلك شـهدوا بصـدق كل جـزء جـزء وقـول قـول من هـذه الكتب أو لم تكن كذلك بل حرفت بعدهم ؟ .

والأول أمر لا يجتري عليه من له ديانة ما، والثاني لاينـافي الشهادة، وهو المقصـود فلا تضر الشـهادة للتحريف الـذي وقع بعدها »[1] .

ثم أجــاب الشيخ رحمه الله عن اعــتراض: (لو ثبت التحريف من اليهود لألزمهم المسـيح على هـذا الفعـل) [2]، أجـاب بقولـه: « على مذاق جمهور العلماء من النصـارى لا مسـاغ لهـذا الكلام، بل وقع التحريف في عهدهم وكانوا يلزمونهم ويوبخونهم .

ولو قطعنا النظر عن مــذاقهم فــأقول: إن الإلــزام ليس بضـــروري على مـــذهبهم، ألا تـــرون أن النســـخة العبرانية والسـامرية مختلفتـان في كثـير من المواضع اختلافـاً موجبـاً لكون احداهما غلطاً محرفة ألبتـة، وبين الفـريقين نـزاع سـلفاً وخلفاً، يدعي كل منهما[3] أن المحرِّف الفريق الآخر.

والـــدكتور (كـــني كـــات) [4] ومتبعـــوه على أن الحق مع السـامريين، وجمهـور علمـاء البروتسـتانت على أن الحق مع اليهود، ويزعمون أن السامريين حرفوا هـذا الموضع بعد مـوت

---

1 (?) إظهار الحق: (2/594) بتصرف .

2 (?) المرجع السابق: (2/594) .

3 (?) السامريين واليهود العبرانيين .

4 (?) من كبار علماء البروتسـتانت، وعليه اعتمـادهم في تصـحيح كتب العهد العـــتيق (د/محمد ملكـــاوي: هـــامش إظهـــار الحـــق: (1/145) .

عيسى بخمسمائة سنة، فهذا التحريف على زعمهم صدر عن السامريين قبل ميلاد المسيح بتسعمائة وإحدى وخمسين سنة، وما ألزم المسيح ولا الحواريون السامريين ولا اليهود » [1].

الشبهة الثالثة:

(**أن اليهود والنصارى أيضاً كانوا أهل الديانة كما تـــــــدعون في حقكم، فيبعد أن يتجاسر أهل الديانة على مثل هذا الأمر القبيح)** [2].

أجـاب الشيخ رحمه الله عن هـذه المغالطة بما سـبق جوابه في الشبهة الأولى وقال: « إذا وقع التحريف بالفعل يقينـاً، وأقر به علمـاؤهم سـلفاً وخلفـاً فما بقي لقـول المغالـط: (فيبعد أن يتجاسر) إلى آخره، بل كـان هـذا الأمر في القـدماء من اليهـود والنصارى بمنزلة المستحبات الدينية »[3] .

الشـــــبهة الرابعة: **(أن نسخ الكتب المقدسة كـــــانت منتشـرة شـرقاً وغربـاً، فلا يمكن التحريف لأحد كما لايمكن في كتابكم) .**

يقـول فنـدر: « تحريف الكتب المقدسة ما كـان ممكنا في زمان ما، لأنه لو أراد أحد هذا الأمر فرضـاً، علم في ذلك الـوقت بالنظر للنسخ التي كانت موجودة بـالكثرة ومشـهورة من القـديم وترجمت الكتب المقدسة بألسنة مختلفـة، فلو غـير وبـدل أحد فيها بسبب ماظهر في ذلك الوقت »[4] .

---

1 (?) إظهار الحق: (2/594) بتصرف يسير .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (2/596) .

3 (?) المرجع السابق: (2/596) .

4 (?) المرجع السابق: (1/72) .

أجاب الشيخ رحمه الله قائلاً: « إذا وقع التحريف بالفعل بإقرارهم فـأي محل لعـدم إمكانـه؟ وقيـاس هـذه الكتب على القـرآن المجيد قيـاس مع الفـارق؟ لأن هـذه الكتب قبل إيجـاد صـنعة الطبع كـانت قابلة للتحريف وما كـان اشـتهارها بحيث يكـون مانعاً عن التحريف.

ألا تـرى كيف حـرف اليهـود وملحـدو المشـرق -على ما أقـــرت به فرقة البروتســـتانت وفرقة الكاثوليـــك- الترجمة اليونانية، مع أن اشـتهارها شـرقاً وغربـاً كـان أزيد من اشـتهار النسـخة العبرانيـة؟ وكيف أثرتحـريفهم ...... بخلاف القـرآن المجيـد؛ فـإن اشـتهاره وتـواتره كانا في كل قـرن من القـرون مانعين عن التحريف، والقرآن في كل طبقة كما كان محفوظـاً في الصحائف، فكذا كان محفوظاً في صدور أكـثر المسـلمين، ومن كان شاكا في هذا الباب فليجـرب في هـذا الزمـان أيضـاً، لأنه لو رأى المجرب في الجامع الأزهر فقط من جوامع مصر ؛ وجد في كل وقت أكـثر من ألف شـخص يكونـون حـافظين للقرآن كله على سبيل التجويد التام ...

ولا يوجد في جميع ديــار أوروبا في هـــذه الطبقة من النصارى - مع فراغ بالهم وتوجههم التـام إلى العلـوم والصـنائع وكونهم أكثر من المسلمين عدداً - عـدد حفـاظ الأناجيل بحيث يساوي عدد الحفاظ الموجودين في الجامع الأزهر فقـط، بل لا يكون عددهم في جميع ديار أوروبا يبلغ عشرة »[1].

ثم ســرد الشيخ رحمه الله تــاريخ الكتــاب المقــدس منذ عهد موســى، وما مر به من النكبـــات أدت إلى انعـــدام الكتب الصحيحة حسب أقوال مؤرخيهم المعتبرين لـديهم، ثم قـال: «

---

1 (?) إظهار الحق: (2/596-597) .

ولا أقـــــــول: أن النسخ كلها بإعدامه [أي الســـــــلطان ديوكليتـانوس[1]] انعـدمت عن صـفحة العـالم، لكن لا شك أنها قلت جـــداً، وضـــاعت من النسخ غـــير المحصـــورة النفيسة الصـحيحة، لأن كـثرة النصـارى وكـثرة كتبهم كما كـانت في مملكته ودياره ما كانت بمنزلة عشرها في غيرها ، وانفتح بـاب التحريف، ولا عجب أن بعض الكتب انعدم رأسـاً أيضـاً؛ ويكـون الموجود باسمه بعده جعليـاً مختلفـاً، لأن هـذا الأمر قبل إيجـاد صنعة الطبع كان أمراً ممكناً » [2].

الشبهة الخامسة:

« أن بعض نسخ الكتب المقدسة الـــتي كتبت قبل زمـــان محمد موجـودة إلى الآن عند النصـارى، وهـذه النسخ موافقة لنسختنا » .

قسم الشيخ رحمه الله هذه الشبهة إلى مغالطتين:

الأولى: إدعـــاؤهم أن هـــذه النسخ الموجـــودة كتبت قبل

---

[1] (?) ديوقليتانوس: أو(دقلديانوس) ولد سنة (245م)، كان قائـداً للجيش ثم عين امبراطوراً سنة(284م)، ونجح في اخضاع الفـرس وسائر المناوئين للامبراطورية الرومانية، واضطهد النصارى بعنـف، فـذبحهم وهـدم هيـاكلهم، واسـتمر اضـطهاده لهم أكـثر من عشر سنين في الشرق والغرب، واصدر أمراً لعامله على مصر أن يجـبر الأقباط على عبادة الأصنام، وأن يذبح بالسيف كل من يأبى، اعتزل الحكم عـام (305م) وعـاش في قلعته الفخمة في سـالونا إلى أن توفي سنة (316م) .

انظر: الموسـوعة الميسـرة: (798)، والمنجد في الأعلام واللغـة: ص(256)، والموســـــــوعة العربية العالميــــــــــة: (10/596) .

[2] (?) إظهار الحق: (2/615)، وانظر: (1/73) .

محمد .

والثانية: دعوى أنها موافقة لنسخهم .

أما جواب المغالطة الكـبرى ؛ وهي دعـوى أن هـذه النسخ الموجودة؛ كتبت قبل محمد ؛ فقد أبطلها ﷺ ببيـان أنه لم يصل إلى مصـححي العهد العـتيق نسـخة عبرانية كتبت في المائة الســابعة أو الثامنــة، بل لم تصل إليهم نســخة عبرانية كاملة تكــون مكتوبة قبل المائة العاشــرة، بدلالة اعترافـــات علمائهم المعتبرين لديهم.

أما نسخ الترجمة اليونانية؛ فأقدمها ثلاث: كودكس اسكندر يانوس، وكودكس واطيكانوس، وكودكس أفريمي.

وقد ثبت من أقوال علمائهم المعتبرين لـديهم أيضـاً عـدم خلو هـــــذه النسخ عن الكـــــذب، ولا يعلم على التحديد وقت كتابتها.لكنه رجح أن تكون قد كتبت في القرن العاشر الميلادي لقرائن متعددة[1]، ثم قال:

« فظهر لك أنه لم يوجد دليل قطعي على أن هـذه النسخ كتبت في القرن الفلاني، وليس مكتوباً في آخر كتاب من كتبها أيضاً أن كاتبه فرغ في السنة الفلانية كما يكون هذا مكتوباً في آخر الكتب الإسلامية غالباً .. ..

فظهر أن الـدعوى الأولى ليست ثابتــة؛ لأن ولادة محمد على آخر القرن السادس من القرون النصــرانية، وإذا ثبت أن كــودكس اســكندريانوس تشــتمل على كتب كاذبة أيضــاً وأن البعض ذمها ذماً بليغاً ... ظهر أن الـدعوى الثانية أيضــاً ليست صحيحة »[2]

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (2/617-622).

2 (?) المرجع السابق: (2/622-624) .

أما الجواب الثاني عن هذه الشبهة فيقول: « لو قطعنا النظر عما قلنا وفرضنا أن هذه النسخ الثلاث كتبت قبل محمد ﷺ فلا يضرنا: لأنا لا ندعي أن الكتب المقدسة لهم كانت غير محرفة إلى زمان ظهور محمد ﷺ وبعد ذلك حرفت؛ بل ندعي أن هذه الكتب كانت قبل ظهور محمد ﷺ، لكنها بلا اسناد متصل، وأن التحريف كان فيها قبله يقينا ووقع في بعض المواضع بعده أيضاً، فلا ينافي هذه الدعوى وجود النسخ الكثيرة فضلاً عن ثلاث نسخ .

بل لو وجدت ألف نسخة مثل اسكندريانوس لا يضرنا، بل كان نافعاً لنا باعتبار أن اشتمال هذه النسخ على الكتب الجعلية يقيناً، واختلافها فيما بينها اختلافاً شديداً -كما في كودكس اسكندريانوس وكودكس واطيكانوس- من أعظم الأدلة الدالة على تحريف أسلافهم، ولا يلزم من القدامة الصحة .. » [1].

فالتحريف وقع في بعض المواضع من كتب أهل الكتاب قبل ظهور محمد ﷺ ، وبعد ظهوره كذلك.

الشبهة السادسة:

أن القرآن الكريم يشهد بحقية التوراة والإنجيل، وأن التحريف لم يقع فيهما إلى زمان محمد ﷺ .

وأصل هذه الشبهة ما قاله فندر في محفل المناظرة الكبرى، حيث ذكر أن الله تعالى قال:

[illegible]

[illegible]

---

1 (?) إظهار الحق: (2/624-625) .

[الشورى: 15]، وقال تعالى في سورة العنكبوت:

[العنكبوت: 46]، وقال تعالى: [المائدة:5].

ثم علق فندر على الآيات بقوله:

« وهذا الأمر ظاهر على كل فرد من أمة محمد [] أن الفرق التي أعطوا الكتاب ولقبوا بأهل الكتاب: النصارى واليهود، كما ورد في حقهم في سورة البقرة: [البقرة: 113]، وهذا الأمر أيضاً معلوم من القرآن ومشخص أن الكتب التي أعطيها اليهود والنصارى: التوراة والإنجيل، وفي سورة آل عمران: [آل عمران: 3-4].

ففي هذه الآيات ذكر الكتاب، وأهل الكتاب، والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى، فعلم أن التوراة والإنجيل كانا موجودين في عهد محمد []، وأن المحمديين جعلوهما هاديي الدين بعد تسليمهما، وأن التحريف لم يقع فيهما إلى زمان محمد » [1].

وكذا اعتمد فندر على تدعيم قوله بسورة البينة .

وكان جواب الشيخ رحمه الله أن قال: « يثبت من هذه الآيات هذا القدر فقط: أن كلام الله نزل في الزمان السالف فليؤمن به، وأن التوراة والإنجيل نزلا في الزمان السالف وكانا موجودين في عهد محمد .

---

1 (?) المناظرة الكبرى: ص(240-246) .

ولا يثبت من هــذه الآيــات بوجه ما أن يكــون التحريف لم يقع في هــذه الكتب إلى زمـــان محمد ، كيف وقد شـــنع الله على أهل الكتاب في مواضع من القـرآن لأجل تحـريفهم، فكما نـــؤمن بحكم الآيـــات القرآنية أن كلام الله نـــزل في الزمـــان السالف، فكـذا نـؤمن أن التحريف قد وقع فيـه، ولـذا جـاء في الحديث ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم))[1] »[2].

أما عن استدلال فندر بسورة البينة يقـول الشيخ رحمه الله: « إن ترجمة هذه الآيات على ما اختاره جمهور المفسـرين، واختـاره حضـرة عبد القـادر المحـدث الـدهلوي[3] في ترجمتـه، هكـذا: أي: اليهود والنصارى، : أي عابـــدي الأصـــنام، : عن أديـــانهم ورسومهم القبيحة وعقائدهم الفاسدة، مثل عدم اعتقـاد نبـوة عيسى كما كان لليهود، أو اعتقـاد التثليث كما كـان للنصـارى ونحوهمــــــا، : في أديــانهم ورســومهم القبيحة وعقائــدهم الفاســدة، بــأن تركها البعض واختاروا الإسلام، وقام البعض عليها تعصـباً ونعنتـاً، : أي رسول الله والقرآن »[4].

---

[1] (?) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ((قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)) ح (4485)، ص(762).

[2] (?) المناظرة الكبرى: ص(246) .

[3] (?) عبد القادر بن شـاه ولي الله أحمد بن مولـوي عبد الـرحيم الدهلوي الهنـدي الحنفي، المتـوفى سـنة 1242هــ، له كتـاب ''فتح الرحمن في تفسير القرآن'' باللغة الأرديـة. (انظـر: إسـماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين: (1/604).

[4] (?) المناظرة الكبرى: ص(248) .

ثم نقل عن السـيد عبد القـادر في حاشـيته قولـه: « ضل جميع أهل الملل قبل محمد ، وكـــان كل منهم مغـــروراً على غلطه، وماكان ممكناً أن يحصل لهم الهداية بواســطة حكيم أو ولي أو سلطان عـادل، مـالم يـأت رسـول عظيم القـدر، ومعه كتاب من الله، ومـدد قـوي بحيث امتلأت الأقـاليم بالإيمـان في عدة سنين »[1] .

ثم قال الشيخ رحمه الله: « فحاصل هـذه الآية هـذا القـدر فقـط: أن أهل الكتـاب والمشـركين ما امتنعـوا عن رسـومهم القبيحة مالم يأتهم رسول عظيم الشأن .

ومن خالف بعد مجيئه، فمخالفته لأجل التعصب لغير الحق والعناد .

فاسـتدلالكم بهـذه الآيـات في هـذه السـورة ليس بصـحيح »[2] .

الشبهة السابعة:

أن التحريف هو مجرد سـهو الكـاتب، ولايلـزم منه نقصـان في المتن.

وهم يقولــون: « أن لو أخرجنا بــالفرض هــذه العبــارات المحرفة كلها لايلـزم نقصـان في مسـألة معتـبرة في مسـائل الملة النصرانية، وكذا لو أدخلنا هذه العبارات المحرفة لايلــزم منها زيادة في مسألة معتبرة من مسائل الملة »[3] .

وهـذا يعد أكـبر شـاهد على التحريـف، لأن الكتـاب الـذي يدخل فيه أو يخرج منه عشرات الألوف من الألفـاظ، ولا يلـزم

---

1 (?) المناظرة الكبرى: ص(249) .

2 (?) المرجع السابق: ص(249) .

3 (?) المرجع السابق: ص(259) .

منه زيادة أو نقص تنتفي إلهاميته .

وكان إبطال الشيخ رحمه الله بأن حدد مفهوم التحريف، ومفهـوم سـهو الكـاتب، فقـال في معناهمـا: « التغيـير الواقع في كلام الله، سواء كان بسبب زيادة أو نقصان، أو تبديل بعض الألفـاظ ببعض آخر، وسواء كان منشأ هذا التغيـير الشـرارة والخبث، أو الإصلاح باعتبار غلبة الوهم .

... وسهو الكاتب: مثلاً أن يريد شـخص كتابة اللام فيكتب سهواً بـدلها الميم، أو يريد أن يكتب الميم فيكتب سـهواً بـدلها النون » [1].

ولما كـان المنصـرون يقـرون بـالتحريف، ولكنهم يطلقـون عليه (سهو الكاتب) قال الشيخ رحمه الله: « إن النزاع الذي بيننا وبين القسيس كان نزاعاً لفظياً فقط، لأن التحريف الـذي كنا ندعيه قَبِله القسيس، لكنه سماه سهو الكاتب »[2] .

ثم قـال مجيبـاً عن دعـوى عـدم نقصـان المتن « ادعى جامعوا تفسير هنري واسـكات أيضـاً مثل ادعـائكم أيضـاً، بـأن المقصود الأصلي لم يقع فيه تفاوت ما من هذه الأغلاط، لكنا لا نفهمـه، لأنه إذا ثبت التحريـف، فـأي دليل على أنه لم يقع فيه تفـــاوت ما من هـــذه الأغلاط، لأنه إذا ثبت التحريف (بجميع أنواعه قصداً وسـهواً واصـلاحاً وهميا من المبتـدعين ومن أهل الديانـة) فـأي دليل على أنه لم يقع في تسع أو عشر فقـرات فيها ذكر التثليث ... » [3].

ثم إنه « لما ثبت الزيادة والنقصـان في هـذه الكتب -على

---

1 (?) المرجع السابق: ص(260-261) .

2 (?) المناظرة الكبرى: ص(262-263) .

3 (?) المرجع السابق: (263) .

اعـترافكم أيضـاً- وثبت التحريف صـارت مشـتبهة عنـدنا بهـذا السبب »[1] .

وبعد هـذا البيـان لمنهج الشيخ رحمه الله في إثبـات التحريف في كتب العهدين؛ يحسن بنا أن نعقب بهذه النقاط:

1-تأكيد القرآن الكريم والسنة بوقوع التحريف في الكتاب المقدس .

لقد شـهد الله بتحريف اليهـود والنصـارى لكتبهم، وأبـان عن هـذا في القـرآن الكـريم في مواضع عديـدة، وهـذا الـدليل النقلي على التحريف لم يغفله الشيخ رحمه الله، بل كــان يشــير إليه عند احتجاج المنصرين بآيات القرآن الكريم على حقية التــوراة والإنجيل وثنائه عليهمــا، فكــان يشــير إلى أن الله اثــنى على التوراة والإنجيل الــتي أنزلهما على موسى وعيسى ^ ، وأثبت كذلك تحريف أهل الكتاب لهما .

ومن تلك الآيات الشاهدة على تحريف اليهـود لكتبهم قوله تعـالى: [illegible] [البقـرة: 75]، فهـذا فيه دلالة على أنهم غـيروا وبـدلوا عن إصرار وعلم .

وقوله تعالى: [illegible] [البقرة: 79] .

وقوله : [illegible] [آل

---

[1] (?) المرجع السابق: (265) .

عمران: 78].

فهذا فيه دلالة على أنهم أدخلوا في كلام الله ماليس منـه، وافتروا على الله الكذب بأن نسبوا إليه سبحانه مالم يقله وهم يعلمون ذلك فجوراً منهم وجرأة على الله تعالى وتقدس.

وقوله :

[الأنعام: 91].

فهـذا فيه دلالة على أنهم قد أخفـوا وكتمـوا ماعنـدهم من علم، وما أنزل الله عليهم من كتاب حسب أهوائهم .

وقوله تعـالى:

[المائدة: 13].

وفي هـــذه الآية دلالة واضـــحة على التحريف وعلى أنهم نسوا حظاً أي نصيباً وجزءاً مما أنزل عليهم .

وهذا جزاء من الله لهم بسبب كفرهم وفسادهم وسابق تحريفهم ونقضهم للميثاق .

وفي شأن النصارى يقول الله تعالى:

[النساء: 171].

وقال تعالى في شأن النصارى أيضاً:

[illegible] [المائدة: 14].

ثم خاطب الله تعالى اليهـود والنصـارى بعد ذلك مباشـرة، فقال تعالى: [illegible] [المائدة: 15].

أما السـنة النبوية المطهـرة فقد شـهدت بتحريف الكتب المقدسة عند النصارى:

ففي الصـحيحين عن عبدالله بن عمر <: « إن اليهـود جاءوا إلى رسول الله فذكروا له أن امـرأة منهم ورجلاً زنيـا، فقال لهم رسول الله: ماتجدون في التوراة في شـأن الزنـا؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبدالله بن سـلام: كـذبتم، إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فانشـروها، فوضع أحـدهم يـده على آية الرجم، فقرأ ماقبلها ومابعدها، فقال له عبدالله: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، فقـالوا: صـدقت يامحمـد، فـأمر بهما النبي فرجما »[1] .

فهذا الحديث شاهد على أن اليهود على عهد النبي كـانوا يتعمدون إخفاء بعض نصوص التوراة وأحكامها .

ولقد استشـهد الشيخ على التحريف بحـديث النـبي: « لاتصـدقوا أهل الكتـاب ولاتكـذبوهم »[2] لأن ماعنـدهم من

---

1 (?) انظر: صحيح البخاري: كتاب الحدود باب الرجم في البلاط، ح(6819)، ص(1174)، وصحيح مسلم: كتاب الحدود باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنا: (5/121) .

2 (?) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير باب « قولـوا آمنا بالله وما أنزل إلينا »، ح(4485)، ص(762).

التوراة والإنجيل محرف[1].

أكتفي بهاذين الشاهدين من السنة على التحريف خشية الإطالة .

فالتحريف واقع في نسخ التوراة والإنجيل، وهو حقيقة مقررة شهد بها القرآن الكريم وشهدت بها السنة النبوية المطهرة وأثبتها الواقع .

2-تأكيد العلماء لما يذكره ﭬ بوقوع التحريف في الكتاب المقدس عند النصارى.

إن القول بالتحريف لم ينفرد به ﭬ وحده، بل هناك من قبله ومن بعده أناس كثيرون مسلمون ونصارى قالوا به، بل إن العلماء المسلمين غير محتاجين لأدلة لإثبات دعوى التحريف في هذه الكتب بل كفاهم النصارى مؤنة ذلك ومشقته، وذلك باعترافهم بالتحريف -كما مرّ معنا- .

وفي هذا يقول ابن حزم:

« لسنا نحتاج إلى تكلف برهان في أن الأناجيل وسائر كتب النصارى، ليست من عند الله ، ولا من عند المسيح ، ... فقد كفونا (أي النصارى) هذه المؤنة كلها؛ لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم، أولهم عن آخرهم، آريوسيهم، وملكيهم، ونسطوريهم، ويعقوبيهم ... لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة » [2].

والنصارى متفقون على أنه لم يؤمن بالمسيح في حياته

---

1 (?) انظر: المناظرة الكبرى: ص(246) .

2 (?) الفصل في الملل والنحل: (2/13) .

إلا عـدد محـدود من بـني إسـرائيل، وهـؤلاء كـانوا مسـتترين بدينهم، يخـافون من بطش الرومـان، وظلـوا على هـذه الحـال حـتى بعد رفع المسـيح، وأنه خلال الفـترة الواقعة بين رفع المسيح، وإقرار الأناجيل، ذهب الإنجيل الأصلي المنزل من عند الله تعـالى، ولم يبق من مضـمونه إلا القليل النـادر؛ ليكـون شاهداً عليهم لا لهم لوقوع التحريف في كتبهم .

يقول ابن حزم:

« لا خلاف بين أحد من النصـارى، ولا من غـيرهم، في أنه لم يـؤمن بالمسـيح في حياته إلا مائة وعشـرون رجلاً فقط ... وأنهم كـانوا مسـتترين مخـافين في حياته وبعـده يـدعون إلى دينهم سراً، ولا يكشف أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته ولا يظهر دينه ألبتة، ولا لهم مكان يأمنون فيـه، مـدة ثلاثمائة سـنة بعد رفع المسيح .

وفي خلال ذلك ذهب الإنجيل المـنزل من عند الله إلا فصولاً يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم وخزياً لهم »[1]

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية مبيناً حـال التـوراة والإنجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب:

« الصـحيح أن هـذه التـوراة والإنجيل اللـذين بأيـدي أهل الكتـاب فيهما ما هو حكم اللـه، وإن كـان قد بـدّل وغيّر بعض ألفاظها لقوله تعالى:

[illegible]

---

1 (?) المرجع السابق: (2/16-17) باختصار.

[illegible] ﴾ [المائدة:41-43].

فعلم أن التــوراة الــتي كــانت موجــودة بعد خــراب بيت المقدس بعد مجيء بختنصر، وبعد مبعث المســيح، وبعد مبعث محمد ﷺ فيها حكم الله »[1].

ثم قــال: « كثــير من نسخ التــوراة والإنجيل متفقة في الغــالب، إنما تختلف في اليســير من ألفاظهــا، فتبــديل ألفــاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرســول ﷺ ممكن لا يمكن أحد أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحد من اليهــود والنصــارى أن يشــهد بــأن كل نسخة في العالم بالكتابين متفقة الألفاظ، إذ هــذا لا ســبيل لأحد علمه، والاختلاف اليسير في ألفــاظ هــذه الكتب موجــودة في الكثير من النسخ »[2]

3-تأكيد العلماء لعوامل التحريف في نظر الشيخ رحمه الله:

يؤخذ مما ذكرنــــاه ســــابقاً عن الشيخ رحمه الله من عوامل التحريــف، ومن أجوبته الــتي قــدمناها عن دفــاع النصــارى عن كتبهم ضد ما تتهم به من التحريــــف- يؤخذ من ذلك العوامل اعتبرها أساساً لما وقع في كتب النصارى من تحريف.

---

1 (?) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (2/421-422) .

2 (?) المرجع السابق: (2/422-423) .

وقد أكد ذلك علماء أهل الكتاب ومنهم سبينوزا[1] المـؤرخ اليهـودي الـذي ذكر عـدة تعليلات لوقـوع التحريف في أسـفار العهـــدين، هي في مجملها لا تخــرج عن تعليلات ومـــبررات الشيخ رحمه الله وغيره، فيقول:

« 1-لم تـدون أسـفار العهـدين القـديم والجديد بتفـويض خاص في عصر واحد يسري في كل الأزمـان، بل جـاء تـدوينها مصـــادفة، وقصد بها أنـــاس معينـــون، ودونت بحيث تلائم مقتضيات العصر، والتكوين الشخصي لهؤلاء الناس .

2-تم اختيـار أسـفار العهد القـديم من بين أسـفار كثـيرة أخرى تم جمعها، وأقرها مجلس الفرنسيين، وكذا قبلت أسـفار العهد الجديد ضـمن المجموعة القانونية بقـرار بعض المجـامع الكنسية، التي رفضت في الـوقت نفسه أسـفاراً أخـرى كثـيرة بوصـــفها منعدمة القيمـــة، مع أن كثـــيراً من النـــاس كـــانوا يقدسونها؛ على أن أعضاء هذه المجامع الكنسية (سواء مجامع الفرنسيين أم مجامع النصـارى) لم يكونـوا أنبيـاء بل كـانوا من ذوي الخبرة والفقهاء فحسب .

3-لم يكتب الحواريين بوصفهم أنبيـاء، بل بوصـفهم فقهـاء واختاروا أسهل الطـرق لتعليم التلاميذ الـذين يـودون تكـوينهم، وبالتالي فـإن رسـائلهم تتضـمن أشـياء كثـيرة يمكن الاسـتغناء عنها دون أن يلحق ذلك أي ضرر بالدين .

---

[1] (?) سـبينوزا (1632م-1677م): فيلسـوف هولنـدي من أصل يهودي، وهو من أشهر فلاسفة وحـدة الوجـود في العصر الحـديث، من كتبه (تـأملات ميتافيزيقيـة) و(الأخلاق) و(رسـالة في اللاهـوت والسياسة)

انظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة: ص(106)، (1220) ، دار القلم- بيروت.

4-وأخـيراً فهنـاك أربعة أناجيل في العهد الجديـد، ومَنْ منا يســتطيع أن يعتقد أن الله أراد أن يقص ســيرة المســيح وأن يبلغه للبشر أربع مرات؟ لا شك أنه توجد في كل إنجيل أشــياء معينة لا توجد في غيره. وأن كل إنجيل يسـاعد على فهم الآخر .

ومع ذلك لا ينبغي أن نســتنتج من ذلك أن من الضـــروري معرفة كل ما يرويه كتّــــاب الأناجيل الأربعــــــة، وأن الله قد اختـارهم كتابـاً ... فلقد بشر كل واحد منهم بإنجيله في مكـان خــاص، وكتب كل منهم ما بشر بــه، لا لشــيء إلا لكي يــروي سيرة المسيح بطريقة أوضح، ولا لكي يشرح الأناجيل الأخـرى، فإذا كانت مقارنة الأناجيل تؤدي أحياناً إلى فهم المرء لها على نحو أفضل وأيسر فإن ذلك يحدث مصادفة ... »[1]

كما أن هناك سبباً قوياً أدى إلى التحريف وهو دور بــولس في تحريف النصـرانية وكتبهـا، فـأهم مـؤثر في التحريف بكتب النصــارى هو بــولس اليهــودي « الــذي ينسب إليه أربعة عشر سفراً من أسفار العهد الجديد تسمى رسائل بولس، وقد كتبت قبل كتابة الأناجيل ببضع عشـــرات من الســـنين، فلا يمكن أن ننسى دوره في تحريف النصرانية: عقائدها وشرائعها، حيث أن النصـــرانية الحاضـــرة تنسب إليه أكــثر مما تنسب إلى غـــيره، وتســـتمد معظم أصـــولها وتعاليمها من رســـائله، بل إن كلمة (رسول) إذا أطلقت لا يراد بها في اصطلاح النصارى إلا بــولس ويطلقون عليه كذلك لقب الرسول الكبير »[2]

---

1 (?) سبينوزا: رسـالة في اللاهـوت والسياسـة: ص(343-344)، ترجمة وتقديم د/حسن حنفي مراجعة فؤاد زكريا، ط عام 1971م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

2 (?) د/ علي عبد الواحد وافي: الأســـفار المقدســـة: ص(82)

وقد كـان في أول أمـره عـدواً لـدوداً للمسـيح وأتباعـه، ونـالهم أشد العـذاب على يديـه، وقد حـاول جاهـداً أن « يمحو اسم عيسى وأتباعه من الأرض، ولكنه رأى أخـــيراً عـــدوه الناصري في السماء لامعـاً، داخل الأنـوار ... فاهتـدى وتسـمى بـولس »[1] وتحـول من معـذب مضـطهد للنصـرانية إلى مبشر ورسول ملهم لها .

وبولس وإن كان قد دخل النصرانية، وأصـبح أحد دعاتها إلا أنه ما زال يهوديـاً في أفكـاره وفي أفعالـه، ولا أدل على ذلك من شـهادة النصـارى أنفسـهم فهـذا (ول ديـورانت) المـؤرخ النصـراني يقـول: « قد بقي بـولس إلى آخر أيامه يهوديـاً في عقله وخلقه »[2] .

وحيث أن التحريف طبيعة يهوديـــة، فقد صـــرف بـــولس العقيـدة النصـرانية وجعلها عقيـدة تعـدد (تثليث) بعد أن كـانت عقيـدة توحيـد، وأدخل فيها عقيـدة الصـلب والفـداء والوثنيـة، ونقلها من دعوة خاصة[3] لبني إسرائيل إلى دعوة عامة عالمية وهو الذي أدخل فكرة قيام المسيح من قبره.

أما عن تحريفه الشـرائع النصـرانية فحـدث ولاحـرج، فهو

بتصرف يسير .

1 (?) عبد الأحد داود الآشوري: الإنجيل والصليب: ص(160) .

2 (?) قصة الحضارة: الجزء الثالث المجلد (11): ص(450) .

3 (?) انظـــر: إنجيل مـــتى: (15/24)ـ (6-10/5) مايـــدل على خصوصية دعوة عيسى من قوله: « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » وقوله لحواريه: « إلى طريق أمم لاتمضوا، وإلى مدينة للســامريين لا تــدخلوا بل اذهبــوا بــالحرى إلى خــراف بيت إسرائيل الضالة » وكذلك قوله تعالى: ﴿ ... الآية ﴾ [آل عمران: 49].

الـذي ينسب التشـريع لنفسـه، وأنه هو المشـرع،[1] وهو الـذي ابتدع التراتيل والمزامير والأغاني في الكنائس، وهو الذي ألغى الختان واستبدله بالمعمودية، وهو الذي ابتدع العشاء الرباني .

وهدفه من ذلك كله هـو: « هـدم النصـرانية وتقويضـها من الـداخل، بعد أن فشل في هـدمها ومحوها تمامـاً من الخـارج كعدو لـدود، ومعـذب ومضـطهد، لأن الاعتـداء بالمواجهة يصـنع عـادة (رد فعـل)، والاعتـداء بالحيلة والخـداع واختلاق القصص المثيرة قد يكون أسهل بكثير من المواجهة من الخارج »[2] .



1 (?) انظر على سـبيل المثـال: الرسـالة الأولى إلى أهل كورنثـوس: (12/7-25) وغيرها مما يشـير إلى تحريف بـولس للشرائع .

2 (?) سـارة العبـادي: التحريف والتنـاقض في الأناجيل الأربعـة: ص(107)، رسـالة ماجيسـتير عـام (1402هـ) نقلاً عن: مـريم الزامل: موقف ابن تيمية من النصرانية: (1/181) رسالة دكتـوراه: جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية الشريعة قسم العقيدة-مطابع جامعة أم القرى .

المطلب الثاني: إثبات النسخ:

مســألة نسخ الشــرائع الســابقة ســواء ماكــان منها في التوراة أو الإنجيل، من المسائل التي أنكرها اليهـود والنصـارى على حـدٍ سـواء، وذلك حـتى لايلزمـوا بكـون القـرآن ناسخ لما قبله .

ولقد اهتم الشيخ رحمه الله بهذا الباب اهتماماً عظيماً، حتى قرنه بباب التحريف، ونـاظر المنصـرين فيه مبطلاً شـبهاتهم وأدلتهم التي توهموها مانعة للنسخ في شرائعهم.

وقبل الخـوض في هـذه التفاصـيل نلقي الضـوء أولاً على معنى النسخ المصطلح عند المسلمين على ماعرفه الشيخ رحمه الله .

1- تعريف النسخ:

النسخ مصــدر نَسَــخ ينسخ نَسْــخاً، وله في اللغة معنيــان أساسيان هما:

أ-الإبطــال والإزالــة: جــاء في لســان العــرب: « والنسخ إبطال الشـيء وإقامة آخر مكانه »[1] ومنه قوله تعـالى: [illegible] [البقرة: 106]. ومنه قوله تعالى: [illegible] [الحج: 52]. أي يزيله فلا يبقى له أثراً، ومنه قولنا نسخت الشمس الظل، أي أزالته .

ب-النقل والتحويـل: جـاء في لسـان العـرب: والنسخ نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو »[2].

---

1 (?) ابن منظور: (3/61) .

-النسخ في الشرع:

« هو الخطاب الدال على ارتفـاع الحكم الثـابت بالخطـاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه »[1].

وهذا التعريف للنسخ في حق البشر .

أما تعريف الشيخ رحمه الله للنسخ فقد عرفه بأنه: « بيـان انتهـاء مـــدة الحكم العملي الشـــرعي، المحتمل للوجـــود والعـــدم، المتخيل دوامه بحسب أوهامنا »[2]

وهو تعريف للنسخ في حق الله تعـالى. ويلاحظ مع تعريف الشيخ رحمه الله للنسخ استخدامه لفظ (انتهاء) وهو تعبير دقيق جـداً، فلا يصح أن يقال (نهاية) لأن الـذي له نهاية هو الحكم المـؤقت الذي لا يقع فيه النسخ كما سيأتي .

2- الأمور التي لا يطرأ عليها النسخ كما حددها الشيخ رحمه الله:

يقول الشيخ رحمه الله: « النسخ لا يطرأ عندنا على القصـص، ولا على الأمور القطعية العقلية، مثل: أن صانع العالم موجــود، ولا على الأمور الحسية مثـل: ضـوء النهـار وظلمة الليـل، ولا على الأدعيــة، ولا على الأحكــام الــتي تكــون واجبة النظر إلى ذاتها مثل: آمنوا ولا تشـركوا، ولا على الأحكـام المؤبـدة مثـل: [النور: 4]، ولا على الأحكام المؤقتة

---

1 (?) أبو حامد الغزالي: المستصـفى في علم الأصـول: (2/35)، وانظر: الأمدي: الإحكام في أصول الأحكـام: (3/77)، محمد زكريا البرديســي: أصــول الفقــه: (420)، ط5، (1394م)، دارالنهضة العرب .

2 (?) المنــاظرة الكـبرى: ص(208)، وانظــر: إظهــار الحــق: (3/643) .

قبل وقتها المعين، مثـل: [البقرة: 109] »[1].

3- الأمور التي يطرأ عليها النسخ:

يقول الشيخ رحمه الله: « يطرأ (النسخ) على الأحكام التي تكون عملية محتملة للوجود والعدم غير مؤبدة، وغير مؤقتة، وتسمى الأحكام المطلقة »[2]

أي أن الأحكام التي تقبل النسخ هي الأحكام القابلة للوجود والعدم، بحسب ما يلائم طبائع الناس ومصالحهم، بشرط أن تكون خالية من القيود التي تفيد توقيتها أو دوامها، لأن كل ما ورد في القرآن من وحدانية الله وأسمائه وصفاته، وسائر العقائد والأخبار عن الأمم الماضين وأحوالهم، واليوم الآخر، أوبيان الفضائل الإنسانية وما يقابلها من الرذائل، أو أحكام عملية مقيدة بوقت أو بما يفيد تأبيدها كالفرائض الأساسية، فإنها كلها غير قابلة للنسخ، لأن النسخ يقع فقط في الأحكام العملية المحتملة موجود والعدم، والمطلقة من التأييد أو التوقيت .[3]

ذلك أن الحكم الشرعي الذي لم يقيد بوقت هو محل النسخ، لأنه في علم الله تعالى مقيد بوقت نسخه، والله سبحانه يأمر المكلفين بالعمل به مدة معينة لم يطلعهم عليها، حتى إذا انتهت هذه المدة؛ يأمر الله بالحكم الآخر الذي هو في ظن المكلفين تغيير للحكم الأول لعدم اطلاعهم على الوقت،

---

1 (?) إظهار الحق: (3/643-644)، وانظر: المناظرة الكبرى: ص(206-207) .

2 (?) إظهار الحق: (3/644) .

3 (?) انظر: عبد الرحمن الجزيري: أدلة اليقين: ص(116) .

لكنه في علم الله ليس تغييراً إنما هو بيـان انتهـاء مـدة العمل بالحكم الأول .

ثم قـال الشيخ رحمه الله مبينـاً ما يشـترط في الأحكـام العملية المطلقة التي يجري فيها النسخ:

« ويشـــترط فيها أن لا يكـــون الـــوقت والمكلف والوجه متحد، بل لا بد من الاختلاف في الكل أو البعض من هذه الثلاثة »[1]

لأن صـــدور الأمر والنهي معـــاً مع الاتحـــاد في الأمـــور المـذكورة فيه اجتمـاع الضـدين في محل واحد وزمـان واحـد، وهما أمـران وجوديـان لا يجتمعـان معـاً في محل وزمن واحد لكنها قد يرتفعان معاً.

4-الفرق بين النسخ والبداء في نظر الشيخ رحمه الله:

ينفي كل من اليهـــود والنصـــارى المتـــأخرين[2] النسخ لاستلزامه - عندهم - البداء .

والبداء له معنيان:

الأول: الظهور بعد الخفاء، ثم اسـتعمل لظهـور الـرأي بعد أن لم يكن .[3]

الثـــاني: أمر بعد نهي، أو نهي بعد أمـــر، لمكلف واحد في وقت واحد لفعل واحد على وجه واحد.[4]

---

1 (?) إظهار الحق: (3/644) .

2 (?) النصارى المتقدمون اعترفوا بوقوع النسـخ، أما المتـأخرون فأنكروه لعدم اعترافهم برسالة النبي ﷺ .

3 (?) انظر: الجرجاني: التعريفات: ص(41)، الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام: (3/69) .

4 (?) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة: ص(584) .

وإلى المعــنى الأول أشــار الشيخ رحمه الله نافيــاً إيــاه عن الله تعـالى قـائلاً: « وليس معـنى النسخ المصـطلح أن الله أمر أو نهى أولاً وما كــان يعلم عاقبتــه، ثم بــدا له رأي فنسخ الحكم الأول ليلزم الجهل »[1].

أما المعنى الثاني للبداء فأشـار إليه الشيخ رحمه الله نافيـاً أيضـاً هذا المعنى للنسـخ، فليس معنــاه أن الله « أمر ونهى ثم نسخ مع الاتحاد في الـوقت والمكلف والجهـة، ليلـزم الشـناعة عقلاً حتى و إن قلنا أنه -تعالى- كان عالماً بالعاقبة، فإن هــذا النسخ لا يجوز عندنا »[2]

ثم قال موضحاً المعنى الصحيح للنسخ: « أن الله -تعالى- كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقياً على المكلفين إلى الــوقت الفلاني ثم ينسخ، فلما جاء الــوقت أرسل حكمــاً آخر ظهر منه الزيادة والنقصان أو الرفع مطلقاً .

ففي الحقيقة هــذا بيــان انتهــاء الحكم الأول، لكن لما لم يكن الـوقت مـذكوراً في الحكم الأول فعند ورود الثـاني يتخيل لقصور علمنا في الظاهر أنه تغير ... »[3]

ثم قال: « ولا استحالة في هذا المعنى لا بالنسبة إلى ذات الله ولا إلى صــفاته. فكما أن في تبــديل المواسم مثل الربيع والصــيف والخريف والشــتاء، وكــذا في تبــديل الليل والنهــار، وتبديل حالات الناس - مثـل: الفقر والغـنى والصـحة والمـرض وغيرها - حِكمــاً ومصــالح لله تعــالى ســواء ظهــرت لنا أو لم تظهر، فكذلك في نسخ الأحكـام حكم ومصـالح لـه، نظـراً إلى

---

1 (?) إظهار الحق: (3/644) .

2 (?) إظهار الحق: (3/644) .

3 (?) المرجع السابق: (3/644) .

حال المكلفين والزمان والمكان ... »[1].

ومن هــذا نجد أن البــون شاسع بين النسخ والبــداء، ولو أدرك أهل الكتـاب ذلك لما قـاموا بـالحجر على الله بعقـولهم الفاسدة، ولأدركـوا حكمته ورحمته وقدرته في تـدبيره لخلقـه، فهو تعــالى حين ينهى ويــبيح لا تكــون في وقت واحد بل من وقت لآخر لتبدل الأحوال والأوقات في المصالح .

5- أدلة الشيخ رحمه الله على وقوع النسخ في كتب العهدين:

بعد أن بين الشيخ رحمه الله المعنى الصـحيح للنسـخ، وما يجـري فيـه، أكد أن النسخ غـير مختصـاً بالشـريعة الإسـلامية، بل هو ثابت أيضاً في الشرائع السابقة سـواء كـان النسخ في شـريعة نبي لاحق لحكم كان في شريعة نبي سابق، أو كـان النسخ في الشريعة الواحدة .

يقــول الشيخ رحمه الله: « والنسخ ليس بمختص بشــريعتنا، بل وجد في الشـرائع السـابقة أيضـاً بـالكثرة بكلا قسـميه، أعـني: النسخ الذي يكون في شريعة نبي لاحق لحكم كان في شـريعة نبي سابق، والنسخ الذي يكون في شـريعة نـبي لحكم آخر من شريعة هذا النـبي، وأمثلة القسـمين في العهد العـتيق والجديد غير محصورة »[2] .

وقد كانت أدلة الشيخ رحمه الله على النسخ ووقوعه في التــوراة والإنجيل هي أدلة نقلية أثبت فيها:

1- وقوع النسخ في شريعة موسى .

---

1 (?) المرجع السابق: (3/644-645) .

2 (?) إظهار الحق: (3/647) .

2- نسخ الإنجيل لبعض أحكام التوراة[1].

3- نسخ الحواريين لأحكام الإنجيل كما فعل بولس .

أولاً: وقوع النسخ في أحكام التوراة:

وهو على قسمين على نحو ما أبان عنه الشيخ رحمه الله،كأن يقع النسخ في التـوراة فينسخ بعضه بعض أحكامـه، أو يُنسخ بعض أحكام التوراة بالإنجيل .

وقد استدل الشيخ رحمه الله على القسمين بالأمثلة الكثـيرة أكتفي بذكر بعضها خشية الإطالة:

1- يعلم من البـاب السـادس من سـفر التكـوين أمر الله تعالى أن يدخل في الفلك اثنان اثنان من كل جنس الحيوانـات طيراً كان أو بهيمة مع نوح .

أما في البـاب السـابع من السـفر المـذكور فيعلم منه أمر الله تعـــــالى أن يـــــدخل ســــــبعة ســــــبعة ذكــراً وأنــثى من البهــائم الطــاهر ومن الطيــور مطلقــاً، ومن البهائم غير الطاهرة اثنان اثنان .

ثم يعلم من البــاب المــذكور أنه دخل من كل جنس اثنــان اثنان.

فنسخ هذا لحكم مرتـين . [2]

2- جاء في الباب الرابع من كتاب حزقيـال هكـذا: « (10) وطعامك الذي تأكله يكون بالوزن عشرين مثقـالاً في كل يــوم

---

1 (?) يكــرر الشــيخ رحمت الله في أكــثر من موضع (أن الإنجيل نسخ التوراة) وهذا من قبيل الإلزام فقط، لأن المسيح جـاء لـيرد بني إســرائيل لحكم التــوراة وحلالها وحرامهــا، ولايمنع ذلك أن الله نسخ على يديه بعض الأحكام للتخفيف .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/673) .

من وقت إلى وقت تأكله (12) وكخـــبر ملة من شـــعير تأكله وتلطخه بزبل يخرج من الناس في عيونهم (14) فقلت آه آه يا رب الإله هـــــــاهو ذا نفسي لم تتنجس والميت والفريسة من السبع لم آكل منه منذ صباي حتى الآن ولم يدخل في فمي كل لحم نجس (15) فقـال لي: ها أعطيتك زبل البقر عـوض رجيع الناس وتصنع خبزك فيه »[1]

يقـول الشيخ رحمه الله معلقـاً: « أمر الله أولاً بـأن (تلطخه بزبل يخـــــــــــــرج من الإنســـــــــــــان)، ثم لما استغاث حزقيال ، نسخ هذا الحكم قبل العمـل، فقـال: (أعطيك زبل البقر عوض رجيع النـاس) » [2].

ثانياً: نسخ الإنجيل بعض أحكام شريعة التوراة:

الواقع أن أحكام التـوراة وتشـريعاتها انمحت في الإنجيـل، وخاصة في رسائل بولس كحرمة الخـنزير، والسـبت، ووجـوب الختــان، وغيرها من أحكــام التـــوراة ومحرماتها الـــتي أباحها بولس، بحيث لم يبق إلا حرمة الدم، والمخنوق، وذبيحة الصنم، والزنا وذلك حتى لا ينفر اتباع ملته الجديدة .

ثم لما رأى هذه الرعاية ليست بضرورية نسخ حرمة الدم، والمخنوق، وذبيحة الصنم بفتوى الإباحة العامة في رسالته إلى أهل رومية « من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس » [3].

وفي رسالته إلى تيطس « كل شـيء طـاهر للطـاهرين » [4].

---

1 (?) ترجمة عربية ســنة (1844م)، نقلاً عن إظهــار الحــق: (3/670) .

2 (?) إظهار الحق: (3/670) .

3 (?) (14/14) .

4 (?) (1/15) .

وفي رسـالته الأولى إلى تيموثـاوس، حـذره من أقـوام وصـفهم بقولـه: « وآمـرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشـكر من المؤمـنين وعـار في الحـق، لأن كل خليقة الله جيده، ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر » [1].

ولا عجب في هذه الفتاوى، لأنه كان جاهداً في إفساد دين المسيح فجاءت شريعة بـولس ناسـخة لجميع أحكـام التـوراة العملية أبدية أو غير أبدية .

وهو إن لم يصـرح بحرمة الزنا لكنه في حكم المنسـوخ، لأنه لاحد فيه ولاعقوبة على مرتكبـه، وبـذا أصـبحت أحكـام التـوراة من الحلال والحـرام والفـرائض كلها منسـوخة، وعلى هذا جمهور النصارى، لأنهم يعتقدون أن ماشرعه رؤسـاء دينهم صار شرعاً شرعه المسيح في السماء وألـزمهم حكمـه، لـذلك لاتنضـبط لهم شـريعة على مـدى الأزمـان، لقبـولهمماينسـخه رؤسـاؤهم بالتحليل أو التحـريم أو تـأليف الاعتقـادات حسب أهـوائهم كما قـال الله تعـالى: [التوبة: 31] [2].

ثالثاً: نسخ الإنجيل بعضه بعضاً:

كما ثبت نسخ أحكـام التـوراة والإنجيـل، أثبت الشيخ رحمه الله كـذلك نسخ الإنجيل بعضه بعضاً.

ومن ذلك ماجاء في إنجيل متى: « (5) هؤلاء الأثـني عشر

---

1 (?) (4/3-4) .

2 (?) انظـر: إظهـار الحـق: (3/654-661)، وشـيخ الإسـلام ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (3/438)، واقتضـاء الصراط المستقيم: (1/533)، ت: ناصر عبد الكريم العقل، ط6، (1419هـ)، (1998م) ، دار العاصمة- الرياض.

أرسلهم يسـوع وأوصـاهم قـائلاً: إلى طريق أمم لاتمضـوا وإلى مدينة للسامريين لاتـدخلوا (6) بل أذهبـوا بـالحري إلى خـراف بيت إسرائيل الضالة »[1].

وفي الباب الخامس عشر من إنجيل متى قول المسـيح : « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[2].

فعلى وفق هـذه الفقـرات؛ كـان عيسى يخصص رسـالته ببني إسرائيل .

وفي إنجيل مرقس البـاب السـادس عشـر: « إذهبـوا إلى العـالم أجمع واكـرزوا بالإنجيل للخليقة كلها »[3] فـالحكم الأول منسوخ بهذا الحكم[4].

وقد احتج الشيخ رحمه الله بهــذا الــدليل على ثبــوت النسخ في كلام المســيح في محفل المنــاظرة الكــبرى، وما كــان جــواب فنــدر إلا أن قــال: « إن المســيح نفسه نسخ الحكم الأول »[5] فأجاب الشيخ رحمه الله قائلاً: « قد ثبت هذا القدر أن النسخ في كلام المســيح ، جــائز وأنه نسخ هو بنفســـه، وإذا ثبت قدرته على النسخ، فأبوه[6] أقدر؛ لأنه أعظم منه على اعترافه، في الفقرة الثامنة والعشرين من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا قــول عيسى هكذا: « إن أبي أعظم مني »

وأهل الإسلام يقولـون إن أبا المســيح الـذي هو أعظم منه

---

1 (?) (10/5-6) .

2 (?) (15/24)

3 (?) (16/15).

4 (?) إظهار الحق: (3/674-675) .

5 (?) المناظرة الكبرى: (221) .

6 (?) كما يزعم النصارى، وهو من قبيل الإلزام فقط .

بشهادته، نسخ أحكام الإنجيل بـالقرآن، ولا يقولـون إن محمد نسخها بنفسه .. .. »[1]

6- إبطال الشيخ رحمه الله لشبه النصارى في عدم جواز النسخ:

يعتمد النصـارى في إبطـال النسخ على أدلة نقلية وأخـرى عقليـــة، ســوغوها لأنفســهم واعتمــدوها دليلاً يمنع النسخ في كتــابهم المقــدس، متجــاهلين مــاطرأ على التــوراة من نسخ لأحكامه، ومافعله بولس من محو لشريعة عيسى .

وفيما يلي بيان لتلك الشبه وإبطال الشيخ رحمه الله لها:

الشبهة الأولى:

يتمسك المنصـــــرون بفقـــــرات أربع من كتبهم تمنع في زعمهم النسخ وهي:

الأولى: « الســماء والأرض تــزولان ولكن كلامي لايــزول »[2] .

الثانية: « فإني الحق: أقـول لكم إلى أن لاتـزول السـماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حــتى يكمل الكل »[3] .

الثالثة: « مولــودين ثانية لامن زرع يفــنى بل ممــالايفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد »[4].

الرابعة: « ييبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة إلهنا فتثبت

---

1 (?) المناظرة الكبرى: ص(221-222) .

2 (?) إنجيل لوقا: (21/33) .

3 (?) إنجيل متى: (5/18) .

4 (?) الرسالة الأولى لبطرس: (1/23) .

إلى الأبد »[1][2] .

أجاب الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة قائلاً:

« لايصح للنصارى التمسك بالفقرة الثانية والرابعة على أن حكماً من أحكام التوراة لاينسخ، لأن أحكامها العملية كلها صارت منسوخة في الشريعة العيسوية[3]، ولأن المراد بالناموس في قول المسيح الأحكام العشرة[4] فقط ......

ولا بالأولى والثالثة على أن حكماً من أحكام الإنجيل لاينسخ، لأن النسخ قد وقع في أحكامه ...

فالصحيح أن الإضافة في لفظ (كلامي) الواقع في الفقرة الأولى للعهد، والمراد به الكلام الذي أخبر فيه عن الحوادث الآتية على مختار مفسريهم...

وليست هذه الإضافة للاستغراق ليفيد أن كل كلام صدر عني يبقى إلى الأبد، سواء كان حكماً أو غيره، وأنه لايصح أن

---

1 (?) سفر أشعيا: (40/8) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (1/34)، والمناظرة الكبرى: ص(210-126) .

3 (?) أي إلزاماً حسبما في كتب النصارى وإلا فإن المسيح لم ينسخ شريعة التوراة وهو بنفسه يقر بذلك كما في إنجيل متى: (5/17):ـ « ألا لاتزعموني قد جئت لنسخ الناموس ورسائل الرسل فإني لم آت للنسخ بل للتكميل » وهذا في مطبعة لندن بالعربية سنة (1825م) وطبعة كلكتا بالعربية سنة (1826م)، إما في طبعة لندن بالعربية سنة (1823م) وسنة (1844م) وفي طبعة بيروت بالعربية سنة (1882م): « لاتظنوا أني جئت لا نقض الناموس ... »، وفي طبعة بيروت بالعربية سنة (1865م) وسائر الطبعات الحديثة: « لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس ... » وإنما جاء رحمة وتخفيفاً عنهم بعض الأحكام السابقة .

4 (?) انظر: هامش (4) ص(287) من البحث.

ينسخ حكم من أحكـامي، وإلا لـزم كـذب إنجيلهم في الأحكـام المنسوخة، على أن عدم الزوال في الفقـرة الثانية كـان مقيـدً بقيد الكمال (حتى يكمل الكل) وقد حصل كمال أحكـام التـوراة في الشــريعة العيســوية على زعم القســيس النبيل[1]، فلا مــانع للزوال بعده.

ولفظ (إلى الأبــد) في الفقــرة الثالثة محــرف إلحــاقي لاوجــــــــود له في أقــــــــدم النسخ وأصــــــــحها، ولــذلك كتب قوســان في جانبه هكـذا (إلى الأبد) في النســخة العربية المطبوعة ســـنة (1860م) في بـــيروت، وقد قـــال طابعوها ومصـــحوها في التنبيه الـــذي أوردوه في الديباجة هكذا: (والهلالان يـدلان على أن الكلمـات الـتي بينهما ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها) .

وقول بطرس الحواري: (كلمة الله الحية الباقية إلى الأبد) كقــول أشــعيا: (كلمة ربنا تــدوم إلى الأبد)، فكما لايفيد قــول أشعيا عـدم نسخ حكم التـوراة، فكـذلك لايفيد قـول بطـرس عدم نسخ حكم الإنجيل، والتأويل الذي يجري في قـول أشـعيا، فهو بعينه يجري في قول بطرس »[2].

الشبهة الثانية:

نقل الشيخ رحمه الله هذه الشبهة عن كتاب (ميزان الحق) لفندر في محفل المنــاظرة الكــبرى حيث ادعى فنــدر: « أن ادعــاء نسخ الإنجيل وكتب العهد العتيق بظهـور القـرآن الكـريم باطل من وجهين:

الوجه الأول: يلزم من قبول النسخ أمران:

---

1 (?) يعني فندر .

2 (?) إظهار الحق: (1/35-36) بتصرف يسير .

الأمر الأول: أن الله أراد أن يفعل أمــراً حســناً بإعطــاء التــوراة، لكنه لم يتيسر فـأعطى أفضل منها وهو الزبــور، ولما لم يحصل من مرامه أيضــــاً نســــخه وأعطى الإنجيــــل، ولما صــارحاله أيضــاً مثل ماســبق، ولم يحصل منه فائــدة، حصل مرامه عاقبة الأمر من القرآن.

وإن جــوز هــذا الأمر -والعيــاذ باللــه- تبطل حكمة الله وقدرته ويكــون الله مثل الســلطان الإنســاني، ضـعيف العقل عـديم الفهم، وهـذا يمكن في الـذات الإنسـانية الناقصـة، لافي ذات الله الكاملـة.

الأمر الثاني: لو كان القول الأول (عدم حصول مرام الله إلا من القرآن) غير ممكن، لزم من قانون النسخ هـذا التصـور: أن الله أراد عمداً بالنظر إلى مصلحته وإرادته أن يعطي شــيئاً ناقصاً غـير موصل إلى المطلــوب، لكنه كيف يمكن أن يتصــور أحد مثل هذه التصورات الناقصة الباطلة في ذات الله القديمة الكاملة الصفات »[1] .

أجاب الشيخ رحمه الله:

« هــذان الأمــران لايلزمــان على المســلمين، نظــراً إلى معــــنى النسخ المصــــطلح عليه فيما بينهم، نعم يلــــزم على النصارى وعلى مقدسكم بــولس، لأنه قـال في الفقــرة الثامنة عشـرة من البــاب الســابع من الرســالة العبرانية هكـذا: (فإنه يصير إبطال الوصية السابقة (التـوراة) من أجل ضـعفها وعـدم نفعها) .

ثم قال في الباب الثامن من الرسالة المذكورة هكــذا: ((7) فإنه لو كـان ذلك الأول (التـوراة) بلا عيب، لما طلب موضع

[1] (?) الفصل الثــاني من البــاب الأول من كتــاب مــيزان الحق لفندر، نقلاً عن: المناظرة الكبرى: ص(222-223) .

لثــان (أي الإنجيــل) (13) فــإذا قــال جديــداً عتق الأول، وأما ماعتق فهو قريب من الاضمحلال) .

فأطلق مقدسـكم بـولس على التـوراة: أنه ضـعيف عـديم النفع، ومعيب وقريب من الاضمحلال » [1].

الشبهة الثالثة:

(أن الإنجيل نسخ من التـــوراة أحكامـــاً كـــانت أظلالاً [2] للمسيح، وكان نسخها مناسباً لأن المسيح كملها) [3] .

وتفصيل هذه الشبهة ماورد في مـيزان الحق لفنـدر، حيث قسم وصــايا التــوراة إلى أدبية وطقســية، فالأدبية هي الــتي لاتنسخ مثل الأمر بعدم الزنا والسرقة والقتل، والطقسـية مثل الأمر بالختـان و الـذبائح والتكـاليف فجـائز نسـخها لأنها خاصة ببني إسرائيل ونفوذها وقتي لأن القصد منها:

أولاً: عـزل بـني إسـرائيل عن الأمم الوثنية عزلة تامة إلى أن يجيء المسيح .

ثانياً: تعليم بني إسرائيل العبـادات الظاهرية الـتي لاتكـون مقصودة لذاتها رغم كونها وحياً من الله، لأنها لاتـروي النفـوس المتعطشـــة، وهي عنـــده رمز للحقـــائق الروحية المقصـــودة

---

1 (?) المناظرة الكبرى: ص(223-224) .

2 (?) أظلالاً بمعـنى رمـوز ظاهرية للحقـائق الروحية الباطنيـة، فمثلاً أمر اليهـود بالـذبح يرمز إلى الإيمـان بـذبح المسـيح، والأمر بالختان يرمز إلى ختان القلوب عن الشهوات .

انظـر: مـيزان الحـق: ط1، ص(3) نقلاً عن هـامش المنـاظرة الكبرى: (225) .

3 (?) المناظرة الكبرى: ص(225) .

لذاتها[1].

يقول فندر: « ومن ثم نقول إن أحكام هذا القسم وهي كما قلنا آنفاً أحكام العهد القديم الظاهرية التي لم تكن مفروضة إلا على شعب اليهود ... فقد بدلت في العهد الجديد محولة إلى أحكام روحية باطنية ... وتجلت منكشفة نفس الأمور الملمح عنها في التوراة على سبيل الرمز والإشارة ... لكننا نعلم أن الخطية لاتغفر بتضحية الحيوانات، ولم يكن المقصود بتقديم الذبائح إلا الإشارة إلى أن المسيح كان عتيداً أن يصير قرباناً كفارة عن الخطية »[2] .

أجاب الشيخ رحمه الله:

« ما ادعى مقدسهم بولس من كون الأشياء المذكورة أظلالاً لايناسب عبارة التوراة، لأن الله بين علة حرمة الحيوانات بأنها: (نجسه فلابد أن تكونوا مقدسين لأني قدوس)، كما هو مصرح به في الباب الحادي عشر من سفر الأحبار وبين علة الفطير: (من أجل أني في هذا اليوم أخرج جيوشكم من أرض مصر وتحفظون هذا اليوم إلى أجيالكم سنة إلى الدهر) كما هو مصرح به في الباب الثاني عشر من سفر الخروج، وبيّن علة عيد الخيام هكذا: (لتعلم أجيالكم أني أجلست بني إسرائيل في المظال إذ أخرجتهم من أرض مصر) كما هو مصرح في الباب الثالث والعشرين من سفر الأحبار وبين في مواضع متعددة علة تعظيم السبت: (بأن الرب خلق

---

1 (?) انظر: ميزان الحق: ص(73)، ط1، (1/73-83)، ط3، نقلاً عن المناظرة الكبرى: (225) .

2 (?) فندر: ميزان الحق: ص(22)، ط2 نقلاً عن المناظرة الكبرى: (226)، وانظر: عبد الرحمن الجزيري: أدلة اليقين: ص(127-133).

السماء والأرض في ستة أيـام واسـتراح في اليـوم السـابع من عمله) » [1] .

ومع ذلك فلابد أن يقــروا بالنسخ لأنه لو سـلمنا جــدلاً أن أحكـام التـوراة كملت لمجيء المسـيح فتحـولت إلى عبـادات روحية ونســـخت الظاهريـــة، فكيف يقولـــون في الأحكـــام المنسوخة قبل مجيء المسيح ؟ .

وقبل إنهـاء هـذا المبحث، كـان لي هـذا التعقيب لتقرير ما سبق من حديث الشيخ رحمه الله عن النسـخ.

فقد أثبت القرآن الكريم وقوع النسخ في عديد من الآيات منها:

قوله تعالى: [illegible] [البقرة: 106].

وقوله تعالى: [illegible] [الرعد: 39].

وقال تعالى: [illegible] [النحل: 101].

فدلالة الآيات السـابقة واضـحة في وقـوع النسخ في كلام الله تعالى.

وقـال تعـالى: [illegible] [النساء: 160].

وقال تعالى: [illegible] [الأنعام: 146].

وقال تعالى: [illegible]

---

[1] (?) إظهار الحق: (3/658) .

[illegible] [آل عمران: 93].

فالآيــات دالة على تحــريم كثــير من الطعــام على بــني إسرائيل بعد حله، مما يؤكد وقوع النسخ في أحكام التوراة.

وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية ~ إلى إلزام اليهـود بوقـوع النسخ، لإبطال جحدهم لنبوة سـيدنا محمد [illegible] بما وقف عليه في القــرآن الكــريم، مما أخــبر عنه سـبحانه وتعـالى عن التــوراة بتحـريم الحلال حيث أحل سـبحانه أشـياء لإسـرائيل ثم حرمها في التوراة فقـال: « ثم إنه سـبحانه بين وقـوع النسخ بتحـريم الحلال في التــوراة، بأنه حل لإســرائيل أشــياء ثم حرمها في التــوراة، وأن هــذا كــان تحليلاً شــرعياً بخطــاب لم يكونــوا استباحوه بمجرد البقاء على الأصل، حتى لا يكون رفعه نسـخاً، كما يدعيه قوم منهم، وأمر بطلب التوراة في ذلك.

وهكذا وجدناه فيها، كما حـدثنا بـذلك مسـلمة أهل الكتـاب ... »[1].

وهذا الذي أشار إليه شـيخ الإسـلام ~ صـرح به الله [illegible] في القــــــــــــرآن الكــــــــــــريم في قوله تعالى: [illegible] [آل عمران: 93-95].

فأكذبهم سبحانه في نص القرآن السابق وطـالبهم بإثبـات ذلك من التوراة فلم يقدروا عليه لعدم وجوده فلزمهم به وقوع النسخ بتوراتهم، لما كان في شريعة إسرائيل [illegible] مباحاً ثم حــرم في شريعته.

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (4/113).

ولا يلـزم هـذا نسخ شـريعته [illegible] بـأي شـريعة أخـرى، لـورود النص بتأبيـدها، لقوله تعـالى:

[illegible] [المائدة: 3].

ففيه تأكيد بكمالها وصلاحيتها لكل زمان ومكان وحال.

ومصداق هذا القول واقع هذا الزمـان، بعد نـزول شـريعته بأربعة عشر قرناً وحتى قيـام السـاعة، فما يكشـفه العلم، وما تثبته التجارب يوما بعد يوم؛ مما يشهد بأخباره وأنباء أصـله في القرآن الكريم لأكبر برهان على إعجـازه وكماله وصـلاحيته بما لا يدع مجالاً للشك في ذلك.



المبحث الثاني: نفي التحريف عن القرآن الكريم

حاول المنصرون إثارة شبهات حول القرآن الكـريم، أرادوا بها إثبات أن القـرآن جعلي من عند الرسـول محمد ﷺ، فخصص الشيخ رحمه الله الفصل الثاني من البـاب الخـامس من كتابه (إظهـار الحق) لمناقشة تلك الشبه الـتي يوردونها ضد القـرآن الكـريم، فذكر خمساً من هذه الشبه ورد عليها رداً قوياً مفحماً .

وكثيراً ما كان المنصرون يحـاولون قيـاس كتبهم المحرفة بالقرآن الكريم، فلم يحالفهم الصواب في هذا القياس الباطل، يقول الشيخ رحمه الله:

« قياس هذه الكتب على القرآن المجيد قياس مع الفارق؛ لأن هذه الكتب قبل إيجـاد صـنعة الطبع كـانت قابلة للتحريـف، وما كان اشتهارها بحيث يكـون مانعـاً عن التحريف .. .. بخلاف القـرآن المجيـد؛ فـإن اشـتهاره وتـواتره كانا في كل قـرن من القرون مانعين عن التحريف، والقـرآن في كل طبقة كما كـان محفوظاً في الصـحائف فكـذا كـان محفوظـاً في صـدور أكـثر المسلمين »[1]

فهـذه المزية الـتي اختص بها القـرآن الكـريم جعلت من ضياعه وتحريفه أمراً مستحيلاً .

والقــرآن الكــريم لم يكن حادثة وقعت ثم زالت من غــير بقــاء لها إلا بخــبر « بل كــانت قائمة تخــاطب الأجيــال، يراها ويقرؤها الناس في كل عصر، ونقول أنها مناسبة لرسالة النبي محمد ﷺ لعمومها في الأجيــال، ولمكانته بين الرســل، ومقامه

---

1 (?) إظهار الحق: (2/596-597)، وانظر: (3/915-916) .

في هذا الوجود الإنساني إلى يوم القيامة.

إن معجـزات الأنبيـاء السـابقين لا يعلم وقوعها على وجه اليقين إلا من القرآن ... ولو لا أنه سجلها ما علمها الناس، وإذا كـانت بعض الكتب القائمة اليـوم ذكـرت بعضـها فقد ذكرته مشوباً بأمور غـير صـادقة؛ كإخبـارهم بـأن لوطا كـان مخمـوراً فوقع على ابنتيه... فوجب أن تكون معجزته - - مناسـبة لهـذه الرسالة الخالدة الباقية »[1].

وفيما يلي بيـان شـبه المنصـرين حـول القـرآن الكـريم، وإبطال الشيخ رحمه الله لها.

---

[1] (?) الإمام محمد أبو زهرة: المعجـزة الكـبرى القـرآن، ص(14-15)، دار الفكر العربي- القاهرة.

المطلب الأول: إبطال شبهة: عدم التسليم بأن عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة:

يقول المنصرون:

« لا نسلم بأن عبارة القرآن في الدرجة القصوى من البلاغة الخارجة عن العادة، ولو سلمنا ذلك فهو يكون دليلاً ناقصاً على الإعجاز؛ لأنه لا يظهر إلا لمن كان له معرفة تامة بلسان العرب، ويلزم أن تكون جميع الكتب التي توجد في الألسن الأخرى مثل اليوناني واللاتيني وغيرهما في الدرجة العالية من البلاغة كلام الله، على أنه يمكن أن تؤدي المطالب والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى »[1].

قسّم الشيخ رحمه الله هذه الشبهة إلى أقسام ثلاثة:

1-عدم التسليم بكون القرآن في الدرجة العليا من البلاغة، ومع التسليم يكون دليلاً ناقصاً على الإعجاز لظهوره للمتخصصين فقط، والعارفين باللسان العربي دون غيرهم .

2-أن الكتب التي توجد في الألسن الأخرى كاللاتيني واليوناني إذا كانت بليغة فيلزم كونها من كلام الله .

3-أنه يمكن أن تؤدي المطالب الباطلة، والمضامين القبيحة بألفاظ فصيحة وعبارات بليغة في الدرجة القصوى .

وفصّل الشيخ رحمه الله كل قِسْم بما يبطله من الردود على النحو التالي:

---

1 (?) إظهار الحق: (3/829) .

(1)أما عــدم تســليم كــون القــرآن في الدرجة العليا من البلاغة، ومع التسليم يكون دليلاً ناقصاً على الإعجـاز، لظهـوره للمتخصصين فقط والعارفين باللسان العـربي دون غـيره، فقد أجــاب عنه الشيخ رحمه الله بــأن هــذا مكــابرة محضــة؛ لأنه يمكن الاستدلال على أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة بعشـرة وجوه[1]:

أولها: أن فصاحة العرب أكثرها في وصف ما يشـاهدونه، كوصف فـــــرس أو ملك أو طعنة أو غـــــارة، ومثلهم العجم، واللاحق منهم يستفيد من تدقيقات السابق ويتابعه في أغراض الكلام وفنونه من غـزل ورثـاء ومـدح وهجـاء وغـيره، وقد يظهر منه مضـمون جديـد. بينما فصـاحة القـرآن ليست في بيـان خصوص هذه الأشياء، ومضامينه ليست مما اتفق عليه العرب، بل هو على غير ما جرت عليه عادتهم .[2]

ثانيها: أن فصـــاحة العـــرب في شـــتى الأغــــراض والموضوعات لم تخل من الكـذب، حـتى قـالوا: أحسن الشـعر أكذبه، أما القرآن الكريم فجاء فصـيحاً مع التـنزه عن الكـذب، والتزامه غاية الدقة والصدق في جميعه .[3]

ثالثها: أن الشاعر قد ينسب للفصاحة لـبيت أو بيـتين في قصـيدة لـه، وباقيها لا يكـون كـذلك، أما القـرآن فكله في غاية الفصـــــاحة، والمتأمل في قصة يوسف يعلم انها مع طولها جاءت في الدرجة العليا من البلاغة .[4]

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (3/829) .

2 (?) انظر: إظهار الحق: (3/775-776) .

3 (?) انظر: المرجع السابق: (3/776) .

4 (?) انظر: المرجع السابق: (3/776-777) .

رابعها: أن تكرار المضـمون في قصة أو قصـيدة لا يجعل الكلام الثـاني مثل الأول، بينما جـاء تكـرار المضـامين القرآنية في غاية الفصـاحة، ودون ظهـور تفـاوت بينهـا. كما في قصص الأنبياء، وأحوال المبدأ والمعـاد والصـفات الإلهية والأحكـام، مع اختلاف العبارات إيجازاً وإطناباً وغيبة وخطاباً .[1]

خامسها: أن الأوامر والنـواهي ومسـائل العقيـدة والفقه جاءت في القرآن الكريم بعبـارات بليغة وكلام فصـيح، رغم أن الحديث في مثل هذه الأمور يوجب تقليل الفصاحة، والشـعراء والبلغاء عـاجزون عن إيـراد مثل هـذه المسـائل بنفس الدرجة من البلاغة التي في سائر الفنون .[2]

سادسـها: أن الشـاعر قد يحسن كلامه في فن ويضـعف في غيره، أما القـرآن الكـريم فقد جـاء في غاية الفصـاحة في جميع الفنون ترغيباً، وترهيباً، وزجراً، ووعظاً، وأمراً ونهياً وغـير ذلك .[3]

سـابعها: أن الانتقـال من مضـمون إلى آخـر، ومن قصة إلى أخـرى، واشـتمال الكلام على بيـان أشـياء مختلفـة، يضـيع حسن الربط بين أجــزاء الكلام ويســقطه عن درجة البلاغــة. والقرآن الكريم فيه الانتقال من قصة إلى أخرى ومن مضمون إلى غــــيره، مع اشــــتماله على الأمر والنهي والوعد والوعيد وتوحيد الله وإثبــات النبــوات والــترغيب والــترهيب، وضــرب الأمثال، ولكن جـاء مع كمـال الربط وفي غاية البلاغة الـتي لم

1 (?) انظر: المرجع السابق: (3/777) .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/777) .

3 (?) انظر: إظهار الحق: (3/777-780) .

يألفها العرب حتى حارت فيه عقولهم .[1]

ثامنها: أن القرآن الكريم يأتي باللفظ اليسـير المتضـمن للمعـنى الكثـير، ففي أوائل سـورة (ص) نجد في آيـات قليلة كلاما عن عنـاد الكفـار وتقـريعهم بـإهلاك القـرون من قبلهم، وبيان سبب تكذيبهم لمحمد ، وتهديد قريش وسـائر المكـذبين بخزي الدنيا والآخـرة، وحث الرسـول على الصـبر على أذاهم مذكراً إياه بقصص الأنبياء من قبله .[2]

تاسـعها: أن الجزالة والعذوبة بمنزلة الصـفتين المتضادتين، وإجتماعهما على ما ينبغي في كل جزء من أجـزاء الكلام الطويل خلاف العـادة المعتـادة للبلغـاء، فإجتماعهما في كل موضع من مواضع القـرآن كله دليل على كمـال بلاغته فصاحته الخارجتين عن العادة .[3]

عاشرها: اشـتمال القـرآن على ضـروب البلاغة جميعهـا، من أنواع التأكيد وأنـواع التشـبيه والاسـتعارة، وحسن المطـالع والمقـاطع والفواصـل، والتقـديم والتـأخير، والوصل والفصل اللائق بالمقام، مع خلوه عن الكلام الركيك والشاذ والنـافر عن الاستعمال، ولو رام أبلغ البلغاء جمع ذلك في كلامه لم يتأت له ذلك إلا في نـوع أو نـوعين مع وضـوح التقصـير فيهـا، والقـرآن محتوٍ عليها كلها .[4]

وبهذا يثبت فصاحة القرآن الكريم وبشهادة زعمـاء العـرب وقادة المشركين على فصاحة هـذا القـرآن وانه ليس من كلام

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: (3/780) .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/780-785) .

3 (?) انظر: المرجع السابق: (3/785).

4 (?) انظر: المرجع السابق: (3/785) .

البشر، مع اعترافهم كذلك بالعجز عن المعارضة .[1]

ولما ثبت عجز العرب عن معارضة القرآن، وشاع هـذا بين أهل اللسان كلهم - رغم مهارتهم وإحـاطتهم بأسـاليب الكلام - ظهر أنه معجز بلاغيـاً، والاعـتراف بـالعجز دليل كامل عكس ما توهموا نقصانه، يقول الشيخ رحمه الله:

« هذه المعجزة لما كانت لتعجـيز البلغـاء والفصـحاء، وقد ثبت عجزهم ولم يعارضوا، واعترفوا بهـا، وعرفها أهل اللسـان بسـليقتهم، وغـيرهم من العلمـاء بمهـارتهم في فن البيـان، وإحاطتهم بأساليب الكلام، وعرفها العـوام من الفـرق بشـهادة ألوف ألوف من أهل اللسان والعلماء، فظهر أنها معجزة يقيناً، ودليل كامل لا ناقص كما زعمـوا، وصـارت سـبباً من الأسـباب الكثيرة التي يعلم بها أن القرآن كلام الله »[2]

ثم لفت انظـار هـؤلاء المنصـرين إلى أن أهل الإسـلام لا يدّعون « أن سبب كون القرآن كلام الله مخصر في كونه بليغاً فقـط، وكـذا لا يـدعون أن معجـزة النـبي ﷺ منحصـرة في بلاغة القـرآن فقـط، بل يـدّعون أن هـذه البلاغة سـبب من الأسـباب الكثيرة لكون القرآن كلام الله، وأن القرآن بهذا الاعتبـار أيضـاً معجزة من المعجزات الكثيرة للنبي ﷺ »[3]

(2)وأما الـزعم أن الكتب الـتي توجد في الألسن الأخـرى كاللاتيني واليوناني إذا كانت بليغة فيلزم كونها من كلام الله .

فقد رد الشيخ رحمه الله بأن هذا القـول « غـير مسـلم؛ لأن هـذه الكتب لم تثبت بلاغتها في الدرجة القصـوى باعتبـار الوجـوه

---

[1] (?) انظر: إظهار الحق: (3/789-798) .

[2] (?) المرجع السابق: (3/829) .

[3] (?) المرجع السابق: (3/830) .

العشرة التي مر ذكرها، كما أن مؤلفيها لم يزعموا إعجازها ولا ادعوا عجز فصحاء هـذه الألسن عن معارضـتها، وإن ادعى أحد إعجازها فعليه إثبات ذلك بمثل الوجوه المذكورة أو بعضها، وإلا فادعاؤه باطل »[1]

ثم طعن الشيخ رحمه الله فيمن احتج علينا بشـــــــــهادة بعض النصــــــــــــــارى في حق هـــــــــــــذه الكتب « بأنها في تلك الألسن مثل القــرآن في اللســان العــربي، أي في الدرجة العليا من البلاغة لأن هـــؤلاء النصــارى لا يمــيزون غالباً في لسان غيرهم بين المذكر والمؤنث، والمفرد والجمـع، والمرفـوع والمنصـوب والمجـرور، فكيف نقبل حكمهم بتميـيز الأبلغ من البليغ ؟!

وعدم تميزهم هذا غـير مختص باللسـان العـربي، بل وفي اللسان العـبراني واللاتيـني واليونـاني وغيرهـا، ومن المطـاعن التي يأخذها بعضهم على بعض؛ أنهم إذا عرفوا ألفاظاً معـدودة من لسان غيرهم ظنوا أنهم تبحروا في المعرفة، وأنهم صــاروا من أهل ذلك اللسان »[2]

(3) وأما قـــولهم إنه يمكن أن تـــؤدي المطـــالب الباطلة والمضــــامين القبيحة بألفـــــاظ وعبـــــارات بليغة في الدرجة القصوى، فقد بين الشيخ أنه لا وجه له ألبته و « لا ورود له في حق القرآن الكريم؛ لأنه من أوله إلى آخره مملـوء بالمطـالب العاليـــة، وليس فيه مما يزعمــون مطلب واحــد، ولا تخلو آية واحدة في القرآن الكريم عن ذكر مطلب عالٍ حسن، مثل ذكر توحيد الله وصفاته وأسمائه وتنزهه عن الشريك والنقــائص، أو مثل ذكر الأنبياء وتنزههم عن عبادة الأوثـان وسـائر المعاصـي،

---

1 (?) المرجع السابق: (3/831) .

2 (?) إظهار الحق: (3/831). بتصرف يسير .

ومدح المؤمنين بهم وذم منكـريهم وطلب الإيمـان بهم جميعـاً، أو مثل ذكر الإيمـان والكفـر، والجنة والنـار، والقيامـةوالجزاء، وذم الـدنيا ومـدح الآخـرة، وبيـان الحلال والحـرام، وسـائر الفـرائض والشـرائع، ومحبة الله وأوليائـه، وبغض الكفـرة والفسـقة والنهي عن مصـاحبتهم، والتأكيد على إخلاص النية لله، والنهي عن الرياء والأخلاق الذميمة » [1].

ثم تحـدث الشيخ رحمه الله عن خلو القـرآن الكـريم عن المضامين القبيحة كالتي تعج بها الكتب المقدسة عند النصارى في حق الأنبياء عليهم السلام أو في حق الله تعالى . [2]

وقد علق الشيخ رحمه الله بعد ذكر كثـير من المضـامين القبيحة والفواحش المنسوبة للأنبياء في كتب العهدين فقال:

« ولعل هـذه المضـامين العالية[3] الـتي نقلتها وأمثالها لو وجدوها في القـرآن لاعـترفوا بأنه كلام الله وقبلـوه، لكنهم لما وجدوه خالياً عنها وعن أمثالها؛ فكيف يعترفون ويقبلون ؟! لأن المضـامين الحسـنة المألوفة عنـدهم هي هـذه المضـامين وأمثالها، لا المضامين التي ذكرت في القرآن الكريم »[4] .

وبهذا تبطل شـبهة عـدم التسـليم بـأن عبـارة القـرآن في الدرجة القصوى من البلاغة.

---

1 (?) المرجع السابق: (3/833-835). باختصار .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/835-849) .

3 (?) قوله: (العالية) على سبيل التهكم .

4 (?) إظهار الحق: (3/849) .

المطلب الثاني: إبطال شبهة: مخالفة القرآن لكتب العهدين ويستلزم كونه ليس من كلام الله تعالى:

يــدعي النصــارى أن مخالفة القــرآن لكتب العهــدين في مواضع كثيرة تجعلهم يجزمون أنه ليس من كلام الله تعالى .

وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هذه الشبهة بجوابين:

الأول: « أن كتب العهدين لم تثبت أسـانيدها المتصـلة إلى مصــنفيها، وثبت تحريفها واختلافها اختلافــاً معنويــاً في مواضع كثيرة، وأن فيها أغلاطاً سهوية، وقصدية لا تحصى، وبذلك يثبت كونها غــير إلهاميــة، ومخالفة القــرآن لها لا تعيبــه، بل يقطع بصحته وخطئها. »[1]

الثاني: قسم الشيخ رحمه الله المخالفة التي بين القـرآن الكـريم وبين كتب العهــدين والــتي يركز عليها المنصــرون إلى ثلاثة أنواع:

أ) باعتبار الأحكام المنسوخة:

وفيه بين الشيخ رحمه الله ما ســــــبق إثباته من « أن النسخ لا يختص بــالقرآن، بل وجد في الشــرائع الســابقة وأن الشــريعة العيسوية نسخت جميع أحكام التوراة إلا الأحكام العشـرة، وقد وقع فيها التكميل أيضــاً على زعمهم، والتكميل نــوع من أنــواع النسخ، فصارت هذه الأحكام أيضاً منسوخة بهذا الوجــه، فليس من شــأن النصــراني العاقل بعد ذلك أن يطعن على القــرآن

---

1 (?) إظهار الحق: (3/850). بتصرف يسير .

الكريم باعتبار هذا النوع »[1].

ب) باعتبار بعض الحالات المـذكورة في القـرآن الكريم دون ذكرها في كتب العهدين:

وقد رد الشيخ رحمه الله :بأن هذه المخالفة لا تنفي كون القــرآن الكـريم من كلام اللـه، وذكر ثلاثة عشر شـاهداً من كتب العهد الجديــــــد، وجُد في كل واحد منها ما لم يوجد في كتب العهد القديم، ولم يستلزم انفراد هـذا الكتـاب المتـأخر بـذكرها كونه معيباً في نظرهم[2].

ثم قـال ~:

« فثبت أنَّ انفراد الكتاب المتأخر بذكر بعض الأحوال التي لم تــذكر في الكتب المتقدمة لا يلــزم منه تكــذيب الكتـــاب المتأخر، وإلا لزم كـون الإنجيل كاذبـاً، لاشـتماله على كثـير من الحالات التي لم تذكر في كتب العهد العـتيق، وثبت أن الكتـاب المتقــدم لا يلــزم اشــتماله على كل الحــالات المــذكورة في الكتاب المتأخر » [3].

ج) باعتبــار مخالفة القــرآن كتب العهــدين في بيان بعض الحالات:

وقد رد الشيخ رحمه الله بأن هـذه المخالفة لا مطعن فيها كـذلك؛ لوجـود مثل هـذه الاختلافـات بين كتب العهـدين نفسـها مع أنها كتب ديانة واحـــدة، فـــالأولى أن يطعنـــوا على كتبهم قبل أن يطعنوا على القرآن الكريم . [4]

---

1 (?) المرجع السابق: (3/850-851). بتصرف يسير .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/851-855) .

3 (?) إظهار الحق: (3/856) بتصرف يسير .

4 (?) انظر: المرجع السابق: (3/857) .

وقد بين الشيخ رحمه الله أن محققي النصارى المعتبرين لـديهم استخرجوا اختلافـات بين التـوراة السـامرية والعبرانيـة، بل إن بعضهم قد استخرج اختلافات كثيرة جداً فيما بين النسخ الثلاث للتـوراة: العبرانيـة، والسـامرية، واليونانيـة، فلا اعتبـار لقـول الطاعن في القـرآن الكـريم باعتبـار هـذا النـوع الثـالث، كما لا اعتبار للنوعين الأولين[1].

وبهـذا يثبت أن مخالفة القـرآن لكتب العهـدين مسـتلزمة كون القرآن ليس من كلام الله دعوى باطلـة.



---

[1] (?) المرجع السابق: (3/850-851) بتصرف يسير .

المطلب الثالث: إبطال شبهة:
اشتمال القرآن على مضامين غير لائقة :

يوجد في القـرآن الكـريم أن الهداية والضـلال من جـانب الله تعالى، وأن الجنة مشتملة على الأنهار والحور والقصور .

ومثل هذه المضـامين في زعم النصـارى قبيحة تـدل على أن القرآن ليس كـلام الله.

والجواب:

أ) أجـــاب الشيخ رحمه الله عن المضــــمون الأول بأنه وقع في مواضع من كتبهم أيضـــاً أن الهداية والضـــلال من جـــانب الله تعالى، فيلزم عليهم أن يعترفوا أن كتبهم ليست من جانب الله يقيناً، ومن هذه المواضع:

ما في سفر الخروج. « وقال الرب لموسى عنـدما تـذهب لـترجع إلى مصر انظر جميع العجـائب الـتي جعلتها في يـدك واصنعها قدام فرعون. ولكني أشدّد قلبه حتى لا يطلق الشعب »[1].

فظهر أن الله تعـالى كـان قد قسى قلب فرعـون حـتى لا يؤمن ولا يطلق الشعب .

وفي سـفر أشـعيا: « لمـاذا اضـللتنا يا رب عن طرقـك، قسـيت قلوبنا عن مخافتـك. أرجع من أجل عبيـدك أسـباط ميراثك »[2]

---

1 (?) (4/21) .

2 (?) (63/17) .

وفي سـفر حزقيـال: « فـإذا ضل النـبي وتكلم كلاما فأنا الرب قد أضللت ذلك النبي وسأمد يدي عليه وأبيـده من وسط شعبي إسرائيل »[1] .

وقد دعا إشـعيا على بـني إسـرائيل بما يلي: « غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسـمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى » [2].

وتـبين فقـرات سـفر الملـوك الأول أن الله يجلس على كرسـيه، ويعقد محفلاً يشـاور فيه أجنـاد السـماء للإضـلال والإغواء، ثم يرسل روح الضلالة على الناس.[3]

وهذه العبارات كافية لإثبات القدر وكـون الهداية والضـلالة من جانبه تعالى.

وقـــال أحد قساوسة الكاثوليك طاعنـــاً على فرقة البروتسـتانت: « وعـاظهم القـدماء علمـوهم هـذه الأقـوال المكروهة، الأول أن الله موجد العصيان، الثـاني: وأن الإنسـان ليس بمختـار على أن يتجنب الإثم، الثـالث: وأن العمل على الأحكام العشرة غير ممكن »[4] .

فظهر أن قولهم في القرآن مودود، وأنه لامطعن لهم بهذا الخصوص[5] .

ثم قـال الشيخ رحمه الله: « لا يلـزم من خلق الشر أن يكـون

---

1 (?) (14/9) .

2 (?) (6/10) .

3 (?) انظر: (23-22/19) .

4 (?) القسـيس طـامس انكلس: مـرآة الصـدق: ص(33)، ط، (1851م)، نقلاً عن إظهار الحق: (3/884) .

5 (?) انظر: إظهار الحق: (3/885) .

شـــريراً كما لايلـــزم من خلق الســـواد والبيـــاض وغيرهما من الأعراض أن يكون أسود وأبيض .

والحكمة من خلق الشر كما هي في خلق الشيطان الــذي هو أصل الشـــرور ورأس المفاســـد؛ مع علم الله الأزلي بـــأن الشـيطان يصــدر عنه كــذا وكــذا، وكما هي في خلق الشــهوة والحـــرص في طبع الإنســـان مع علمه الأزلي بما يــترتب عليها في كل فرد فرد من أفراد الإنسان، وكما كـان الله قـادراً على أن لايخلق الشـيطان، أو يخلقه ولايعطيه القـدرة على الإغـواء، ويمنعه عن الشـــــــــرور، ومع ذلك خلقه ولم يمنعه عن الشر لحكمة مــا، فكـذلك قـادر على أن لايخلق الشر لكنه في خلقه حكمة ما »[1].

(ب) وأما زعمهم أن القرآن ليس كلام الله لاشـتماله على ذكر الجنة والحـــور وغيرها وأن هـــذا المضـــمون قـــبيح، فقد رد الشيخ على هذه الشبهة بقوله: ليس بصحيح، لأن أهل الإســلام لايقولون -كما يتقول عليهم المنصرون تغليظاً للعوام- إن نعيم الجنة جســـماني فقـــط، بل هو روحـــاني أيضـــاً، فقد ورد في القـــرآن ذكر النعيم الجســـماني والروحـــاني معـــاً، ويحصل كلا النوعين للمؤمنـين:

قال تعالى: [illegible] [التوبة: 72] .

وهـــذا دال على أن النعيم الروحـــاني برضـــوان الله عنهم أعظم من سائر اللذات الجسمانية.

فإن قالوا: إن هذا المضـمون قـبيح في أعينهم: أرجعنـاهم إلى مافي كتبهم مما هو مخالف للقرآن الكريم .

---

1 (?) المرجع السابق: (3/885) .

ففي التكوين: أن الملائكة الثلاثة الذين ظهـروا لإبـراهيم أكلوا ماقدمه لهم من لحم وسمن ولبن[1].

وفي سفر التكوين أن الملكين الذين جاءا إلى لـوط أكلا خبزاً وفطيراً[2] .

وعندهم كذلك أن المسيح إله وما انفك عن الأكل وشـرب الخمـــــــــــــــــــــر، ولكن هـــــــــــــــــــذه الطعن هو دأبهـم[3].

وبهذا المنهج يبطل الشيخ رحمت الله دعوى: اشتمال القـرآن على مضامين غير لائقة.

---

1 (?) (18/6-8) .

2 (?) (19/3) .

3 (?) انظر: إظهار الحق: (3/885-888) باختصار .

المطلب الرابع: إبطال شبهة:
أن القرآن لايوجد فيه ماتقتضيه الروح وتتمناه:

يـزعم النصـارى أن القـرآن ليس كلام اللـه، لأنه يخلو من كل ماتقتضيه الروح وتتمناه.

وقد أجــاب الشيخ رحمه الله عن هــذه الشــبهة بجــواب مختصر فقال:

« إن ماتقتضيه الروح وتتمناه أمران:

الاعتقادات الكاملة والأعمـال الصـالحة، والقـرآن مشـتمل على بيان كلا النوعين على أكمل وجه »[1] .

ثم قــال:

« إن مشركي الهند من البراهمة يقولون: إن ذبح الحيوان خلاف مقتضى الروح، وغير مستحسن عند العقل، ولايتصور أن يسـمح الله بـذلك، والكتـاب المشـتمل على ذلك لايكـون من جـانب اللـه، ويعيبـون التـوراة والإنجيل لاشـتمالهما على ذلـك، وخلوهما مما تقتضيه الروح وتتمناه.

فكما لايلزم عند أهل الكتاب نقصـان التـوراة والإنجيل من عدم الأمر الذي هو مقتضى الروح على زعم البراهمة، فكـذلك لايلزم نقصان القرآن الكـريم من عـدم بعض الأمـور الـتي هي مقتضى الروح على زعم النصارى »[2].

---

1 (?) إظهار الحق: (3/888) بتصرف يسير .

2 (?) المرجع السابق: (3/888) بتصرف يسير .



المطلب الخامس: إبطال شبهة: أن فـــي القـــرآن متناقضـــــات:

يــزعم النصــرون أن في القــرآن اختلافــات معنويــة، وتناقضـــــــــــــات دالة على كونه ليس من كـلام الله .

وقد ضــرب الشيخ رحمه الله مثلين لأعظم هــذه الاختلافــات في زعم القسيسين، أولهما: مثل قوله تعالى: [البقرة: 256] وقوله تعالى: [النور: 54]، وقوله تعالى: [الغاشية: 21-22] [1] .

وهذه الآيات في زعم القسيسين تخالف الآيات الـتي تـأمر بالجهاد .

وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هـذا الاختلاف المزعـوم أنه ليس اختلاف، بل كان هذا الحكم قبل الجهاد، فلما نزل حكم الجهـاد نسخ هـذا الحكم، والنسخ ليس بـاختلاف معنـوي، وإلا يلـزم أن يكـــون بين الإنجيل والتـــوراة في جميع الأحكـــام المنســـوخة اختلاف معنوي، وكذا في نفس أحكام التـوراة، وكـذا في نفس أحكام الإنجيل، على أن قوله تعالى: ليس بمنسوخ[2].

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/889) .

2 (?) انظر: المرجع السابق: (3/889-890) .

قلـــت:

ذكر القرطـبي في تفسـيره لقوله تعـالى: عن ابن مسعود وغيره القول بأن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: [التوبة:73].

وذكر عن قتادة[1] والشعبي[2] والحسن والضحاك[3] القـول بأنها غير منسـوخة، لأنها نـزلت في أهل الكتـاب خاصـة، وأنهم لايكرهـون على الإسـلام إذا أدوا الجزيـة، وأن الآية الـتي تـأمر بجهاد الكفار والمنافقين خاصة بالمشركين والوثنيين .

وعلى كلا القولين فلا مناقضة بينها وبين الآيات الـتي تـأمر

---

1 (?) هو قتـــادة بن دعامة بن قتـــادة الدوســـي، أبو الخطـــاب البصري، ثقة ثبت حافظ، لكنه مدلس، ورمي بالقدر، ومع هـذا فقد احتج به أصحاب الصحاح، توفي سنة مائة وبضع عشرة، .

انظـر: الإمـام محمد الـذهبي: مـيزان الاعتـدال في نقد الرجـال: (3/385)، الذهبي: سير أعلام النبلاء: (5/269) ومابعدها .

2 (?) عـامر بن شـراحيل بن عبد ذي كبـار الشـعبي الحميـدي أبو عمـرو، من التـابعين، يضـرب المثل بحفظـه، من رجـال الحـديث الثقات، وكان فصيحاً شاعراً ولد ونشأ في الكوفة ومـات فجـأة بها سنة (103هـ).

الذهبي: سير أعلام النبلاء: (4/294) ومابعدها، والزركلي الأعلام: (3/251) .

3 (?) أبو محمد وقيل أبو القاسم الضـــحاك بن مـــزاحم البلخي، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم كـان يـؤدب الأطفـال، تـوفي بخرسان عام (105هـ) .

انظـر: الـذهبي: سـير أعلام النبلاء: (4/598) ومابعـدها، والـزركلي الأعلام: (3/215) .

بالقتال .

أما بالنسبة لآية سورة النور فليس فيها ناسخ ومنسوخ، وهي أمر بطاعة الرسول الذي لا يملك لقومه إلا البلاغ، فلا مناقضة بينها وبين آيات الأمر بالقتال .

أما بالنسبة لآية سورة الغاشية فقد ذكر القرطبي أنه جعل الاستثناء منقطعاً فيكون معناها: لست بمسلط عليهم فتقتلهم، ثم نسختها آية السيف، وإن جعل الاستثناء متصلاً فيكون معناها: لست بمسلط إلا على من تولى وكفر فأنت مسلط عليه بالجهاد، وعلى هذا التقدير فلا نسخ فيها.

وعلى كل حال فلا مناقضة بين هذه الآية وبين آيات الأمر بالجهاد؛ لأنه إن قيل بعدم نسخها، فعدم المناقضة واضح؛ لأن الرسول لا يملك هدايتهم، وإن قيل بنسخها فعدم المناقضة واضح كذلك؛ لأنه لم يسلط عليهم بالقتال في مكة وسلطه الله عليهم بعد ذلك في المدينة.[1]

وثاني هذه الاختلافات عند النصارى:

ورود آيات في القرآن تدل على أن المسيح إنسان ورسول عابد لله تعالى، وورود آيات أخرى تدل على أنه ليس من جنس البشر .

وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هذا الاختلاف بجواب مختصر فقال: « إنه لا يوجد في القرآن ما يدل على أن ليس من جنس البشر، وفهم هذا المعنى من القرآن الكريم وهم صرف

---

1 (?) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: (3/280-281)، (12/296)، (20/37)، وتفسير ابن كثير: (1/311) وما بعدها، (2/372)، والشيخ البحراني: لسان الصدق: ص(307-310)، ط عام (1319هـ)، مطبعة الموسوعات، مصر .

وظن فاسد » [1].

ثم تعجب الشيخ رحمه الله من عقلاء النصـــارى الـــذين لا يـــرون الاختلافات والأغلاط التي وقعت في أسفارهم .

هذه الشبه الخمس التي أبطلها الشيخ رحمه الله في حق القرآن الكـــريم؛ بعض من تلك المطـــاعن الـــتي يثيرها المستشـــرقون والمنصـــرون في كتبهم ورســـائلهم ضد القـــرآن الكـــريم. وهم بذلك يحاولون صرف الاهتمـــام عن كتبهم وزيفها إلى الاشـــتغال ببعض الترهات ضد القرآن، أو حتى يجـــدوا لأنفســـهم الحق في مساواة كتبهم بالقرآن الكريم .

والشيخ رحمه الله ينكر هـــذا القيـــاس الباطـــل، ويؤكد في مواضع كثيرة تميز القرآن الكريم عن هذه الأسفار بعصمه مبلغه إلينـــا، وتـــواتر نقلـــه، وســـهولة حفظـــه، كل ذلك يحفظه من التحريـــف، في الوقت الذي يجوز فيه هـــذا التحريف على الأســـفار الكتابية التي تخلو من هذه الخصائص .

وبهـــــذا يتـــــبين لنا منهج الشيخ رحمه الله في نفي التحريف عن القـــــرآن الكـــــريم؛ من خلال إبطاله للشـــــبهات الـــــتي أثارها المنصرون حول القرآن للتشـــكيك فيه وأنه من عند الله تعـــالى محفوظ في الصدور والسطور.

هـــــذا المنهج المتمثل في اعتمـــــاده على أمر اســـــتنباطي يســـتنبطه من الوقـــائع التاريخية الماضـــية، أو على مســـلمات عقلية يقربها مثيرو الشبهة ولا يملكون إنكارها.

وكذلك اعتمد بشكل رئيسي في الـــرد على نقل النصـــوص المعتبرة عند المعترضين، مع اعتمـــاد المقارنة والتحليل بين ما

---

1 (?) إظهار الحق: (3/890) .

وقع في القـــرآن من أمـــور وقضـــايا، وبين ما وقع في الكتب المقدسة عندهم.

بهـــذا المنهج الفريد اســـتطاع الشيخ رحمه الله إلـــزام الخصم بالحجة والبرهـــان العقلي، وهو المنهج الجـــدلي أو التحـــاوري الذي اعتاده الشيخ رحمه الله.



المبحث الثالث: إعجاز القرآن الكريم

القرآن الكريم أعظم معجزة أوتيها أكرم رسول - صلوات الله وسلامه عليه - وهو المعجزة الباقية بقاء الدهر؛ والتي لا تزال الأيام تظهر إعجازه وعجائبه، فهو الحجة الدائمةإلى يوم القيامة والذي تكفل الله تعالى بحفظه: [illegible] [الحجر:9].

ذلك أنه ﷺ لما كان مبعوثاً للعالمين، وخاتماً للأنبياء والمرسلين شاء الله تعالى أن تكون معجزته نمطاً مخالفاً لمعجزات الرسل قبله؛ فأرادها رسالة مفتوحة موجهة للأمم كلها لا يحدها زمان ولا يحويها مكان .

وقد أشار صلوات الله وسلامه عليه إلى اختلاف معجزته عن معجزات الأنبياء قبله، فقال: ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)) [1].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر[2] الاحتمالات التي قيلت في

---

[1] (?) أخرجه البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل: ح(4981) ص(893)، ومسلم كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس: (2/92-93) .

سبب رجاء النـبي أن يكـون أكـثر الأنبيـاء تابعـاً يـوم القيامـة، وقــوى القــول بــأن « المــراد أن معجــزات الأنبيــاء انقرضت بــانقراض أعصــارهم، فلم يشـاهدها إلا من حضـرها، ومعجـزة القرآن مستمرة إلى قيام الساعة ... وهـذا أقـوى الاحتمـالات، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل يشـاهده كل من جـاء بعد الأول مسـتمراً » [1].

ولقد طرق مئات العلماء موضـوع إعجـاز القـرآن الكـريم، وأوجه ذلك الإعجـاز، وكـان حـديث الشيخ رحمه الله في فصـله الأول من الباب الخامس في كتاب (إظهـارالحق) عن إعجـاز القـرآن والتي عبر عنها بأنها أمور تدل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى .

ولإثبـات إعجـاز القـرآن الكـريم سـلك الشيخ رحمه الله منهجـاً متمـيزاً، فقد جمع بين منـاهج المتقـدمين والمتـأخرين الـذين طرقـوا مسـألة إعجـاز القـرآن الكـريم، فالمتقـدمين[2] أثبتـوا الإعجاز القرآني بالاعتماد على وجوه الإعجاز وبالأخص اشتماله على جميع فنـون البلاغة والبيـان، الـتي أعجـزت العـرب أهل الفصــاحة والبيــان، وكــذلك اشــتماله على الأخبــار الماضــية والمستقبلة، والمتأخرون الذين أثبتوا الإعجاز من خلال إضافتهم وجوها لم يتطـــرق إليها المتقـــدمون، وهي إعجـــاز القـــرآن

---

1 (?) ابن حجر: فتح الباري: (9/7) .

2 (?) كالرمـــــاني أبو الحسن علي بن عيسى الرمـــــاني، وكتابه النكت في إعجـاز القـرآن، والخطـابي حمد بن محمد بن إبـراهيم البستي الخطابي، وكتابه: بيان إعجاز القرآن، والباقلاني أبو بكر بن الطيب الباقلاني وكتابه: إعجاز القرآن.

التشريعي والعلمي[1].

وقد بين الشيخ رحمه الله أوجه إعجاز القرآن الكـريم في النقـاط التالية:

1-كونه في الدرجة العالية من البلاغة .

2-تأليفه العجيب، وأسلوبه الغريب في المطالع والمقـاطع والفواصل، مع اشتماله على دقـائق البيـان، وحقـائق العرفـان، وحسن العبــارة، ولطف الإشــارة، وسلاسة الــتركيب وســلامة الترتيب .

3- كونه منطوياً على الأخبار من الحوادث الآتية، فوجــدت في الأيام اللاحقة .

4-ما أخبر به من أخبار القرون السالفة، والأمم الهالكة .

5-ما فيه من كشف أســـرار المنـــافقين، وحـــال اليهـــود وضمائرهم .

6-جمعه لمعــارف جزئية وعلــوم كلية لم تعهــدها العــرب عامة، ولا محمد ﷺ خاصة .

7-كونه بريئـاً عن الاختلاف والتفـاوت مع أنه كتـاب كبـير، فلو كــان ذلك من عند غــير الله لوقع فيه أنــواع من الكلمــات المتناقضة .

8-كونه معجــزة باقية متلــوة في كل مكــان مع تكفل الله بحفظه بخلاف معجزات الأنبياء؛ فإنها انقضت بانقضاء أوقاتها .

9-أن قارنه لا يسأم، وسامعه لا يمجــه، بل تكــراره يــوجب زيادة محبته .

10-كونه جامعاً بين الدليل ومدلوله .

11-سهولة حفظه .

---

[1] (?) ككتاب: إعجاز القرآن الكريم لفضل حسن عباس، وغيره.

12-الخشـية الـتي تلحق قلـوب سـامعيه، وأسـماعهم عند سماع القرآن .

ولما كانت هذه الأمـور بحاجة إلى إعـادة تـرتيب، لأن منها ما يتــداخل بعضه في بعض، ســوف نكتفي بدراسة المطــالب التالية ثم نعقب بعد ذلك:

المطلب الأول: بيـان الشيخ رحمه الله لإعجـاز القـرآن اللغـوي والبلاغي .

المطلب الثاني: بيان الشيخ رحمه الله لإعجاز القـرآن من حيث اخباره بالغيب .

المطلب الثالث: أوجه أخرى لإعجاز القرآن الكريم .

المطلب الأول: بيـان الشـيخ رحمت الله لإعجـاز القرآن اللغوي البلاغي:

أولاً: يقــول ﷺ عن القــرآن الكــريم: « كونه في الدرجة العالية من البلاغة التي لم يعهد مثلها في تـراكيبهم [أي العــرب]، وتقاصــرت عنها درجــات بلاغتهم، وهي عبــارة عن التعبير باللفظ المعجب عن المعنى المناسب للمقام الذي أورد فيه الكلام بلا زيادة أو نقصان في البيان، والدلالة عليه .

وعلى هــذا كلما ازداد شــرف الألفــاظ، ورونق المعــاني ومطابقة الدلالة كان الكلام أبلغ »[1].

ثم استدل على ذلك بعشرة أوجه:

1-أن فصاحة العرب أكثرها في وصف ما يشـاهدونه، بينما فصــاحة القــرآن ليست في بيــان خصــوص بعض الأشــياء، ومضـامينه ليست مما اتفق عليه العــرب، بل هو على غــير ما جرت عليه عادتهم .

2-أن فصاحة العرب في شتى الأغراض والموضــوعات لم تخل من الكذب، حتى قالوا: أحسن الشـعر أكذبـه، أما القـرآن الكريم فقد جـاء فصـيحاً مع التـنزه عن الكـذب، والتزامه غاية الدقة والصدق في جميعه .

3-أن الشــاعر قد ينسب للفصــاحة لــبيت أو بيــتين في قصـيدة لـه، وباقيها لا يكـون كـذلك، أما القـرآن فكله في غاية الفصاحة .

4-أن تكرار المضمون في قصة أو قصــيدة لا يجعل الكلام

---

1 (?) إظهار الحق: (3/775) .

الثاني مثل الأول، بينما جاء تكـرار المضـامين القرآنية في غاية الفصـاحة ودون ظهـور تفـاوت بينهـا، كما في قصص الأنبيـاء وأحوال المبدأ والصفات الإلهية والأحكـام مع اختلاف العبـارات إيجازاً وإطنابا وغيبة وخطابا .

5-أن الأوامر والنواهي ومسائل العقيدة والفقه جاءت في القرآن الكـريم بعبـارات بليغة وكلام فصـيح، ورغم أن الحـديث في مثل هذه الأمور يوجب تقليل الفصاحة، والشـعراء والبلغـاء عاجزون عن إيراد مثل هذه المسائل بنفس الدرجة من البلاغة في سائر الفنون.

6-أن الشاعر قد يحسن كلامه في فن ويضعف في غـيره، أما القرآن الكريم فقد جاء في غاية الفصاحة في جميع الفنون ترغيباً وترهيباً، وزجراً ووعظاً، وأمراً ونهياً وغير ذلك .

7-أن الانتقـــال من مضـــمون إلى آخـــر، ومن قصة إلى أخرى، واشتمال الكلام على بيان أشـياء مختلفـة، يضـيع حسن الربط بين أجـزاء الكلام ويسـقطه عن درجة البلاغـة. والقـرآن الكـريم فيه الانتقـال من قصة إلى أخـرى ومن مضـمون إلى غـــيره، مع اشـــتماله على الأمر والنهي والوعد والوعيد وتوحيد الله وإثبات النبوات والترغيب والترهيب وضـرب الأمثـال، لكنه جـاء مع كمـال الربط وفي غاية البلاغة الـتي لم يألفها العـرب حتى حارت فيه عقولهم .

8-أن القرآن الكريم يأتي باللفظ اليسير المتضمن للمعنى الكثير .

9-أن الجزالة والعذوبة بمنزلة الصـــــفتين المتضـــــادين، واجتماعها على ما ينبغي في كل جزء من أجزاء الكلام الطويل خلاف العــادة المعتــادة للبلغــاء، فاجتماعها في كل موضع من مواضع القــرآن الكــريم كله دليل على كمـال بلاغته وفصـاحته

الخارجتين عن العادة .

10-اشتمال القرآن على ضروب البلاغة جميعها من أنــواع التأكيد وأنواع التشـبيه والاسـتعارة، وحسن المطـالع والمقـاطع والفواصل، والتقـديم والتـأخير، والوصل والفصل اللائق بالمقـام، مع خلوه عن الكلام الركيك والشاذ والنافر عن الاستعمال. ولو رام أبلغ البلغاء جمع ذلك في كلامه لم يتـأت له ذلك إلا في نـوع أو نوعين مع وضوح التقصير فيهما، والقرآن محتوٍ عليها كلها[1] .

ثانياً: يقول الشيخ رحمه الله مبيناً إعجاز القرآن اللغوي: « تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقـاطع والفواصل مع اشتماله على دقائق البيـان وحقـائق العرفـان، وحسن العبـارة ولطف الاشارة، وسلاسة الترتيب؛ فتحيرت فيه عقـول العـرب العرباء وفهوم الفصحاء »[2]

ثم أضاف موضـحاً الحكمة من ذلـك: « والحكمة في هـذه المخالفة أن لا يبقى لمتعسف عنيد مظنة السرقة، ويمتاز هــذا الكلام عن كلامهم ويظهر تفوقـــه؛ لأن البليغ -ناظمـــاً كـــان أو نـاثراً- يجتهد في هـذه المواضع اجتهـاداً كـاملاً، ويمـدح ويعـاب عليه غالباً في هذه المواضع ... » [3] .

ثم وضح موقف البلغـــاء من القـــرآن قـــائلاً: « وأشـــراف العرب مع كمـال حـذاقتهم في أسـرار الكلام وشـدة عـداوتهم للإسلام، لم يجـدوا في بلاغة القـرآن وحسن نظمه مجـالاً، ولم يوردوافي القـدح مقـالاً، بل اعـترفوا أنه ليس من جنس خطب الخطباء وشعر الشعراء، ونسـبوه تـارة إلى السـحر تعجبـاً من فصاحته وحسن نظمه، وقالوا تارة: إنه إفك افـتراه، وأسـاطير

---

1 (?) انظر: إظهار الحق: (3/775-785).

2 (?) المرجع السابق: (3/785) .

3 (?) المرجع السابق: (3/786) .

الأولين. وقالوا تارة لأصحابهم وأحبابهم: [فصلت: 26]. وهذه كلها دأب المحجوج المبهوت، فثبت أن القرآن معجز ببلاغته وفصاحته وحسن نظمه »[1].

معارضة القرآن:

تعرض الشيخ رحمه الله للحديث عن عجز الفصحاء والبلغاء عن معارضة القرآن، باعترافهم بعجزهم عن المعارضة، ولما ظهر ثبت عجز العرب عن معارضة القرآن وشاع هذا بين أهل اللسان كلهم - رغم مهارتهم وإحاطتهم بأساليب الكلام - ظهر قطعاً أنه معجزة بلاغية، والإعتراف بالعجز دليل كامل عكس ما توهم نقصانه .

يقول: « وكيف يتصور أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب العرباء كثيرين كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء، ومشهورين بغاية العصبية والحمية الجاهلية، وتهالكهم على المباراة والمباهات والدفاع عن الأحساب، فيتركون الأمر السهل الذي هو الإتيان بمقدار أقصر سورة، ويختارون الأشد الأصعب مثل الجلاء وبذل المهج والأرواح، ويبتلون بسبي الذراري ونهب الأموال، ومخالفهم المتحدي يقرعهم إلى مدة على رؤوس الملأ بأمثال هذه الأقوال:

[يونس: 38].

---

[1] (?) المرجع السابق: (3/789-790) .

[البقرة: 23-24] .

[الإسراء: 88] .

ولو كانوا يظنون أن محمداً ﷺ استعان بغيره لأمكنهم أيضـاً أن يسـتعينوا بغـيرهم؛ لأنه كأولئك المنكـرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاسـتعانة، فلما لم يفعلـوا ذلـك، وآثـروا المقارعة على المعارضـة، والمقاتلة على المقاولـة، ثبت أن بلاغة القـرآن كـانت مسـلّمة عنـدهم، وكـانوا عـاجزين عن المعارضة.

وغاية الأمر أنهم صـاروا مفـترقين بين مصـدق به وبمن أنـزل عليـه، وبين متحـير في بـديع بلاغتـه ... »[1].

قلت: لما قـامت الحجة على العلمـاء فـإن العـوام يكفيهم اعتراف العلمـاء بـالعجز عن معارضة القـرآن وبه تقـوم عليهم الحجة، لأن عجز العلماء والفصحاء يوجب عجز غيرهم من باب أولى، ثم الأمم غـير العربية يكفيهم اعـتراف العـرب بعجـزهم عن معارضة القـرآن الـذي هو بلغتهم، فتقـوم عليهم الحجة أيضـاً، بالإضـافة إلى أنه يوجد في هـذه الأمم من يتكلمـون العربية ويجيـدون علومها أكـثر من أهلهـا، فشـهادتهم ببلاغة القـرآن وأنه كلام الله حجة على سـائر أقـوامهم، لأن من كـان أعرف بلغة العرب وفنـون بلاغتها كـان أعـرف بإعجـاز القـرآن وفنون بلاغته .

وبهذا يثبت اعجاز القـرآن، وأن القـدر المعجز منه مايقـدر

---

1 (?) إظهار الحق: (790/3-791) .

بأقصر سورة من القرآن، وهذا هو الصواب في هذه المسألة والتي وفق الشيخ رحمه الله للصواب فيها.

شبهة القول بالصرفة:

ينقل الشيخ رحمه الله قول النظام[1] من المعتزلة أن « إعجاز القرآن بالصرفة: على معنى أن العرب كانوا قادرين على كلام مثل القرآن قبل مبعث النبي ﷺ، لكن الله صرفهم عن معارضته بسلب الدواعي بعد المبعث، فهذا الصرف خارق للعادة، فيكون معجزاً »[2].

وقال أيضاً في تصوير شبهة النظام: « فهو أيضاً يسلم أن القرآن معجز لأجل الصرف، ومثله غير مقدور لهم بعد المبعث، وإنما نزاعه في كونه مقدوراً قبل المبعث » [3].

ثم أبطل هذه الشبهة من وجوه:

« **الوجه الأول**: أنه لوكان كذا، لعارضوا القرآن بالكلام

---

1 (?) النظام: هو أبو إسحاق إبراهيم بن يسار بن هانيء البلخي البصري، من أئمة المعتزلة في البصرة وتتلمذ على يد أبي الهذيل العلاف، عرف بالنظام لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، وكان مناظراً ذكياً فصيحاً متبحراً في علوم الفلسفة لرجالها الطبيعيين والإلهيين، وكان واقفاً على الإتجاهات الفكرية والعقائد الدينية والمذاهب الفلسفية والمسائل الأدبية واللغوية في عصره، وقد رد على الفرق المخالفة للإسلام من ثنوية ودهرية ورافضة، كما رد على الفرق الإسلامية المخالفة لمذهبه، وقد انفرد عن المعتزلة بآراء خاصة تابعته فيها طائفة منهم سميت بالنظامية، توفي سنة (231هـ) .

الزركلي الأعلام: (1/43)، وكحالة: معجم المؤلفين: (1/30) .

2 (?) إظهار الحق: (3/798-799) .

3 (?) المرجع السابق: (3/799) بتصرف يسير.

الذي صدر عنهم قبل المبعث، ويكون مثل القرآن.

والوجه الثاني: أن فصحاء العرب إنما كانوا يتعجبون من حسن نظمه، وبلاغته وسلاسته في جزالته، لالعدم تأتي المعارضة مع سهولتها في نفسها.

والوجه الثالث: أنه لو قصد الإعجاز بالصرف لكان الأنسب ترك الاعتناء ببلاغته وعلو طبقته؛ لأن القرآن على هذا التقدير كلما كان أنزل في البلاغة وأدخل في الركاكة كان عدم تيسر المعارضة أبلغ في خرق العادة.

والوجه الرابع: يأباه قوله تعالى: [illegible] [الإسراء: 88] » [1].

ثم قال مجيباً عن اعتراض متعلق بالقول الصرفة: (إن فصحاء العرب لما كانوا قادرين على التكلم بمثل مفردات السورة ومركباتها القصيرة كانوا قادرين على الاتيان بمثلها).

« هذه الملازمة ممنوعة، لأن حكم الجملة قد يخالف حكم الأجزاء، ألا ترى أن كل شعرة شعرة لاتصلح أن يربط بها الفيل أو السفينة، وإذا سوي من الشعرات حبل متين يصلح أن يربط بهذا الحبل الفيل أو السفينة .

ولأنها لوصحت لزم أن يكون كل آحاد العرب قادراً على الاتيان بمثل قصائد فصائحهم ... » [2].

ولعل عدم إغفال الشيخ رحمه الله لشبهة القول بالصرفة، أن بعض المتفلسفين من علماء المسلمين، اطلعوا على أقوال

---

[1] (?) المرجع السابق: (3/799) .

[2] (?) المرجع السابق: (3/799-800) .

البراهمة في كتـابهم ‘‘فيـدا’’ وهو الـذي يشـتمل على مجموعة من الأشــــعار ليس في كلام النــــاس ما يماثلها -في زعمهم-، ويقـول علمـائهم أن البشر يعجـزون عن أن يـأتوا بمثلهـا، لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها[1].

فكان إبطال الشيخ رحمه الله لهـذه الشـبهة، حـتى لا يتخـذها من يتخذها مطعناً في القرآن الكريم، وأن مثل الـذين يقولـون: أن إعجاز القرآن بالصرفة كمثل الذين قالوا إن القرآن سحر يؤثر. لأن الامتنـاع عن المماثلة في كليهما من خـارج الشــيء لا من ذاته.

بقي أن نشـير في ختـام هـذا المطلب إلى مسـألة وجـوه إعجاز القرآن وانحصارها في الإعجاز البلاغي اللغـوي من حيث فصاحته وحسن نظمـه، عند الشيخ رحمه الله فإنه بالإضـافة إلى أوجه الإعجاز التي ستأتي يتبين لنا عـدم انحصـار اعجـاز القـرآن في هـــــــذا الوجه فقـــــــط، وفي هـــــــذا الشـــــــأن يقول ~ :

« ولا يدعي أهل الإسلام أن سـبب كـون القـرآن كلام الله منحصر في كونه بليغاً فقط، وكذا لايدعون أن معجـزة النـبي ﷺ منحصـرة في بلاغة القـرآن فقـط، بل يـدعون أن هـذه البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة لكون القرآن كلام الله، وأن القـرآن بهذا الاعتبار أيضاً معجزة من المعجزات الكثيرة للنبي ﷺ »[2].

---

1 (?) أبو الريحان البيروني: ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولـة، نقلاً عن الإمـام: محمد أبو زهـرة: القـرآن المعجـزة الكبرى: ص(76).

2 (?) إظهار الحق: (3/830) .

المطلب الثــاني: بيــان الشـــيخ رحمت الله لإعجــاز القــرآن من حيث إخبــاره بالغيب:

اشتمل القرآن الكريم على أخبار كثيرة من الغيـوب الـتي لاعلم لمحمد ﷺ بها، ولاسبيل لمثله أن يعلمها، مما يدل على أن هذا القرآن المشتمل على تلك الغيـوب لايعقل أن يكـون نابعـاً من نفس محمد ولاغير محمد من الخلــق، بل هو من عند علام الغيوب سبحانه وتعالى .

وهـذا الغيب قسـمه الشيخ رحمه الله كما فعل سـابقوه إلى ثلاثة أقسام:

أ-غيب المستقبل .

ب-غيب الماضي .

جـ-غيب الحاضر. وإن لم ينص تحديداً عل تلك التسـميات إلا أن مضمون كلامه يدل عليه.

القسم الأول: اخبار القرآن بالغيب المستقبل:

يقــول الشيخ رحمه الله مبينــاً هــذه المعجــزة القرآنيــة: « كــون القــرآن منطويــاً على الأخبـار من الحـوادث الآتية فوجـدت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر »[1].

ثم مثّل الشيخ رحمه الله لــذلك بــأثنين وعشــرين شــاهداً أكتفي على مايلي:

---

1 (?) إظهار الحق: (3/800) .

قوله تعالى: [illegible] [البقرة: 94-95] .

يقول معلقاً: « المراد بـالتمني التمـني بـالقول، ولاشك أنه عليه الصلاة والسـلام مع تقدمه في الـرأي والحـزم وحسن النظر في العاقبة -كما هو مسـلم عند المخـالف والموافق- والوصول إلى المنزل الـذي وصل إليه في الـدارين، والوصول إلى الرياسة العظيمة، ولايجوز له وهو غـير واثق من جهة الرب بالوحي أن يتحدى أعدى الأعداء بـأمر لايـأمن عاقبة الحال فيه، ولايأمن من خصمه أن يقهره بالـدليل والحجـة، لأن العاقل الذي لم يجرب الأمور لايكاد يرضى بذلك، فكيف الحـال في أعقل العقلاء ؟

فثبت أنه ما أقـدم على هـذا التحـدي إلا بعد الـوحي واعتماده التام وكـذا لاشك أنهم كـانوا من أشد أعدائـه، وكـانوا أحرص الناس في تكذيبه، وكانوا متفكرين في الأمـور الـتي بها ينمحي الإسـلام أو تحصل الذلة لأهلـه، وكـان المطلـوب منهم أمراً سهلاً لاصعباً .

فلو لم يكن النبي صادقاً في دعـواه عنـدهم لبـادروا إلى القول به لتكذيبه، بل أعلنوا هذا التمني بالقول مراراً، وشـهدوا أنه كاذب يفتري على الله أنه قال كذا، ويدعي من جانب نفسه ادعاء، ويقول تارة: « والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه » [1] -يعني مات مكانه- ويقول تارة: « لو أن اليهـود

---

[1] (?) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلـبي عن أبي صالح عن ابن عباس بلفظه: (6/274)، ط1، 1405هـ- 1985م، دار الكتب العلمية - بيروت.

تمنوا الموت لماتوا))[1] ونحن تمنينا مراراً ومامتنا مكاننا .

فظهــرت بصــرفهم عن تمــنيهم -مع كــونهم على تكذيبه أحرص الناس- معجزته وبانت حجته[2].

ثم قال مضيفاً: « وفي هذه الآية إخباران عن الغيب:

الأول: أن قوله (لن يتمنــوه) يــدل دلالة بينة على أن ذلك لايقع في المستقبل من أحد منهم، فيفيد عموم الأشخاص .

والثاني: أن قوله (أبداً) يدل على أنه لايوجد في شيء من الأزمنة الآتية في المستقبل، فيفيد عموم الأوقات .

فبالنظر إلى العمومين هما غيبان »[3] .

ب-قوله تعالى: [البقرة: 23-24].

فصّل الشيخ رحمه الله أوجه إعجاز هذه الآية من أربعة مواضع:

الأول: « أنا نعلم بـــالتواتر أن العـــرب كـــانوا في غاية العداوة لرسول الله ، وفي غاية الحـرص على إبطـال أمـره، لأن مفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج من أقوى الأدلة على ذلك، فإذا انضاف إليه مثل هذا التقريع وهو قولـه: صار حرصـهم أشـد، فلو كـانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن، أو بمثل سورة منه لأتوا بــه، فحيث ما أتوا به ظهر الإعجاز » [4].

---

1 (?) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: (6/38) .

2 (?) إظهار الحق: (3/813-814) .

3 (?) المرجع السابق: (3/814) .

4 (?) إظهار الحق: (3/815) .

والثاني: « أن النبي كان متهمـاً عنـدهم في أمر النبـوة لكنه كـان معلـوم الحـال في وفـور العقل والفضل والمعرفة بـالعواقب، فلو كـان كاذبـاً لما تحـداهم بالغـاً في التحـدي إلى النهايـة، بل كـان عليه أن يخـاف مما يتوقعه من فضـيحة يعـود وبالها على جميع أمــوره، فلــولم يعلم بـــالوحي عجــزهم عن المعارضة لما جاز أن يحملهم عليها بهذا التقريع »[1]

والثالث: « أنه لم يكن قاطعاً في أمره لما قطع في أنهم لايـأتون بمثلـه، لأن المـزور لايجـزم بـالكلام، فجزمه يـدل على كونه جازماً في أمره »[2] .

والرابع: « أنه وجد مخبر هذا الخبر على ذلك الوجـه، لأنه في عهـده إلى عصـرنا هـذا لم يخل وقت من الأوقـات ممن يعادي الـدين والإسـلام وتشـتد دواعيه في الوقيعة فيـه، ثم إنه مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة قط »[3] .

- شـبهة المنصـرين حـول إخبـار النـبي بـالغيب المسـتقبل عن طريق القرآن الكريم:

نقل الشيخ رحمه الله إدعـاء صـاحب مـيزان الحق القائـل: « لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين أن هذه الآية يعني قوله تعالى: [الـروم: 1-2] نـزلت قبل غلبة الـروم، فنقول: إن محمداً قال بظنه أو بصائب فكره لتسكين قلــوب أصحابه، وقد سمع مثل هذه الأقوال من أصحاب العقل والرأي في كل زمان »[4].

وقبل أن يبطل الشيخ رحمه الله هذا الادعاء يبدي عجبه من قـول

[1] (?) المرجع السابق: (3/815) .

[2] (?) المرجع السابق: (3/815) .

[3] (?) المرجع السابق: (3/815) .

[4] (?) إظهار الحق: (3/808) .

فندر: (لو فرضنا صدق ادعاء المفسرين)، فيقول أن هذا القول يشـير إلى أن هـذا الأمر ليس بمسـلم عنـده، وهـذا عجيب لأن قوله تعالى: [illegible] [الروم: 3-4]، في أن هذا الأمر يحصل في الزمان المستقبل القـريب في زمـان أقل من عشر سـنين، كما هو مقتضى لفظ السـنين والبضـع، وكـذا قوله: [illegible] [الروم: 4]، وقوله: [illegible] [الروم: 6] لأنهما يدلان على حصول الفرح في الزمان الآتي وحصول هذا الأمر فيه ولامعـنى للوعد وعـدم الخلف في الأمر بعد وقوعه[1].

ثم أبطل الشبهة فقال: « وقوله: إن محمداً [illegible] قال بظنه أو بصائب فكره مردود بوجهين:

الأول: أن محمـداً [illegible] كـان من العقلاء عند النصـارى أيضـاً، ويعـــترف بهـــذا القس النبيل ههنـــا، وفي المواضع الأخر من تصانيفه .

وليس من شـأن العاقل المـدعي للنبـوة أن يـدعي ادعـاء قطعيـاً أن الأمر الفلاني يكـون في المـدة القليلة هكـذا ألبتـة، ويأمر معتقديه بالرهان على هـذا لاسـيما في مقابلة المنكـرين الطـالبين لمذلته المتفحصـين لمزلة أقدامه في أمر لايكـون وقوعه مفيداً فائدة يعتد بها، ويكـون عـدم وقوعه سـبباً لمذلته وكذبه عندهم، ويحصل لهم سند عظيم لتكذيبه .

والثـاني: أن العقلاء وإن كـانوا يقولـون في بعض الأمـور بعقـولهم ويكـون ظنهم صـحيحاً تـارة وخطأ تـارة أخـرى، لكن جـرت العـادة الألهية بـأن القائل لو كـان مـدعي النبـوة كـذباً، ويخبر في الحادثة الآتيـة، ويفـتري على الله بنسـبة هـذا الخـبر إلى الله لايكون هذا الخـبر صـحيحاً، بل يخـرج خطأ وغلط ألبتة

---

1 (?) إظهار الحق: (3/808) .

» [1] .

وكان الشيخ رحمه الله قد استدل على كلامه أن عـادة الله جارية على أن مدعي النبوة لو أخـبر عن شـيء ونسب إلى الله كـذبا لايخرج خبره صـحيحاً، بما جـاء في سـفر التثنيـة: « (21) فـإن أجبت وقلت في قلبك كيف اسـتطيع أن أمـيز الكلام الـذي لم يتكلم به الـــرب (22) فهـــذه تكن لك آية أن مـــايكن قاله ذلك النبي في اسم الرب ولم يحدث فهذا الرب لم يكن تكلم به بل ذلك النبي صوره في تعظّم نفسه ولذلك لاتخشاه » [2].

القسم الثاني: إخبار القرآن عن الغيب الماضي:

وهذا ما عـبر عنه الشيخ رحمه الله بقولـه: « ما أخـبر (أي محمد) من أخبار القرون السالفة والأمم الهالكة، وقد عُلم أنه كان أمياً ماقرأ ولاكتب ولا اشـتغل بمدارسة مع العلمـاء ولا مجالسة مع الفضلاء، بل تربى بين قوم كانوا يعبـدون الأصـنام، ولا يعرفـون الكتاب، وكانوا عـارين عن العلـوم العقلية أيضـاً، ولم يغب عن قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم »[3] .

وغيوب الماضي في القرآن كثيرة، تتمثل في تلك القصص الرائعة الـتي يفيض بها التنزيـل، ولم يكن يعلم محمد بها من سبيل، كقصة نوح التي قال الله تعالى فيها:

[هود: 49].

وكقصة موسى التي يقول تعالى فيها:

---

[1] (?) المرجع السابق: (3/808-809) .

[2] (?) (18/21-22)، وانظر: إظهار الحق: (3/816) .

[3] (?) إظهار الحق: (3/816) .

[illegible] [القصص: 44-46].

وكقصة مريم والتي فيها بقوله تعـالى: [illegible] [آل عمران:44].

ولقد وجد المنصـــرون في اختلاف القصص الـــواردة في القرآن عن القصص الموجودة لديهم فرصة للطعن في القرآن الكريم وأنه ليس كلام الله بل من عند محمد [illegible]، وفي هذا يقول الشيخ رحمه الله:

« والمواضع الـــتي خـــالف القـــرآن فيها بيـــان القصص والحالات المذكورة في كتب أهل الكتاب كقصة صلب المسـيح [illegible] وغيرهـا، فهـذه المخالفة قصـدية إما لعـدم كـون بعض هـذه الكتب أصلية كـالتوراة والإنجيل المشـهورين، وإما لعـدم كونها إلهامية، ويدل على مـاذكرت قوله تعـالى: [illegible] [النمل: 76] »[1].

[illegible] القسم الثالث: إخبار القرآن عن الغيب الحاضر:

وقد مثل له الشيخ رحمه الله بمثالين:

الأول: فضح أسرار المنافقين .

والثاني: كشف حال اليهود وضمائرهم .

يقـول الشيخ رحمه الله عن القـرآن: « مافيه من كشف أسـرار

---

1 (?) المرجع السابق: (3/816) .

المنـافقينن حيث كـانوا يتواطـؤون في السر على أنـواع كثـيرة من المكر والكيـد، وكـان الله يطلع رسـوله على تلك الأحـوال حالاً فحالاً، ويخبره عنها على سبيل التفصيل، فماكانوا يجـدون في كل ذلك إلا الصـدق، وكـذا مافيه من كشف حـال اليهـود وضمائرهم »[1] .

والحقيقة أن غيب الحاضر أوسع باباً من هذين المثالين إلا أن الشيخ رحمه الله ضربهما مثالاً للمنصرين ليـدل دلالة حقيقية على وقوعها بالفعل من خلال كتب السـير والتـاريخ، ويضـاف إلى غيب الحاضر والـذي لايكـون مجـالاً للطعن عند النصـارى مايتصل بمعرفة الله تعالى والملائكة والجن والجنة والنار ونحو ذلـك، مما لم يكن للرسـول ﷺ سـبيل إلى رؤيته ولا العلم بـه، فضلاً عن أن يتحدث عنه على الوجه الواضح، الذي أيده ماجاء به الأنبياء وكتبهم -عليهم الصلاة والسلام- .

وكذلك ماجاء في طيِّ القرآن من حقائق ومنافع ومبـاديء لم يكشف عنها إلا العلم الحديث، والذي لايتسع المقـام لـذكره .

---

[1] (?) إظهار الحق: (3/817) .

المطلب الثالث: أوجه أخرى لإعجـاز القـرآن الكريم:

ذكر الشيخ رحمه الله أوجها متعــددة أخــرى للإعجــاز، وهي على النحو التالي:

أولاً: « جمعه لمعـــارف جزئية وعلـــوم كلية لم تعهـــدها العرب عامة، ولامحمد ﷺ خاصة من علم الشــرائع، والتنبيه على طــرق الحجج العقلية والســير والمواعظ والحكم وأخبارالــدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم »[1] .

فالقرآن « جامع لجميع العلوم النقليـة، أصـولها وفروعهـا، ويوجد فيه التنبيه على أنواع الدلالات العقلية، والرد على أرباب الضلال ببراهين قاهرة، وأدلة ظاهرة، سهلة المبـاني مختصـرة المعاني .

كقوله تعالى: [يس:81]، وكقوله تعالى: [يس: 79]، وكقوله تعالى: [الأنبياء: 22] »[2] .

ثانيـاً: « كونه بريئـاً عن الاختلاف والتفـاوت مع أنه كتـاب كبير مشتمل على أنـواع كثـيرة من العلـوم، فلو كـان ذلك من عند غــير الله لوقع فيه أنــواع من الكلمــات المتناقضــة، لأن الكتاب الكبـير الطويل لاينفك عن ذلـك، ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غــير الله كما قــال الله تعــالى:

---

1 (?) إظهار الحق: (3/817) .

2 (?) المرجع السابق: (3/819) .

[illegible] [النساء: 82] »[1] .

ثالثاً: « كونه معجزة باقية متلـوة في كل مكـان مع تكفل الله بحفظه بخلاف معجــزات الأنبيــاء، فإنها انقضت بانقضــاء أوقاتها وهـــذه المعجـــزة باقية على ماكـــانت عليه من وقت النزول إلى زماننا هـذا، وقد مضت مـدة ألف ومـائتين وثمـانين وحجتها قاهرة ومعارضته ممتنعة[2] .

وفي الأزمـان كلها القـرى والأمصـار مملـؤة بأهل اللسـان وأئمة البلاغـــة، والملحد فيهم كثـــير، والمخـــالف العنيد حاضر ومهيء، وتبقى إن شاء الله هكذا مابقيت الدنيا وأهلها في خـير وعافية، ولما كان المعجز منه بمقدار أقصر سـورة، فكل جـزء منه بهذا المقدار معجزة، فعلى هذا يكون القرآن مشتملاً على أكثر من ألفي معجزة »[3] .

رابعاً: « كونه جامعاً بين الـدليل ومدلولـه، فالتـالي له إذا كان ممن يـدرك معانيه يفهم مواضع الحجة والتكليف معـاً في كلام واحد باعتبار منطوقه ومفهومه، لأنه ببلاغة الكلام يســتدل على الإعجـــاز، وبالمعـــاني يقف على أمر الله ونهيه ووعـــده ووعيده »[4] .

خامساً: « حفظه لمتعلميه بالسهولة كما قال الله تعـالى: [illegible] [القمر:17] فحفظه ميسر على

---

1 (?) المرجع السابق: (3/819) .

2 (?) وهذا العام هو عام تأليف كتاب إظهار الحق (1280هـ) .

3 (?) إظهار الحق: (3/820) .

4 (?) المرجع السابق: (3/820-821) .

الأولاد الصغار في أقرب مدة ... »[1] .

سادساً: « الخشية التي تلحق قلوب سـامعيه وأسـماعهم عند سماع القرآن، والهيبة التي تعتري تاليه، وهـذه الخشـية قد تعـتري من لايفهم معانيـه، ولايعلم تفسـيره، فمنهم من أسـلم لأول وهلة، ومنهم من استمر على كفره، ومنهم من كفر حينئذ ثم رجع بعده إلى ربه »[2].

سابعاً: « أن قارئه لايسأمه، وسـامعه لايمجـه، بل تكـراره يــوجب زيــاده محبه ... وغــيره من الكلام ولو كــان بليغــاً في الغاية يمل مع الترديد في السمع، ويكره في الطبع، ولكن هـذا الأمر بالنسبة إلى من له قلب سليم، لا إلى من له طبع ســقيم »[3] .

هــذه أوجه إعجــاز القــرآن عند الشيخ رحمه الله ، وهو ما أكــده الكثير من العلماء قبله.

فإعجـاز القـرآن الكـريم، وثبـوت كونه من عند الله تعـالى يتنــاول مجــالات وأوجها متعــددة غــير محصــورة فيما ذكــره الشيخ رحمه الله ،فهي -عنده- أكثر مما ذكر وحصـرها في جـانب دون آخر مخالف للصواب .

يقول شيخ الإسـلام ابن تيميـة: « وكـون القـرآن أنه معجز ليس من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسـلوبه فقـط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط، ولا من جهة صـرف الـدواعي عن معارضته فقـط، ولا من جهة سـلب قـدرتهم عن معارضـته فقط، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعـددة من جهة اللفظ

---

1 (?) المرجع السابق: (3/821) .

2 (?) المرجع السابق: (3/821) .

3 (?) المرجع السابق: (3/820) .

ومن جهة النظم ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ومن جهة معانيه الـتي أمر بها ومعانيه الـتي أخـبر بها عن الله تعـالى وأسـمائه وصـفاته وملائكته وغـير ذلك من جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل.

ومن جهة ما أخبر به عن المعـاد، ومن جهة مـابيّن فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية الـتي هي الأمثـال المضـروبة، كما قال تعالى: [illegible] [الكهف:54] .

وقوله تعالى: [illegible] [الإسراء: 89].

وقوله تعالى: [illegible] [الزمر: 27-28].

وكل ماذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولايناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له »[1] .

ويقـول ابن حجر ~ : « ووجـوه إعجـاز القـرآن من جهة حسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته وايجازه في مقام الإيجاز، وبلاغته ظـــاهرة جـــداً مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسـلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والنـثر هـذا إلى ما اشـتمل عليه من الإخبـار بالغيبـات مما وقع في أخبـار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتـاب، ولم يعلم أن النبي [illegible] اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم .

وبما سيقع فوقع وفق ما أخـبر في زمنه [illegible] وبعـده، هـذا مع

---

[1] (?) ابن تيمية: الجواب الصحيح: (5/428-429) .

الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سـامعه، وعـدم دخـــول الملال والســآمة على قارئه وســامعه مع تيسر حفظه لمتعلميه وتســهيل ســرده لتاليــه، ولا ينكر شــيئاً من ذلك إلا جاهل أو معاند .

ولهـذا أطلق الأئمة أن أعظم معجـزات النـبي ﷺ القــرآن، ومن أظهر معجــزات القــرآن إبقــاؤه مع اســتمرار الإعجــاز، وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنـوا المـوت فلم يقع من سـلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولاأقدم مع شدة عداوتهم لهـذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه فكــان في ذلك أوضح معجزة »[1] .

ويقــول ابن خلـدون مؤكـداً اجتمـاع الـدليل ومدلوله في القـــرآن الكــريم -الأمر الــذي عـــده الشـــيخ وجها من أوجه الإعجاز-: « اعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القـرآن الكـريم المـنزل على نبينا محمد ﷺ، فـإن الخـوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقـاه النـبي ويـأتي بـالمعجزة شــاهده بصــدقه، والقــرآن هو بنفسه الــوحي المــدعى، وهو الخارق المعجز، فشـاهده في عينـه، ولا يفتقر إلى دليل مغـاير له كسائر المعجزات مع الوحي فهو أوضح دلالة لاتحــاد الــدليل والمدلول فيه »[2] .

ولم يغفل الشيخ رحمه الله عن وجه من أوجه الإعجاز لم يتحـدث عنه العلماء كثـيراً، بل إن بعضـهم لا يعـده من وجـوه الإعجـاز، وهو الإعجاز التأثيري، فبعض العلماء يقول: إن التأثير في نفس

---

1 (?) فتح الباري: (6/582).

2 (?) مقدمة ابن خلــدون: ص(102-103)، ط1، (1413هـــ-1992م)، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، منشــورات: محمد علي بيضون .

القـــاريء والمســـتمع للقـــرآن ناشـــيء عن الصـــبغة البيانية والأسلوب الرفيع والنظم البديع[1].

فـالحق أن « النـاظر في هـذا الكتـاب الكـريم بإنصـاف، تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز، كما تتراءى للنـاظر إلى قطعة من الماس ألـوان عجيبة متعـددة بتعـدد ما فيها من زوايا وأضــلاع، ومختلفة بــاختلاف ما يكــون عليه النــاظر وما تكونن عليه قطعة الماس من الأوضاع »[2].

---

1 (?) انظر: فضل عباس: إعجاز القـرآن الكـريم: ص(393)، ط 1991م، دار الفرقان- عمان.

2 (?) الشــيخ محمد عبد العظيم الزرقــاني: مناهل العرفــان في علوم القرآن، (2/278)، 1422هـ، 2001م، دار الحديث- القاهرة.



الفصل الخامس

اليــــوم الآخـــــــر

وفيه ثلاثـــة مباحــث : -

- المبحث الأول : **الاستدلال على وقوع اليوم الآخر** .

- المبحث الثاني : **المعـــــــاد** .

- المبحث الثالث : **الثــواب والعقــاب** .

تمهيـــد:

اليوم الآخر بكسر الخاء نقيض المتقـدّم، أي بعد الأول وهو صـــــــــــفة، والأخـــــــــــــرى والآخـــــــــــــرة دار البقـاء[1].

ولليوم الآخر أسماء أخرى كثيرة، تـدل على الأهـوال الـتي ستقع فيه، مثل: القيامة، السـاعة، الطامـة، الحاقـة، الغاشـية، الواقعة، يوم الحساب، يوم الدين، يوم التلاق، يوم الجمع.

والإيمان باليوم الآخر معناه الاعتقاد الجـازم بكل الحقـائق التي أخبرنا بها الله [illegible] ورسـوله الكـريم [illegible] عما يكـون من مصـير الإنســان بعد المــوت، من عــذاب القــبر ونعيمــه، وعلامــات السـاعة، ثم البعث والنشـور، ثم الحشر والحسـاب ثم الجـزاء في الجنة أو النار.

وقد تقـرر وجـوب الإيمـان بهـذا الـركن في قوله تعـالى: [illegible] [البقرة: 177].

وهو لازم من لــوازم الإيمــان بــالركن الأول من أركــان الإيمان، وهو الإيمان بالله تعـالى بتوحيـده في ربوبيته وإفـراده في ألوهيته وكماله في أسمائه وصفاته.

لأن الإيمــان بــالبعث والنشــور والحســاب والجــزاء من مقتضــيات توحيد الله تعــالى وكماله في أســمائه وصــفاته، فمقتضى العدل الإلهي ينفي انتهاء الحياة الـدنيا بهـذه الصـورة المشــاهدة من وجــود المســتكبرين بمقابلة المستضــعفين، ومساواتهم بـالموت، لقوله تعـالى: [illegible] [الجاثية: 21].

---

[1] (?) انظر: ابن منظور، لسان العرب: (14-4/12).

كما أن الحكمة الإلهية تقتضي وجود حياة أخرى يتميز فيها الــذين أحســنوا عن الــذين أســاؤا، فيجــزون أولئك بــالإكرام والحفاوة في جنات الله تعالى وينال هؤلاء الإهانة والعذاب في نار جهنم، فلا يكون الخلق حينئذاك عبثــاً لا معــنى له ولا حكمة فيه.

قال تعالى: [المؤمنون:115].

لهـــــذا فإننا نجد كثـــــيراً ما ربط الله في كتابه العظيم الإيمــان بهــذا الــركن بالإيمــان به تعــالى، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: [البقرة: 62].

وقوله تعالى: [البقرة:232].

كما قرن عدم الإيمان باليوم الآخر بعدم الإيمــان به تعــالى لقوله تعالى: [التوبة: 29]؛ إذ الكفر باليوم الآخر كفر بالله تعالى، ويقول : [النساء: 136].

وفي هــذا الفصل ســنتناول -بمشــيئة الله تعــالى- موقف الشيخ رحمه الله من قضــايا اليــوم الآخــر، وذلك من خلال المبــاحث التالية:

المبحث الأول: الاستدلال على وقوع اليوم الآخر .

المبحث الثاني: المعــاد .

المبحث الثالث: الثواب والعقاب .

المبحث الأول:
الاستدلال على وقوع اليوم الآخر

المطلب الأول: طـرق النـاس في إثبـات وقوع اليوم الآخر:

تعد مسائل وأخبار الآخرة: من أحوال اليوم الآخر وما فيه، والموازين والصراط، والجنة والنار وتفاصـيل ذلك من الغيبـات الـتي اتفق عليها جميع أهل الإيمـان أنه مما يتلقى عن الـوحي، حيث أن ثبوتها والإقرار بها مبني على خبر المعصوم.

ولكنها مع ذلك يمكن الاســتدلال عليها بالعقل والفطـــرة السليمة، فالنصوص المخبرة عنها لا تعد أخباراً ســمعية محضة بل هي أخبار عقلية نقلية.

يقول شارح الطحاوية:

« الإيمـان بالمعـاد مما دل عليه الكتـاب والسـنة، والعقل والفطرة السـليمة، فـأخبر الله سـبحانه عنه في كتابـه، وأقـام الدليل عليه، ورد على المنكرين في غالب سور القرآن »[1].

بيد أن المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية يطلقــون على مسـائل اليـوم الآخـر: (السـمعيات)، وذلك بنـاءاً على أن هـذه المسائل لا تعلم إلا بالسـمع، أي أن مصـدرهم في التلقي فيما يتعلق بـاليوم الآخر هو السـمع فقـط، لـذا نجـدهم وافقـوا أهل السـنة والجماعة في هـذا البـاب، إلا أن اعتقـادهم بـأن اليـوم

---

[1] (?) ابن أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: (2/142).

الآخر وما يتعلق به لا يعلم إلا بالسمع غير صحيح، بل إن العقل قد دل على اليوم الآخر، كما دل عليه السمع.

ولكنهم -أي المتكلمين- يستندون في قبول هذه السمعيات إلى مستند إمكانها عقلاً يقول الباقلاني: « كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ورد الروح إلى الميت عند السؤال ونصب الصراط والميزان، والحوض، والشفاعة للعصاة من المؤمنين كل ذلك حق وصدق ويجب الإيمان والقطع به، لأن ذلك غير مستحيل في العقل »[1].

ويقول صاحب المواقف: « جميع ما جاء به الشرع من الصراط، والميزان، والحساب، وقراءة الكتب، والحوض المورود، وشهادة الأعضاء حق. والعمدة في إثباتها إمكانها في نفسها إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته، مع إخبار الصادق عنها »[2].

وقال البزدوي[3]: « قال جميع أهل القبلة وجميع أهل الكتاب أن البعث حق. والدليل على أن البعث حق نصوص

---

1 (?) الإنصاف: (51).

2 (?) شرح المواقف: (8/348).

3 (?) هو أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن مجاهد البزدوي، يلقب بالقاضي الصدر، تلقى العلم على يد أبيه أخذ عن جده عبد الكريم تلميذ أبي منصور الماتريدي، لم يعرف من مصنفاته إلا كتاب المرطب، والواقعات، والمبسوط، والأخيران في الفقه، وكتاب أصول الدين. أخذ العلم عنه الكثير من التلاميذ أشهرهم: ولده القاضي أبو المعالي أحمد، ونجم الدين عمر بن محمد النسفي صاحب العقائد النسفية وغيرها، توفي البزدوي ببخارى سنة (493هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء: (19/44)، كشف الظنون: (2/1581)، هدية العارفين: (2/77)، الأعلام: (7/22).

كثيرة في كتاب الله تعالى، منها: [illegible] [الحج: 7]، وقوله: [illegible] [يس: 78-79].

ولا نحتج على الفلاسفة ولا على الكفار بهذه النصوص، بل نحتج عليهم بدليل آخر، فإنا نثبت عليهم رسالة رسولنا بالدلائل المعجزة، ثم نثبت البعث بكتاب الله تعالى، وكذا نستدل عليهم بـدليل معقـول، وهو أن الله تعـالى حكيم عـدل، وأنا نـرى في الدنيا أشياء لا يرضى بها الحكيم العـدل، وهو ظلم البعض على البعض والاشتغال بأعمـال خسيسة لا يرضى بها الحكيم العـدل بوجودها في مملكته، ولم يوجد منه في الدنيا دفع ذلــك، ولا بد من زمان ينصف المظلوم من الظـالم فيه ويهـذب من اشـتغل بأعمال خسيسة وليس ذلك إلا الدار الآخرة ... » [1].

من هــذه النصــوص لمتكلمي الأشــاعرة والماتريدية نجد اسـتنادهم على السـمع في مسـائل اليـوم الآخـر، وما يذكرونه من الأدلة العقليـة، إنما يذكرونه في معـرض الـرد على الخصم الذي لا يقر بالسمع.

ثم إننا نجد أنهم اعتمــدوا في تقرير إمكــان المعــاد على مجرد الإمكـان الـذهني؛ لأن المعـاد لا يلـزم من تقـدير وجـوده محال، أو لأنه لا يعلم امتناعه كما يعلم امتناع الممتنعـات وهـذا لا يكفي في إثبات إمكان وقوع المعاد؛ لأن الإمكان الخارجي لا يعلم بمجــرد الإمكــان الــذهبي، وإنما يعلم بوجــود الشــيء، أو بوجود نظيرة أو بوجود ما هو أبعد عن الوجود منه؛ ولأن مجــرد العلم بإمكان المعاد لا يكفي في إثبات جوازه مالم تعلم قــدرة

---

[1] (?) أصول الـدين: ص(156-157)، تحقيق هـانزبيترلنس، ط1، 1383هـ، الحلبي- القاهرة.

الرب على ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميـة: « الإمكـان الـذهني حقيقته عـدم العلم بالامتنـاع، وعـدم العلم بالامتنـاع، لا يسـتلزم العلم بالإمكـان الخـارجي، بل يبقى الشـيء في الـذهن غـير معلـوم الامتناع ولا معلوم الإمكان الخارجي »[1].

---

1 (?) مجمـوع الفتـاوى: (3/298)، انظـر: (3/299)، (9/224)، ودرء التعـــــــــــــــــــارض: (1/30-33)،
الـرد على المنطقـيين: (2/71)، تقـديم وضـبط وتعليـق: د/ رفيق العجم، ط1، (1993م)، دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان.

المطلب الثاني: منهج الشيخ رحمت الله في إثبات وقوع اليوم الآخر والاستدلال عليه:

يرى الشيخ رحمت الله أن مسائل اليوم الآخر كالمعاد وكثير من أحوال الآخرة من الأمور التي لا يستقل العقل بمعرفتها، بل يأتي النص ليرشد العقل ويهديه فيها. يقول:

« إن العقل لا يستقل في معرفة كثير من الأمور مثل: المعاد الجسماني، وأكثر أحوال الآخرة، وبعض صفات الله، ووظائف العبادات، وغيرها » [1].

وقال أيضاً عن دور النص في هذا المجال:

أنه « يرشد العقل ويهديه فيما لا يستقل بمعرفته مثل: المعاد الجسماني » [2].

وقد كان الشيخ رحمت الله ~ قد أشار إلى أن العقل يستطيع الاستقلال بالمعرفة في أمور: كوجود الله وعلمه وقدرته[3].

فيفهم منه: تقسيم المعرفة إلى سمعية وعقلية وإن لم يصرح بذلك حقيقة.

وهذا هو ذاته تقسيم المتكلمين للعقائد.

أما عند التطبيق فنجد أن الشيخ رحمت الله قد أثبت وقوع اليوم الآخر بدلائل عقلية منطقية هي ذاتها أدلة القرآن العقلية،

---

1 (?) التنبيهات: (33).

2 (?) المرجع السابق: (34).

3 (?) انظر: المرجع السابق: (34)، إظهار الحق: (3/643-733).

وذلك في مقابل الرد على المنكرين للمعاد سـواء كـان الإنكـار كلياً كما هو مشهور عند الفلاسفة الطبيعـيين، أو إنكـار المعـاد الجسماني كما هو مشهور عند الفلاسفة الإسلاميين.

مع خلو ذلك الاسـتدلال عن نصـوص الشـرعية القرآنية أو النبوية- كما سيأتي- فلما كان منهج ﭬ في إثبـات اليـوم الآخر متسقاً مع المنهج العقلي القرآني فإننا لا نستطيع الجـزم بـالمنهج الـذي سـار عليه ﭬ في الاسـتدلال على اليـوم الآخر، هل هو منهج المتكلمين، أم منهج القرآن الصحيح.

المطلب الثالث: طريقة القرآن في إثبات اليوم الآخر:

إن الاعتقاد بأن اليوم الآخر وما يتعلق به لا يعلم إلا بالسمع ليس بسديد، لأن العقل قد دل على اليوم الآخر كما دل عليه السمع؛ بل إن السمع قد نبه على دلالة العقل، كما في قوله تعالى: [illegible] [آل عمران: 190-192].

وقوله تعالى: [illegible] [الحجر: 85].

فهذا « العالم المحكم المتقن لا يجوز في مقتضيات العقول الصحيحة أن يكون أمره عبثاً، ولا أن يكون بناؤه باطلاً، ويستحيل عقلاً أن يكون ليس وراءه حكمة علياً هي نتيجة لحكمة خلقه ونشأته، بل لابد وأن هناك نشأة أخرى وراء هذه النشأة، تتجلى فيها جميع حكم النشأة الأولى، وتظهر فيها نتائج التكاليف الشرعية، ويميز الله تعالى فيها الخبيث من الطيب، والصالح من الطالح، والمسيء من المحسن، وينتقم فيها من الظالم للمظلوم، ومن الباغي للمبغي عليه، ولو لا تلك النشأة الآخرة لضاعت حكمة خلق هذا العالم، ولكان أمره عبثاً باطلاً

»[1].

ولقد كانت الطريقة القرآنية في إثبـات اليـوم الآخر قائمة على تقرير إمكان البعث الخـارجي، لا الإمكـان العقلي الـذي لا يستلزم لذاته الإمكان الخارجي لأنه فقط ممكن في العقل غير متحقق في الخارج.

وكما تقوم تلك الأدلة على إثبـات قـدرة الله تعـالى وعلمه وحكمته الـتي تقتضي إثبـات المعـاد والجـزاء والحسـاب، قـال تعالى: [illegible] [المؤمنون: 115-116].

وقد جــاءت النصــوص القرآنية مثبتة للبعث بــدلائل عقلية وأخرى خبرية، فأما الأدلة العقلية الدالة على الإمكان الخارجي الذي هو مقتضى قدرة الله تعالى فهي على نوعين:

<u>الأول</u>: إثبات المعاد بدلالة وقوعه عياناً:

وهـذا الـدليل من أظهر أدلة البعث، إذ أن الاسـتدلال على البعث وإن كـان يكفي فيه العلم بقـدرة الله تعـالى عليـه، وأنه أخبر به فلابد أن يقع، إلا أن وقوعه في هـذه الـدنيا، وكونه من الأمور المحسوسة فيه قطع لشبه المنكـرين لـه. وأمثلة وقـوع البعث في هذه الحياة من النصوص كثيرة، ففي سـورة البقـرة خمس قصص تتضـمن آيـات عيانية على إمكـان البعث وقـدرة الرب التامة عليه قال تعالى: [illegible] [البقرة: 55-56].

---

[1] (?) عبدالله سراج الدين: الإيمان بعـوالم اليـوم الآخـر: ص(7)، ط2، (1404هـ) حلب سوريا.

وقال تعالى: [illegible] [البقرة: 72-73].

قال الإمام ابن كثير[1] في تفسير الآية:

« نبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، وجعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجة لهم على المعاد »[2].

ومن الأدلة قوله تعالى: [illegible] [البقرة: 243].

فهؤلاء أماتهم الله ثم أحياهم بعد ذلك ليكون في ذلك آية لهم ولكل من بلغته قصتهم على قدرة الله تعالى على البعث، « فكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة»[3].

وكذلك قوله تعالى: [illegible]

---

1 (?) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، البصروي الدمشقي الشافعي، المعروف بابن كثير عماد الدين أبو الفداء، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه، كان يميل إلى شيخه ابن تيمية ، من مصنفاته: تفسير القرآن، البداية والنهاية في التاريخ، توفي سنة (774هـ). انظر: كحالة: معجم المؤلفين: (1/373).

2 (?) تفسير ابن كثير: (1/113).

3 (?) المرجع السابق: (1/299).

[illegible] [البقرة: 259].

وقال تعالى: [illegible]

[البقرة: 260].

ودلالة هــذه الوقــائع عامة في حق من شــاهدها وفي حق من بلغته بطريق الخـــبر القـــاطع، والتصـــديق بوقوعها ليس متوقفــاً على مشــاهدتها؛ لأنها تعلم بصــدق خــبر الرســول وبتواترها عند أهل الكتاب، وبتواطئ الناس على نقلها.

لكن الذين لا يسلمون بـالوحي والرسـالات قد لا يصـدقون بهذه الوقائع، لأنها عندهم من الـوحي الـذي لم يسـلموا ثبوتـه، لهذا جاء الاستدلال على المعاد بدلالة القياس أو البرهان.

الثاني: إثبات المعاد بدلالة القياس:

وهـذا الاسـتدلال يقـوم على إثبـات المعـاد بالقيـاس على وجــود النظــير أو الأعظم، وهي دلائل حســية قاطعة لا يمكن لأحد الشك فيها، ولا يتوقف التسليم بها على تصديق الأنبياء.

ويندرج تحته ثلاثة طرق:

1-قياس المعاد على إحياء الأرض الميتة، قال تعالى: [illegible]

[الأعراف: 57].

وقال تعالى: [illegible] [فاطر: 9].

وقال عز من قائل: [illegible] [فصلت: 39].

والآيـات في هـذا المعـنى كثـيرة، والمـراد منها الاسـتدلال بإحياء الله للنبات،وإخراجه من الأرض بعد أن كان ميتاً لا حيـاة فيه ؛ على إمكـان إحيـاء الله للأمـوات وإخـراجهم من الأرض وبعثهم بعد موتهم، وذلك أن خلق الحيـاة في النبـات هو نظـير خلق الحياة في الناس بعد مـوتهم، فالقـادر على أحد النظـرين قادر على الآخر.

2-قياس المعاد على النشأة الأولى، قـال تعـالى: [illegible] [الحج: 5-7].

وقال تعالى: [illegible] [يس: 78-79].

وهـــذا الطريق عمـــاده قيـــاس الغـــائب على الشـــاهد،

والمجهول على المعلوم، وقياس الإعادة على البدء من باب قياس الأولى، ذلك أن القادر على خلق الناس من العدم قادر على بعثهم بعد موتهم من باب أولى، وأنه إذا لم يمكن إنكار خلق الله للإنسان أولاً فإنه لا يمكن كذلك إنكار أن يبعثه حياة أخرى، لأن القادر على الخلق الأول لا يمكن أن يعجز عن الخلق الآخر، وهذا هو معنى قوله تعالى: [الروم: 27]. مع أن كلاً من البدء والإعادة عليه هين سبحانه.

ويحتمل أن يكون من باب قياس المساواة؛ لأن المقدورات لا تتفاوت بالنسبة إلى القدرة، فالبدء والإعادة كلاهما هين على الله تعالى، وعلى هذا يكون معنى قوله تعالى: [الروم: 27]. أي هين عليه، كما في قراءة ابن مسعود - -، وكما هو أسلوب العرب في إخراج أفعل التفضيل عن بابه إلى معنى اسم الفاعل أو الصفة المشبهة. وبكلا الاحتمالين قال طوائف من السلف.[1]

3-قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض، قال تعالى: [الإسراء: 99].

وقال تعالى: [يس: 81].

وقال سبحانه:

---

[1] (?) انظر: ابن جرير الطبري: جامع البيان: (21/35-36)، ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة: ص(136)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: (14/21-22)، مجموع الفتاوى: (3/299-300)، تفسير ابن كثير: (3/45-46،430-431،581،582، 4/223،295،452)، شرح الطحاوية: (2/146-149).

[illegible] [الأحقاف: 33].

وهـــذا من قيـــاس الأولى، فقـــدرة الله التامة على خلق السماوات والأرض -وهي ما أقر به غالب منكــري البعث- دليل برهاني على قدرته على إعادة الخلق، لأن من قدر على الأجـلّ الأعظم فهو قادر على الأيسر الأصغر من باب أولى [1].

فهـذه طريقة القـرآن الكـريم في إثبـات المعـاد عقلاً، أما أدلة المعـــاد الخبرية المحضة فهي كثـــيرة، منها قوله تعـــالى: [illegible] [يونس: 53]. وقال تعالى: [illegible] [التغابن:7].

فهـذا أمر من الله تعـالى لمحمد [illegible] أن يقسم على وقوعـه. وقد اقسم الله تعالى على وقـوع يـوم القيامة مـراراً في كتابه منها قوله تعـالى: [illegible] [المرسلات: 1-7].

وتارة يخبر الله تعالى بقرب وقوعها كقوله تعالى: [illegible] [الأنبياء:1].

وتارة يخبر سبحانه أن الإيمان باليوم الآخر يـوجب صـفات الكمـــــــــــال كقوله تعـــــــــــالى: [illegible] [المؤمنون: 115].

---

[1] (?) انظر: تفسير الطبري: (1/188)، (21/36)، (23/31-32)، تفسير ابن كثير: (3/582-583)، (4/152،469،296،453).

وتارة يذم المكذبين بالمعاد كقوله تعالى: [illegible] [الأنعام: 31].

المبحث الثاني:
المعـــــــــاد

المطلب الأول: تعريف المعاد ومتعلقه:

المعـاد في اللغـة: مصـدر أو ظـرف من عـاد يعـود عـوداً وعودة ومعاودة؛ أي رجـع، جـاء في اللسـان: والمعـاد المصـير والمرجع، والآخرة معاد الخلق..

وقوله تعالى: [القصص: 85]. يعني: مكة عـدة للنـبي أن يفتحها لـه.. ويقال اذكر المعاد: أي اذكر مبعثك في الآخرة[1].

وفي الشــرع -كما قــال صــاحب شــرح المقاصد[2]- « هو الرجــوع إلى الوجــود بعد الفنــاء، أو رجــوع أجــزاء البــدن إلى الاجتمـاع بعد التفـرق، وإلى الحيـاة بعد المـوت، والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة » [3].

ويطلق لفظ المعـــاد ويـــراد به اليـــوم الآخر لما فيه من تفاصيل.

---

1 (?) ابن منظـور: لسـان العـرب: (3/317) مـادة: عـود، انظـر: الجوهري: الصحاح: (2/514).

2 (?) هو مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، سـعد الـدين من أئمة العربية والبيان والمنطق والكلام له كتب كثـيرة منهـا: تهـذيب المنطق، ومقاصد الطالبين، وشرح العقائد النسفية وغيرهـا، تـوفي سنة (793هـ)

انظر ترجمته في: عمر رضا كحالــة: معجم المــؤلفين: (3/849)، والأعلام: (7/219).

3 (?) التفتازاني: شرح المقاصد: (5/82).

والمعـــاد متعلق بـــالروح والبـــدن معـــاً؛ لأن الإنســـان اسم لمجموع الروح والجسد، فإذا أضـيف المعـاد له أفـاد ذلك ثبوته لروحه وبدنه معـــاً؛ ولهـــذا صـــرحت النصـــوص بمعـــاد الأبـــدان والأرواح، وإثبـــات النعيم والعـــذاب لهما معـــاً، قـــال تعـــالى: [illegible] [الفجر: 27-28].

وقال تعـالى: [illegible] [القيامة: 3-4].

وقال سـبحانه: [illegible] [محمد: 15].

وقال تعالى: [illegible] [النساء: 56].

وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع أهل السـنة والجماعـة، يقول ابن تيمية: « معـاد البـدن والـروح جميعـاً قـول الصـحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين »[1].

---

1 (?) الصفدية: (2/267).

المطلب الثاني: الانحرافات في المعاد:

1- إنكار المعاد كلية:

كثرت الانحرافات في المعاد[1]، فأنكره كلية فئام من العرب، قال الله تعالى حكاية عنهم: [illegible] [الصافات:16-17].

وقال سبحانه: [illegible] [يس: 78].

وانكره أيضاً: الفلاسفة الطبيعيون ؛ لأن الإنسان عندهم هو الهيكل المحسوس، بما له من المزاج والقوى والأعراض، فإذا مات عدم ذلك كله، والمعدوم لا يمكن إعادته[2].

يقول الشيخ رحمه الله مصوراً رأيهم:

« القدماء من الفلاسفة الطبيعيين، الذين لا يعتد بهم في الفلسفة، أنكروا الحشر مطلقاً جسمانياً كان أو روحانياً، قالوا: إن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس بما له من المزاج والقوى والأعراض، وذلك يفنى بالموت، ولا يبقى إلا الأجزاء العنصرية المتفرقة، فكيف يعاد »[3].

وقد اتسع نطاق إنكار البعث في العصر الحديث؛ لانتشار المذهب المادي، القائم على إنكار ما وراء الحس والتجربة، بما

---

1 (?) انظر: أبي العز الحنفي: شرح الطحاوية: (2/142) وما بعدها.

2 (?) انظر: التفتازاني: شرح المقاصد: ص(5/88-89).

3 (?) التنبيهات: (52).

في ذلك المعاد وسائر الغيبات[1].

ومما يعتبر إنكاراً للمعاد القول بالتناسخ[2]، وهو اعتقاد انتقال الروح بعد المفارقة إلى بدن مغاير للبدن الذي كانت فيه[3].

وقد عد الشيخ رحمه الله هذه الطائفة -التناسخية- ضمن المنكرين للمعاد وإرسال الرسل[4].

2-إنكار المعاد الجسماني:

زعم الفارابي وابن سينا ومن وافقهم من الصوفية[5]

---

1 (?) انظر: محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة: ص(268-281-293-297-528-605)، ط1، 1403هـ، دار الشروق.

2 (?) انظر: ابن القيم: الروح :ص120.

3 (?) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل:2/281،3/714 ، وأديان الهند الكبرى: ص63-116،70-157،120-176.

4 (?) انظر: التنبيهات: 25-26.

5 (?) للصوفية ثلاثة معتقدات في اليوم الآخر:

1) عقيدة ابن عربي الذي زعم أن أهل النار الذين هم أهلها يعذبون في النار مدة ثم يقلب الرب برحمته الامتنانية العامة طبائعهم إلى طبائع نارية تتلذذ بالعذاب وتشارك أهل الجنة في رؤية الله تعالى.

2) وعقيدة الفلاسفة من إنكار المعاد الجسماني.

3) وعقيدة أهل السنة والجماعة، وهي طريقة شيوخهم الذين لهم لسان الصدق في الأمةكالداراني والجنيد والتستري، وكثير من الصوفية يشوب عقيدته في اليوم الآخر بدعة الحب الالهي، وهي دعوى محبة الله لذاته لا شوقاً إلى جنته أو خوفاً من ناره.

انظر: محي الدين بن عربي فصوص الحكم: ص(80-81)، تحقيق: د أبو العلا العفيفي، دار الكتاب العربي-بيروت، ابن تيمية: درء التعارض: (5/4-7)، ابن القيم ، مدارج السالكين: (2/89-90)، دار

والإسماعيلية أن المعاد عبارة عن عـود الـروح بعد قطع التعلق بالبدن إلى عالم المجردات، وتلـذذها هنـاك بكمالها وإدراكاتهـا، أو تألمها بنقصان إدراكاتها وفقد كمالاتها تألماً عقلياً.

ولهذا أنكروا معاد الأبـدان واللـذات والالام الحسـية، وهـذا يعـني عــودة النفس بعد المفارقــة، وقطع التعلق بالبــدن إلى عالمها وهو عالم الروحانيات أو المجردات أو العقول، وتلــذذها هنالك بكمالاتها وإدراكاتها أو تألمها بنقصــــان إدراكاتهــــا، أو باشتياقها لمقتضيات البدن مع فقد الآلة المحققة لها[1].

ويرتكز القـــول بالمعـــاد العقلي أو الروحـــاني على ثلاثة أسس:

الأول: اعتبــــــار اللــــــذة العقلية هي المحققة للسعادة الكبرى:

يــرى الفلاســفة أن نيل الســعادة القصــوى مرتبط ببلــوغ النفس الناطقة، أو الجـوهر العاقل كمالــه، وهو أن يصـير عقلاً بذاته[2] بعد أن لم يكن كــذلك، ومعقــولاً بذاته بعد أن لم يكن

الجيل-بيروت .

1 (?) انظر: الفـارابي: السياسة المدنيـة: ص(32-35)، تحقيـق: فــوزي النجــار، ط1، 1964م، المطبعة الكاثوليكيــة-بــيروت، ابن ســينا: النجــاة: ص(155-158)، الجرجــاني: شــرح المواقــف: (8/325)، التفتازاني: شرح المقاصد: (5/82-97-121-124).

2 (?) مرادهم بهـذا العقـل: العقل الجـوهري القـائم بنفسـه، لأن العقل عندهم يطلق على أحد شيئين: العقل الجـوهري، وهو عبـارة عن ماهية مجــردة عن المــادة وعلائقهــا، والعقل العرضــي، وهو أنـواع: كالعقل الهيـولي، وهو عبـارة عن القـوة النظرية حالة عـدم حصـول الآلة الـتي يتم بها التوصل إلى الإدراك، وكالعقل بالملكـة، وهو عبارة عن القوة النظرية حال حصول آلة التوصل إلى الإدراك، وكالعقل المستفاد وهو عبارة عن القــوة النظرية حالة كونها عالمة

كذلك، ويصير إلهياً بعد أن كان هيولانيا.

يقول ابن سينا: « إن النفس الناطقة كمالها الخاص بها أن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيه صورة الكل، والنظام المعقـول في الكـل، والخـير الفـائض في الكـل، مبـدئاً من مبـدأ الكـل، ســالكاً إلى الجــواهر الشــريفة، فالروحانية المطلقــة، ثم الروحانية المتعلقة نوعـاً ما من التعلـق: الأبـدان، ثم الأجسـام العلوية بهيئاتها وقواهـا، ثم تسـتمر كـذلك حـتى تسـتوفي في نفسها هيئة الوجود كله، فتنقلب عالمـاً معقـولاً موازيـاً للعـالم الموجــود كلــه، مشــاهداً لما هو الحسن المطلــق، والخــير المطلق، والجمال الحق، ومتحداً بـه، ومنتقشـاً بمثاله وهيئتـه، ومنخرطاً في سلكه، وصائراً من جوهره » [1].

لذلك يرى الفلاسفة أن السعادة في حصول اللذة العقلية؛ ولهذا لا يلتفتون للذة الحسية ولا يستعظمونها، يقول ابن سينا: « الحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السـعادة أعظم من رغبتهم في إصـابة السـعادة البدنيـة، بل كـأنهم لا يلتفتـون إلى تلك وإن أعطوها فلا يستعظمونها في جنب هذه السعادة الـتي هي مقاربة الحق الأول » [2].

ومدركة وكحال الإنسان عند كتابته.

انظر: الآمدي: المبين في شـرح ألفـاظ الحكمـاء والمتكلمين: ص(104-109)، تحقيـق: د عبد الأمـير الأعسـم، ط1، 1407هــ، دار المناهــل-لبنــان، الكفــوي: الكليــات: ص(619)، تحقيــق: عــدنان درويش، ومحمد المصري، ط1، 1412هـ، مؤسسة الرسالة-بيروت .

1 (?) النجاة: (2/154)، انظر: الفارابي السياسـية المدنيـة: ص(36)، ابن سينا الرسالة الأضحوية: ص(148-152)، تحقيق: حسن عاصي، ط2، 1357هـ .

2 (?) النجاة: (2/152)، وانظر منه: (2/159).

الثاني: اعتبار البـدن مانعـاً من الشـعور باللـذات والالام العقلية:

الروح عند الفلاسفة بحاجة إلى البدن في البداية تساعدها حواسه المتصلة بالكون اتصالاً مباشراً على الانتقـال من حـال الاسـتعداد الصـرف للمعرفة إلى حـال المعرفة بالفعـل، ثم إن الروح تصبح في غنى عنه، ويغدو مناط سـعادتها وشـقاوتها في الخلاص منه، فالنفوس التي توفرت لديها أسباب السـعادة إنما يمنعها من الشـعور بها البـدن، فـإذا تخلصت منه اسـتذوقت سـعادتها واسـتكملتها، والنفـوس الـتي تـوفرت لـديها أسـباب الشقاوة إنما يحول بينها وبين الشعور بها البدن وشـواغله فـإذا تخلصت منه تأذت وتألمت.

يقول ابن سينــا:

« والعارفون المتنزهون إذا وضع عنهم درن مقارنة البــدن وانفكـوا عن الشـواغل خلصـوا إلى عـالم القـدس والسـعادة، وانتقشوا بالكمال الأعلى وحصلت لهم اللذة العليا » [1].

ويقــول:

« واعلم أن هـذه الشـواغل الـتي هي كما علمت من أنها انفعالات وهيئـات تلحق النفس بمجـاورة البـدن إن تمكنت بعد المفارقة كنت بعدها كما كنت قبلها، لكنها تكون كالالام متمكنة كان عنها شغل فوقع إليها فراغ فأدركت من حيث هي منافية.

وذلك الألم المقابل لمثل تلك اللــذة الموصــوفة، وهو ألم النار الروحانية فوق ألم النار الجسمانيـة » [2].

فالروح عنـدهم جـوهر لا يفـنى، ويصـاحب الجسم إلى حد

---

1 (?) الإشارات والتنبيهات: (4/32).

2 (?) المرجع السابق: (4/27-28).

محدود ثم يتخلص منه إلى غير رجعة ليخلص إلى عالم العقول فيتلــذذ بإدراكاته وكمالاتــه، أو يتــألم بنقصــان إدراكاته وفقد كمالاته، ومعـنى هـذا إنكـار البعث الجسـماني وما يـترتب عليه من نعيم البدن وعذابه [1].

الثالث: اعتبار الروح جوهراً مجرداً أبدياً:

يــرى الفلاسـفة ومن وافقهم أن النفس الإنســانية جــوهر مجرد في ذاته[2] فليست بجسـم، ولا قـوة قائمة بجسـم، وإنما تتعلق بالبدن علاقة تدبير وتصرف لا علاقة حلول أو انطباع[3].

---

1 (?) انظـر: الفـارابي: السياسة المدنيـة: ص(32،45،55،81)، الفــارابي: آراء أهل المدينة الفاضــلة: ص(205-206) ابن ســينا: النجاة: (2/156-157)، ومقدمة الإشارات للدكتور سليمان دينـا: (2/138-141)، ومقدمته تهـافت الفلاسـفة: ص(32)، ط8، دار المعارف-القاهرة.

2 (?) الجـــوهر عنـــدهم هو الموجـــود لا في موضـــوع، المـــراد بالموضوع المحل المتقوم بذاته المقوم لما يحل فيــه، وهو منحصر في خمسـة: هيـولي، وصـورة، وجسـم، ونفس، وعقـل، لأنه إما أن يكون مجرداً أو غير مجرد، فالأول إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصــرف أو لا يتعلــق، والأول النفس، والثــاني العقل الثــاني من الترديد وهو أن يكون غير مجـرد إما أن يكـون مركبـاً أو لا، فـالأول الجسم، والثاني إما حال أو محل، والأول صورة والثاني هيولي.

فـالمجرد ما لا يكـون محلاً لجـوهر، ولا حـالاً في جـوهر آخـر، ولا مركب منهما، والنفس الناطقة جوهر مجرد عن المادة في ذواتهــا، مقارنة لها في أفعالها .

انظر: الآمدي: المبين: ص(109)، الجرجاني: التعريفات، ص(70)- التفتازاني: شرح المقاصد: 3/6، 698 .

3 (?) انظر: ابن سينا: النجاة: (2/23-27، 29-33)، وابن سـينا: الرسالة الأضحوية: ص(132).

ولإثبـــات تجـــرد النفس الناطقة ذكر الفلاســـفة وجوها كثيرة[1]:

منها: أن النفس لا يضعف تعقلها عند ضـعف قـوى البـدن، بل يكون الإنسان في سن الشيخوخة أجـود تعقلاً منه في سن اكتمال قوى البدن، فلو كـانت من جنس القـوى البدنية لكـانت تابعة لها في الضعف والانحلال.

يقول ابن سينا: « إن البدن تأخذ أجزاؤه كلها تضعف قواها بعد منتهى النشـــوء والوقـــوف، وذلك دون الأربعين أو عند الربعين، وهـذه القـوة إنما تقـوى بعد ذلك في أكـثر الأمـر، ولو كــانت من القــوى البدنية لكــان يجب دائمــاً في كل حــال أن تضــعف حينئــذ، لكن ليس يجب ذلك إلا في أحــوال وموافــاة عوائق دون جميع الأحوال، فليست إذاً من القوى البدنية » [2].

وقد اختلف الفلاسفة في بقاء النفس[3] على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن النفوس الناطقة تفـنى عند فنـاء الأبـدان؛ لأنها ليست أزلية فيجب ألا تكــون أبديــة، وهــذا لم يقل به أحد من

---

1 (?) انظر: ابن سينا: النجاة: (2/23-33)، الشهرسـتاني: الملل والنحـــل: (2/460-461)، ابن القيم: الـــروح: ص(246-250)، التفتازاني: شرح المقاصد: (3/308-314).

2 (?) النجاة: (2/29). انظر: الرسالة الأضحوية: (140-141).

3 (?) أي في كونها أبدية، ولهم خلاف أيضاً في كونها أزلية، منهم من جعلها قديمة وهو رأي أفلاطــون؛ لأنها لو كــانت حادثة لم تكن أبدية؛ لأن كل حادث قابل للعدم ضـرورة، ومنهم من جعلها حادثـة، لأنها لو كانت قديمة لكـانت قبل التعلق بالبـدن معطلـة، ولا معطل في الوجـود، ولا يلـزم ذلك فيما بعد المفارقـة؛ لأنها تكـون ملتـذة بكمالاتها أو متألمة برذائلها، فتكـون في شـغل شـاغل، وهـذا قـول أرسطو وأتباعه كابن سـينا، انظـر: ابن سـينا: النجـاة: (2/33-34). التفتازاني: شرح المقاصد: (3/32-324).

محققيهم.

والثاني: أن النفوس الفاضلة تبقى، وهي التي استكملت قوتها النظرية بمعرفة الحـــق، وقوتها العملية بعمل الخـــير، والنفوس التي لا تكون كذلك تفنى عند فناء الأبدان، لأنها تبقى هيولانية غـير مسـتكملة اسـتكمالاً تفـارق به المـادة، حـتى إذا بطلت المـادة بطلت هي أيضـاً وهو اختيـار الفـارابي في بعض أقواله.

والثـالث: أن النفـوس الناطقة بأسـرها تبقى بعد مـوت البدن، وهو قول جمهور الفلاسفة[1].

وذلك لأنها جـوهر مجـرد، والمجـردات لا تقبل الفنـاء لأنها بسائط موجودة بالفعل، فلو قبلت الفناء لكان فيها فعل البقـاء وقوة الفساد. وهو محال لأن حصول أمـرين متنـافيين لا يكـون إلا في محلين متغـــايرين وهو تـــركيب ينـــافي بســـاطة المجردات[2].

فهذه الأسـباب هي باختصـار ما أدى بالفلاسـفة إلى إنكـار المعاد الجسماني.

وسـوف نـرجيء الـرد عليهم عند بيـان موقف الشيخ رحمه الله منهم.

---

1 (?) انظر: الفارابي: السياسة المدنية: ص(82-83)، ابن تيمية: الرد على المنطقيين: ص(2/185-186).

2 (?) انظـر: ابن سـينا: النجـاة: (2/35-39)، الجرجـاني: شـرح المواقـف: (7/254-255). التفتـازاني: شـرح المقاصـد: (3/331-332).

المطلب الثـالث: موقف الشـيخ رحمت الله من المنكرين للمعاد:

أولاً: الرد على الفلاسفة الطبيعيين المنكرين للمعاد مطلقاً:

أبطل الشيخ رحمت الله زعم الفلاسـفة الطبيعـيين إنكـار المعـاد مطلقاً من عدة وجوه:

الأول:

قولـه: « أن الإنسـان ليس عبـارة عن هـذا الهيكل بما له مـزاج مخصـوص، بل هو عبـارة عن الجـوهر المجـرد، كما هو المختار عند محققي الفلاسـفة والمحققين من علمـاء الإسـلام على ما هو مصرح في الكتب الحكمية والكلامية.

ولما ثبت إمكـان تعلق هـذا الجـوهر المجـرد بالبـدن في المـرة الأولى، وجب أن يكـون تعلقه في المـرة الثانية أيضـاً ممكناً ويكون هذا الإنسان العائد عين الإنسان الأول » [1].

وقد أحال الشيخ رحمت الله في مسألة تجرد الـروح إلى التفسـير الكبير للرازي مؤيداً كون الروح جوهراً مجرداً [2].

وكان الرازي قد أطال في الحديث عن هـذه المسـألة عند تفسـيره لقوله تعـالى:

﴿ ... ﴾ ... الآية ﴿ [الإسراء:85].

حيث قـال: « ما حقيقة الـروح وماهيتـه؟ أهو عبـارة عن

---

1 (?) التنبيهات: ص(52-53).

2 (?) انظر: المرجع السابق: ص(53) .

أجسـام موجـودة في داخل هـذا البـدن متولـدة من امـتزاج الطبائع والاخلاط، أو هو عبارة عن نفس هذا المزاج والـتركيب أو هو عبارة عن عرض آخر قـائم بهـذه الأجسـام، أو هو عبـارة عن موجود يغـاير هـذه الأجسـام والأعـراض؟ فأجـاب الله عنه بأنه موجود مغـاير لهـذه الأجسـام ولهـذه الأعـراض، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امـتزاج الأخلاط والعناصـر، وأما الروح فإنه ليس كذلك، بل هو جوهر بسيط مجـرد لا يحـدث إلا بمحدث قوله: [illegible] [آل عمران: 47] ... »[1].

ثم أطال الحديث حول مسائل الروح وتجردها[2].

قلـت:

بناء معـاد الأرواح على القـول بتجردها مخـالف لقـول أهل السنة؛ لأن الروح عنـدهم جسم[3] لطيف لا جـوهر مجـرد، لأنها وصفت في النصوص بالإمسـاك والإرسـال والخـروج والـدخول والقبض والانتقـال والتحـيز بمكـان، وكل هـذه الصـفات تنـافي تجرد الروح، لأن المجرد عبارة عما ليس بجسم، ولا قـوة حالة في الجسم، وإنما يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف[4].

الثاني:

---

1 (?) الرازي: التفسير الكبير: (21/392) .

2 (?) الرازي: التفسير الكبير: (21/392-405) .

3 (?) المـراد به الجسم بمعنـاه الاصـطلاحي، وهو ما يشـار إليه إشارة حسية، ويقال: إنه هنا أو هناك، والروح جسم بهذا المعنى.

انظـر: ابن تيميـة، التدمريـة: ص(53-57)، ابن القيم: الـروح ص(269).

4 (?) انظر: ابن تيميـة: الصـفدية: (2/267)، وابن القيم: الـروح ص(225) وما بعدها، والتفتازاني: شرح المقاصد: (3/305-309).

قال: « لو سلمنا أنه عبارة عما قالوا[1]، فنقول: إن إمكان تـآلف تلك الأجـزاء على الوجه المخصـوص في المـرة الأولى عندهم مسلّم، فوجب أن يكون في المرة الثانية أيضـاً ممكنـاً، وإلا لما وجد في المـــرة الأولى أيضـــاً وبعد ثبـــوت إمكانه في نفسه في المرة الثانية، لو لم يصح ذلك من الله لـدلّ إما على عجزه، حيث لم يقدر على إيجـاد ما هو ممكن في نفسـه، وإما على جهله حيث تعـــذر عليه تمـــيز أجـــزاء بـــدن كل واحد من المكلفين عن أجـزاء بـدن المكلف الآخـر، وكلاهما مسـتحيلان، فلابد أن يصح ذلك من الله » [2].

الثالث:

قـــــال: « إنه قد ثبت أن الله حكيم، ومقتضى الحكمة أن يفـــرق بين المحسن والمســـيء والعاصي والمطيـــع، الكـــافر والمـــؤمن؛ وهـــذه التفرقة إما أن تكـــون في الـــدنيا أو في دار أخـــرى، والأول باطـــل، لأن الغـــالب أن الكفـــار والفســـاق في أعظم الراحات، والصـلحاء والزهـاد في أعظم المحن الآفـات، وإن أجهل النـاس وافسـقهم في أعظم اللـذات والغـنى، وإن أعلمهم وأزهدهم في أشد الفقر والبلاء؛ فتعين الثاني »[3].

قلــت:

اعتمد الشيخ رحمه الله في هـــذين الـــوجهين على دليلين لإثبـــات المعـاد:

الدليل الأول: إثبات إمكـان المعـاد بالقيـاس على وجـود النظـــــــــــــــير أو الأعظم، وهو قيـــــــــــــــاس

---

1 (?) أن الإنسـان هو هـذا الهيكل المحسـوس بماله من المـزاج والقوى والأعراض.

2 (?) التنبيهات: ص(53-54).

3 (?) التنبيهات: (54).

على النشأة، حيث أن إمكان تآلف أجزاء الإنسان العنصرية في المـــــــــرة الأولى أمر مســـــــــلم عنـــــــــدهم، فلا مـانع من إمكانه في المـرة الثانيـة. وهـذه هي طريقة من طرق القرآن لإثبات المعاد وإمكانه الخارجي -كما مرّ معنا- .

الدليل الثاني: إثبات التلازم بين إثبـات المعـاد، واتصـاف الله تعالى بصفات الكمال كالقدرة والعلم والحكمة، إذ أن نفي المعاد يستلزم اتصـاف الله تعـالى بـالعجز والجهل والعبث وهي أمــور محالة على الله تعــالى، فاعتمد على الحكمة في إثبـــات المعاد، وعلى العلم والقدرة في نفي استحالة الإعادة.

الرابع:

قال: « أن تسليم المعاد طريقة الاحتياط، لأنا إذا تأهبنا له، فـإن كـان حقـاً فقد نجونا وهلك المنكـر، وإن كـان بـاطلاً لم يضرنا هذا الاعتقـاد، غاية ما في البـاب أن تفوتنا بعض اللـذات الجسمانية، والعاقل لا يبـالي بفوقها لكونها خسيسة ومشـتركة بين الإنســـان والبهـــائم، ولكونها منقطعة ســـريعة الـــزوال والفناء...»[1].

الخامس:

قال: « إن الفطرة الإنسانية السـليمة شـاهدة على بطلان رأيهم، ولذلك ترى جميع فرق الدنيا، من الهند والروم والعــرب والعجم، وجميع أربــاب الملل والنحل يتصــدقون عن موتــاهم، ويدعون لهم بالخير، فلو كان الإنسـان يفـنى بالكلية بعد موتـه، لكان التصدق عنه والدعاء له عبثاً، فاتفاق طوائف العـالم يـدل على أن فطرتهم شاهدة بأن ذلك الرأي غير صحيح جداً »[2].

---

1 (?) المرجع السابق: (57).

2 (?) المرجع السابق: (58).

السادس:

قال: « إن كثيراً من الناس يرى بعض أقاربه، مثل الأب أو الأم أو الابن أو غـيرهم، في المنـام بعد موتـه، ويقـول لـه: إني دفنت لك في الموضع الفلاني ذهبــاً فأخرجه أو أن علي دينــاً فاقضه عـني، وإذ فتش عند اليقظة وجد كما رآه فـدل على أن الإنسان لا يفنى بالكلية بعد موته » [1].

قلــت:

جميع هـــذه الاســتدلالات صـــحيحة في إثبــات المعـــاد، فالاحتياط بالتأهب للمعاد طريقة مسـلمة عند المنكـرين للنقل المعتمدين على عقولهم، ولكنه غير كاف في الإيمــان، لأن من أركان الإيمان الاعتقـاد الجـازم بصـدق ما أخـبر به النـبي ﷺ من وقوع اليوم الآخر وما فيه من أحوال ومواقف.

كذلك الفطرة السـليمة شـاهدة على وقـوع اليـوم الآخـر، بالإضـافة إلى رؤية الأمـوات في المنـام وإخبـاره بـأمر يكـون صحيحاً فكل هذه الاستدلال صـحيحة في إثبـات المعـاد لمن لا يقر به.

وقد كان الشيخ رحمه الله قد ذكر دليلين في إثبـات المعـاد تربط بين إثبــات العــدل الإلهي، والثــواب والعقــاب ســوف أرجيء الحديث عنهما إلى مبحث الثواب والعقاب.

ثانياً: الرد على من أنكر المعاد الجسماني:

يقول الشيخ رحمه الله مصـوراً هـذا الخلاف: « أهل الملل كافـة، وجمهــور المحققين من الفلاســفة اتفقــوا على حقية المعــاد، لكنهم اختلفوا في كيفيته، فقال الفلاسـفة: إنه روحـاني فقـط؛ وقـال أهل الملـل: إنه يحشر الأجسـاد؛ واختـار المحققـون من

[1] (?) التنبيهات: (58).

أهل الإسلام كالحليمي[1] والكعبي[2] والإمام الغـزالي والـراغب والقاضي أبي زيد الدبوسي[3] وغــيرهم، وهو مختــار كثــير من الصوفية والكرامية وجمهـور من متـأخري الإماميـة، أن النفس جوهر باق بعد فساد البـدن، فـإذا أراد الله حشر الخلائق يتعلق بالبدن مرة ثانية، ويتصرف كما في الدنيا »[4].

ثم فصل قــول هـؤلاء في مسـألة معـاد الأبـدان فقـال: « قـالوا: دل العقل على أن سـعادة الأرواح بمعرفة الله سـبحانه ومحبته، وأن سعادة الأجسام في إدراك المحسوســات والجمع

---

1 (?) هو الحســـــين بن الحسن بن محمد بن حليم، أبو عبدالله الحليمي، فقيه قاضي محـــدث، انتهت إليه الرياسة في الحـــديث وفقه الشافعية، من مصـنفاته: المنهـاج في شـعب الإيمـان، تـوفي ببخارى سنة (403هـ).

انظـــر: ابن كثـــير البداية والنهايـــة: (11/425)، وكحالـــة: معجم المؤلفين: (1/607)، الأعلام: (2/235).

2 (?) هو عبدالله بن أحمد بن محمـــود البلخي، الشـــهير بـــأبي القاسم الكعـبي، من كبـار المعتزلـة، ورأس الكعبية منهم، له كتب في التفســـــير والكلام، كتأييد مقالة أبي الهـــــذيل، ومقـــــالات الإسـلاميين، وأدب الجـدل، أقـام ببغـداد مـدة طويلـة، انتشـرت بها كتبه، ثم عاد إلى بلخ فأقام بها إلى حين وفاته سنة (319هـ).

انظر: ابن حجر: لسان الميزان: (3/255-256)، الزركلي: الأعلام: (4/65-66) .

3 (?) هو عبدالله بن عمر بن عيسى الدبوسي، من كبار الحنفيـة، وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه للوجود، له عدة كتب، منهـا: تأسـيس النظـر، والأسـرار، وتقـويم الأدلـة. تـوفي ببخـارى سـنة (340هـ). انظـر: الـذهبي سـير أعلام النبلاء: (17/521)، الأعلام: (4/109).

4 (?) التنبيهات: ص(59-60).

بين هاتين السعادتين لا يمكن في هذه الحياة، لأن الإنسان إن استغرق في تجلي أنوار عالم الغيب لا يمكن أن يلتفت إلى شيء من اللذات الجسمانية، وإن استغرق في هذه اللذات لا يمكن أن يلتفت إلى اللذات الروحانية، وإنما تعذر الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم، فإذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس قويت وكملت، فإذا أعيدت إلى الأبدان مرة ثانية كانت قادرة قوية على الجمع بين الأمرين. ولا شك أن هذه الحالة أقصى مراتب السعادة » [1].

بيد أن هؤلاء في إيمانهم بالمعاد الجسماني وقعوا في خطأ كبير، وهو بناء معاد الأبدان على إعادة الأمثال دون الأعيان وهو باطل.

ينقل الشيخ رحمه الله لأقوالهم دون أن يبدي رأيه قائلاً: « دل كلام كثير منهم على أن الله يخلق من الأجزاء الأصلية المتفرقة لذلك البدن بدناً، ثم يعيد إليه نفسه المجردة الباقية بعد خراب البدن.

ولما كانت النفس والأجزاء الأصلية من البدن باقية بعينها، لا يضر كون ذلك البدن غير البدن الأول بحسب الشخص، لأن الاعتبار للنفس والأجزاء الأصلية لا الهيئات والكمية، ولذلك يقال للشخص من الصبا إلى الشيخوخة أنه هو بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات، ولا يقال لمن جنى في الشباب وعوقب في المشيب أنها عقوبة لغير الجاني » [2].

وهذا ولا شك مخالف لقول أهل السنة والجماعة، لذا أنكروه، وذكروا أنه باطل من عدة أوجه، منها:

---

1 (?) المرجع السابق: ص(60-61).

2 (?) المرجع السابق: ص(61).

1- أنه مخــالف للنصــوص الدالة على إعــادة البــدن بعينه كقوله تعالى: [illegible] [يس: 65].

وقوله: [illegible] [فصلت: 20].

2- أنه مخالف للمعقول من الإعادة؛ لأن لفظ الإعادة يـدل على إعــادة الجسد الأول بعينــه، وإن كــان بين لــوازم الإعــادة والبداءة فروق لا تنفي أن يكون المعاد هو الأول بعينه.

يقول ابن القيم: « لو كان الجزاء إنما هو لأجسام غير هذه لم يكن ذلك بعثاً ولا رجعاً، بل يكون ابتداء »[1].

3- أنه يؤول إلى مقالة منكري المعــاد؛ لأن المشــركين لم ينكــروا قــدرة الله على خلق أجســام أخر غــير هــذه الأجســام للنعيم والعذاب، وإنما أنكروا قدرة الله على إعــادتهم بأعيــانهم بعد أن فــرقهم البلى، ولهــذا قــالوا: [illegible] [الصافات: 16].

4- أن البدن داخل في حقيقة الإنســان، لأن لفظ الإنســان اسم لمجموع الروح والبدن، لا للروح وحدها كما زعموا[2].

ومع هذا لم يتحــدد لنا موقف الشيخ رحمه الله من مســألة إعــادة إعيــان الأبــدان، لأنه لم يصــرح برأيه في هــذه المســألة، لكونه

---

1 (?) الفوائــد: ص(6)، ط2، 1393هـــ-1973م، دار الكتب العلمية-بيروت .

2 (?) انظر: مجمــوع الفتــاوى: (4/222)، (17/255-256)، ابن القيم: الفوائــد: ص(6-7)، شــرح الطحاويــة: ص(2/128)، شــرح المواقف: (8/322-323)، و د/ عيسى بن عبدالله السعدي: الوعد الأخروي شروطه وموانعه: (2/280)، ط1، (1422هـ)، دار عــالم الفوائد -مكة المكرمة.

ناقلاً لآراء المتكلمين.

أدلة ﭬ **لإثبات المعاد الجسماني**:

يقـول ﭬ: « كما أن قـول الطبيعـيين ضـعيف جـداً، فكذلك إنكار جمهور الفلاسفة للحشر الجسماني ليس بسـديد، ولا استحالة في هذه الحشر عقلاً » [1].

ثم بين الأدلة على عـــــدم اســـــتحالة الحشر الجسماني وهـي:

« الأول:

أن المعـــدوم الممكن قابل للوجـــود ضـــرورة اســـتحالة الإنقلاب، فالوجود الأول إن أفاد زيادة استعداد لقبـول الوجـود على ما هو شـــأن ســـائر القوابـــل، بنـــاء على اكتســـاب ملكة الاتصـاف بالفعـل، فقابليته للوجـود ثانيـاً أقـرب، وإعادته على الفاعل أهـــون، وإن لم يفد زيـــادة الاســـتعداد، فبالضـــرورة لا ينقص عما هو عليه في جميع الأوقات » [2].

الثاني:

استدل فيه ﭬ على المعـاد بما في هـذا الكـون من أمور كثيرة تشبه المعاد وتدل على إمكانه:

من هذه الأمور ذكر ﭬ:

1- المني الذي تولد من الأغذية المأكولة التي تولـدت من الأجزاء العنصرية التي كانت متفرقة جـداً في أطـراف العـالم. ثم جمعها الله فتولد منها حيوان أو نبـات، فأكله الإنسـان فتولد منه دم، فتوزع ذلك الدم على أعضائه، ثم خرج ماءً دافقـاً تولد

---

1 (?) التنبيهات: ص(62).

2 (?) التنبيهات: ص(62).

منه الإنسان[1].

يقول ~ بعد سرد هذا الدليل:

« فالقادر العالم الذي لا يعجز عن شــيء ممكن، ولا يغيب عن علمه مثقــال ذرة، كما جمع تلك الأجــزاء المتفرقة أولاً، ثم جعلها منياً، ثم كون منه الشخص الذي تختلف صور أعضائه مع كون المني متشابه الأجزاء، وأودع فيه القوة الناطقة والفاهمة اللتين لا يقتضيهما المني فكذا يقدر أن يجمعها مــرة أخــرى إذا افترقت بالموت ويكون منها شخصاً، أو يعيد النطق والفهم إلى محل كانا فيه، والأول عند المنكــرين ليس مســتبعداً، فلا يكــون الثاني أيضاً مستبعداً » [2].

2- الحب إذا وقع في الأرض الندية واســتولى عليها المــاء والــتراب يظهر في رأسه ثقب ثم تخــرج منه الأوراق، رغم أن النظر العقلي يقتضي تعفن الحب وفساده.

وكــذلك النــوى، لأنه مع ما فيه من الصــلابة الــتي بســببها يعجز أكــثر النـــاس عن فلقه إذا وقع في أرض ندية يظهر الله تعالى من أعلاه شق ومن أسفله شــق: « فالقــادر الــذي يفعل هــذه الأمــور كيف يعجز عن جمع الأجــزاء بعد افتراقها بــالموت وعن تركيب الأعضاء » [3].

3- تقلب أحـــوال الأرض بفعل الفصـــول من جفـــاف إلى تفجر الأنهار والعيون وخروج الأزهار والثمار، إلى فساد الشــجر والثمر ثم تعود الدورة مرة أخــرى يقــول ~: « إذا تعقلنا هــذه المعـــاني في الأرض فلم لانتعقل مثله في الإنســـان الـــذي هو

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: ص(63).

2 (?) المرجع السابق: ص(64).

3 (?) التنبيهات: ص(65).

أشرف من الجمادات » [1].

4- المطر، الذي بين الشيخ رحمه الله اجتماع أربعة أمور فيه كل منها يدل على جواز الحشر وهـي:

« **الأول**: أن الماء ثقيل بـالطبع، وإصـعاد الثقيل أمر على خلاف الطبع، فلا بد من قـادر يقهر الطبع ويصـعد ما من شـأنه الهبوط والنزول، فهذا القادر الذي قلب طبيعة المـاء فهو قـادر على أن يظهر الحياة والرطوبة من مادة التراب والجماد.

والثـاني: أن ذرات المـاء اجتمعت بعد افتراقهـا، فالقـادر الذي جمعها بعد الافتراق قادر على جمع الأجزاء بعد افتراقها.

والثـالث: تسـيير الـريح، فالـذي قـدر على تحريك الريـاح الـتي تضم بعض تلك الأجـزاء المتجانسة إلى بعض، فهو قـادر ههنا أيضاً.

والرابع: إنشـاء السـحاب، فإنه لحاجة النـاس إليـه، وههنا الحاجة إلى إنشـــاء المكلفين مـــرة أخـــرى ليصـــلوا إلى ما استحقوه من الثواب والعقاب أشد » [2].

5- شـجرة النـار: حيث أن النـار صـاعدة بـالطبع ولطيفة ونورانية وحارة يابسة والشجرة هابطة وكثيفة وظلمانية وباردة رطبة « فـــإذا أمسك الله تلك الأجـــزاء النارية في داخل تلك الشـجرة، فقد جمع بين هـذه الأشـياء المتنـافرة، وإذا لم يعجز عن ذلـك، فكيف يعجز عن إيـداع الحيـاة في بـدن الميت، لأن الحيـاة وإن لم تحصل إلا بـالحرارة والرطوبـة، والـتراب يـابس بارد، وبينهما مضادة، لكن لا شك في أن الحرارة النارية أقــوى في صفة الحرارة من الحرارة الغريزية.

---

1 (?) المرجع السابق: ص(66).

2 (?) المرجع السابق: ص(67).

ولما لم يمتنع تولد الحـــرارة النارية في الشـــجر الأخضر الـذي يقطر منه المـاء مع كمـال المضـادة، فكيف يمتنع تكـون الحرارة الغريزية في جرم التراب » [1].

6- السماوات: فإن بناءها أعظم من بدن الإنسان، وزينتها بـالكواكب أكمل من زينة الإنسـان بلحم وشـحم، وتأليفها أشد من تـأليف الإنسـان « فمن قــدر على الأول كـان قـادراً على الثـاني بـالطريق الأولى، فكيف يجـوز أن يظن أن الله لا يقـدر على جمع أجزاء بدن الإنسـان وتـركيب الأعضـاء مـرة أخـرى؟ وإذا لم يستبعد منه الأعلى فكيف منه الأدنى » [2].

7- الزيادة والنمو وقت السمن، والنقصـان والـذبول وقت الهزال، يدل على جواز المعاد لأنه « إذا جاز تكوّن بعض البـدن جاز تكون كله أيضاً » [3].

8- « حصول اليقظة بعد النـوم، فـإن النـوم أخو المـوت، واليقظة شـــــــــــبيهة بالحيـــــــــــــاة بعد المـوت » [4].

9- « حصول الموت عقيب الحياة، فإن الإحياء بعد الموت يسـتنكر من حيث أنه حصـول ضد بعد حصـول ضد آخر وهـذا ليس بمستنكر في قدرة الله، لأنه لما جاز حصـول المـوت بعد الحياة، جاز حصول الحياة مـرة أخـرى أيضـاً بعد الممـات، لأن حكم الضدين في الإمكان والامتناع يكون واحداً » [5].

10- اللبن المنقلب عن العشب الـــذي يأكله الحيـــوان ثم

---

1 (?) التنبيهـات: ص(68).

2 (?) المرجع السابق: ص(69).

3 (?) المرجع السابق: ص(70).

4 (?) المرجع السابق: ص(70).

5 (?) المرجع السابق: ص(70).

يصـبح دمـاً ثم لبنـاً، « فالقـادر الـذي قلب الطين عشـباً، ثم العشب دمـــاً، ثم الــدم لبنـــاً، ثم جعل في اللبن أجـــزاء ثلاثة متضادة، وقلب تلك الأجسام من صفة إلى صفة ومن حالة إلى حالة، لا يشاكل بعضها بعضاً؛ قـادر على أن يقلب أجـزاء أبـدان الأموات إلى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك » [1].

قلت: قيـاس الشيخ رحمه الله هـذه الأمـور على المعـاد من بـاب قياس المتفق عليه على المختلف فيه، وهو قياس النظير على نظـــيره أو قيـــاس الأولى، وكل ذلك بدلالة الحس الضـــرورية والعقل الضـروري، وهي طريقة قرآنية -كما مـرّ معنـا- وإن لم يســـتدل عليها الشيخ رحمه الله من القـــرآن الكـــريم لأنه ألف كتابه لملاحدة عصره في تركيا الذين ينكرون القرآن الكريم.

الثالــث[2]:

قــول الشيخ رحمه الله: « أن مــدار القــول بإثبــات الحشر على أحوال ثلاثة:

أحدها: أنه تعالى قادر ممكن.

وثانيها: أنه عــــالم بجميع المعلومــــات من الكليـــــات والجزئيات.

وثالثهما: أن ما يمكن حصـــوله في بعض الأوقـــات فهو ممكن الحصول في سائر الأوقات.

وقد ثبت بــالبراهين القطعية حقية هــذه الأصــول الثلاثــة، فإمكان الحشر يكون ممكناً، لأن الله يمكنه تمييزاً أجـزاء بـدن كل واحد من المكلفين عن أجـزاء بـدن غـيره وإعـاد الـتركيب

---

1 (?) المرجع السابق: ص(71).

2 (?) من الأمور الدالة على عدم استحالة الحشر.

والحياة إليه كما كانا أولاً » [1].

الرابـــــــع:

قول الشيخ: « أنهم لا ينكرون النبوة، وقد تواتر من الأنبياء الذين ثبت نبوتهم بالبراهين. أنهم كانوا يقولون بـذلك، ولا يجب التأويل في أقـوالهم الـواردة في هـذا البـاب، لأنه يكـون عند التعذر، ولا تعذر ههنا » [2].

قلت: أنكر الفلاسفة المعـاد الجسـماني، وما يـترتب عليه من لــذات وآلام جســمانية، دون أن تقف أمــامهم النصــوص الشرعية المصرحة بمعاد الأبدان، لأنهم اعتبروها رموزاً وأمثالاً مضروبة للسعادة والشقاوة، تقريباً لأفهام الجمهـور لا مصـدراً لمعرفة الحقائق، يقـول ابن رشد[3] : « التمثيل بالمحسوسـات هو أشد تفهيمــاً للجمهـور، والجمهـور إليها وعنها أشد تحركـاً، فـأخبروا أن الله يعيد النفـوس السـعيدة إلى أجسـام تنعم فيها الــدهر كله بأشد المحسوســات نعيمــاً، وهو مثلاً الجنــة، وأنه تعالى يعيد النفوس الشـقية إلى أجسـاد تتـأذى فيها الـدهر كله بأشد المحسوسات أذى وهو مثلاً النار وهذه حال شريعتنا هذه التي هي الإسلام في تمثيل هذه الحال » [4].

---

1 (?) التنبيهات: (72).

2 (?) المرجع السابق: (72).

3 (?) محمد بن أحمد بن رشد القرطــبي، ويعــرف بــابن رشد الحفيد (أبو الوليد)، عالم حكيم، شارك في الفقه والطب والمنطق والعلوم الرياضية والإلهيـة، ولد بقرطبة وبها نشأ ودرس، من كتبـه: الكليات في الطب، كتاب الحيوان، كتاب في المنطق، تـوفي سـنة 595هـ (انظر: كحالة: معجم المؤلفين: 3/94) .

4 (?) الكشف عن منـاهج الأدلـة: (244)، انظـر: منه ص(245)، والفارابي: السياسة المدنية: ص(85-86)، ابن سينا: النجـاة: ص(

ولهـذا الأصل أطلق عليهم بعض محققي أهل السـنة لقب (أهل الوهم والتخييل)[1].

ويضاف إلى أدلة الشيخ رحمه الله التالي:

1) أن الشريعة صرحت بإثبات معـاد الأبـدان تصـريحاً لا يقبل التأويل بوجه من الوجـوه، قـال تعـالى: [illegible] [يس: 78-79].

روى الحاكم بسنده عن ابن عباس < قال: ((جـاء العـاص بن وائل إلى رسول الله [illegible] بعظم حائل، ففته، فقـال: يا محمـد! أيبعث الله هـذا بعـدما أرم؟! قـال: نعم، يبعث الله هـذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، فنـزلت الآيـات من آخر يس))[2].

ولهذا النص نظائر كثيرة، كقوله تعالى: [illegible] [الحج: 6-7].

وقوله: [illegible] [يس: 51].

وقوله: [illegible] [القيامة:3-4].

والشـريعة كـذلك صـريحة في إثبـات ما يتبع البعث من

---

167)، ابن سينا: الرسالة الأضحوية: ص(109-130،113).

1 (?) انظر: ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل: (1/8-12).

2 (?) المسـتدرك: (2/466)، والحـديث صـححه الحـاكم وأخرجه الذهبي، المصدر نفسه.

اللذات والآلام الجسدية ، قال تعالى: [illegible] [الحاقة: 24].

وقوله سبحانه: [illegible] [الكهف: 31].

وقال تعالى: [illegible] [النساء: 56].

وقال: [illegible] [الدخان: 43-46].

وقال: [illegible] [يونس: 4].

وقال: [illegible] [الحج:19-22].

قال ابن تيميـــة:

« كل من سـمع القـرآن والأحـاديث المتـواترة وتفسـير الصحابة والتـابعين لـذلك علم بالاضـطرار أن الرسـول ﷺ أخـبر بمعـــاد الأبـــدان، وأن القـــدح في ذلك كالقـــدح في أنه جـــاء بالصلوات الخمس، وصـوم شـهر رمضـان، وحج الـبيت العـتيق ونحو ذلك »[1].

---

1 (?) شرح الأصفهانية: ص(273).

وقال: « الأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب كما وُصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ ... وكذلك إن أهل الجنة لا يتبولون ولا يتغوطون ولا يبصقون، لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد »[1].

2) أن السعادة ليست نفس العلم والمعرفة -كما زعموا- وإنما تحصل بشرط وجوده ووجود العمل الصالح؛ لأن النفس لها قوتان: قوة الشعور والعلم والإحساس، وقوة الحب والإرادة والعمل، ومناط السعادة في تكميل هاتين القوتين بالعلم النافع والعمل الصالح.

قال تعالى: [illegible] [البقرة: 25].

وقال سبحانه: [illegible] [البقرة:62].

وقال تعالى: [illegible] [النحل: 97].

واعتبار كمال النفس في مجرد العلم والمعرفة مرتبط عند الفلاسفة باعتبار التأله المحقق للسعادة غاية للعلم دون العمل؛ لأن التأليه عندهم التشبه بالإله قدر الطاقة لا بمعنى

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (4/313).

الذل والمحبة!.

وهـذا الأصل الـذي يعتبرونه سر الفلسـفة وروحها مضـاد لعقيدة التوحيد، مضادة تامة؛ لأنه يسقط توحيد العبـادة، ويثبت ربوبية مشتركة بين الرب وعقول الأفلاك، يقول ابن تيمية ~:

« هـؤلاء مع عظيم شـركهم بمخلوقاته جعلـوا التأله لنا هو التشبه بالإله، لا أنه يحب ويدعى ويسـأل، ولهـذا لم تكن الآلهة مختصه بالله عنـدهم، لأن التشـبه مبنـاه على أن الأدنى يتشـبه بالـذي فوقـه، والـذي فوقه يتشـبه بمن فوقه حـتى ينتهي إلى الغاية، ولهذا سموه إله الإلهة..

ثم لما كـان مقصـود القـوم التشـبه به فهم في الحقيقة لا يعبدونه ولا يسـتعينونه، فهم خـارجون عن دين المرسـلين القائلين إياك نعبد وإياك نستعين » [1].

3) أن البدن محقق للشـعور بالسـعادة ؛ ولهـذا ذكر أهل العلم أن دخول الجنة في الآخرة أكمل من دخولها في الـبرزخ؛ لأنهم يدخلونها بأرواحهم وأجسامهم.

وفي البرزخ إنما تدخل الأرواح مجردة، إلا أرواح الشـهداء، فإنها تدخلها وتتنعم فيها، بوساطة أبدان طير خضر، ولهذا يعتبر نعيمهم أكمل[2]، وهـذا يبطل اعتبـار البـدن عائقـاً عن الشـعور بالسعادة.

4) أن الـروح جسم قـائم بنفسه خلافـاً لمن زعم أنها عـرض قـائم بغـيره[3]، وخلافـاً لمن زعم أنها جـوهر مجـرد

---

1 (?) الصفدية: (3/335-336).

2 (?) انظر: ابن القيم، الروح: ص(127).

3 (?) الروح عند بعض المتكلمين صفة من صفات البدن كالحيـاة عند الباقلاني. انظـر: الأشـعري: مقـالات الإسـلاميين: (2/28-30)، شرح المواقف: (7/260)، شرح المقاصد: (3/305-309).

كالفلاسفة وقد مـر.لأنها وصـفت في القـرآن والسـنة بما يـدل على ذلك؛ كالتوفي، والإمساك، والإرسال، والرجوع، والدخول، والرضا، قال تعالى: [illegible] [الزمر: 42].

وقال سبحانه: [illegible] [الفجر: 27-30].

والأدلة على ذلك كثيرة: وقد بلغ بها الإمــام ابن القيم مائة وستة عشر دليلاً[1].

والوجه الذي استدل به الفلاسـفة على إثبـات تجردها غـير مسـلم: لأن القـوى العقلية تضـعف في سن الشـيخوخة كما تضعف بـاقي قـوى البـدن، وكثـيراً ما تصل إلى الانحلال التـام، كما قال تعالى: [illegible] [الحج: 5].

وأما ما يظهر من سـداد الـرأي في سن الشـيخوخة فمرجعه إلى أمرين خارجين عن ذات القوى العقلية:

1- كـثرة الأحـوال المعينة على قـوة النظـر، كـالتعلم، وممارسة الأمور، وكثرة التجارب .

2- ضعف موانع التعقل التام بضعف البـدن، كضـعف قـوة الشـهوة، وقـوة الغضب الـتي كـانت تحـول إبـان الإكتمـال بين العقل وتمام النظر[2].

---

1 (?) انظر: كتاب الروح: ص(226-246).

2 (?) انظر: ابن القيم، كتاب الروح: ص(260-261).

أما بقاء الـروح فقـول جمهـور الفلاسـفة مسـلم من حيث الأصـــل؛ لأن الأرواح المفارقة لا تفــنى بفنـــاء البـــدن عند أهل السنة والجماعة، ولكن بين الاعتقادين أربعة فروق جوهرية:

الأول: أن دليل بقاء النفس عند أهل السنة نصوص النعيم والعـذاب في الـبرزخ، ودليله عند الفلاسـفة تجـرد الـروح، لأن المجردات لا تفنى وهو دليل باطـل؛ لأن الـروح جسم لا جـوهر مجرد.

الثاني: أن بقاء الروح، وكل ما ثبت بقاؤه، كالجنة والنــار، ليس صفة ذاتية لها عند أهل السنة؛ لأنها باقية بإبقـاء الله لهـا، ولذلك يجوز عليها الفنـاء خلافـاً للفلاسـفة، لأنهم يحيلـون فنـاء الأرواح البشرية والعقول والنفوس والأجرام الفلكية والهيولي.

الثالث: أن الروح وإن كانت أبدية فليست أزلية كما يربط بين ذلك بعض الفلاسفة؛ لأن الروح مخلوقة مبدعة، يقــول ابن القيم: « أجمعت الرسل -صــــلوات الله وســــلامه عليهم- على أنها محدثة مخلوقة مصـــنوعة مربوبة مـــدبرة. وهـــذا معلـــوم بالاضـطرار من دين الرسل -صـلوات الله وسـلامه عليهم- كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حـادث، وأن معـاد الأبـدان واقـع، وأن الله وحـده الخـالق وكل ما سـواه مخلـوق لـه، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة »[1].

الرابع: أن الـــروح المفارقة عند أهل الســـنة ذات قائمة بنفسها، تصـعد وتـنزل وتتصل وتنفصل وتخـرج وتـذهب وتجيء وتتحرك وتسكن[2]، وعند الفلاسـفة لا توصف بشـيء من ذلـك؛

---

1 (?) المرجع الســـابق: ص(183)، انظر منـــه: ص(186) وما بعدها.

2 (?) انظر: ابن القيم، كتاب الروح: ص(228-232).

لأنها تصير عندهم عقلاً محضاً.

يقول ابن تيمية ~ : « العقل عندهم جوهر قائم بنفسه، لا يوصف بحركة ولا سكون، ولا تتجدد له أحوال ألبته. فحقيقة قولهم: أن النفس إذا فارقت البدن لا يتجدد لها حال من الأحوال، لا علوم ولا تصورات ولا سمع ولا بصر، ولا إدراكات، ولا فرح ولا سرور ولا غير ذلك، مما قد يتجدد ويحدث، بل تبقى عندهم على حالة واحدة أزلاً وأبداً، كما يزعمونه في النفس والعقل » [1].

5) أن حمل نصوص المعاد الحسي على التمثيل للمعاد العقلي؛ بقصد ترغيب العوام وترهيبهم وتتميم أمر النظام، يستلزم نسبة الأنبياء إلى الكذب في التبليغ، والقصد إلى تضليل أكثر الخلائق، والتعصب طول العمر لترويج الباطل، وهم يلتزمون بهذا دون خوف من الله أو حياء من الناس.

يقول ابن تيمية: « هؤلاء إذا حقق عليهم الأمر صرحوا: بأن الرسل تكذب لمصلحة العالم، وإذا حسنوا العبارة قالوا: إنهم يخيلون الحقائق في أمثال خيالية، وقالوا: إن خاصة النبوة تخييل الحقائق للمخاطبين، وإنه لا يمكن خطاب الجمهور إلا بهذا الطريق »[2].

شبهة الفلاسفة ورد الشيخ رحمت الله عليها:

يقول الشيخ رحمت الله: « وأدلة المنكرين ضعيفة جداً، ومن أشهر أدلتهم أن الإعادة بعينه عبارة عن إعادة الشيء بجميع

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (9/273)، وانظر: درء التعرض: (6/32)، والصفدية: (2/251)، وشرح المقاصد: (3/331).

2 (?) شرح الأصفهانية: (272)، انظر: الصفدية: (2/238-239)، شرح المقاصد: (5/89-93).

عوارضه، ورجوع الشيء بعينه إلى حاله الأصلي من غير زيـادة ولا نقصـان، والـوقت أيضـاً من العـوارض، فالشـيء المعـاد لا يكون معاداً بعينه إلا إذا أعيد الوقت أيضاً، فإعادة الشيء بعينه أيضاً محال »[1].

فهم ينكرون المعاد بناءً على استحالة التقـدم والتـأخر في أجزاء الزمان بالذات، فلا يتصور عودة الزمان المتقدم[2].

فقال الشيخ رحمه الله مبطلاً هذه الشبهة:

« إن اللازم على تقــدير الإعــادة إنما هو إعــادة عوارضه المشخصـة، لا العـوارض مطلقـاً، والـوقت ليس من العـوارض المشخصة ضرورة إن هذا الكتاب الموجود في هذه الساعة هو الموجـــود قبلهـــا، حـــتى إن من زعم خلاف ذلك نسب إلى السفسطة »[3].

وهذا الجـواب اسـتفاده الشيخ رحمه الله من كتـاب المواقف في الرد على هذه الشبهة[4].

وخلاصة القـــول في هـــذا المبحث: أن منهج الشيخ رحمه الله في إثبات المعاد والرد على المنكرين له كان عقلياً منطقيــاً يتسق مع منهج القــرآن الكــريم في إثبــات المعــاد إلا أنه ~ وافق المتكلمين في مسألة القول بتجـرد الأرواح وهي مخالفة لمنهج أهل السنة من اعتبار الروح جسم لطيف لا جوهر مجرد.

كما أنه نقل معتقد المتكلمين في إعـــادة الأمثـــال دون الأعيـــان دون أن يقر ذلك أو ينفيه ما جعلنا يتوقف في هـــذا

---

1 (?) التنبيهات: (72-73).

2 (?) انظر: هامش التنبيهات: ص(73).

3 (?) المرجع السابق: ص(73).

4 (?) انظر: شرح المواقف: (8/320).

المسألة لعدم تصريحه فيها.



المبحث الثالث:
الثــواب والعقــاب

المطلب الأول: الإيمـــــان بالجنة والنـــــار وأدلتهما:

الإيمان بالجنة وأدلتها:

الجنة مشـتقة من الجن، وهو سـتر الشـيء عن الحـواس، يقــال: جنه الليل إذا ســتره، يقــال: للولد في البطن: جنينــاً؛ لاسـتتاره فيـه، ويسـمى القلب جنانـاً؛ لاسـتتاره بين الأضـلاع، وسمي الثواب في الآخرة جنة، لاستتار داخله بكـثرة الأشـجار، أو لأنه مستور عن أعين الناس في الدنيا[1].

والمــراد بالجنة اصــطلاحاً: دار المؤمــنين في الآخــرة، الجامعة لكل نعيم، وأعلاه النظر إلى وجه الله تعالى.

يقول ابن القيم: « التحقيق أن يقـال: الجنة اسـماً لمجـرد الأشجار والفواكه، والطعام والشـراب، والحـور العين، والأنهـار والقصور، وأكثر الناس يغلطون في مسـمى الجنـة، فـإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل، ومن أعظم نعيم الجنة التمتع بــالنظر إلى وجه الله الكــريم، وســماع كلامــه، وقــرة العين بالقرب منه، وبرضوانه »[2].

---

1 (?) انظـر: ابن فـارس، معجم مقـاييس اللغـة: (1/421-422)، تحقيــق: عبد الســلام هــارون، ط، 1339هـــ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، والجوهري، الصحاح: (5/3094).

2 (?) مــدارج الســالكين: (2/89)، وانظــر: مجمــوع الفتــاوى: (1/26-27)، (6/485)، (10/62-707،698،63)، ابن القيم، حادي

وللجنة عدة أسماء: كالفردوس، ودار السلام، ودار الخلــد، ودار المقامة، وعدن، ومقعد الصدق[1].

والجنة مخلوقة موجــودة الآن، قــال تعــالى: [illegible] [النجم: 13-15].

وروى البخاري بسنده عن عبدالله بن عباس { مرفوعاً: « إني أُريت الجنة، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا »[2].

وعلى مقتضى هــذه النصــوص ونظائرها أطبق أهل الســنة والجماعة خلافاً للمعتزلة[3].

والجنة الموعــودة خالــدة، لا تفــنى ولا يفــنى أهلهــا، قــال تعالى: [illegible] [الفرقان: 15].

وقال تعالى: [illegible]

الأرواح: ص(137-139).

[1] (?) انظر: ابن القيم: حادي الأرواح: ص(137-147)، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري: (11/419).

[2] (?) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، بــاب: رفع البصر إلى الإمــام في الصلاة: ص122، ح: (748) .

[3] (?) ينكر جمهور المعتزلة وجــود الجنة الآن، ويزعمــون أنها إنما تخلق يوم القيامة؛ لأن قبل الجزاء يستلزم تعطيلها مدداً متطاولة، وهو عبث يســتحيل على اللــه، وأول من أظهر هــذه المقالة منهم هشــام بن عمــرو الفــوطي، وبقيت هــذه المســألة منه اعتقــاداً للمعتزلة.

انظر الشهرســتاني: الملل والنحــل: (1/64)، ابن القيم، حــادي الأرواح: ص(38-51)، شرح الطحاوية: ص(161-166).

[illegible] [الرعد: 35].

وقال سبحانه: [illegible] [الأعراف: 42].

الإيمان بالنار وأدلتها:

النـــار هي دار أعـــدها الله لأعدائه ولمن عصـــاه وخـــالف أمـــــره، وهي دار العقوبة في الآخــــرة، ودار الـــــذل والهـــــوان والعذاب.

وقد وردت الآيـــات والأحـــاديث في النـــار ووصـــفها ووصف عذابها وصفات أهلها أكثر من أن تحصى.

قال تعالى: [illegible] [آل عمران: 131].

وقال تعالى: [illegible] [التحريم: 6].

وقال تعالى: [illegible] [النساء: 56-].

ومن الســـنة ما رواه أبو هريـــرة عن النـــبي قـــال في وصف النار: « ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل: يارسـول اللـه، إن كـانت لكافيـة، قـال: فضـلت عليهن بتسـعة وستين جزءاً، كلهن مثل حرها »[1].

---

[1] (?) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النـــار، وأنها

وقال في وصف أخف العذاب في النـار: ((إن أهـون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص[1] قدميه جمـرة يغلي منها دماغه)) [2].

وهي مخلوقة موجــودة الآن، شــأنها شــأن الجنــة، قــال الطحاوي[3]: « الجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنـار قبل الخلـق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النـار عدلاً منه »[4].

فخلود الجنة والنار وبقاؤهما بإبقاء الله تعالى لهمـا، وأنهما لا تفنيان أبداً، ولا يفنى من فيها، ثابت بالكتاب والسـنة، والأدلة عليهما كثيرة جداً نتركها خشية الإطالة.

مخلوقة، ح(3265)، ص544، واللفظ له، ومسلم: في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: في شـدة حر نـار جهنم: (8/149-150) المجلد الرابع .

1 (?) الأخمص من القـدم: الموضع الـذي لا يلتصق بـالأرض منها عند الوطء: الجوهري، الصحاح: (3/1038) مادة: خمص.

2 (?) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، بـاب صـفة الجنة والنـار، ح(6561)، ص(1135)، واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً: (1/135) .

3 (?) أبو جعفر أحمد بن محمد بن ســـلامة بن ســـلمة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي، إمام حافظ فقيـه، ولد سـنة (239هـ)، صنف كتباً كثيرة منها: عقيدته المشهورة، وشـرح المعـاني والآثـار، توفي سنة (321هـ).

انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: (15/27) .

4 (?) شرح الطحاوية: ص(161).

المطلب الثـــاني: الاســـتدلال على وقـــوع الثواب والعقاب:

لقد كـانت طريقة القـرآن في إثبـات الثـواب والعقـاب طريقة عقلية، يهتدي بها من كـان له قلب أو ألقى السـمع وهو شهيد.

فإثبـات الجـزاء والعقـاب هو مقتضى الإيمـان بصـفات لله تعالى الكاملة، كالحكمة والعدل والصدق.

فأما اقتضـاء حكمته تعـالى للجـزاء والثـواب والعقـاب فظاهر، وهو أن الله تعـالى قد خلق السـموات والأرض وجميع المخلوقات بالحق، ولا يتحقق مقتضى خلقهم بالحق إلا بالجزاء والثـواب والعقـاب، وإلا كـان قد خلقهم عبثـاً، وهـذا أمر لا يعتقده إلا من كفر بالله تعالى وخالف الحق الذي خلق له.

ذلك أن الحكمة تعني وضع الأشياء في مواضـعها، وتنزيلها منازلها اللائقة بهـا، وهي ناشـئة عن القـدرة والعلم بمبـادئ الأمـور وعواقبهـا، فمن كـان أعلم وأقـدر كـانت أفعاله أحكم وأكمل[1].

يقـــول ابن القيم: « اسم (الحكيم) من لوازمه ثبـــوت الغايات المحمودة المقصـودة له بأفعالـه، ووضـعه الأشـياء في مواضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه » [2].

قال تعالى:

---

1 (?) انظر: ابن القيم شفاء العليل: ص(336)، تفسير السعدي: (5/621)، السعدي: الحق الواضح المـبين: ص(27)، ط1406هــ، مكتبة المعارف-الرياض .

2 (?) مدارج السالكين: (1/56).

[المؤمنون:115].

فنزه نفسه عن العبث، وعن إهمال الخلق، لكمال حكمته في خلقه وأمره[1].

ومما جاء في بيان أن إثبات حكمة الله تعالى يقتضي إثبات الجزاء، قوله تعالى: [التين: 7-8].

فجعل التكذيب بالدين وهو الجزاء والحساب الأخروي مستلزماً لنفي حكمة الله تعالى في خلقه، وأن من أثبت حكمة الله تعالى لابد أن يثبت الجزاء، ولهذا جاء السؤال على جهة الاستنكار لما يعلم بطلانه بالضرورة.

وأما اقتضاء عدله تعالى للجزاء الأخروي فيقوم على أساس أن هذه الحياة الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يقع فيها التفاوت بين العباد تفاوت عظيماً، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، كما يقع بينهم التظالم بحيث لا يمكن للمظلوم أن ينتصف لنفسه ممن ظلمه في كل حال.

ومقتضى الحق والعدل أن يجازى كل إنسان بعمله وأن ينتصف للمظلوم من الظالم، وإذا كان ذلك غير متحقق في هذه الحياة فلابد من تحقق الجزاء والحساب بعد هذه الحياة.

وقد أنكر تعالى التسوية بين المؤمنين والكافرين في الجزاء، وجعل جزاء كل نفس بما كسبت هو مقتضى الحق الذي خلقت له السماوات والأرض فقال تعالى:

---

1 (?) انظر: السعدي، الحق الواضح المبين: ص(9-10).

[الجاثية: 21-22].

ومقتضى هــذه الآيــة: أنه لا يتحقق الحق الــذي خلقت له السماوات والأرض إلا بالعدل بين الناس، وفي بيان ذلك يقــول الرازي في تفسيره للآية: (اعلم أنه تعالى لما قدر بأن المؤمن لا يساوي الكافر في درجـات السـعادة، أتبعه بالدلالة الظـاهرة على صحة هذه الفتوى فقال: خلق السماوات والأرض بالحق)، ولو لم يوجد البعث لما كان ذلك بالحق بل كان بالباطــل، ولأنه تعالى لما خلق الظالم وسـلطه على المظلـوم الضـعيف، ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالمـاً، ولو كـان ظالمـاً لبطل أنه (خلق السماوات والأرض بالحق) » [1].

لأجل ذلك كان الجزاء الأخـروي مقتضى العـدل الإلهي لأن العــدل يتضــمن وضع الأشـياء في مواضـعها؛ فلا يعـاقب من لا يستحق العقاب، ولا يمنع من يستحق العطاء . [2]

قال تعالى: [طه: 112]. وقال سبحانه: [الأنعام: 160].

وأما اقتضاء إثبات الثواب والعقاب اتصافه تعالى بالصـدق، ذلك أن الصــدق يقتضي تحقق ما وعد به عبــاده الصــالحين ما توعد به العاصين أو الكافرين، وعدم الخلف فيها [3].

يقــول الله تعــالى:

---

1 (?) مفاتيح الغيب: (27/677).

2 (?) انظر: ابن القيم مدارج السالكين: (2/542) .

3 (?) تحقق الوعد والوعيد موقـوف على وجـود شـروط وانتفـاء موانع. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: (12/482، 483).

[illegible] [النساء: 122].

وقال سبحانه: [illegible] [الأنعام: 146].

فحكمته تعــالى وعدله وصـــدقه تقتضي إثبـــات الجـــزاء الأخروي. وهـذه هي طريقة القـرآن الكـريم في إثبـات الثـواب والعقـاب مع تلازمهما بما سـبق تقريـره من إثبـات المعـاد لأن المعاد لا تكون إلا للجزاء والحساب .



المطلب الثالث: منهج الشيخ رحمت الله في إثبات الثواب والعقاب:

سبق أن مرّ معنا أن الشيخ رحمت الله يثبت المعاد بطريقة عقلية منطقية هي في حقيقتها طريقة القرآن الكريم التي لفت أنظارنا إليها .

وكان الشيخ رحمت الله قد أثبت الثواب والعقاب كدليل على ثبوت المعاد يقول:

« ثبت أن الله حكيم، ومقتضى الحكمة أن يفرق بين المحسن المسيء، والعاصي والمطيع، والكافر والمؤمن، وهذه التفرقة إما أن تكون في الدنيا أو في دار أخرى، والأول باطل،

لأن الغالب أن الكفار والفساق في أعظم الراحات، والصلحاء والزهاد في أعظم المحن والآفات، وإن أجهل الناس وأفسقهم في أعظم اللذات والغنى، وإن أعلمهم وأزهدهم في أشد الفقر والبلاء فتعين الثاني »[1].

وهذا الدليل هو مقتضى قوله تعالى: [المؤمنون: 115-116].

وقوله تعالى: [الجاثية: 21-22].

---

[1] (?) التنبيهات: ص(54) .

فمقتضى حكمته تعــــالى وعدله أن يفـــــرق بين المحسن والمسيء، والعاصي والمطيع .

أما دليله الآخر لإثبات الثواب والعقـاب، فيقـول: « إن الله أعطى الناس عقولاً بها يميزون بين الحسن والقبيح، وأعطاهم قدراً بها يقدرون على الخير والشـر، فمن الـواجب في حكمته وعدله أن يمنعهم عن الكفر والجهل وســـائر الســـيئات، وأن يرغبهم إلى الإيمان وسائر الحسنات، ولا يكفي في ذينك الردع والترغيب ما أودع الله في العقل من تحسين الحسنات وتقـبيح المنكرات ... لأن العقل وإن كان داعياً للإنسان إلى فعل الخير وتـرك الشـر، إلا أن الهـوى والنفس يدعوانه إلى الإنهمـاك في الشهوات الجسيمة واللـذات الجسـدانية، فـإذا حصل التعـارض فلا بد من مـــرجح قـــوي، وما ذاك إلا تـــرتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب على الفعل والترك، وذلك الثواب والعقـاب لا بد أن يحصلا وإلا لـزم كونه كاذبـاً، وهو محـال، لأنه مـنزه عن النقـائص، ولأن الكـذب إنما يصـدر عن العاقل للعجز أو للجهل وهو منزه عنهما .

ولو قطعنا النظر في كونه محـــــالاً، وجوزنـــــاه على الله للـــترهيب والـــترغيب، لا يحصل هـــذا الغـــرض بالوعد والوعيد الضار، لأن السامع يجوّز في تلك الصـورة أن كلاً منهما كـذب، فلا يعتبر.

فإذا ثبت لـزوم الثـواب والعقـاب، وهما غـير حاصـلين في الدنيا ... فلا بد من دار أخرى وحياة أخرى »[1]



---

1 (?) التنبيهات: (55-56) .



الفصل السادس

موقفه من المخالفين

<u>وفيه ستــــة مباحــث</u> **: -**

- المبحث الأول : **موقفه من الرافضـــــــة** .
- المبحث الثاني : **موقفه من الفلاسفـــــــة** .
- المبحث الثالث : **موقفه من الصوفيـــــــة** .
- المبحث الرابع : **موقفه من المتكلمـــــين** .
- المبحث الخامس : **موقفه من البراهمـــــــة** .
- المبحث السادس **: موقفه من**

التناسخيـــــــة .

المبحث الأول : موقف الشيخ رحمت الله من الرافضـــــــــة

معنى الرافضة لغة واصطلاحاً:

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الـترك. يقـال: رفض يـرفض رفضاً، أي ترك. وعـرفهم أهل اللغة بقـولهم: « والـروافض كل جند تركوا قائدهم »[1]

وأما في الاصــــــطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الـذين رفضـوا خلافة الشـيخين وأكـثر الصـحابة، وزعمـوا أن الخلافة في علي وذريته من بعــده بنص من النبي ﷺ، وأن خلافة غيرهم باطلة .[2]

وتعد الرافضة الاثنا عشرية هي الواجهة البارزة في عصرنا الحاضر للتشيع .

ولقد كــان الشيخ رحمت الله الهنــدي موقفه الواضح من الشــيعة الرافضة في كثـير من كتاباتــه، فقد قـام بترجمة كتـاب التحفة الإثنا عشـرية للعلامـة: (شـاه عبـدالعزيز بن ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي) المتـوفي سـنة (1239هـ/1824م)، ألفه باللغة الفارسية للرد على الروافض، ويسمى هذا الكتاب أيضاً:

---

1 (?) انظر: الجوهري: الصحاح: (3/1078)، ابن منظـور: لسـان العرب: (7/156) .

2 (?) انظر: غـالب بن علي عـواجي: فـرق معاصـرة تنتسب إلى الاسلام. موقف الاسلام منها: (1/344)، ط4، (1422هـ-2001م)، المكتبة العصرية الذهبية - جدة .

(نصيحة المؤمنين وفضيحة الشياطين).

ذكر المؤلف أن غرضه من تـأليف هـذا الكتـاب هو كشف حال الشيعة وبيان أصول مـذهبهم، ومآخـذهم وبيـان عقائـدهم في الإلهيات والنبوات والإمامة والمعاد، وطبع بالفارسية سنة (1271هـ)، ويقع في (774) صفحة.

وقد ترجمه الشيخ رحمه الله إلى العربية ولم يكملـــــه، وترجمه الشـــيخ غلام محمد بن محي الـــدين عمر الأســـلمي إلى اللغة العربيـة، وانتهى من ترجمته في شـعبان سـنة (1227هــ) في بندر مدراس[1].

ثم قـام علامة العـراق محمـود شـكري الألوسي المتـوفي سـنة (1342هــ) باختصــاره في ختــام القــرن الثــالث عشر الهجـري، وسـماه (المنحة الإلهية تلخيص ترجمة التحفة الاثـنى عشــرية)، وطبع هــذا المختصر سـنة (1315هــ) في بومبــاي بالهند، وهذه هي النسخة الـتي حققها وعلق عليها محب الـدين الخطيب [2]. [3]

---

[1] (?) رابع كبريات مدن الهند، عاصمة ولاية تاميل نـادو، وهي تعد الميـنــاء الرئيسي والمركز التجــاري للولايــة. (الموســوعة العربية العالمية: 22/266).

[2] (?) محمــود شــكري بن عبدالله الحســني الألوسي البغــدادي، جمال الدين أبو المعالي، ولد في الرصافة في بغداد سنة 1273هـ، وهو مـؤرخ، أديب، لغـوي، من علمـاء الـدين. من تصـانيفه: تـاريخ بغداد، الدلائل العقلية في ختم الرسـالة المحمدية في إثبـات محمد ﷺ . توفي في بغداد سنة 1342هـ.

(انظر: كحالة: معجم المؤلفين: (3/810).

[3] (?) انظـــر: مقدمة مختصر التحفة الاثـــنى عشـــرية: ، تحقيق وتعليق محب الـدين الخطيب، ط الريـاض، وانظـر: مقدمة تحقيق كتاب إظهار الحق، للدكتور ملكاوي: ص(71) .

ولما كان هذا الكتـاب ولا يـزال أكـبر موسـوعة علمية في الــرد على الــروافض الــذين كــانوا من أكــبر حلفــاء الاحتلال الانجلــيزي للهنــد؛ قــام ﭬ بترجمة هــذا الكتــاب من الفارسية إلى العربية كي تعم الفائدة .

ومن المؤسف أن تـرى من يتهم ﭬ بالتشـيع لكونه مترجماً للتحفة الاثنا عشرية أو لاعتقـاده بظهـور المهـدي، كما فعل الـدكتور أحمد حجـازي السـقا عند تحقيقه لكتـاب إظهـار الحــق. [1] وقد تعقبه الــدكتور محمد ملكــاوي وأبطل دعــواه لخلوها عن الحقائق العلمية . [2]

والواقع أن ﭬ كــان له موقف واضح وصــريح من الشيعة، يظهر لنا جليـاً في الفصل الرابع من البـاب الخـامس في كتابه إظهار الحق، حيث أبطل طعن الشـيعة في الصـحابة الأمر الـذي يحتج به النصـارى في رد الأحـاديث النبويـة، فقـام ببيان فضل الصحابة وصـحة إمامة الخلفـاء الراشـدين الأربعـة، وفضلهم، ووجوب محبتهم مسـتدلاً على ذلك بالأدلة الشـرعية. [3]

ولقد صــرح بــأن: « المحبة المنجية ما تكـــون إلى الآل والأصـحاب، - ﭬ - لا بالنسـبة إلى أحـدهما، وأن بغض واحد من الآل والأصحاب كافٍ للهلاك »[4]

وهذا هو المنهج السلفي الصـحيح الـذي يجب اعتقـاده في الآل والأصحاب، كما هو ثابت بالكتـاب والسـنة، ومن ذلك قـول

---

[1] (?) انظر: السقا: إظهار الحق، هامش(7): ص(512)، ط عـام (1398هـ-1978م) دار التراث العربي للطباعة والنشر - القاهرة .

[2] (?) انظر: ملكاوي: مقدمة إظهار الحق: ص(69-72) .

[3] (?) انظر: إظهار الحق: (3/928-940) .

[4] (?) إظهار الحق: (3/940-941) .

الرسول ﷺ: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ثم الـذين يلـونهم)) [1].

ومن أدل الأدلة على وجوب حب الصحابة قوله تعالى -بعد ذكر المهاجرين والأنصار- : [illegible] [الحشر: 10].

وكذلك آل البيت الذين يجب موالاة أهل الدين والإستقامة منهم وحبهم وإكـرامهم وحفظ وصـية الرسـول ﷺ فيهم فقـال: ((أذكــركم الله في أهل بيــتي)) [2] لأن ذلك من محبة النــبي ﷺ وإكرامه. من غير جفاء ولا غلو .

أما من خالف السنة وانحرف عن الدين فيجب البراءة منه ولو كان من أهل الـبيت، فـإن كونه من أهل الـبيت ومن قرابة الرسول ﷺ لا تنفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله .

ولقد ختم الشيخ رحمه الله دفاعه عن الصـحابة أجمعين بقولـه: « نجانا الله من ســوء الاعتقــاد في حق الأصــحاب والآل - أجمعين - وأماتنا على حبهم. ونظــــراً إلى الآيـــات الكثـــيرة والأحـــاديث الصـــحيحة اتفق أهل الحق على وجـــوب تعظيم الصحابة »[3]

---

1 (?) أخرجه البخـاري: كتـاب فضـائل الصـحابة، بـاب فضـائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النـبي أو رآه من المسـلمين فهو من أصـــحابه ح (3651): ص(612)، ومســـلم بنحـــوه في فضـــائل الصـحابة، بـاب فضل الصـحابة ثم الـذين يلـونهم: (7/183) المجلد الرابع .

2 (?) رواه مسـلم في كتـاب فضـائل الصـحابة، بـاب من فضـائل علي بن أبي طالب : (7/123) المجلد الرابع.

3 (?) إظهار الحق: (3/941) .



المبحث الثاني : موقف الشيخ رحمت الله من الفلاسفـــــــة

الفلســـفة باليونانية محبة الحكمـــة، والفيلســـوف هـــو: فيلاســـوفيا، وفيلا: هو المحب، وســـوفيا هـــو: الحكمـــة، أي هو محب الحكمة . [1]

والفلاسـفة هم قـوم زعمـوا أن الوجـود كله - الحسي منه وما رواء الحسي - تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية .

كما زعمـــوا أن تصـــحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع، فإنها بعض من مدارك العقول . [2]

والفلاسفة ثلاثة أصناف:

الأول: الدهريون:

وهم طائفة من متقـدميهم أنكـروا الخـالق، وقـالوا بأزلية العالم وأبديته .

الثاني: الطبيعيون:

وهم طائفة منهم أكـثروا البحث في المخلوقـات فقـادهم ذلك إلى الإقرار بالخالق، ولكنهم أنكروا المعاد؛ لأن المعدوم لا تعقل إعادته .

الثالث: الإلهيون:

---

1 (?) انظـــر: الشهرســـتاني: الملل والنحـــل: (2/363)، وابن خلدون: المقدمة: ص(595).

2 (?) انظر: ابن خلدون: المقدمة: ص(595).

وهم متـــــأخروا فلاســـــفة اليونـــــان؛ كســـــقراط[1] وأفلاطـــــــــــــــــــــــــــــــون[2]
وأرسطو[3] وهو مهذب علـوم الفلاسـفة ومحررهـا؛ ولهـذا لقبه الفلاسفة الإسلاميون بـالمعلم الأول، وسـاروا على طريقته في كل ما ذهب إليه سوى كلمـات يسـيرة رأوا فيها رأي أفلاطـون والمتقدمين.

ويعتــبر الفــارابي وابن ســينا أدق نقلة فلســفة أرســطو، وأكثرهم قياماً بها؛ ولهذا كان لكتبهما وخاصة رئيسهم ابن سينا المكانة الأولى في المصادر الفلسفية .

وقد كثرت أغاليطهم في الالهيـات، وأشـهرها ثلاثة خـالفوا فيها كافة المسلمين، وهي القول بقدم العالم وأزليته، والقــول بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، وانكار معاد الأبدان . [4]

---

1 (?) سـقراط: فيلسـوف يونـاني من أثينا عـاش ما بين عـامي (470-399) ق.م، ولم يـترك أثـراً مكتوبـاً، وحـارب الوثنية وعبـادة الأصـنام، سـجل حياته وتعاليمه تلميـذه أفلاطـون في (محاوراتـه) ويعد سقراط ألد أعداء السوفسطانية الذين زعموا أن الموجـودات خيـالات لا حقيقة لهـا، فـأوقعوا به لـدى الحكومة اليونانية فسـجن وحكم عليه بـــالموت. انظـــر: الموســـوعة العربية العالميـــة: (12/342).

2 (?) أفلاطون: فيلسوف يوناني مشهور، أستاذ أرسـطو، ولد في أثينا سنة (428) ق.م، له مصنفات كثيرة، من أشهرها الجمهوريــة، تــوفي ســنة (348) ق.م . انظـر: الموسـوعة العربية العالميـة: (2/392).

3 (?) أرسطو: فيلسـوف يونـاني مشـهور، ولد سـنة (384) ق.م بمدينة أســـطاغيرا، وضع علم المنطق كله تقريبـــاً، ومن هنا لقب بالمعلم الأول، وله مؤلفات كثيرة، توفي سنة (322) ق.م .

انظر: الموسوعة العربية العالمية: (2/342) .

ولقد دخلت الفلسفة اليونانية « إلى المسلمين في القرن الأول، لما فتحـوا بلاد الأعـاجم لكنها لم تكـثر فيهم ولم تشـتهر بينهم لما كان السلف يمنعـون من الخـوض فيهـا، ثم اشـتهرت في زمن الـبرمكي [1]، ثم قـوى انتشـارها في زمن المـأمون[2] لما اثــاره من البــدع وحث عليه من الاشــتغال بعلــوم الأوائل وإخماد السنة »[3]

ومن المؤسف أن أثر الفلســــفة لم يقتصر على فكر من ينتمي إليه كالفـارابي وابن سـينا بل تعـداهم ليـؤثر في منـاهج الفكر بشكل عام عند المتكلمين .

ومن خلال تتبع منهج الشيخ رحمه الله في العقيـــــــدة، وبخاصة موقفه من الفلاســفة نجد أن هــذا الموقف غــير واضح تمامــاً، ويــزداد الأمر تعقيــداً في كتابه ’’ التنبيهــات ‘‘ الــذي ألفه في إثبـات الحاجة إلى بعثة الرسل واليـوم الآخر ممن تـأثر بـالفكر

---

1 (?) هو يحي بن خالد بن بـرمكي، أبو الفضـل، الـوزير الجـواد، مـؤدب الرشـيد، لما ولي هـارون الرشـيد دفع خاتمه ليحي وقلـده أمـره، فبـدأ يعلو مـات سـنة 190هــ، وهو أول من عـني بتعـريب المجسطي.

انظـر: (ابن كثـير: البداية والنهايـة: (10/636-638، والـزركلي: الإعلام: 8/144).

2 (?) هو عبدالله المـأمون بن هـارون الرشـيد، من جارية اسـمها مراجل (أم ولـــد)، تـــولى الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين ســـنة (198هـ)، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر، كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصـحيحة، وكـان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه، توفي بطرسوس سنة 218هـ.

(انظر: ابن كثير: البداية والنهاية: (10/717-723).

3 (?) السـيوطي: صـون المنطـق: ص(12)، ت: على سـامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت .

المادي الإلحادي وأرخى العنان لعقله، فكثيراً ما نراه يقوي هذا الــرأي أو المســألة العقيدية باســتخدام أدلة الفلاســفة ليثبت النتيجة، رغم أن المقدمات باطلة قطعـاً، بل مؤدية إلى مفاسد عقدية باطلة بالضرورة العقلية .

ومن ذلـــك:

- القول بتجرد الأرواح:

استخدام الشيخ رحمه الله قضية تجرد الروح في الاســتدلال على مسألتين:

المسألة الأولى: امكانية إطلاع النبي على الغيبيات:

فقـال: « حصـول الاطلاع على الغيبيـات الماضـية والآتية للنبي لا تستنكره الفلاسـفة أيضـاً، لأن النفـوس الإنسـانية على مـذهبهم مجـردة في ذاتها عن المـادة غـير حالة فيهـا، بل هي لامكانيـة، ولها نسـبة في التجـرد إلى المبـادئ العاليـة، أعـني: العقول والنفوس السماوية المنتقشة بصورة ما يحدث في هذا العالم العنصري الكـائن الفاسـد، لما تقـرر أنها عالمة بـذواتها، فقد تتصل النفس الإنسانية بتلك المبادئ العالية اتصالاً معنويـاً بواسطة الجنسية، وتشاهد ما فيها من صور الحوادث، فيرتسم فيها من تلك الصور ما تستعد هي لارتسامه .. .. »[1]

المسألة الثانية: إثبات المعاد لمن أنكره مطلقاً:

يقـول: « أن الإنســان ليس عبـارة عن هـذا الهيكل بما له من مزاج مخصوص، بل هو عبارة عن الجوهر المجــرد، كما هو المختار عند محققي الفلاسفة والمحققين من علمـاء الإسـلام، على ما هو مصرح في الكتب الحكيمة والكلامية .

.. .. ولما ثبت إمكان تعلق هذا الجوهر المجرد بالبــدن في

---

[1] (?) التنبيهات: ص(41) .

المــرة الأولى، وجب أن يكــون تعلقه في المــرة الثانية أيضــاً ممكناً ويكون هذا الإنسان العائد عين الإنسان الأول »[1]

ولا شك أن الروح جسم قـائم بنفسه خلافـاً لمن زعم أنها جـوهر مجـرد، لأنها وصـفت في القـرآن والسـنة بما يـدل على ذلك؛ كالتوفي والإمساك والإرسال والرجوع والدخول والرضا . [2]

- مسألة إطلاع النبي على الغيبيات:

فقد نقل ﷺ عن الفلاســفة في الكيفية الــتي يطّلع بها النـبي على الغيبيـات، حيث يـرى أن نفس النـبي المجـردة تتصل بعالم العقـول والنفـوس السـماوية المنتقشة بصـورة ما يحدث في هذا العـالم العنصـري الفاسد فتشـاهد تلك النفـوس صور الحوادث فيرتسم فيها من تلك الصور . [3]

وهذه الكيفية في إثبات اطلاع النبي على الغيبيـات تقتضي لـــوازم باطلة -بغض النظر عن مخالفتها الصـــريحة للنصـــوص الشـرعية والضـروريات العقليـة- من تلك اللـوازم الباطلـة، أن الإطلاع على الغيب ليس من اختصــاص الأنبيــاء فقــط، بل كل من ارتاضت نفسه بصـــنوف الرياضـــات أمكن له الاطلاع على الغيب بنص كلام الشيخ رحمه الله. [4]

- إمكان حدوث المعجزة:

قاس الشيخ رحمه الله تأثير نفس النبي على العالم بخرق العادة،

---

1 (?) المرجع السابق: ص(53) .

2 (?) انظر: ابن القيم الروح: ص(225-246) .

3 (?) انظر: التنبيهات: ص(41) .

4 (?) انظر: المرجع السابق: ص(42) .

على تأثير النفس المجـردة على البـدن، الـتي علاقتها به علاقة تـدبير وتصـرف لا علاقة حلـول وانطبـاع فكما تـؤثر النفس في البدن كـالحمرة عند الخجل والصـفرة عند الوجـل، فلا يسـتعبد تصرف النفوس القدسية إلى أبعد من البدن إلى العالم .[1]

وأشرك في هـذه القـدرة النفـوس المرتاضـة، كما يحـدث في الكرامة.[2]

والقول بأن علاقة الـروح بالبـدن علاقة تـدبير وتصـرف[3]، قول مخالف للنصوص الشرعية من أن الروح « جسم مخـالف بالماهية لهـذا الجسم المحســوس، وهو جسم نــوراني علــوي خفيف
حي متحـرك، وينفذ في جـوهر الأعضـاء ويسـري فيها سـريان المـــــاء وســـــريان الـــــدهن في الزيتـــــون، والنار في الفحـم »[4].

ثم إن تفسـير حـدوث المعجـزة بـذلك التفسـير الفلسـفي مخالف للنصوص الصريحة ويلزم منه لوازم باطلـة .[5]

- تفسير الوحي:

نقل ﵀ عن الفلاســفة تفســير الــوحي تفســيراً اشراقياً، بحيث يفسرون ذلك بتجرد نفس النـبي عن الشـواغل البدنية، فانجذبت نفسه لعالم القدس لشدة اتصالها به، فكانت

---

1 (?) انظر: المرجع السابق: ص(45-46).

2 (?) انظر: المرجع السابق: ص(46) .

3 (?) انظـر: ابن سـينا: النجـاة: (2/23-27، 23-29)، الرسـالة الأضحوية: (132) .

4 (?) انظر: ابن القيم: الروح: ص(225) .

5 (?) انظر: ص(348) .

القـوة المتخيلة في غاية الشـدة، قوية التلقي في عـالم الغيب فتشاهد المعقول كمشـاهدة المحسـوس، فيمثل العقل العاشر صوراً واشباحاً في حس النبي المشترك، فيسمع الكلام .[1]

وهـذا أيضـاً يخـالف بالضـرورة نصـوص الكتـاب والسـنة، ويلزمه من اللوازم الباطلة ما يكفي لإبطاله .[2]

ولما كان فساد الدليل يقتضي بالضـرورة فسـاد المـدلول، كـان اسـتدلال الشيخ رحمه الله على تلك القضـايا بأدلة الفلاسـفة اسـتدلالاً بـاطلاً حـتى في مناقشة من حكمـوا عقـولهم، وكـان الأولى الاستدلال بالأدلة الشرعية لإحتوائها على الدلالة العقلية النقلية معاً .

---

1 (?) انظر: التنبيهات: ص(49-50) .

2 (?) انظر: ص(250-255).

المبحث الثالث : موقف الشيخ رحمت الله من الصوفيـــــــة

تبـــاينت أقـــوال العلمـــاء في الاشـــتقاق اللغـــوي لكلمة التصــوف، وهل هي مــأخوذة من الصــفاء أو الصــوف أو من الصُفّة أو الصف أو غير ذلك .

إلا أن شـــيخ الاســـلام ابن تيمية ~~ يـــرجح أن التصـــوف منسوب إلى لبس الصوف، فيقول:

« وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم: القراء، فيدخل فيهم العلمـــاء والنســـاك، ثم حـــدث بعد ذلك اسم الصـــوفية الفقراء واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف.

وقد قيل أنه نسبة إلى صفوة الفقهاء.

وقيل إلى صوفة بن أد بن طابخة، قبيلة من العــرب كـانوا يعرفون بالنسـك، وقد قيل إلى أهل الصـفة، وقيل إلى الصـفا، وقيل إلى الصـــفوة، وقيل إلى الصف المقـــدم بين يـــدي الله تعالى.

وهــذه أقــوال ضــعيفة فإنه لو كــان كــذلك لقيل صُــفِّي وصفائي، أو صَفَوِيِّ أو صفِّي ولم يقل صوفـي »[1].

أما في الاصطلاح: فقد عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنــه: نــوع من الصــديقية، فهو أي الصــوفي الصــديق الــذي اختص بالزهد والعبـادة على الوجه الـذي اجتهـدوا فيه فكـان الصـديق من أهل هـذه الطريقـة، كما يقـال صـديقوا العلمـاء وصـديقوا الأمراء فهو أخص من الصديق المطلق، ودون الصـديق الكامل

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (11/195).

الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم »[1].

أما ابن خلدون فقد عرف أصل التصوف بأنـه: « العكـوف على العبـــــــــــــــادة والانقطــــــــــــاع إلى الله تعـالى والإعـراض عن زخـرف الـدنيا وزينتهـا، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجـاه »[2].

أما الشيخ رحمه الله فقد عـــــرف علم التصـــــوف بأنه العلم « المتعلق بتصـــــــــــــــــفية البـــــــــــــــاطن ورياضة القلـوب »[3].

على معـنى من قـال أنه علم تزكية النفـوس عن الأخلاق الردية، وتصفية القلوب عن الأغراض الدنية[4].

ثم أكد الشيخ رحمه الله حصـول مبـاحث هـذا العلم في القـرآن الكريم ما لم يوجد في غـيره كقوله تعـالى: [الأعراف: 199].

وقوله سبحانه: [النحل: 90].

ثم قـــال الشيخ رحمه الله مبينـــاً احتـــواء تلك الآيـــات على علم التصوف: « فقوله: [فصلت:34] يعني: ادفع سـفاهتهم وجهـالتهم بالخصـلة الـتي أحسـن، وهي الصـبر ومقابلة السيئة بالحسنة.

وقولـه: (فـإذا الـذي... الخ) يعـني: إذا قـابلت إسـاءتهم بالإحسان، وأفعـالهم القبيحة بالأفعـال الحسـنة تركـوا أفعـالهم

---

1 (?) مجموع الفتاوى: (11/17).

2 (?) المقدمة: (514).

3 (?) إظهار الحق: (3/818).

4 (?) انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون: (1/هامش: 413).

القبيحــة، وانقلبــوا من العــداوة إلى المحبــة، ومن البغضة إلى المودة »[1].

وهـذا التعريف الأخلاقي للتصـوف يـذهب بنا إلى التصـوف السني المحمود الذي لم يخالطه أي انحرافات أو بدع.

فـــــ الشيخ رحمه الله يســـتخدم بعض المصـــطلحات الصـــوفية كالفنـاء[2]، فهو يـرى أن التكـاليف الشـرعية لا تمنع القلب عن

---

1 (?) إظهار الحق: (3/818).

الاستغراق في معرفة الله والفناء في عظمته فيقول:

« وهــذا التكليف لايمنع القلب عن الاســتغراق في معرفة اللــه، والفنـاء في عظمتـه، لأن التفكر في معرفة الله وصـفاته وأفعاله العمــدة الكــبرى من أغــراض ذلك التكليــف، وســائر التكاليف داعية إليه، ووسـيلة إلى صـلاح المعـاش المعين على صفاء الأوقات عن المشوشات الـتي يفضل شـغلها على شـغل التكاليف » [1].

وقد مرّ معنا مناقشة عباراته السابقة[2].

ومن المصلحات الصوفية التي تعرض لها الشيخ رحمه الله كـذلك الأحــوال والمقامــات[3] الــتي يــرى أنها هداية ونعمة من الله تعالى لعباده الصالحين[4].

---

[1] (?) التنبيهات: ص(38) .

[2] (?) انظر: ص(265) .

[3] (?) الأحــــوال في اللغة جمع حــــال وهو نهاية الماضي وبداية المستقبل، وفي اصطلاح المتصوفه: معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتذاب ولا اكتسـاب من طـرب أو حـزن أو قبض أوبسط أو هيبه.

والمقامـات في اللغـة: جمع مقـام وهو موضع القيـام سـواء كـان حسياً أو معنوياً وفي اصطلاح المتصوفة: مقام الرب بين يـدي الله فيما يقـام فيه من العبـادات والمجاهـدات والرياضـات والانقطـاع إلى الله ، وبين الأحوال والمقامات تداخلاً وتلازماً يصعب التفريق بينها، أجمع الآراء في ذلك أن الحـال يكـون في بدايته معـنى يطـرأ ويزول لكنه بالتكرار يصير معنى راسخاً وهذا المعنى هو المقام.

انظر: الجرجاني: التعريفات: ص(71-179)، أحمد البنـاني: موقف ابن تيمية من الصوفية: ص(109).

[4] (?) انظر: التنبيهات: ص(24) .

ومن هذا نجد أن كلام الشيخ رحمه الله عن التصـوف محـدود، فلا نجـده نـاقش أقـوالهم أو رد على مسـألة من مسـائلهم في العقيـدة، وماجمعنـاه يـدل على أن الشيخ رحمه الله ينهج التصـوف السني المحمود .

بقي أن نشير إلى أن الشيخ رحمه الله قام بترجمة كتـاب « آداب المريدين » للشيخ أبي النجيب عبد القاهر عبدالله السـهروردي الذي ألفه في علم التصوف والأخلاق باللغة العربية .

وقد ترجمه الشيخ رحمه الله إلى الأردية[1].

---

[1] (?) انظر: كشف الظنون: (1/43) .

المبحث الرابع : موقف الشيخ رحمت الله من المتكلمين

"المتكلمـون" لفظ يضم الكثـير من الفـرق الـذين انتهجـوا في العقيدة منهجاً مخالفـاً لما كـان عليه السـلف في القـرون المفضلة .

فعلم الكلام: « علم يتضــمن الحجــاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المنحرفين في الاعتقادات »[1] .

فلما كان الحجاج معتمداً على الأدلة العقلية باطلاقها، وقع الخلل في منهج المتكلمين وذلك بمخالفة النصــوص الشــرعية بل وعقولهم التي اعتمدوها .

والشيخ رحمت الله يعتمد في كثير من نقاشـاته وردوده على منهج المتكلمين وخاصة الأشـــــــاعرة، فقد اعتمد على كتـــــــاب (المواقــف)، ومؤلفــات الــرازي، وهم من المتكلمين الــذين خلطوا الكلام بالفلسفة.

والمسائل التي كان موافقاً فيها لمنهج المتكلمين هي:

1- أهم تلك المســائل الــتي أثــرت في بقية المســائل الفرعية الأخــرى، اعتمــاد العقل منهجــاً في الاســتدلال على قضايا العقيدة، بل اعتباره أصل النقــل، فيقـدم على النقل عند التعارض[2] .

2- القول بالتأويل عند المعارض العقلي[3].

---

1 (?) ابن خلدون: المقدمة: (490) .

2 (?) انظر: ص(79).

3 (?) انظر: ص(86).

3- القول بأن خبر الآحـاد لاتفيد العلم القطعي، فهو معتمد في العمل لا في إثبات العقائـد[1].

4-موافقة المتكلمين في إثبات وجود الله، وأنه من الأمـور التي تثبت بالعقل[2].

5-إثبـــات الصـــفات العقلية على منهج الأشـــاعرة ونفي الصـــفات الخبرية والفعلية بـــدعوى: نفي الحـــدوث عن الله وتنزيهه تعالى عن التجسيم والتركيب[3] .

6-إثبـات الرؤية مع نفي أن يكـون الله تعـالى في مكـان على منهج المتكلمين من الأشاعرة[4].

7-موافقة المعتزلة الوعيدية في حتمية إنفـــــــــاذ الوعد والوعيد[5].

8-كما وافقهم كذلك في القول بمسألة الوجـوب على الله تعالى[6] .

وعند ربط مواقف الشيخ رحمه الله الكلامية الأشـــعرية، بـــآراءه الفلسفية يتضح لنا التصاقه بالأشاعرة المتأخرين المـائلين إلى الفلسـفة كـالرازي والغـزالي في أغلب المسـائل، مع موافقة المعتزلة في المسألتين الأخيرتين.

---

1 (?) انظر: ص(90).

2 (?) انظر: ص(126) .

3 (?) انظر: ص(146-153) .

4 (?) انظر: ص(154) .

5 (?) انظر: ص(492) .

6 (?) انظر: ص(245، 490) .

المبحث الخامس : موقف الشيخ رحمت الله من البراهمـــــــة

البراهمة: مفردها برهمي، وهي من أقدم الديانات الهندية، وتقـوم في عقائـدها على وحـدة الوجـود والتناسخ وانكـار بعثة الرسل .

اختلف في النســبة، « فمن النــاس من يظن أنهم ســمّوا براهمة لإنتسابهم إلى إباهيم وذلك خطأ فإن هؤلاء القـوم هم المخصوصــون بنفي النبــوات أصــلاً ورأســاً فكيف يقولــون بإبراهيم ؟

والقوم الـذين اعتقـدوا نبـوة إبـراهيم من أهل الهنـد، فهم الثنوية منهم القــائلون بــالنور والظلام على مــذهب أصــحاب الاثنين ...

إلا أن هــؤلاء البراهمة انتســبوا إلى رجل منهم يقــال له برهام قد مهد لهم نفي النبوات أصـلاً وقـرر اسـتحالة ذلك في العقل ... »[1] .

أما ابن حزم فيرى أنهم « قبيلة بالهند، فيهم أشــراف أهل الهند يقولــون: إنهم من ولد بــرهمي ملك من ملــوكهم قــديم، ولهم علامة ينفـردون بهـا، وهي خيـوط ملونة بحمـرة وصـفرة يتقلدونها تقلد السيوف ... »[2] .

وما يهمنا في عقائد البراهمة هو مســـألة النبـــوات، فقد

---

[1] (?) الشهرستاني: الملل والنحل: (3/706-707) .

[2] (?) الفصل في الملل والنحل: (1/137) .

أنكروا النبوات بناءً على استحالته عقلاً[1] .

ولما تخوف الشيخ رحمه الله من تأثر بعض أبناء المسـلمين بفكر هـؤلاء في مسـألة النبـوة قـام بإبطـال أصل اسـتدلالهم وهو اعتمادهم على العقل، فقال: « إن أكثر أبناء هذا الزمان مـالوا في انكـــار الاحتيـــاج إلى البعثة إلى رأي جمهـــور البراهمة والصائبة والتناسـخية، فاعتقـدوا بـأن العقل البشـري كـاف في تمـيز الأشـياء النافعة عن المضـرة، فالفعل الـذي يحكم العقل بحسنه يفعل، والـذي يحكم العقل بقبحه يـترك، والـذي لايحكم العقل بحســـنه ولا بقبحه يفعل عند الحاجة إليه ويـــترك عند عدمها .

ومالوا في إنكار الحشر مطلقاً، جسمانياً كـان أو روحانيـاً، إلى رأي القدماء من الفلاسفة الطبيعيين .

وإذا ارتسخ هــذان الرأيــان في أذهــانهم صــار عقل كل بمنزلة رســـــــوله لــــــــه، بل صــــــــار إلهه هـواه ... » [2].

فكـان منهجه في إبطـال هـذا المعتقد -الـذي يقضي عـدم الحاجة إلى الأنبياء، وكـون عقل كل إنسـان بمثابه نـبي لـه- أن ناقشه من عدة جوانب:

الأول: إثبات الحاجة إلى النبوة .

الثاني: إثبات حدود العقل وإمكانياته .

الثالث: إثبـات عـدم اسـتحالة النبـوة ومايتبعها من الاطلاع على الغيب والمعجزات[3] .

---

1 (?) انظر: ص(256-259).

2 (?) التنبيهات: ص(25-26) .

3 (?) انظر: ص(260-262).

ولما كان معتمداً في أدلته على أدلة الفلاسفة في مسـألة الاطلاع على الغيب والــوحي والمعجــزة فقد أبطل معتقــدهم وإن كــان بمنهج فلســفي تــرتب عليه لــوازم باطلة -كما مــرّ معنا- .



المبحث السادس : موقف الشيخ رحمت الله من التناسخيـــــــة

من الخطأ الاعتقـــاد أن التناســـخية نحلة أو فرقة مختصة بذاتها، لأن القول بالتناسخ فكر اعتنقه الكثير من الملل والنحل الوضعية، بل بعض الفرق الإسلامية .

والتناسخ هو اعتقـاد انتقـال الـروح بعد المفارقة إلى بـدن مغاير للبدن الذي كانت فيه[1] والقول به يعد إنكاراً للمعاد[2] .

وقد نشأ القول بالتناسخ من قبل فرقة تســمى « الحرنانية »[3]، ثم دان به من بعـــــدهم كثـــــير من المنتســــــبين للملل والنحل[4]، ولهذا قال الشهر ستاني: « مـامن ملة من الملل إلا وللتناسخ فيها قـدم راسخ وإنما تختلف طـرقهم في تقرير ذلك »[5]، أي في المنتسبين إليها لافي الملل ذاتها .

---

1 (?) انظـر: الشهرســتاني: الملل والنحــل: (2/281)(3/714)، وأحمد شلبي: أديان الهند الكبرى: ص(61).

2 (?) انظر: ابن القيم: الروح: ص(120-145-148) .

3 (?) الحرنانية جماعة من الصـــائبة، ينســـبون مقـــالتهم إلى عاذيمون، وهرمس، وأعيانـا, وأواذى، ويزعمـون أنهم أنبيـاء، ومنهم من ينسب مقالته إلى سولون جد أفلاطـون لأمـه، ويـزعم أنه كـان نبيــاً، وقد اشــتهر الحرنانية بـــالقول بالتناسخ والحلــول، وهم أصل هاتين العقيدتين الخبيثتين .

الشهرستاني: الملل والنحل: (2/359-360) .

4 (?) انظـر: الشهرســتاني: الملل والنحــل: (2/361)، (3/714)، وشرح المقاصد: (3/328) .

5 (?) الملل والنحل: (3/714) .

وكان للبراهمة دور كبير في إشاعة القول بالتناسـخ، لأنهم أشد النـاس اعتقـاداً لـه، والقـول به أخص عقائـدهم وعلامة نحلتهم[1] .

وقد افترق القائلون به على مذهبين:

الأول: أن الأرواح تنتقل إلى نـوع الأجسـاد الـتي فـارقت، ولايجوز أن تنتقل إلى غير النـوع الـذي أوجب لها طبعها التعلق به .

الثاني: أن الأرواح تنتقل بعد المفارقة إلى أجساد أخـرى، وإن لم تكن من نوع ما فارقت.

فإن انتقلت إلى جسم إنساني كان نسخاً، وإن انتقلت إلى حيـوان كـان مسـخاً، وإن انتقلت إلى نبـات كـان فسـخاً، وإن انتقلت إلى جماد كان رسخاً[2] .

والقول بالتناسخ يستلزم لوازم باطلة وهي:

الأول: أزلية الروح وأبديتها، فهي لم تسبق بعدم ولا يطرأ عليها فنـاء، لأنها جـزء من الإله انفصل عنه إلى أجل محـدود، وسيعود إليه مـتى اسـتكمل ميولـه، ونـال جـزاءه، ويـنـدمج في الإله كما تنـدمج القطـرة في مـاء المحيـط، ويعـبر عن تجـرد الـــروح من الظـــواهر المادية واتحادها بالإله بـــالانطلاق أو النجاة أو النرفانا.

الثـاني: أزلية العـالم وأبديتـه، لأن الأرواح القديمة دائمة الانتقال في أجساد غير متناهية لاستكمال ميولهـا، ونيل جزائها

---

[1] (?) انظـر: الملل والنحـل: (3/714)، علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة: (183) .

[2] (?) انظـــر: ابن حـــزم: الفصل في الملل والنحـــل: (1/165-166)، التفتازاني: شرح المقاصد: (3/325) .

ثواباً وعقاباً.

الثالث: أن الروح لاتعرف ماتجـازى به ولاتتـذكره، لأن كل دورة منقطعة تماماً عما سواها من الدورات.

الرابع: أن المعـاد عبـارة عن عـود الـروح إلى بـدن جديد تجازى به، والـروح أبـداً في جـزاء على ماقـدمت، أو في عمل تنتظر جزاءه .

وهذه النظـرة تفسر لهم تعـذيب من لاذنب لـه، كالأطفـال والبهائم، لأن ذلك عندهم جزاء على ذنوب باشـروها في أبـدان سابقة .

الخــامس: أن الثــواب والعقــاب ليسا دائمين، أو غــايتين مقصودتين، وإنما هما مرحلة تمر بها الـروح في طريق سـعيها إلى الاتحاد بالإله الذي انفصلت عنه أول الأمر .

الســادس: إنكــار القيامة والجنة والنــار، وتفســيرها بما يتسق مع تصورات التناسخية المختلفة.

السابع: تفضيل السلبية المطلقـة، لأن الأعمـال الصـالحة تورث دورة جديدة، لمجازاة الروح فيها بما قـدمت من خـير أو شر[1] .

والشيخ رحمه الله لم يتطرق إلى تفاصـيل عقيـدة التناسـخ، وإنما عدها من العقائد الـتي تنكر المعـاد كليـة، فقـام بإثبـات المعـاد سواء لمن يعتقد التناسخ أو رداً على الفلاسفة الطبيعيين .

وكـان رده عليهم بإثبـات قـدرة الله تعـالى وحكمته وعلمه المقتضية لإثبات المعاد.

ولكنه أثبت المعاد عن طريق إثبـات أن الـروح عبـارة عن

---

1 (?) انظر: د/ عيسى عبدالله السعدي: الوعد الأخروي شــروطه وموانعه: (1/258-259) .

جـــــــــــوهر مجـــــــــــــرد، وقد مــــــــــــرّ معنا مناقشة هذه المسألة، وأنها من أقوال الفلاسفة الـتي سـار فيها الشيخ رحمه الله على نهج الأشاعرة المتأخريـن[1].

---

[1] (?) انظر: ص(464-465، 477-478).

الخاتمـــــة

بعد هــذا العــرض والمناقشة لجهــود الشيخ رحمت الله ~ في الـــدفاع عن العقيـــدة، وما كـــان من حـــديث حـــول آرائه الاعتقادية، ينتهي هذا البحث الذي يتكـون من بـابين وفصـول كما رأينا، وقد توصلت إلى عدة نتائج أجملها فيما يلي:

1- سوء الحالة السياسـية في شـبه القـارة الهندية في القـرن الثالث عشر الهجـري، وذلك بفعل الاحتلال الإنجلـيزي، مما نتج عنه تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

2- انتشــار كتب علم الكلام والمنطق والفلسـفة في بلاد الهند وما جاورها، مما كان له أثره على الشيخ رحمت الله ~ .

3- نشأ الشيخ رحمت الله في أسـرة عـرفت بـالعلم والطب، والمكانة الاجتماعية والاقتصادية الراقيـة، مما حـدا بأسـرته للاهتمـام بتعليمه منذ الصـــغر، الأمر الـــذي جعل منه واسع الاطلاع متنوع الثقافة خاصة في مجال إبطال المعتقدات الفاسدة.

4- استطاع الشيخ رحمت الله بعد جهـاده ضد الإنجلـيز وهجرته إلى بلاد الحــرمين إنشـــاء أول مدرسة نظامية في شـــبه الجزيـــرة العربية هي المدرسة الصولتية والتي ما زالت تــؤتي ثمارها إلى الآن تحت رعاية أحفاد الشيخ رحمت الله ~ .

5- اســـتطاع الشيخ رحمت الله إبطـــال عقائد النصـــارى بـــإقرارهم واعـــــترافهم من خلال مؤلفاته ومناظراته معهم، فــــأثبت تحريف ونسخ كتب العهدين، وإبطال عقيــدة التثليث وألوهية المســيح، وكثــير من الاعتقــادات الأخــرى الــتي يــدين بها النصارى، وبيّن أنها مخالفة للعقل والنقل والحسّ.

6- وافق الشيخ رحمه الله أهل الســـنة والجماعة في اعتقـــاد فضل الصحابة وعدالتهم، وصحة خلافة الخلفاء الراشدين.

7- أثبت الشيخ رحمه الله نبوة سيدنا محمد ﷺ، وحقية القـرآن الكـريم، وردّ شبهات المنصرين حـول الرسـول ﷺ، والقـرآن الكـريم، كما أبطل مطـاعنهم في الأنبيـاء السـابقين بمنهج واضح فريد، معتمداً على العقل والنقل من نصـوص العهـدين في أسلوب جدلي تناظري.

8- من خلال القضـايا السـابقة، وافق الشيخ رحمه الله الأشـاعرة والماتريدية -وخاصة الأشـاعرة المتـأخرين الـذين تـأثروا بالفلسفة كالرازي والإيجي- في النقاط التالية:

أ - سلك الشيخ رحمه الله في الاستدلال على مسائل العقيـدة مسلك الأشـاعرة والماتريديـة، من تقـديم العقل على النقل، واعتبار دلالة العقل قطعية، وأنها أصل النقل.

ب - وافق الشيخ رحمه الله الأشـاعرة والماتريدية في عـدم اعتبار أحاديث الآحاد في إثبات العقائد وأصول الدين.

ج - وافق رحمه الله الأشاعرة والماتريدية في إثبات وجـود الله تعـالى واعتبـاره من الأمـور العقلية القطعية الـتي يتوقف عليها ثبوت النقل.

د - إثبات الصفات على طريقة الأشاعرة من حيث نفي الصفات الخبرية، لاستلزامها الافتقار والـتركيب، ونفي الصفات الفعلية لاستلزامها عنده رحمه الله الحدوث.

هـ - إثبـات المعـاد على طريقة الأشـاعرة، فهي -عنـده- من الأمور السمعية التي لا يستقل العقل بمعرفتها.

و - إثبـات الرسـالة والنبـوة وجعلها من الأمـور العقلية التي يتوقف عليها ثبوت النقل وجعلها من العقليات.

ز - إثبات الرؤية بدون جهة ومكان.

9- الاستدلال بأدلة الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كالفـارابي وابن سينا في المسائل التالية:

أ - تفسير الوحي تفسيراً إشراقياً.

ب - تفســير اطلاع النــبي على الغيبيــات عن طريق تجرد نفسه واتصالها بعالم العقول.

ج - إثبات المعاد عن طريق تجرد الأرواح.

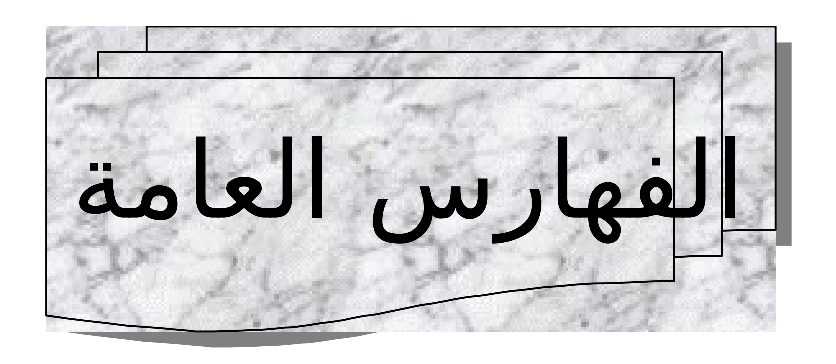
د - إثبـات وحدانية الله تعـالى على طريقة الفلاسـفة أيضاً.

وأخـيراً فـإن مـذهب السـلف هو الـذي يجب أن يكـون طريق كل مســــــــــــــــــــلم؛ لقربه من منبع العقيــــدة والتزامه بمنهج الـــوحي، أما ما خالفه من المنـــــــــــاهج الأخـــــــــــــرى فإنما هي لغو يبعد بكثير عن كتاب الله تعـالى، وسـنة رسـوله ﷺ؛ لـذلك أوصي بدراسة مقارنة بين منهج أهل الســنة ومنهج المتكلمين في الرد على النصـارى وإبطـال عقائـدهم، بحيث يتـبيّن المنهج الصحيح عن غيـره.

والموقف الصحيح من الشيخ رحمه الله -عليه رحمة الله- أن يــترحم عليه، ويستغفر له، وأن يسأل الله تعالى أن يجزل له الأجر والثواب فيما أصـاب فيـه، وأن يعفو عنه ما حصل من خطأ غير مقصود، مع ضـرورة بيـان هـذه الأخطـاء لتتجنب، ولئلا يأخذ بها من يجهل حالها، فهو ~ مجتهد مؤول لا يحمل وزر هذه الآراء والمعتقدات.

والله من وراء القصد وهو الهـادي إلى سـواء السـبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسـلم .





أ) فهرس الآيات القرآنية.

ب) فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

ج) فهرس الأعلام المترجم لهم.

د) فهرس مراجع البحث.

هـ) فهرس محتويات البحث.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

431	94	[illegible] ...
431	95	[illegible] ...
403 ،391	106	[illegible]
392	109	[illegible]
77	111	[illegible] ...
380	113	[illegible]
316	120	[illegible] ...
269	136	[illegible] ...
269	137	[illegible] ...
336	143	[illegible]
305	146	[illegible]
442 ،89	177	[illegible] ...
443	232	[illegible]
449	243	[illegible]

[illegible] ...		
[illegible] ...	253	242
[illegible]	256	418
[illegible] ...	259	450
[illegible] ...	260	450
[illegible]	286	266

سورة آل عمران

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	3	380
[illegible]	4	380
[illegible]	7	185
[illegible] ...	44	435
[illegible]	47	461
[illegible] ...	49	198
[illegible] ...	78	384
[illegible] ...	93	403
[illegible] ...	94	403

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	131	479
... [illegible]	190	448
... [illegible]	191	448
... [illegible]	192	448
... [illegible]	194	329

سورة النساء

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	46	356
... [illegible]	56	454، 472، 480
[illegible]	82	437
...[illegible]	122	483
[illegible]	136	443
... [illegible]	160	403
[illegible]	164	141
[illegible]	165	228
[illegible]	171	232، 384

سورة المائدة

الآية	رقمها	الصفحة
[illegible] …		
[illegible]	48	354
[illegible] …	72	213
[illegible] …	72	169، 198
[illegible]	73	199
[illegible] …	116	169
[illegible] ….	117	169، 224

سورة الأنعام

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] …	31	452
[illegible] …	50	343
[illegible] ……	57	320، 321
[illegible] …	90	242
[illegible] …	91	384
[illegible] …	92	354
[illegible] …	109	320

الآية	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	146	483 ،403
[illegible] ...	160	482

سورة الأعراف

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	42	479
[illegible] ...	57	450
[illegible] ...	169	86
[illegible] ...	180	142
[illegible] ...	188	343 ،241
[illegible]	199	496

سورة الأنفال

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	32	321

سورة التوبة

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	29	443
[illegible] ...	31	397
[illegible] ...	72	416
[illegible] ...	73	418

سورة يونس

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	4	472
[illegible] ...	38	427
[illegible] ...	53	452
[illegible] ...	94	305
[illegible] ...	101	79

سورة هود

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	49	435 ،291

سورة الرعد

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	31	207
[illegible] ...	35	479
[illegible]	39	403
[illegible]	43	305

سورة الحجر

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	9	422 ،354
[illegible]	29	233
[illegible] ...	85	448

سورة النحل

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	36	242
[illegible]	74	144
[illegible] ...	90	496
[illegible]	97	473
[illegible] ...	101	403
[illegible]	116	303
[illegible] ...	125	114

سورة الإسراء

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	1	293
[illegible]	36	86
[illegible]	42	139، 140
[illegible]	70	79
[illegible] ...	85	461
[illegible] ...	88	427، 429

[illegible]	89	439
[illegible]	90	320
[illegible]	91	320
[illegible]	92	320
[illegible]	93	320
[illegible]	94	266، 267
[illegible]	95	267
[illegible]	99	452

سورة الكهف

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	31	472
[illegible]	54	439
[illegible]	110	269

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

[illegible]	115	442، 448، 452، 481، 484
[illegible]	116	448، 484

سورة النور

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	4	392
... [illegible]	54	418

سورة الفرقان

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	2	131
[illegible] ...	15	479

سورة الشعراء

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	23	165
[illegible]	24	165
[illegible]	89	497
[illegible]	197	305

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]		
[illegible] ...	4	434
... [illegible]	6	434
[illegible] ...	27	451
[illegible] ...	30	129

سورة السجدة

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
... [illegible]	9	233

سورة الأحزاب

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ... [illegible]	37	324، 326
[illegible]	40	243
[illegible]	62	346

سورة سبأ

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
... [illegible]	28	243

سورة فاطر

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ [illegible] ... ﴾	9	450

سورة يس

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ [illegible] ﴾	51	471
﴿ [illegible] ... ﴾	65	466
﴿ ... ﴿ [illegible] ﴾	78	445، 451، 455، 471
﴿ [illegible] ﴾ ...	79	437، 445، 451، 471
﴿ [illegible] ... ﴾	81	437، 452

سورة الصافات

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
﴿ [illegible] ﴾	16	455، 466
﴿ [illegible] ﴾	17	455
﴿ [illegible] ﴾	180	144
﴿ [illegible] ﴾	181	144

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	182	144

سورة الزمر

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...﴾	27	439
[illegible]	28	439
﴿ ... [illegible]	42	474

سورة غافر

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	37	165
﴿ ... [illegible]	55	328
﴿ ... [illegible]	78	242

سورة فصلت

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	20	466
[illegible] ...	26	427
﴿ ... [illegible]	34	496
[illegible] ...	39	450
[illegible]	40	142

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...		
... [illegible]	53	130

سورة الشورى

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	11	144، 142، 147، 158
... [illegible]	15	380
[illegible] ...	51	247
[illegible] ...	52	335

سورة الزخرف

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
... [illegible]	54	165

سورة الدخان

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	43	472
[illegible]	44	472
[illegible]	45	472
[illegible]	46	472

سورة الجاثيــة

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ [illegible] ﴾	21	442، 482، 484
﴿ [illegible] ﴾ ...	22	482، 484

سورة الأحقـاف

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ ... [illegible] ﴾	31	243
﴿ [illegible] ﴾ ... ﴿ [illegible] ﴾	33	452

سورة محمد

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ [illegible] ﴾ ... ﴾	15	454
﴿ [illegible] ... ﴾	19	328

سورة الفتح

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
﴿ [illegible] ﴾	1	328
﴿ [illegible] ... ﴾	2	328، 331

سورة الحجرات

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	13	34

سورة الذاريات

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	20	130
[illegible]	21	130

سورة النجم

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	3	93، 311
[illegible]	4	93، 311
[illegible]	12	293
[illegible]	13	293، 478
[illegible]	14	293، 478
[illegible]	15	293، 478
[illegible]	16	293
[illegible]	17	293
[illegible]	18	293

سورة القمر

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	1	295

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	2	295
[illegible]	17	438

سورة الحديد

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	25	288

سورة الحشـر

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
...... [illegible]	10	489

سورة التغـابن

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible] ...	7	452

سورة التحريم

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	3	240
[illegible] ...	6	479
[illegible] ...	12	232

سورة الملك

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
... [illegible]	3	131

سورة القلم

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	52	131، 354

سورة الحاقة

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
... [illegible]	24	472
[illegible]	44	303
[illegible]	45	303

سورة الجـن

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	19	293
[illegible]	26	241
... [illegible]	27	241

سورة القيامـة

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	3	453، 471
[illegible]	4	453، 471

سورة المرسلات

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	1	452
[illegible]	2	452
[illegible]	3	452
[illegible]	4	452
[illegible]	5	452
[illegible]	6	452
[illegible]	7	452

سورة النازعات

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	24	165

سورة الغاشيـة

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	21	418
[illegible]	22	418

سورة الفجـر

الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	27	453، 474
[illegible]	28	453، 474
[illegible]	29	474
[illegible]	30	474

سورة الليـل

سورة الضحى

سورة التـين

سورة البينة

سورة الإخـلاص

الآيـــــة	رقمها	الصفحة
[illegible]	1-4	144، 147



ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار.



ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.



رابعاً: فهرس مراجع البحث

- الإبانة عن أصول الديانة: لأبي الحسن الأشعري، ت د: فوقية حسين محمود، ط1، 1397هـ، دار الأنصار، القاهرة.
- الإحكام في أصول الأحكام: لابن حزم، تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز، ط1، 1398هـ، مكتبة عاطف، القاهرة.
- الإحكام في أصول الأحكام: لسيف الدين أبي الحسن علي بن محمد الآمدي، قابل نسخها: محمد أحمد الأمد، ط1، 1423هـ - 2002م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- أدلة اليقين: لعبدالرحمن الجزيري، ط1، 1353هـ - 1934م، مطبعة الإرشاد بشبرا.
- أديان العالم: لحبيب سعد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.
- أديان الهند الكبرى: د/ أحمد شلبي، ط11، 2000م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الأديان في القرآن: لمحمود بن شريف، ط3، 1979م، دار عكاظ للطبع.
- إذا هبت ريح الإيمان: لأبي الحسن علي الحسني الندوي، ط عام 1394هـ - 1974م، مؤسسة الرسالة ودار القلم، الكويت.
- آراء أهل المدينة الفاضلة: لأبي النصر الفارابي، تحقيق القدس للدراسات والبحوث، تقديم: د/ طه حبيشي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

- الأربعين في أصول الدين: للفخر الـرازي، ط1، 1353هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد - الهند.
- أرسـطو عند العـرب (دراسـنة نصـوص غـير منشـورة): للـــدكتور/ عبـــدالرحمن بـــدوي، ط2، 1978م، وكالة المطبوعات، الكويت.
- الإرشـــاد إلى قواطع الأدلة في أصـــول الاعتقـــاد: إمـــام الحـرمين الجويـني، تحقيـق: أسـعد تميم، ط1، 1405هـ-1985م، مؤسسة الكتب الثقافية.
- أساس التقـديس: لفخر الدين أبي عبدالله الـرازي، ط1، 1415هـ- 1995م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
- الأسس الفلسفية للعلمانية: عادل ظاهر، ط3، 1401هـ-1981م، دار الساقي، بيروت.
- الأسـفار المقدسة في الأديـان السـابقة للإسـلام: د/ علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشـــر، الفجالة - القاهرة.
- الإشارات والتنبيهات: ابن سينا (مع شرح الطوسـي)، ت: سليمان دنيا، ط3، دار المعارف، مصر.
- أصول الدين: لأبي اليسر البزدوي، تحقيـق: د/ هـانز بيـتر لنس، ط1، 1383هـ، مطبعة الحلبي، القاهرة.
- أصول الدين: لأبي منصور عبـدالقاهر البغـدادي، ط عـام 1346هـ، دار الفنون، استنبول - مدرسة الإلهيات.
- أصول الفلسـفة الإشـراقية عند شـهاب الـدين السـهروردي: لمحمد أبو ريـان، ط عـام 1987م، دار المعرفة العلميـة، مصر.
- الأضـحوية: للحسن بن علي بن سـينا، تحقيـق: حسن عاصي، ط2، 1357هـ.

- إظهـار الحق: للشـيح رحمت الله الهنـدي، تحقيـق: أحمد السـقا، ط عـام 1399هـ- 1978م، دار الـتراث العـربي للطباعة والنشر، القاهرة.
- إظهار الحق: للشـيخ رحمت الله الهنـدي، تحقيـق: محمد أحمد عبدالقادر ملكـاوي، نشر الرئاسة العـام لإدارة البحـوث العلمية والإفتـاء والـدعوة والإرشـاد - الريـاض، مطـابع أولي النهى ودار الوطن للنشر.
- إعجاز القرآن الكـريم: فضل عباس، طبعة عـام 1991م، دار الفرقان، عمان.
- الأعلام: لخير الـدين الـزركلي، ط6، 1984م، دار العلم للملايين، بيروت.
- أقانيم النصارى: د/ أحمد السقا، دار الأنصار، القاهرة.
- أكـبر مجاهد في التـاريخ: للشـيخ محمد سـليم بن محمد سعيد، ط1، 1397هـ، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.
- إنجيل برنابا: ترجمة د/ خليل سـعادة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر.
- الإنجيل والصـليب: للأب عبدالواحد داود الآشـوري العراقي، نقله من التركية إلى العربية مسـلم عـراقي، طبعة سنة 1351هـ، القاهرة.
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: لأبي بكر بن الطيب البـاقلاني، تحقيـق: محمد زاهد بن الحسن الكـوثري، ط3، 1413هـ- 1993م، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- أهل الحجـاز بعبقهم التـاريخي: لحسن بن عبدالحي قـزاز، ط1، 1414هـ- 1994م، دار العلم، جدة.
- الإيمـان بعـوالم اليـوم الآخر: لعبدالله سـراج الـدين، ط2، 1404هـ، حلب - سوريا.

- الإيمان: لابن تيمية، ط1، المكتب الإسلامي، دمشق.
- إيماني أو القضايا المسيحية الكبرى: للقس إلياس مقار، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
- الاقتصاد في الاعتقاد: لمحمد بن محمد الغزالي، ط1، 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: لابن تيمية، تحقيق وتعليق: د/ ناصر بن عبدالكريم العقل، ط6، 1419هـ- 1998م، دار العاصمة، الرياض.
- الانتصار لأهل الحديث: لأبي المظفر السمعاني (ضمن صون المنطق)، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البداية والنهاية: للحافظ أبي الفداء ابن كثير، عناية: عبدالرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون، ط2، 1417هـ- 1997م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- البرهان في أصول الفقه: لإمام الحرمين الجويني، تحقيق: د/ عبدالعظيم الديب، ط2، 1400هـ، دار الأنصار، القاهرة.
- برهان يتطلب قراراً: جويش مكدويل، ترجمة القس: منيس عبدالنور، دار الثقافة المسيحية، القاهرة.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- بنو إسرائيل في القرآن والسنة: لمحمد سيد طنطاوي، ط 1، 1388هـ- 1969م، دار حراء.

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: ابن تيمية، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط1، 1391هـ، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة.
- تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الزبيدي، ط1، 1306هـ، المطبعة الخيرية، مصر.
- تاريخ ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر): لعبدالرحمن بن خلدون، ط1، 1413هـ- 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: لحسن إبراهيم حسن، ط7، 1965م، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا - القاهرة.
- تاريخ الإسلام في الهند: لعبدالمنعم النمر، ط3، 2002م، مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع، مصر.
- التاريخ الإسلامي (العهد العثماني): لمحمود شاكر، ط3، 1411هـ- 1991م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- تاريخ التعليم في مكة المكرمة: لعبدالرحمن صالح عبدالله، ط1، 1392هـ- 1973م، دار الفكر، بيروت.
- تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر: د/ إسماعيل أحمد ياغي والشيخ محمود شاكر، ط3، 1422هـ- 2001م، مكتبة العبيكان، الرياض.
- تاريخ الفكر المسيحي: القس حنا الخضيري، دار الثقافة المسيحية، دار الطباعة القومية.
- تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، دار القلم، بيروت.
- تاريخ الكنيسة: القس جون لويمر، ترجمة: عزرا مرجان، دار الثقافة المسيحية.

- تـــاريخ المســـلمين في شـــبه القـــارة الهندية والباكســـتانية وحضـــارتهم: لأحمد محمــود الســاداتي، ط عــام 2001م، دار نهضة الشرق، القاهرة.
- تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند: جمال الــدين الشــيال، ط عــام 1968م، منشــأة المعــارف بالإســكندرية، مطبعة التقدم.
- تــبين كــذب المفــتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشــعري: لابن عساكر الدمشقي، ط3، 1404هـ- 1984م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد: لإبــراهيم البــاجوري، ط 1، 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التحفة المهدية شــرح الرســالة التدمرية: للشــيخ فــالح بن مهدي، ط2، 1405هـ، مكتبة الحرمين، الرياض.
- التدمرية: لابن تيمية، تحقيق: محمد بن عــودة الســعوي، ط1، 1405هـ- 1985م، مكتبة العبيكان، الرياض.
- تذكرة الحفاظ: للإمام الذهبي، دار إحياء التراث العربي.
- التعريفات: لمحمد بن علي الجرجــاني، تحقيــق: إبــراهيم الأبياري، ط عام 1423هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- التعصب والتســامح بين المســيحية [النصــرانية] والإســلام: لمحمد الغــزالي، دار الكتب الحديثة لصــاحبها: توفيق عفيفي عامر.
- التعليم في المملكة العربية الســـــعودية أنمـــــوذج مختلف: لعبدالله محمد الزيد، ط2، 1404هـ، جدة.
- التعليم في المملكة العربية الســـــعودية بين واقع حاضـــــره وأمــاني مســتقبله: للأستاذ/ عبــدالوهاب أحمد عبدالواســع، دار الكتاب العربي، بيروت.

- التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني: لمحمد عبدالرحمن الشامخ، ط1، 1393هـ- 1979م، دار العلوم ومكتبة النهضة، الرياض.
- تفسير الجلالين: لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تقديم: محمد كريم بن سعيد راجح، دار القلم، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط عام 1401هـ، دار الفكر، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم: للإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم، تحقيق: حكمت ياسين، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، قسم الكتاب والسنة.
- التفسير الكبير: لفخر الدين الرازي، ط4، 1422هـ- 2001م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- تفسير روح المعاني: لأبي الفضل شهاب الدين الألوسي، طبع بالمطبعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- تفسير سورة الإخلاص: لابن تيمية، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، ط1، 1406هـ، الدار السلفية، الهند.
- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ط3، 1414هـ- 1993م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان.
- التمهيد في أصول الدين: لأبي المعين النسفي، تحقيق: عبدالحي قابيل، ط عام 1407هـ، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

- التمهيد لما في الموطأ من المعـاني والأسـانيد: ليوسف بن عبدالله بن محمد بن عبـــدالبر المـــالكي القرطـــبي، ط1، 1420هـ- 2000م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- التنبيهات في إثبـات بعثة الرسل واليـوم الآخر وحاجة النـاس إليهما: للشيخ رحمت الله الكيرانوي الهندي، ط1، 1414هــ- 1993م، دار البشـائر الإسـلامية، ومطبعة الجفـان والجـابي، بيروت - لبنان.
- تنقيح الأبحـــاث في الملل الثلاث: ســعد بن كمونـــة، دار الأنصار، القاهرة.
- تهـافت الفلاســفة: محمد بن محمد الغــزالي، تحقيــق: سليمان دنيا، ط8، دار المعارف، القاهرة.
- تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهـري، تحقيـق: عبدالسـلام هــارون، ط عــام 1384هــ- 1964م، المؤسسة المصــرية العامة للنشر والتوزيع، مصر.
- التوحيد: لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار المشرق، بيروت.
- التوراة بين التوحيد والوثنية: سهيل الديب، ط1، 1401هـ- 1981م، دار النفائس، بيروت.
- التـوراة تاريخها وغايتها: لمؤلف أمـريكي مجهـول، ترجمة وتعليق: سهيل الديب، ط2، 1397هـ- 1977م، دار النفائس، بيروت.
- توضيح الأفكار: لمحمد بن إسـماعيل الصـنعاني، تحقيـق: محمد محي الـــدين عبدالحميـــد، ط1، 1366هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- تيســير العزيز الحميد في شـــرح كتـــاب التوحيد: للشـــيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط5، 1402هـ، المكتب الإسلامي.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبـدالرحمن بن ناصر السـعدي، تحقيـق: محمد زهـري النجـار، المؤسسة السعيدية، الرياض.
- الثقافة الإسلامية في الهند: للشيخ عبدالحي الحسـني، ط 2، 1403هـ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
- جـامع البيـان عن تأويل آي القـرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط عام 1405هـ- 1948م، دار الفكر، بيروت.
- الجـامع الصـحيح المسـند من حـديث رسـول الله ﷺ وسـننه وأيامه: للإمـام أبي عبدالله محمد بن إسـماعيل البخـاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
- الجـامع الصـحيح: للإمـام مسـلم بن الحجـاج بن مسـلم القشيري النيسابوري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
- الجـامع لأحكـام القـرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي، تصـحيح أحمد الـبردوني، ط2، 1372هـ، دار الشعب، القاهرة.
- الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: لابن تيمية، تحقيق: علي حسن ناصر، وعبدالعزيز العسكر، وحمدان الحمدان، ط 2، 1409هـ- 1999م، دار العاصمة، الرياض.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: لابن قيم الجوزيـة، تحقيـق: يوسف علي بديوي، مراجعة وتقـديم: محي الـدين مسـتو، ط 1، 1411هـ- 1991م، مكتبة دار الـتراث، المدينة المنـورة، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت.
- الحجة في بيـان المحجة وشـرح عقيـدة أهل السـنة: لأبي القاسم إسـماعيل بن محمد الأصـبهاني، تحقيـق: محمد ربيع مـدخلي، ومحمد أبو رحيم، ط1، 1411هـ- 1990م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

- حضارات الهند: لغوستاف لوبون، ترجمـة: عـادل زعيـتر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الحق الواضح المـبين في شـرح توحيد الأنبيـاء والمرسـلين: لعبـــدالرحمن بن ناصر الســعدي، ط عـــام 1406هـ، مكتبة المعارف، الرياض.
- حقائق أساسية في الإيمان المسيحي: القس فـايز فـارس، دار الثقافة المسيحية، مطبعة القاهرة الجديدة.
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: لعباس العقاد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا - لبنان.
- الحواشي البهية على العقائد النســفية: ط عـــام 1329هـ، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة.
- خطـــوات تعليم المـــرأة في مكة المكرمة: شـــادية محمد باشــماخ وزميلاتهـا، إدارة الإشــراف الـتربوي الإدارة العامة لتعليم البنـات بمكة المكرمـة، الرئاسة العامة لتعليم البنـات، 1420هـ.
- دائرة معارف القرن العشـرين: لمحمد فريد وجـدي، ط1، 1978م، دار المعرفة، بيروت.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي، ط عام 1993م، دار الفكر، بيروت.
- درء تعـــارض العقل والنقل: لابن تيميـــة، تحقيـــق: محمد رشاد سـالم، ط عـام 1399هـ، نشر جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية.
- دراســـات في الأديـــان (اليهودية والنصـــرانية): د/ ســـعود الخلـف، ط1، 1422هـــ- 2002م، مكتبة أضـواء السـلف، الرياض.

- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند: لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط1، 1422هـ - 2001م، مكتبة الرشد، الرياض.
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: موريس بوكاي، ط4، 1977م، دار المعارف، لبنان.
- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة): د/ أحمد محمد أحمد جلي، ط2، 1408هـ - 1988م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.
- دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام: لعمر عبدالجبار، ط1، 1379هـ، دار ممفيس للطباعة.
- دعوة التوحيد: لمحمد خليل هراس، ط1، 1406هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)، تخريج وتعليق: د/ عبدالمعطي قلعجي، ط1، 1405هـ - 1985م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- رجال من مكة المكرمة العاصمة المقدسة: لزهير محمد جميل كتبي، ط1، 1414هـ - 1993م، دار الفنون، جدة.
- رحمت الله الهندي وجماعته وجهودهم في مواجهة الحملات التبشيرية: لعبدالخالق بن محمد بن سعيد، بحث غير منشور بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر القاهرة، عام 1411هـ - 1991م.
- الرد على المنطقيين: لابن تيمية، تقديم وضبط: د/ رفيق العجم، ط1، 1993، دار الفكر اللبناني، بيروت - لبنان.
- الرسالة إلى أهل الثغر: لأبي الحسن الأشعري، ت: محمد السيد الجليند، وطبعها باسم (أصول أهل السنة والجماعة)، ط عام 1407هـ، مطبعة التقدم، القاهرة.

- رسـالة التوحيد: لمحمد عبـده، ط2، 1326هـ، مطبعة المنار، القاهرة.
- رسـالة في اللاهـوت والسياسة: سـبنوزا، ترجمة وتقـديم: حسن حنفي، مراجعة: د/ فؤاد زكريا، ط عام 1971م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- رسـالة في تعريف توحيد العبـادة: للشيخ عبـدالرحمن أبي بطين، (ضمن مجموعة التوحيد)، ت: محمد بشـير عيـون، ط عام 1407هـ، دار البيان، دمشق.
- الرسـالة: للإمـام الشـافعي، ت: أحمد شـاكر، ط1، 1358هـ، مطبعة الحلبي، القاهرة.
- الـروح: لابن القيم، تحقيـق: كمـال علي الجمـل، مكتبة الإيمان، المنصورة.
- الرياض الناظرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفـاخرة: عبـدالرحمن بن ناصر السـعدي، ط عـام 1405هـ، الرئاسة العامة لإدارات البحـوث العلمية والإفتـاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفـرج عبـدالرحمن بن الجوزي البغدادي، ط3، 1404هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزيـة، تحقيـق: شـعيب وعبـدالقادر الأرنـاؤوط، ط7، 1405هـ - 1985م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السنة: لعبدالله بن الإمـام أحمد بن حنبل الشـيباني، ت: د/ محمد بن سعيد القحطاني، ط1، 1406هـ، دار ابن القيم.
- سـنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويـني (أبو عبداللـه)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي (أبو عيسى)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث، بيروت.
- السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: وليم مارش، ط عام 1973م، مجلس الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت.
- السنن الكبرى: لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبدالغفار سليمان البنداري وسعد كسروي حسن، ط1، 1411هـ- 1991م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السياسة المدنية: الفارابي (مبادئ الموجودات)، تحقيق: د/ فوزي متري نجار، ط1، 1964م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، 1401هـ- 1981م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- السيرة النبوية الصحيحة: أكرم العمري، ط5، 1413هـ- 1993م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- الشامل في أصول الدين: إمام الحرمين الجويني، تحقيق: هلموت كلوبفر، ط عام 1988م، دار العرب للبستاني، القاهرة.
- شرح أسماء الله الحسنى: للفخر الرازي، مراجعة: طه عبدالرؤوف سعد، ط1، 1404هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- شرح الأصول الخمسة: القاضي عبدالجبار، تحقيق: عبدالكريم عثمان، ط1، 1384هـ- 1965م، مكتبة وهبة، القاهرة.
- شرح العقيدة الأصفهانية: لابن تيمية، تحقيق: سعيد نصر محمد، ط1، 1422هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

- شــرح العقيــدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي علي بن علي بن محمـــد، تحقيـــق: د/ عبـــدالرحمن عمـــيرة، ط2، 1407هـ- 1986م، مكتبة المعارف، الرياض.
- شــرح المقاصد: لســعد الــدين التفتــازاني، تحقيــق: د/ عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت.
- شــــرح المواقف في علم الكلام (مع حواشي أخــــرى): للشريف علي بن محمد الجرجاني، ط1، 1419هـ- 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- شـرح شـرح نخبة الفكر: ملا علي قـاري، ط1، 1327هـ، مطبعة إخوان، اسطنبول.
- الشــفا بتعريف حقــوق المصــطفى: للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ط1، 1423هـ- 2002م، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- الشفا: ابن سينا، تحقيق: جورج قنواتي، وسعيد زايد، ط عام 1395هـ- 1975م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شفاء العليل في مسـائل القضـاء والقـدر والحكمة والتعليل: لابن قيم الجوزية، عناية: خالد عبداللطيف السـبع العلمي، ط 3، 1318هـ- 1998م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الصـحاح: لإسماعيل بن حمـاد الجـوهري، تحقيـق: أحمد عبدالغفور عطا، ط4، 1990م، دار العلم للملايين، بـيروت - لبنان.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه: لمحمد أمــان الجــامي، ط1، 1408هـ، الجامعة الإســلامية، المدينة المنورة.
- الصفدية: لابن تيمية، تحقيـق: محمد رشـاد سـالم، ط2، 1406هـ.

- الصواعق المرسلة: لابن تيمية، تحقيـق: علي دخيل اللـه، ط1، 1408هـ، دار العاصمة، الرياض.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الـدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بـيروت - لبنان.
- طائفة الموحـــدين من المســـيحية عـــبر القـــرون: أحمد عبدالوهاب، ط1، 1400هـ- 1980م، مكتبة وهبة، القاهرة.
- طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين عبـدالوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عبـدالفتاح محمد الحلـو، ومحمد الطنـاحي، ط عام 1383هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- العـدة في أصـول الفقه: للإمـام أبي يعلى، تحقيـق: أحمد علي سـير المبـاركي، ط عـام 1400هـ، مؤسسة الرسـالة، بيروت.
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية: محمد طاهر التنير، ط عام 1330هـ، بيروت.
- عقيـدة المسـلم: لأبي بكر الجزائـري، ط عـام 1405هـ، دار الكتب السلفية، القاهرة.
- العقيدة الواسطية: لابن تيمية، تعليق: الشيخ محمد صالح العثيمين، ط 1412هـ، دار الوطن، الرياض.
- عقيـدتنا في الخـالق والنبـوة واليـوم الآخر: لعبدالله نعمـة، بـــدون.
- العلاقة السياســـية والثقافية بين الهند والخلافة العباســـية: محمد يوسف النجرامي، ط1، 1399هـ، دار الفكر.
- علم التوحيد: د/ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعـة، ط1، 1409هـ- 1989م، نشر المؤلف.

- العواصم من القواصم: لأبي بكر بن العــربي، ضــمن آراء أبي بكر بن العــربي: لعمــار الطــالبي، ط1، 1413هـ، دار الثقافة، الدوحة.
- الغارة على العالم الإسلامي: ا.ل. شـاتيليه، لخصـها ونقلها إلى العربية محب الــدين الخطيب ومســاعد اليــافي، ط2، 1387هـ، الدار السعودية للنشر، جدة.
- الفـارق بين الخـالق والمخلـوق: عبـدالرحمن بك باجه جي زاده، ط1، 1322هـ، مطبعة التقدم، مصر.
- فتح البـــاري: ابن حجر العســـقلاني، ت: محمد فـــؤاد عبـــدالباقي، ومحب الــدين الخطيب، ط عــام 1379هـ، دار المعرفة، بيروت.
- فتوح البلدان: لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيــق: رضوان محمد رضوان، ط عام 1403هـ، دار الكتب العلميــة، بيروت - لبنان.
- الفـرق بين الفـرق: لعبـدالقاهر بن طـاهر البغـدادي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- فــرق معاصــرة تنتمي إلى الإســلام وموقف الإســلام منها: لغــالب بن علي عــواجي، ط4، 1422هــ- 2001م، المكتبة العصرية الذهبية، جدة.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لابن تيمية، ط 4، 1397هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الفصل في الملل والنحل: لأبي محمد علي بن أحمد ابن حــزم الظــاهري، تحقيــق: د/ محمد نصــر، ود/ عبــدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.
- فصـوص الحكم: محي الـدين بن العـربي، تحقيـق: د/ أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الفهرست: لابن النديم، عناية: إبراهيم رمضان، ط2، 1417هـ- 1997م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- الفوائد: لابن قيم الجوزية، ط2، 1393هـ- 1973م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- قاموس الكتاب المقدس: لنخبة من العلماء واللاهوتيين، ط14، 2001م، مكتبة العائلة، القاهرة.
- القاموس المحيط: للفيروزآبادي، مكتبة النوري، دمشق.
- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش، ط2، 1421هـ- 2000م، مكتبة الصديق، الطائف.
- قصة الحضارة: ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، ط3، 1973م، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- قصص الأنبياء: الشيخ عبدالوهاب النجار، دار الفكر، بيروت.
- القضاء والقدر في الإسلام: د/ فاروق الدسوقي، دار الدعوة، مصر.
- القضاء والقدر: لعبدالرحمن المحمود، دار النشر الدولي، الرياض.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد صالح العثيمين، ط1، 1406هـ- 1986م، دار ابن الجوزي، الأحساء.
- القول السديد في مقاصد التوحيد: لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، (مطبوع مع كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب)، ط12، الجامعة الإسلامية بالمدينة.

- الكافية الشـــافية في الانتصـــار للفرقة الناجية: لابن القيم شرح محمد خليل هـراس، ط1، 1407هـ، مكتبة ابن تيميـة، القاهرة.
- كتـــاب التوحيد: للشـــيخ محمد بن عبـــدالوهاب، ط12، الجامعة الإسلامية بالمدينة.
- كشف الظنون عن أسـامي الكتب والفنـون: حاجي خليفـة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- كفـاح المسـلمين في تحرير الهند: عبدالمنعم النمـر، ط2، 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكليـات: لأيــوب بن موسى الكفــوي، تحقيــق: عــدنان درويش، ومحمد المصري، ط1، 1412هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- لسان الصدق (جواباً لكتاب ميزان الحـق): للشـيخ علي بن عبدالله البحراني، ط عام 1319هـ، مكتبة الشيخ محمد علي المليجي، مطبعة الموسوعات، مصر.
- لسـان العـرب: لابن منظور محمد بن مكـرم بن منظـور الإفريقي المصري، ط1، دار صادر، بيروت.
- لســــــان المــــــيزان: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العســقلاني، ط3، 1406هـــ- 1986م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
- الله واحد أم ثــالوث: محمد مجـــدي مرجـــان، ط عـــام 1972م، دار النهضة العربية، دار الهنا للطباعة، القاهرة.
- لوامع الأنـوار البهية وسـواطع الأسـرار الأثرية شـرح الـدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية: محمد بن أحمد السفاريني، تعليقات الشيخان: عبـدالرحمن أبا بطين، وسـلمان سـحمان، ط2، 1405هـ- 1985م، المكتب الإسلامي، بيروت.

- مؤلفــات الشــيخ الإمــام محمد بن عبــدالوهاب (القسم الخــامس): إعــداد ونشر جامعة الإمــام محمد بن ســعود الإسلامية، الرياض.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسـلمين: للشـيخ أبي الحسن الندوي، ط7، 1387هـ- 1967م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المــبين في شــرح ألفــاظ الحكمــاء والمتكلمين: لعلي بن محمد الآمدي، مطبـوع بعنـوان (الفيلسـوف الآمـدي)، ت: د/ عبد الأمير الأعسم، ط1، 1407هـ، دار المناهل، لبنان.
- مجموع الرسائل الكبرى: لشـيخ الإسـلام ابن تيميـة، ط2، 1392هـ- 1972م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- مجمـوع الرسـائل والمسـائل: لابن تيمية، ط1، 1341هـ، مطبعة المنار، مصر.
- مجمــوع الفتــاوى لابن تيمية: جمع وتــرتيب: عبــدالرحمن محمد قاسم وابنه محمد، ط1، 1423هــ- 2002م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة، ط3، 1381هـ- 1961م، الفكر العربي، القاهرة.
- محمد في التـوراة والإنجيل والقـرآن: إبراهيم أحمـد، ط4، مكتبة الوعي العربي، القاهرة.
- محيط المحيط: بطــرس البســتاني، ط عــام 1979م، مكتبة لبنان.
- مختصر التحفة الاثني عشرية: للشـاه عبـدالعزيز ولي الله الــدهلوي، تحقيق وتعليــق: محب الــدين الخطيب، طبعة الرياض.

- مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم: اختصار: محمد علي موصـــــلي، طبعة رئاسة إدارة البحـــــوث العلمية والإفتــــاء بالرياض.
- مدارج السالكين بين منـازل إيـاك نعبد وإيـاك نسـتعين: لابن قيم الجوزية، تحقيق وضبط: أحمد فخري الرفـاعي، وعصـام فارس الحرستاني، دار الجيل، بيروت.
- المدرسة الصولتية: أحمد حجازي السقا، ط1، 1398هــ- 1978م، دار الأنصار، القاهرة.
- مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، ط1، 1403هـ، دار الشروق.
- مـذكرات السـلطان عبدالحميد: ترجمـة: محمد حـرب، ط عام 1978م، دار الأنصار، القاهرة.
- مذكرة في أصول الفقه: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- المسـامرة شـرح المسـايرة لابن الهمـام: الكمـال بن أبي شريف، ط1، 1317هـ، بولاق.
- المسـتدرك على الصـحيحين: محمد بن عبدالله الحــاكم النيســابوري، تحقيــق: مصــطفى عبــدالقادر عطــا، ط1، 1411هـ- 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المستصفى في أصول الفقه: لأبي حامد الغزالي، تحقيـق: د/ حمـزة بن زهـير حافـظ، شـركة المدينة المنـورة للطباعة والنشر، جدة.
- المســـلمون في الهند: لأبي الحسن النـــدوي، ط عـــام 1381هـ- 1962م، مكتبة دار الفتح مطابع المنار، دمشق.
- مسـند الإمـام أحمد بن حنبل الشـيباني: مؤسسة قرطبـة، مصر.

- المسيح إنسان أم إله: محمد مجـدي مرجـان، دار النهضة العربية، القاهرة.
- المســـيحية: د/ أحمد شـــلبي، ط11، 2002م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- معالم التنزيل: أبي محمد الحسـين بن مسـعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، تحقيـق: خالد العك ومـروان سـوار، ط2، 1407هـ- 1987م، دار المعرفة، بيروت.
- معـاول الهـدم والتنصـير في النصـرانية والتبشـير (التنصـير): إبراهيم سليمان الجبهان، ط4، 1981م، عالم الكتب.
- المعجــزة الكـبرى القــرآن: للإمــام محمد أبو زهــرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- معجم ألفاظ العقيدة: عامر عبدالله فالح، ط2، 1420هـ- 2000م، مكتبة العبيكان، الرياض.
- معجم البلــدان: يــاقوت بن عبدالله الحمــوي، ط عــام 1397هـ- 1977م، دار الفكر، بيروت.
- معجم المـؤلفين: عمر رضا كحالـة، عنايـة: مكتب تحقيق الــتراث في مؤسسة الرســالة، ط1، 1414هـــ- 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- معجم المطبوعــــــات العربية والمعربة: يوسف إليــــــان سيركيس، ط عام 1346هـ- 1928م، مصر.
- المعجم الوسيط: ط2، دار الفكر.
- معجم مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيــق: عبدالســلام هــارون، ط عــام 1339هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- المغــني في أبــواب العــدل والتوحيد: للقاضي عبــدالجبار، نشر وزارة الثقافة المصرية.

- مفاتيح الكنوز الإلهية: مـتى بهنـام، ط2، 1967م، مطبعة الفجالة الجديدة، مصر.
- مفتاح دار السعادة: لابن القيم، دار الكتب، بيروت.
- مقـــالات الإســـلاميين: لأبي الحسن علي بن إســـماعيل الأشـعري، تحقيـق: محمد محي الـدين عبدالحميـد، ط عـام 1416هـ- 1995م، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - صيدا.
- المقدمة: لابن خلـــدون، ط1، 1413هـــ- 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، منشورات: محمد علي بيضون.
- الملل والنحل: لأبي الفتح عبــدالكريم الشهرســتاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- المملكة العربية الســعودية: لعزيز محمد حــبيب، ط عــام 1395هـ- 1975م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- المنـاظرة الكـبرى بين الشـيخ رحمت الله والقسـيس فنـدر: تحقيـــق: د/ محمد عبـــدالقادر ملكـــاوي، ط2، 1410هـــ- 1990م، المديرية العامة للمطبوعـــات بالريـــاض، مطـــابع الصفا، مكة المكرمة.
- منــــاقب أبي حنيفة: للموفق بن أحمد المكي، ط عــــام 1401هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- منهاج الأدلــة: لمحمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: محمـود قاسم، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- مناهل العرفــان في علــوم القــرآن: للشــيخ عبــدالعظيم الزرقــــــــــاني، تحقيـــــــــــق: أحمد بن علي، ط 1422هـ- 2001م، دار الحديث، القاهرة.
- المنجد في اللغة والأعلام: ط37، دار المشرق، بيروت.

- منع جـــواز المجـــاز: للشـــيخ محمد الأمين الشـــنقيطي، مطبوع مع أضواء البيان، مطبعة المدني.
- منهـاج السـنة النبوية: لابن تيميـة، تحقيـق: محمد رشـاد سـالم، ط1، 1406هــ- 1986م، جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية.
- المنهـاج شـرح صـحيح مسـلم بن الحجـاج: لمحي الـدين النووي، ط4، 1997م، دار المعرفة، بيروت.
- منهج أهل السـنة والجماعة ومنهج الأشـاعرة في توحيد الله تعالى: خالد عبداللطيف نور، ط1، 1416هـ- 1995م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.
- منهج الحافظ ابن حجر العســقلاني في العقيـــدة من خلال كتابه فتح البـــاري: محمد إســحاق كنـــدو، ط1، 1419هــــ- 1998م، مكتبة الرشد، الرياض.
- الموافقـــات في أصـــول الشـــريعة: لإبـــراهيم بن موسى الشاطبي، بعناية: محمد عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت.
- المورد (ملحق الأعلام): لمنـير البعلبكي، ط38، 2004م، دار العلم للملايين، بيروت.
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضـارة الإسـلامية لبلاد السـند والبنجـاب: د/ عبدالله مبشر الطـرازي، ط1، 1403هـ، عـالم المعرفة، جدة.
- الموســـوعة العربية العالمية: ط1، مؤسسة أعمـــال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض.
- الموســـوعة العربية الميســـرة: لمجموعة من العلمـــاء والباحثين، بإشراف: محمد شفيق غربال، ط عـام 1401هــ- 1981م، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، لبنان.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف: د/ مانع بن حماد الجهني، ط4، 1420هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.
- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية: د/ عبدالمنعم حنفي، ط1، 1400هـ- 1980م، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- موقف ابن تيمية من التصوف: د/ أحمد البناني، ط2، 1413هـ- 1992م، جامعة أم القرى.
- موقف ابن تيمية من النصرانية: د/ مريم الزامل، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، كلية الشريعة، قسم العقيدة، مطابع جامعة أم القرى.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- النبوات: لابن تيمية، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، ط1، 1422هـ- 2001م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- نثر اللآلي على نظم الأمالي: لعبدالحميد بن عبدالله الألوسي، ط1، 1330هـ، مطبعة الشابندر، بغداد.
- النجاة: للحسين بن علي بن سينا، ط1، 1412هـ- 1992م، دار الجيل، بيروت.
- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبدالحي بن فخر الدين الحسني، ط1، 1390هـ- 1970م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الدكن- الهند.
- النصرانية من التوحيد إلى التثليث: لمحمد أحمد الحاج، ط 1، دار القلم، دمشق.
- النصرانية والإسلام: لمحمد عزت إسماعيل الطهطاوي، دار الأنصار، القاهرة.

- نيل الأوطـــــار شـــــرح منتقى الأخبـــــار: لمحمد بن علي الشوكاني، ط1، 1357هـ، المطبعة العثمانية المصرية.
- هداية الحيـــارى في أجوبة اليهـــود والنصـــارى: لابن قيم الجوزيـة، تحقيق وتعليـق: سـيد عمـران، ط عـام 1424هــ- 2003م، دار الحديث، القاهرة.
- هدية العـــارفين (الملحق بكشف الظنـــون): إســـماعيل البغدادي، ط1، 1951م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الهند تاريخها وتقاليــــدها وجغرافيتها: ط عــــام 1965م، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.
- الهند خلال عصور: أحمد إبراهيم البشيشي، بــدون.
- الهند في العصر الإســلامي: الشــيخ عبــدالحي الحســني والشيخ أبو الحسن علي الندوي، ط عام 1392هــ- 1972م، دار المعارف العثمانية، حيدر أباد- الدكن- الهند.
- الــوحي المحمــدي: محمد رشــيد رضــا، ط9، 1399هــ- 1997م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الوعد الأخـــروي شـــروطه وموانعه: د/ عيسى بن عبدالله السعدي، ط1، 1422هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- الوفا بــأحوال المصــطفى: لأبي الفــرج عبــدالرحمن بن الجوزي، بــدون.
- الوقف مفهومه ومقاصـــده: عبـــدالوهاب إبـــراهيم أبو ســـليمان، ط عـــام 1420هـ، وزارة الشـــؤون الإســـلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.
- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء: لرؤوف شــلبي، ط2، 1400هـ- 1980م، دار الاعتصام، القاهرة.
- يســوع المســيح (شخصــيته وتعاليمــه): الآب بــولس إليـاس اليسوعي، ط2، المكتبة الكاثوليكية، بيروت.

- اليهودية: أحمد شـــلبي، ط5، 1978م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

- الدوريات والتقارير:

- التعليم الأهلي للبنات بمكة المكرمة: لجواهر أحمد قناديلي (ورقة عمل مقدمة إلى وزارة المعـــــــــارف، الإدارة العامة للتعليم بالعاصمة المقدسة إدارة الإشـراف الـتربوي)، اللقـاء السادس للتعليم الأهلي، محرم عام 1422هـ.
- مجلة البعث الإسلامي: العدد (5)، 1408هـ.
- مجلة البعث الإسلامي: العدد (9)، جماد الآخر 1399هـ.
- مجلة المنهل: عدد (467) عام 1409هـ.
- مجلة المنهل: عدد (8) شعبان عام 1372هـ.
- مجلة البعث الإسـلامي: الأعـداد (5، 6، 7)، مجلـدة 20 سنة 1369هـ.
- مجموعة تقارير حصلت عليها من المدرسة الصولتية.

خامساً: فهرس محتويات البحث